
حى شَرَق

للكائنات مجازات آخر

لوقتٍ أطول سأظلُّ مُترعاً هكذا بدّهسِ العابرين

نصّ روائى

حى شرق
نصّ روائى

محمد الطناحى
(c) دار ميريت
الطبعة الأولى ٢٠٠٨
٦ (ب) شارع قصر النيل القاهرة
تليفون / فاكس ٥٧٩٧٧١٠ (٢٠٢)
www.darmerit.net
merit56@hotmail.com

الغلاف : أحمد مراد
المدير العام : محمد هاشم
رقم الإيداع : ٣٩٥٦ / ٢٠٠٨
الترقيم الدولى : 977-351-412-9

محمد الطناحي

حى شَرَق
للكنائس مجازات آخر

لوقتٍ أطول سأظلُّ مُترعاً هكذا بدّهسِ العابرين

دار ميريت
القاهرة 2008

﴿نَحْنُ الْكَائِنَاتُ مَا إِنْ تَسْتَتِمُّ اللَّحْظَةُ ، حَتَّىٰ
تُؤَدَّعُهَا إِلَىٰ حَدِيقَةٍ مِنْ حَدَائِقِ الْفَنَاءِ﴾

﴿ عَفْوَاً إِنَّهَا مِمَّارَسَاتٌ مُّخْطَآةٌ عِنْدَنَا . وَلَنْ تُصَادَفَ قُطْعَآ
مَتَّسِعَآ لَتَأْوِيل . وَرَبَّآ غَدَاةٌ هَآذَا الْيَوْمَ سَتْتَهِيَا ذَوَاتُنَا لِمَزِيدٍ مِّنَ
التَّجَلَّى ، أَوْ رَبَّآ لِلتَّمَادَى فِي الْإِطْنَاب . لَكِنَّا فِي ذَاتِ الْوَقْتِ ،
لَا نَمْلِكُ أَنْ نَعْدَكُمْ بِشَىْءٍ مِّمَّا قَدْ تَأْمَلُوهُ . فَقَطْ إِنْ هِيَ إِلَّا بَضْعُ
تَخْمِينَاتٍ مُّكْتَنَاةٍ تُعْزَى إِلَى مَا نَسْتَنْطِقُهُ مِنْ عَصَارَةِ مَكْنُونَاتِنَا ،
وَمَا هُوَ أَهْلٌ لَّاخِذٍ حَيْرَآ فِي الْحُضُورِ ﴾

مِّنْ أَحَادِيثِ الشُّجَيْرَاتِ

لوقتِ اُلول (i)

الخميس 12 أكتوبر 2000م 14 رجب 1421هـ

وحكى لى العمّ لوقا كيف
كانت البُنُوتَه مديحةً كامل تنزل
إليه يومياً فى فندق مونتانا ،
عندما كان مُديرًا له ، لتجرى
اتّصالاتها السَّريّة . ثم كيف
كان يرى إسماعيل ياسين عند
مروره اليوميّ متوجّهاً إلى
مسرح ميامى سيرا على
الأقدام . لكننى عندما راح
يحكى لى عن كيف غامر كثيراً
ليرى أم كلثوم ، وهى تُغنى
فى حديقة المنتزه ، قلت : لهذا
حديثٌ مطوّل ، وذهبت للحاق
بشهدى على بسطة السّلم ،
مُرجّحاً أنّها ربّما تكون شادية أو
ممثلةً أخرى ، حيث أنه كرّر
هذه الحكاية أكثر من مرّة
بأسماء مختلفة .

﴿ قالت : آه لو خَبرَ ما يعتلج داخلي
حينَ مرّاه ﴾

وكفى
بنا
فى العشّيات
المقمرة
أن
نهمّ

كان الحرّاس فى نصف الدّائرة مُمسكين
بالمشاعل يُطفئونها فى حفرة بالقرب من
فتحة البئر، بينما كانت الحاجة وداد منهمكة
فى تفريغ فصوص البازلّاء من حبيباتها ،

على أنه ورغم حرصها على أن يأتى صوت
التليفزيون خفيضاً ؛ لمرض الحاجة اعتماد ،
فقد راحت تتسمّع باهتمام بالغ لحوار على
أبو شادى مع سلمى الشماع ، فيما الابن
حسنى يقف أمام المرأة ، مُستعرضاً
أسنانه التى يستبسل فى حكّها ببودة
إيفاسموكرز ، حيث يُعاود النداء على أخته
نوسه الواقفة فى الشرفة، كيما تجيء
لترى مدى النّصاعة التى أصبحت عليها
أسنانه .

ثم لم يكد صوتها السّيرانوا

يرتفع

،

حتى قال

:

فلأمتّعكم

بألحان

الحنجرة

.

أليس الذى أسمعكم

كلّ

هذه

المطوّلات

،

بقادر

على أن يتمدّد

هكذا

ويستكن

.

وقرأ

:

قوات عمر المختار تُعلن مسؤوليّتها عن
مُهَاجِمَة قافلة المستوطنين قرب نتساريم
(.) ضغوطُ تنسف الرّحلة الجوّية الفرنسية
إلى العراق عشية وصول أولبرايت إلى
باريس (.). منتخب مصر يذهب إلى قطر
لتكريم منصور مفتاح (.). الهضيبي للحياة :
الحكومة أعلنت الحرب على الإخوان (.).
الخميس ١٤ رجب ١٤٢١ هـ - ١٢ أكتوبر (تشرين أوّل) ٢٠٠٠ م.

٢ باية ١٧١٧ . العدد ١٥١١٨ السنة ٤٩ .

{1}

يفتح عم حسن القهوجي زجاجة الكوكا كولا ، ويضعها

بجانب كوب السَّحلب ، وقبل أن يتَّجه لمائدة الصُّول درويش يطلب منه الأسطى على كرامة السَّبَّاك ملعقة صغيرة من السُّكر، وقهوة زيادة للحاجَّ عبد الله رسلان ، الذى يأتى مُتسربلاً بعباءته النِّيَّة ، ورافعاً جريدة الأهرام المسائى فوق رأسه، حيث يستقبله الأستاذ شحاته جرجس بحضن طويل ، فيما عيناه تتابع من وراء زجاج المقهى ، موظفة الايليانس عايدته التى كانت لتوتها قد خرجت من صيدليَّة بورفؤاد الكبرى ، واضعة ماتبقى من نقود داخل شنطتها .

ثمَّ ما إن يجلس الاثنان على مشارف باب المقهى الداخلى ، بعد أن يلقي الحاج رسلان السَّلام على الأسطى على كرامة ، والحاج عبَّاس الجبرونى ، والمتر وهيب ، والحسينى كمالو زوج بنت عثمان شلبى الجيزى رئيس حى الضَّواحى ، حتى يبادره الأسطى على : " **ياحج عايزين نخلص الموضوع انهارده ، انا جايك مخصوص** " . فيومىء له الحاجَّ رسلان برأسه. فى نفس الوقت الذى كان فيه السيِّد القزَّاز يندفع من المقهى باتجاه كافتريا الطيران ، عابراً شارع ١٥ سبتمبر ، تتبعه كلمات العربى خضير : " **كبر عقلك ياسيد . حطَّره بس** " . ثم ما لبث أن ينهض، منطلقاً وراءه .

هذا . بينما على الجانب الآخر من المقهى راحت شلَّة المتر وهيب ، تتابع باهتمام عركة الطاولة المنصوبة بين يوسف الأقطش، والداوودى حجازى، صاحب محل سماركو للخردوات المجاور لمطعم فول النيل ، حيث المتر وهيب يقرأ بصوت

مسموع على ممدوح العرباني ، مذكرة دفاعه عنه في قضية السَّبِّ ، ومحاولة التعدي التي لفقتها له زميلته في مديرية الصحة ، وعيناه ترمق بنهم بين الحين والآخر ، سيقان نساء المنطقة أثناء نزولهن من الميكروباص .

فجأة يعلو صوت الحاج عباس الجبروني أثناء قطع المسلسل التلفزيوني ، بتعليق مذيع آخر الأنباء خيري حسن ، مصحوباً بلقطات من القذف الإسرائيلي لمقر شرطة رام الله ، حيث دوى القنابل ، وعويل النسوة ، وصخب سرينات سيارات الإسعاف : " اضربو يا ولاد الكلب ، معنا بقينا نسوان ، وما عندناش إلا البيانات ، والله عندك حق يا ابراهيم يا مصرى " . يقاطعه الدَّاوودي حجازي ، وهويشير بيده إلى الخارج : " ليه جبت في سيرته بس ، أهو حيجيانا دلوقتي " .

ينظر البعض من باب المقهى، نحو إشارة الدَّاوودي ، فيروا ابراهيم على الرصيف المقابل يتكلم في المينائل ، فيضجوا بالضحك ويصيح الأقطش وهو يفرك زهر الطاولة : " يا ابراهيميبيبيم " .

كان عمّ حسن قد بدأ على مضض ، في إخراج البوارى إلى مجموعة الشباب المستكين في الخارج ، وهو يزك بساقه اليسرى .

وحينما ينتبه إلى أنهم يتطلعون بشرود غريب إلى ضجة أخذت تتنامي من خلف زجاج كافتيريا الطيران ، يسير على الرصيف حتى يبلغ ناصيته ، ثم يروح وهو يجمع الأكواب

الفارغة ، وينظم في الموائد يلتفت بين حركةً وأخرى إلى
الكافثيريا ، مناديا على صبيّه المشهور بزقلط ، أن يأتي بزواج
المقشات ، لكي يزيج مانسيه أحمد الذبّال من قمامة أمام مدخلهم
ثم يرش المكان .

*

{2}

مل لابد من تنفس الموت لتبرأ أرواحنا. إن
أشجار القيقب تنحت الريح بدون سكين. إني
أتوق لمنعطف الطريق، وحلقى جاف من الأرق
منتشي بالموت*.

أطفنوا المشاعل ، قلنا : لقاء أن تستوسد القينة موجدك إلى
كافثيريا الطيران حاذر من أن تذر طائرات أباشي قصفاً كان
مفعولاً باتجاه باخيات عوالمك التي أينعت ، لتحط فوق حرس رام
الله القديم ، ريثما يجد مسلكاً آخر أو مرتجعاً لمفرّ، قائلاً بشجن به
قدر من أيوفوريا : الأولات يسوقنني إلى الزنزلخت ، فيما أنا لا
يعوزني حقيقة سوى بضع ضوعات من تحويجة شاي المساء ،
كيما أكون مهيأ لتأمل ذاك القارب المهجور الذي يرتطم
بالصخور في كسل ، وقد ارتسم في مقدمته كقان زرقاوان على شكل
فراشة ، مأخوذاً بتعالى صيحاتهم الجهيرة : أطفنوا المشاعل ، أطفنوا

* العبارات التي بهذا الخط ، وبهذه العلامة مقتبسات شعرية .

المشاعل ، حتَّى لكَأَنَّ مجرَّد تعليقها لهذا السُّراج في مواجهة تابوت
نُجمها الصالح حين إخراجِه من مركبها الشُّراعى الذى يترجَّح
بمحاذاة الشَّطِّ ، لكفيل بجعل إِيَّاهم مُرتكزاً لرمي منجنيقات
حراريق لويس التاسع ، دون أن يكون هناك ثمة أىّ فساحةٍ
لتخفُّ . فعمَّاذَا إذن يا ناخوذة أسرع تبتحث داخل أقباء
قلعة الرُّوضة وسراييهما، إذا كانوا هاهم قد شرعوا بمساعدة طيور
ستومفالوس في نكءٍ مُمرٍّ متسعاً لبوارجهم أمام شواطئ رام الله ؟
أتأبى ألا يمرُّ يومٌ إلا وأنت قد استجبت
طواعية لما يتطلبه ارتداؤُك لبزَّة حائك الرواميز ،
غير مبال إطلاقاً بما تمثل أمام ناظرى يوسى
بلين آن أَّتته تريستا ترفل في بُرنسها المقصَّب
ذى الفرجتين اللتين يفصحان عن كامل بضِّ
ساقِها الآخذين الآن في الاستنامة لعركٍ منه
بغير لطف ؟

"بلى أيتها السُّرج المصطفَّة يا امتداد تخوم نواصى
مقهى وادى النيل ، هيهات لك ثم هيهات لك ، أن
تصطفيه نحو ملكوتٍ ، هذه هي جرجونات أجهاته
التي أطلَّت نجوس راتعة حول حُلُك أنبيته المسوَّرة ،
دون أن يصيبك منها وابلٌ من شُواط، ولئن أوغلت
في التموه " هكذا قال لنا ثم انتحى جانبا بجوار
حائطٍ، حتماً ستستميله نافذته ، إذا ما انطلقت
أسجوعات عريب البرمكيَّة من مذياع كافترياه

كنت
أنظر بجانب
عينى ،
فأراه وقد
جلس
هناك على
المقعد
المجاور
لتعريشتهم
المخصَّصة
لبياتهم
اليومى .
كان يَصوب

القدم ، إلى تخاتلاتٍ ، كان قد أنفق ليلته أمس
مستكيناً لهبات عوالم منها ، تيك التي ماكان
لها إلا أن تعمل على إزاحة باخرة الإمبراطورة
أوجيني بعيداً عن مسلكها تو أن كانت تمخر
عباب فضائه الورقي بالقرب من محكمة
استئناف بورفؤاد العالی .

يقيناً لم
يكن يتصور

*

لحظة أنني على علم ، ومنذ زمن بارتحالته خلفى كل
خميس رغم أن هذا كان كفيلاً بأن يملأني غبطة. وكثيراً
ماخمرتني فكرة أن أهم ، وأستدير ناحيته مُباغته، إلا
أننى ما ألبث أن أستعيد نفسى ، وأستشعر كمّ الألم
الذى من الممكن أن أسببه له لو فاجئته بهذه الطريقة .

*

{3}

ميدان فؤاد أكبر ميادين مدينة
بورفؤاد ، وهو الميدان الواقع عند مدخل
مدينة بورفؤاد ، وقد أُحْدِ في وسطه قاعة
من الجرانيت الوردي ، كان مُقررّاً وضع
تمثال للملك فؤاد الأول فوقها ، وتحدّد
لإزاحة الستار عنه يوم الأول من نوفمبر ١٩٥١م.

بحضور الملك فاروق ، إلا أن وقوع أحداث
معارك القناة عن المدّة من ١٥ أكتوبر ١٩٥١
حتى ٢٥ يناير ١٩٥٢ ، جعلت المسؤولين عن
إعداد تلك الحفلة ، يُعلنون تأجيلها لعين
هدوء الحالة في منطقة القناة ، ثم بقيام ثورة
يوليو في ٢٣ يوليو ١٩٥٢م ، ألغيت فكرة وضع
تمثال الملك فؤاد الذي تكلفت شركة قناة
السويس بمصاريفه نحته وصبه .

وأهم معالم هذا الميدان مبنى المحكمة
المختلطة ، محكمة الاستئناف حالياً ، التي
أنشأتها شركة قناة السويس ، وأخذت شكلها
طابع مساجد المغرب العربي ، وافتتحت في
مايو ١٩٣٤ في حفل كبير أمّنته شركة قناة
السويس بإشراف البارون دي بنوا ، وأول
من ترافع فيها من المحامين المصريين
الأستاذ عباس حلمي ، والأستاذة عزيزة
عصفور

*

صوت ماسيرو :

لك الخشوع ياربّ الضياء أنت يامن
تسكن في قلب البيت الكبير . يا أمير الليل
والظلام . جئتُ لك روحاً طاهراً، فهب لي فم

أتكلّم به عندك ، وأسرع لى بقلبى يوم أن
تتناقل السُحب ويتكاثف الظّلام .
إعطنى إسمى فى البيت الكبير ، وأعد
إلى الذّاكرة إسمى يوم أن تُحصى السنين .
ويضع ماسبيرو العدسة المُكبّرة جانباً ، بعد
أن انتهى من القراءة .

*

المكان يطفح بالسّواد ، وبقايا دمع يغشى بعض العيون .
النسوة اللائى يملأن الصّالة ، والحجرات ينصتن إلى المقرئ
فى سكون وحذرٍ . فيما عدا بعض الأحاديث الخافتة ، والهمس
الجانبى الذى يغلف المشهد البالغ الكآبة .
الحاجة إقبال تتجّ على كتف الحاجّه هانم جارتها ، بألم ،
ولوعة مميتة . وكأنها حيوان مذبوح ، فيما الأخرى تلتقط من
حين لآخر ، مندبل كلينكس من الكيس الموضوع على المائدة
أمامها ، ثم تمسح به عيون الحاجة إقبال .
بعض الجالسات فى حجرة الصّالون ، يتفوهن بتلك
العبارات التى تدعو للصّبر ، والرضا بقضاء الله . ويحثنها أن
تتحمّل ، وتقوى لأجل أولادها . وهى تستمر فى نحيبها ، لا
تتوقف إلا فيما ندر ، وكلما توقفت تمتمت بأن هذه الشقة كانت
شؤم عليهم " قولتله عتبتها وحشه ، تعالى نغيرها " . ثم تعود
ثانية للنحيب وهى مغمضة العينين .
الست فايزه جارتها تقف ، وتميل عليها ، تحاول أن تعطيها

سندوتش لتأكله: " طب بس قطعة تسندى بيها نفسك ، دا إنتى
ما أكلتيش من الصبح " . لكنها تشيح بيدها ، مبعدها فى إصرار
عنها.

فجأة تلتفت إلى غادة الجالسة على يسارها، بعينين محمرتين
وشبه مغمضتين ، وتسألها بصوت متهدج ممطوطة حروفه عن
جيهان ، وهل وصلت ، ولماذا تأخروا . فتطمئننها غادة
بصوت خافت، وبعينين يملأهما الدمع المكتوم ، أن أحمد قد
اتصل بهم من المينائل ، وأخبرهم أنهم خرجوا من النيابة
ومعاهم جيهان ، وأنهم على وصول .

تدخل الشغالة فاطمة بصينية استائل ستيل ، عليها قليل من
فناجين القهوة ، وأكواب الشاي . وتمر على المعزيين ، وعلى
وجهها قناع من الحزن المحسوب . ثم بعد لحظات تمرق بنتها
الصغيرة سماح إلى الحجرة ، وتوشوش فى أذنها ببعض
الكلمات ، ثم تعود بسرعة من حيث أتت . تكمل دورانها ، ثم
تذهب خارجة من الحجرة ، ومتجهة إلى المطبخ .

تمد يدها من وراء ظهر الست عواطف ، وتضع الصينية
على الرخامة البيضاء ، وتسرع خارجة باتجاه باب الشقة ،
تتبعها بنتها .

قيل أن تختفى ، تتادى عليها إنعام أخت الحاج مهدى
المتوفى ، وتسألها إلى أين ستذهب ، فتخبرها أنها نازلة ثوان
لزوجها شلبى المنتظر أسفل العمارة . فتشدّد عليها إنعام أن
لا تتأخر ، فتطمئننها أنها مجرد فقط ستعرف ماذا يريد وفورا

ستطلع .

تلتفت إنعام يميناً ويسرة ، ثم تنهض من على كرسيها بحركة محسوبة تصر على أن تجعلها ذات وقار ، وتتجه ذاهبة إلى المطبخ .

تبادرها عواطف ، وهى واقفة تغسل بعض الفناجين: " آمال فين فاطمة عشان تاخذ دور القهوة اللي خلص ده " .

ترد عليها ، وهى تنظر إلى كنية القهوة الموضوعة على البوتاجاز : " نزلت تحت تكلم جوزها ، وطالعة " .
- : " هو مش طلقها ؟! " .

- : " بيقولوا رجعتها تانى من أسبوع " .

هكذا تقول ، وهى تأخذ كنية القهوة التى بدأ وشها فى الطفو من فوق البوتاجاز ، وتصبها فى أحد الفناجين .
يتعامل الأختان بشكل شبه عادٍ ، وليس تحت وطأة الحزن الذى تغرق فيه الحاجة إقبال وبناتها ، وإن كان أيضاً لا يخلو وجهاهما من غلالة أسى .

تضع عواطف كنية أخرى على عين البوتاجاز ، حيث تلتقط منها المعلقة ، وتدعها على الرخامة ، ثم تقترب من أختها إنعام الواقفة بجانبها تمسح تحت الفناجين ، وتميل عليها قائلة :
" بقولك إيه يا إنعام ، الفلوس اللي إحنا بنديها لأمنا ، ماعدتش حتقضى بلوقتى ، لازم نزودها " . ثم تستطرد بنتهيدة : " أخونا كان شاييل عنا كتير " .

- : " اللي أعرفه إن لها معاش " .

-
- : " معاش من أخونا ؟! " .
- : " آه آمال إيه " .
- : " والله ؟! كام يعنى ؟!
- : " متهيألى التمن أو السدس . مش عارفه حاجه زى كدة " .
- : " طب كويس ، دا أنا كنت شايله هم الموضوع ده قوى " .
- : " يا شيخة كل حاجة أخذها على أعصابك كده " .

حين تدخل عليهما فاطمة المطبخ يتوقفا عن الكلام . ثم تتراجع الست إنعام عدة خطوات إلى الوراء ، مفسحة لها مساحة مناسبة ، كى تأخذ صينية القهوة الموضوعة على الرخامة . وقبل أن تسير خارجة من المطبخ تطلب منها الحاجة عوطف ، أن تنتظر حتى تصب لها كنكة القهوة التى تباشرها الآن . وفعلًا تقف لثوان منتظره ، إلى أن تنتهى من صبها ، فتأخذها وتخرج بالصينية لتدور على المعزيات .

زوجة خال جيهان صباح ، تدخل عليهما عارضة مساعدتهما فى عمل الشاى والقهوة ، فتشكرها الحاجة عوطف ، وتؤكد لها أنها ليست محتاجة أحد ، حتى إن أختها هاهى كما تراها لا تجد شيئاً تفعله ، " والله كثير جم يسعدونا أنا وفاطمة لقونا مش محتاجين " ، ثم تكمل " ما إنتى عارفه ، ماحدش بيشرىب " لكنها تلح ، فتتركها حتى لا تسىء فهمها بأى شكل من الأشكال ،

بينما تخرج الحاجة إنعام لضيق المكان ، واحساسها بالاختناق .

تباعاً المعزيات يتوافدن بكثرة ، والحجرات تكتظ بهن .
البعض يدفعه هذا إلى مجرد تعزية فقط الحاجة إقبال ، ثم
مغادرة الشقة على عجل ؛ لافساح مكاناً للوافدات الجدد .

الحاجة نظمية تتجه إلى باب الشقة مغادرة ، بعد أن جلست
لبعض الوقت في حجرة السفارة المجاورة لحجرة الصالون ،
والتي قد فرغت تماماً من أثاثها ، ووضع بدلاً منه كراسٍ من
نفس نوع كراسي السرداق المنصوب في الأسفل .

تلتفت إلى الوراء ، مشيرة بيدها إلى الأستاذة أمال التي
تذكرت أنها لم تسلم عليها ، بعد أن انتهت من تعزية الحاجة
إقبال ، فتبادلها الأخرى الإشارة بالمثل .

تعبر عتبة باب الشقة إلى الخارج ، وهي تنتهد ، وما إن تفعل
ذلك ، حتى تجد مدام رحاب في مواجهتها . فتصافحها بحرارة ،
بل وتأخذها بالأحضان ، لكنها لاتطيل ، حيث تلمح أمامها خلف
مدام رحاب ، كل من الست فوقية والست رنيفة اللتين تعرفهما
بالاسم ، دون سابق حديث معهما .

تأخذ يد مدام رحاب ، وبهدوء وبحذر تجذبها باتجاه سور
السلم الحديدي ، حيث تتفهم الأولى وتشاركها ، في افساح لهما
حيزاً للدخول منه .

تنتبه الحاجة نظمية إلى أن هذا الموقف ، غير مناسب نهائياً
لأى حديث ، خاصة عندما ترى أن الكثيرات خلفها يبدأن في
المغادرة . فتستأذن منها مودعة ، بعد أن تؤكد عليها أن
تتصل بها بالتليفون . وتبدأ حذره وهي تنظر لمواقع أقدامها ، في

نزول الدرجات بحذاءها الأسود ذى الكعب الواطىء ، يتبعها
بخطوات متمهلة كل من الست فريال ، والست زينب ،
والحاجة شكر ، وسيدة .

كلهن ينزلن تباعا دون أن تكلم إحداهن الأخرى .
وبعد تقريبا دورين من نزولهن ، وعند الدور الأول ،
يطالعهن الكثير من الوافدات ، اللواتى يصعدن فى الاتجاه
المعاكس لهن .

بعضهن يأخذ جهة الحائط ، بينما الأخريات يأخذن الجهة
الموازية للسور الحديدى .

الست زوزو وبنتها سمر ، وخلفهما كل من ماجدة وأمل ،
ثم الست فايقة وحفيظة وشربات . يصعدن وهن ينهجن، وتلقى
اثنتاهما اللتان فى المقدمة السلام ، دون أى كلام آخر ،
والأخريات يكتفين بما سبَق به البعض . حيث يبدو أن إحداهن
لا تعرف منهن الأخرى .

فى الأسفل ، وعند بهو مدخل العمارة تقف الحاجة نظمية
على جانب الباب الحديدى المغلق إحدى ضلفتيه . إذ تلمح
الحاجة سامية وابنتها شيماء يقبلان من الجانب الأيسر
للرّصيف، تفتح شنطة يدها وتظهر أنها مشغولة باحضار شيئا
ما منها . تفعل ذلك دون أن تنتظر للحاجة شكر ، وهى تخطو
خارج البهو وكذا الباقيات اللواتى يتسرين بهدوء .

وعندما تصل الحاجة سامية وبنتها شيماء اللتان يستقبلاهما
بالسلام ، والقبل ، تأخذهما من يديهما ، لتقف بهما خلف ضلفة

الباب المغلق بجانب الحائط ، بعيدا عن الأعين ، وتبدأ معهما
حديث سريع .

*

{4}

الإسم: ریحان عزّ الدّین أبو مُسلم .

السّن : ٦٤ عاماً .

الطول : ١٧٦ تقريباً .

العنوان : ١٩ شارع الجمهوريّة . الدّور الثّالث .

ملك قصص .

بطاقه شخصيّة : ١١٩٨٧٠٤ بنى سوف .

الحالة الاجتماعيّة : أرمل .

*

هو الشّيخ ریحان كما يطلق عليه الكثير من

معارفه ، وجيرانه .

موظّف سابق بمحكمة بورسعيد الابتدائيّة . مارس

نشاط الدّعوة منذ ما يقرب من عشرة أعوام . وذلك

عن طريق خُطب المكافأة التي أُجيز له بها ، من خلال

مديريّة أوقاف بورسعيد ، بعد اختبارات عدّة من

الجهة المختصّة ، وإجازته أمنياً من سلطات الأمن

المנוط بها هذا الأمر .

إلاّ أنّه ، وجرّاء دروسه العديدة التي كان يعقدها

بشكل غير رسمى قبل صلاة الفجر، طوال عدّة أعوام، فقط فى شهر رمضان ، وذلك بجامع فاروق الشّهير بالجامع الكبير، والكائن بشارع الجزائر والتّفرّيعه. حيث ثبتَ فى حقّه عدّة إخباريّات من أهالى المنطقة ، بالتّلفّظ ببعض العبارات الّتى قد يلمس منها إساءة لإخواننا المسيحيين . ثمّ وبعد تحرّى الأمر بواسطتنا ، وإثبات عدّة مخالفات أخرى له فى أكثر من تقرير ، فقد تمّ بناءً عليه توقيفه رسمياً عن ممارسة نشاطه الدّعوى ، سواء من خلال خطب الجمعة الّتى كان مُصرّحاً بها رسمياً ، أو دروسه الّتى اعتاد عليها ، كما ذُكر آنفاً ، وهذا بتاريخ ١٥ يناير ١٩٩٨ م .

ومن تاريخه، لا يُذكر له أى نشاط من هذا القبيل ، سوى اعتياده الصّلاة بالجوامع القريبة من محلّ سكنه ، مثل جامع النّور ، وجامع الغفران ، وبعض الزّوايا المتفرّقة الّتى نادراً مايؤم فيها الصّلاة ، وعلى الأخص صلاة الفجر .

ومادون ذلك لا يُلحظ له أى نشاط ، أو أحاديث فى تجمّعات .

فقط سجّل عنه هذه الأيّام ، مُداومته للسّفر إلى بيت العائلة الكائن بمسقط رأسه بمحافظة بنى سويف. وسوف نوالى التقارير ، لسيادتكم تباعاً ، إذا أشرتكم

بلزوم ذلك .

تقرير (٧)

الخميس ١٢/١٠/٢٠٠٠م

رجب بيومي عثمان

*

{5}
ثمة شيءٌ يُعَافَل . ولو أمكن للصمت أن يتكلم لقال ،
هو الاستغناء بما ليس لنا فيه حيلة

مرة أخرى يعود إبراهيم للجلوس أمام الكمبيوتر الذي تركه مفتوحاً ، وذهب ليتبول . يجر الكرسي قليلاً ليتلافى المسافة التي بينه وبين البوفيه الموضوع عليه ، ومن ترمس موضوع بجانبه على مائدة السفرة الكبيرة يصبّ كوباً من الشعير المنقوع . مشاكل كليته التي أصابته مؤخراً جعلته يعتاد عليه . يلعن الماء الملوّث الذي أصبح يشربه المصريون ، بتمتعات خافتة . ثم يدوس بإصبعه الأيمن كلك أكثر من مرة ، حتى تبدأ الشاشة ثانية في الإضاءة . يفكر أن يخلق مؤقتاً ، ملف المقالة التي كان عاكف على كتابتها ، ويدخل على شات ياهوو ليأخذ قسط من الراحة . يغلقه ، ويفتح الورد المكتوب فيه تلك العبارة التي اعتادها منذ أيام ، ويدوس كلك يمين "copy" ، ثم يدخل إحدى حجرات

الشات ، ويدوس "peste" ، ثم "send" .
يتابع ما يكتب في الحجرة باهتمام .
يدخل عليه أحد الأشخاص ، بالعلامة الحمراء BUZZ!!!.
يتأمل إسم الأيقونة mohamed_love_64 .
يغلقها دون رد .
ينسخ ما كتبه سابقاً ، ويعيد إنزاله بأيقونة الحجرة . ثم يتأكد
من الواجهة الرئيسية أنه داخل online وليس offline.
تدخل عليه صديفته الصغيرة نسمة ذات ال ١٦ عاما .
SONSON DOY : إزيك .
Ebra.Z : أهلا بنوتي الجميلة الرقيقة .
SONSON DOY : كل ده شكراً أوى .
Ebra.Z : إيه يا بنوتي يا ذكية هو انتي خلصتي امتحانات الشهر ولا لسة ؟
SONSON DOY : لسة قدامي بكرة كمان .
Ebra.Z : طبعا
Ebra.Z : انت شاطرة في المدرسة .
SONSON DOY : لا بذاكر في الشهادة بس .
تدخل عليه أيقونة "shery_shery18" : "أبوة معاك شريهان" .
يبدو أنها قد قرأت ما كتبه في الحجرة "مطلوب إمراة للحديث في
أنطولوجيا الجنس ، والسيكولوجية النفس- جنسية ، حال الممارسة والظروف
التي توطرها . بشكل محترم وثقافي لزوم دراسته علميه أكاديميه وليس الممارسة
من خلال الكلام . د. هشام نصر علم نفس المجتمع . أبستمولوجي . شرط مايك
للتأكد من كونها إمراة . وكذا من يريد أن يعترف إعترافاً ما ، رجل أو إمراة ،

سوف يرشحه مدى صدق إعرافه و غرابته للنزول فى كتاب . اعترافات زمن الاستباحة .

يزيح أيقونة SONSON DOY إلى يمين الشاشة ، وينقل أيقونة shery_shery18 إلى يسار الشاشة . ثم يرد على شريهان

Ebra.Z : يا أهلا

Ebra.Z : من أى بلد ؟

ثم يرد على SONSON DOY بعد أن تستعجله بـ BUZZ!!! .
Ebra.Z : إيه اللي واخذك ؟

SONSON DOY : مفيش بس بستخسر صحتى فى المذاكرة

و عندما يأتیه رد shery_shery18 : "إيش تبغى يعنى وإيش تفرج معاك ؟" . يبدأ فى الرد على الإثنتين فى نفس الوقت .

Ebra.Z : آمال قوليلى يا شقية بتقضى
Ebra.Z : فى الثلاثينات ولا الأربعينات وقتك فى إيه ؟
ولا إنت راجل ؟

SONSON DOY : أسمع أغانى ورقص
shery_shery18 : ليه بتبغى الحج ولا إيه
SONSON DOY : وكتب وألعب مع

أخويا . shery_shery18 : أقسم بالله سيده

SONSON DOY : اليوم بيوفوت هوا
Ebra.Z : قولى يا خليجية يا جرينة
Ebra.Z : إنت قولتيلى فى سنه كام ؟
سنك كام ؟

SONSON DOY : أولى ثانوى
shery_shery18 : 32

Ebra.Z : بتعرفى ترقصى
shery_shery18 : وانت بجى ايش

SONSON DOY : هو فى بنت
تكون

مبتعرفشى
shery_shery18 : BUZZ!!! .

Ebra.Z : مصرى	Ebra.Z : شرقى؟
42 : Ebra.Z	كله : SONSON DOY
shery_shery18 : بالله وايش حتفرق	SONSON DOY : يعرف ارقص اغراء
Ebra.Z : مش إنت اللي بتسألنى .	كمان
قوليلى إيه اللي مسهرك	BUZZ!!! : SONSON DOY
لغاية دلوقتى؟	Ebra.Z : إزاي بقى
shery_shery18 : الزهج مو عارفه	SONSON DOY : لالا ميصحش
انام ابدأ	Ebra.Z : تعرفى تعبرى بالكلام
Ebra.Z : متزوجه؟	SONSON DOY : دا ما يتقلشى بالكلام
shery_shery18 : لا أنا باعمى كنت	Ebra.Z : برافو
متزوجة ومو بنجب	Ebra.Z : تسمعى عن رقصة
للأسف والله	الاستراپتيز
Ebra.Z : ده سبب الطلاق؟	SONSON DOY : لا
shery_shery18 : ايوه	SONSON DOY : إيه دى
Ebra.Z : حصل قريب الطلاق؟	Ebra.Z : لا ما ينفعشى أقولهاك فى
shery_shery18 : تفرق معاك ايش	السن ده
بس	SONSON DOY : لا قول
shery_shery18 : ها تبغى نتكلم	SONSON DOY : أنا يعرف حاجات
شويه فى ايه	كتير مش فى سننى
shery_shery18 : BUZZ!!!	BUZZ!!! : SONSON DOY
Ebra.Z : قريتى اللي مكتوب فى	BUZZ!!! : SONSON DOY
الحجرة	Ebra.Z : يبدو إن الجبل كله بقى كده

[34]

ممکن

Ebra.Z : والضرب

shery_shery18 : لا دي لا بس بحب

تشدد شعري فقط

Ebra.Z : و الصفع تحبيه ؟

shery_shery18 : مو بعرف

Ebra.Z : على وشك

shery_shery18 : لالا لالا لا هذا لا

Ebra.Z : ألمين خفاف كده

shery_shery18 : لالا لالا بقولك

Ebra.Z : صدقيني لو جربتنيه

حتستمتعي

shery_shery18 : انا احب قوي

العنف في الجنس

واحب الشتيمة قوي

shery_shery18 : من الاخر احب قلّة

الادب جدا لا بعد

الحدود ابغيتها

مووووت

shery_shery18 : واحب انه في ساعة

النوم هاذي يحكي

عن ستات نامو معاه

BUZZ!!! : SONSON DOY

BUZZ!!! : SONSON DOY

SONSON DOY : ابيه إنت نمت

BUZZ!!! : SONSON DOY

قبل ذلك كيف نام

وياهم وكيف جالوله

وكيف جالهم

تنتثيره ، وتثير اهتمامه هذه السيدة الخليجية ، فيترك الفتاة الصغيرة دون ردّ ، معولاً على أى حجة سيسوقها لها فيما بعد
ويكمل Ebra.Z : بتحبى مص القضيب ولا بتقرقى؟

اجولك : shery_shery18

Ebra.Z : قولى

shery_shery18 : بحب المص بس لحد ما يوجرب يجيبب اجرف بصراحه مو

احب لبنك ينزل عليا ابدًا

shery_shery18 : بس احبب اسمع كلام مثير وخارج قوي

shery_shery18 : مو احب احس اني زوجته احب احس اني عشيجته رجاصه

معه

Ebra.Z : بتحبى تنهاني وانت بتمارسى؟

shery_shery18 : ايوه جدا

shery_shery18 : احب اني احس معه اني فتاة ليل مزنيه كدا او وحده من

الشارع مثلا تنام وياه ليله فاهم ولا مو منك فاهم

Ebra.Z : فهمك

shery_shery18 : انت زهجتني علي فكره مو بحب الكسوف ولا الكلام المتغطي

Ebra.Z : جوزك كان بيرضىكى جنسياً ؟

shery_shery18 : لا مش دايمًا

Ebra.Z : كان بيرضى نفسه ويستخدمك لإرضاءه ؟

shery_shery18 : انت بتشعري انك تعمل دراسه في هذا صح

Ebra.Z : أنا دكتور هشام إنت مقرأتيش اللي مكتوبي؟

shery_shery18 : وايش زنيبي انا الان

Ebra.Z : كان يعرف إنك بتحبى الشتيمة؟

shery_shery18 : نعم

Ebra.Z : احلى وضع تحبيه إيه؟

shery_shery18 : كل شي واي شي

Ebra.Z : ما فيش وضع مفضل؟

shery_shery18 : طيب اسيبك بجي ذاكر لوحك ها الحين سلام

يَظَلْ نظر إبراهيم عالِقاً بالشاشة، منتظراً أن تعود ، لتحدثه ثانية مع حرصه في نفس الوقت أن لا يُظهر إلحاحاً أو اهتماماً. لحظات، ويفقد الأمل في معاودتها . يدوس كلك على علامة + Add ، الموجودة بأيقونة هذه السَّيدة ليضيفها إلى سجل أصدقائه. ثم يغلق الأيقونة. ويدخل ثانية على الحجرة العمومية، ويظل ينتقل من حجرة إلى حجرة . ناسخاً عبارته تلك في كل حجرة .

تدخل عليه أيقونة “ asama_love 64 ” : خرم أمك يا معرض يكتب “ Ebra.Z : برافو ” ، ثم يفتح ملف **My Documents** ، ومنه إلى الملف المكتوب فيه ، عبارته الوقحة التي تسعفه في هذه الحالات ، حيث يدوس “ copy ” ثم “ peste ” في أيقونة هذا الشاب ، ثم يرسلها “ send ” . ولا ينتظر سوى لحظات ، حتى يدوس “ Ignore ” ، ثم “ ok ” على اللوحة الصَّغيرة التي

تظهر ، وبذلك يضمن ألا تعاوده هذه الأيقونة مرة ثانية .
يفتح أيقونة الانترنت الأصلية، ثم يدخل على المفضلة
ويدوس كلك على عنوان كتاب نواضر الأيك في معرفة النيك ،
لجلال الدين السيوطي .

يتناهى إلى مسامعه ، رنين التليفون فى حجرة والدته .
يتوالى الرنين دون رد .
ينهض مسرعاً ، ويتجه إلى حجرتها ، فيراها وقد بدأت للتو
تنهض قاعدة على السرير ، وتأخذ بالسَّمَاعة. فيعود أدراجة دون
أن يكلمها بشيء .

يجد أيقونة " best_lover308 " فى الواجهة ، على صفحة
الكتاب المعنونة بـ " فصل فى إحليل الرّجل ، وكس المرأة " .

best_lover308 : لو تسمحلى يا دكتور ana عندى مشكلة

best_lover308 : أنا عايش فى أوربا

BUZZ!!! : best_lover308

يغلق صفحة الكتاب ، ويبدأ فى الرد Ebra.Z : يا أهلا

best_lover308 : أهلا بحضرتك

best_lover308 : أنا عايش أكيد بالتقاليد الأوروبية بس الواحد حاسس

يا دكتور إنه بقى بارد

Ebra.Z : متزوج ؟

best_lover308 : لا

Ebra.Z : ليك علاقات ؟

best_lover308 : كتير

Ebra.Z : عندك كام سنة ؟

best_lover308 : 23 ونص

Ebra.Z : شغلتك إيه ؟

best_lover308 : فى شركة سياحة فنادق

Ebra.Z : بلد إيه ؟

Ebra.Z : إيطاليا

Ebra.Z : بقالك أد إيه ؟

best_lover308 : من ٥ إلى ٦ سنين

Ebra.Z : بترجع مصر ؟

best_lover30 : بارجع اجازات صغيرة جدا

Ebra.Z : علامات البرود عندك إيه ؟

best_lover308 : مفيش إثارة بحس بيها دلوقتى مهما حاولت

Ebra.Z : بتمارس الجنس كل قد إيه ؟

best_lover308 : دلوقتى ولا قبل كدة

Ebra.Z : دلوقتى

best_lover308 : مرة على الأقل اسبوعيا

Ebra.Z : بتدخل ولا من بره ؟

best_lover308 : أكيد بدخل

Ebra.Z : ويبنتصب عادى ؟

best_lover308 : الى حد ما

Ebra.Z : طب ما إنت طبيعى !!

best_lover308 : مابحسش بمتعة

Ebra.Z : الإثارة الشديدة اللي كنت بتحس بيها وانت في مصر عشان كنت

محروم وفي فترة المراهقة

Ebra.Z : عندك خبرة بالممارسة وفنون الجنس ؟

best_lover308 : آه

Ebra.Z : الجنس عن حب وإعجاب غير الجنس المستهلك

Ebra.Z : لو اعجبت وحببت تحس بمتعة

best_lover308 : أنا دلوقتي يا دكتور بمارسه عشان بحب صديقتي

best_lover308 : وعشان ماتر علش

best_lover308 : لكن أنا زهقت منه

Ebra.Z : الصديقة دي بقلها معاك فترة طويلة ؟

best_lover308 : ٣ شهور

Ebra.Z : مارست مع حد تاني وانت على علاقة بيها

best_lover308 : مرة واحدة

Ebra.Z : حسيت بابيه؟

best_lover308 : انا مارسته عشان كان في ظروف

best_lover308 : كنت مع واحد صاحبي وكان معاه بنتين

best_lover308 : وطلب مني ان امارس معاه

Ebra.Z : كنت زهقان برده ؟

best_lover308 : آه

Ebra.Z : لو قابلت الحب اللي هو خليط من الجنس واشياء نفسية أخرى

مش حتزهق بسرعة كدة

Ebra.Z : لكن اللي بتحس بيه طبيعي طبيعي

Ebra.Z : الواحد أما يكون عطشان بيشرب إزازة وأما يكوم مش عطشان

ما بيقدرشى يشرب بقى

best_lover308 : صح

best_lover308 : أنا احتمال اتجوز البنت صحبتى دى

best_lover308 : BUZZ!!!

Ebra.Z : ربنا يوفقك

Ebra.Z : الجنس تجربة نفسية و روحية وميتافيزيقية مارسه وقت أما

تحتاجه

Ebra.Z : وفهم مراتك كده

best_lover30 : أصلى هيه صغيره وشهوانية جداً

Ebra.Z : ما فيش ما يمنع إنك تحاول ترضيها برده بس ما تغصبشى

على نفسك

best_lover308 : اوكى

Ebra.Z : فرصة سعيدة وسلام

best_lover308 : شكرا يا دكتور باى

على عجل يغلق أيقونة الانترنت ، وينهض مسرعاً ، متجهاً
ثانية إلى الحمام .

وعندما ينتهى ييزغ فى ذهنه مشروع مقالة مهمة .
يعيد الاتصال بالانترنت ، ثم يدخل على المفضلة ، ويفتح
موقع محمد عابد الجابرى ، ويطلع مقاله المعنون بـ " عموم
اللفظ وخصوص السبب " ، وكذا كلاً من مقالاتيه " تطبيق
الشريعة بين أبى بكر وعمر " ، و " معهود العرب والعلاقة بين

الدين والفلسفة " .

ثم يدخل على موقع السيد القمنى ، ومن كتابه النسخ فى
الوحى يطبع صفحاته المعنونة بـ " مانسخت تلاوته وبقي
حكمه " ، وصفحات " ما نسخت تلاوته وحكمه " ، وكذا عنوان
" بنو هاشم من التكتيك إلى الأيديولوجيا " من كتابه الحزب
الهاشمي . ثم متذكرا يعود إلى مقالة محمد عابد الجابري
المعنونة بـ " شعار تاريخية النص ليس هو الحل " ويطبعها .

وهكذا يستمر لأكثر من ساعتين ونصف ، ينتقل بين مواقع
ومقالات كل من حسن حنفي ، ومحمد أركون ، و الطيب
تيزني وأحمد صبحي منصور، ونصر حامد أبو زيد ، وهشام
شرابي ، و خليل عبد الكريم ، وجلال أمين ، وزكى سعيد
العشماوى ، وعديد من الباحثين الآخرين ، طابعا ما يتصور أنه
قد يحتاجه فى مقالته التى يزمع كتابتها قريبا .

وقبل أن ينهض من على كرسيه ، جاذبا هذه المرة وصلة
الإنترنت المتصلة بجهازه من الخلف ، يكتب إسم على حرب
باحثا له عن أى موقع أو مقالة نازلة له على الانترنت ، فلا
يجد .

يغلق الكمبيوتر نهائيا ، واضعا ما طبعه فى درج البوفيه
الذى أمامه . ثم يذهب إلى حجرة نومه ، ويستلقى على
السريр .

وفى الضوء الخافت الذى يصله من حجرة السفارة ، يتماهي
مع ما يتخايل أمامه من ظلال على جدار السقف . ويتذكر

كونه لم يطبع بعد ما يهمه من موقع حالة السجون فى مصر ،
لزوم مقالته التى يعمل عليها حالياً . إلا أنه يحتاج للكثير من
الورق ، الذى قد أتى عليه كليةً .

يجد حلاً فى حفظ ما يريده مؤقتاً ، إلى أن يأتى غداً بالورق .
دقائق ، وينهض ، ويعاود ثانيةً فتح الكمبيوتر ، وكذا
الإنترنت ، ويأتى بموقع حالة السجون فى مصر .

*

{6}

قلت: وما كان جواب أناسنا إلا أن قالوا: ويكأن الكونت
دى سربون وهو يُحدثنا عن أحفولة استقباله للبارجة
كونكورد مع صوبحه دى بنوا ، قد أطلق من حنجرته
أسراباً من شرشور الكرز ، مازالت هاهى دى تهوى
فى سمواتنا ثم تحطّ ❁

لَمَّا	تتناهى إلى مسامعه أصوات ضجه فى
وضعت	الشارع ، فیدع طه رضوان مكوته البخار
الحرب	على قاعدتها بجانب الجاكت ، ويسرع متجهاً
العالمية	إلى الشرفة ، تاركاً التليفزيون مفتوحاً ، فيما
الأولى	ابن أخته الصغير يتبعه قافزاً خلفه .
أوزارها ،	يرن تليفونه المحمول الموضوع على
فكر	الطرف الآخر لمائدة السفرة ، فيعود ليلتقطه ،

المسئولون
بشركة
قناة
السويس
على
إنشاء
مدينة
عمالية
صغيرة
للعاملين
بورشها
في
البر
الأسوي ،
وخطط
لها
لتشمل
على
٣٠٠
مسكن
لأسر
هؤلاء

ويرفعه لأذنه ، ليرد عليه وهو مازال متجهاً
إلى الشرفه .
يأتيه صوت حسن غندر : " أبوه يا سعادة
الرئيس " .

- : " أبوه يا غندر " .

يخبره غندر بإحضاره مشترياً جاهزاً
لشقة السلام الجديد بالثمن الذي قال له عليه ،
لكن يبدو أن طه قد فوجيء ، حين أطل من
الشرفة بالذى يحدث أمامه في الشارع ، فلم
ينتبه لما يقوله غندر .

يبادره غندر حين لا يجد منه رداً : " سامعني
يا طه ؟ في إيه ؟! مش معايا ليه ؟! " .
- : " أبوه يا غندر " .

يتقافز كارم بجوار خاله ، يريد أن يحمله
: " والنبي أشوف " .

يسأله غندر : " إنت بتتكلم منين ؟ " .

- : " من بلكونة البيت " . ثم يقول لكارم
: " روح هات الكرسي اللي وراك ده واقف عليه " .

يشعر غندر إن هناك شيء ما غير عادى
يحدث فيسأل طه : إنت معايا ؟! " .

- : " آه . بس أصلى في واحد هجم على واحد
بالسكينه قدامى دلوقتى ، بينى ضربه بيها في بطنه

العمّال ،
إلّا
أنّ
شركة
قناة
السويس
عدلت
عن
هذا ،
وقدّمت
فكرة
جديدة ،
من
أجل
إنشاء
مدينة
كبيرة ،
وقدّمت
مذكّرة
جديدة
بهذا
الشأن

ولا فى صدره مش عارف ! " . ثم وهو يرفع
المحمول من على أذنه ويقربه من الشارع
: " سامع الهيصه ؟ " .

- : " آه ، وصلالى . ومين المعتوه ده ؟! " .

- : " بينه واحد م الحى " . ثم يكمل : " ده

بيهرب أهو . آه ، ده محمد القزاز . عارفه ؟ الواد

الملتحي اللي كان ببيجي لأخوه سيد على القهوة " .

- : " آه عارفه . بقولك إيه يا طه شويه كده ،

وحكلك عشان الكارت حيخلص " .

- : " لأ . حقي أكلمك انا يا غندر . سلام " .

تدخل أخت طه المطلقة سهير ، وأمّه ، ثم

أخته الثانية رشا .

تبادره سهير : " فى إيه يا طه ؟! إيه الزحمة

دى ؟! " . ثم قبل أن تنتظر رداً تقول لكارم

: " ماتشيش يا حبيبى أحسن تقع " .

- : " الواد محمد القزاز ضرب زكى البغدادى

بالسكينة " .

أمّه فى تفاجؤ : " بالسكينة !! وحصله إيه ؟!

ده الواد زكى ده أنا عارفه أمّه . يا عيني عليها " .

تتجه سهير إلى كارم ، وتقف بجانبه حيث

تحوطه بيدها وهى تقول : " لأ يا أمى ده مش

زكى ده اللي إنت عارفه أمّه ، ده واحد تانى " .

للحكومة
المصريّة
فى
٨ مايو
١٩٢٣ م .

رشا وهى تشرئب برأسها فى نهاية يسار
البلكونة : "مش هو ده زكى يا طه اللى الناس
شيلينه ، مودينه على القهوة ؟ بينى إصابته
بسيطة " ثم تستدرك : " لأ . دافى دم على
قميصه " .

سهير : " أمال فين اللى ضربه ؟! : " .
طه وهو يشاور بيده : " لسه شايفه بيجرى
جهة البنك هناك ، ويحود من عند القهوة " . ثم
يستطرد : " الغريب بقى إن ولا واحد جرى وراه " .
رشا : " أصلى الواد زكى ده قليل الأدب ،
وبيقف يعاكس البنات ، ولا بيهمه حد " .
سهير : " صوت إسعاف أهو جاي ، باين حد
طلبه " .

رشا : " لحق ييجى كده بسرعة ! " .
طه : " آه ، تلاقيه جاي من مستشفى بورفؤاد
اللى جنبنا هنا " .

من على بعد تُسمع سرينة بوليس النجدة .
ثوان . وتصل العربية ، وتقف فى مكان
الازدحام على ناصية المقهى ، وينزل بعض
الضباط .

هنا يلح طه ريهام ، وهى ممسكه بيد
سراج وتسير معه أسفل العمارة على رصيف

صيدلية بورفواد الكبرى، فيتابعهما حتى ينحرفا يساراً من شارع ١٥ سبتمبر . ويرجح أنهما قد ابتعدا عن محل أبيها عبد الناصر، ليأخذا جولة فى الشوارع الخلفية الهادئة قبل أن يعودا. يشرب قليلاً ، فيجدهما وقد توقفا على رصيف شركة أسماك البرج يشاهدان ما يحدث .

تنتبه الأم لجرس الباب الذى يدق ، فتطلب من رشا أن تذهب لفتحه : " دا بينه بقاله كتير بيضرب ، وإحنا مش سامعينه " . تسرع رشا لفتح الباب ، بينما تتركهم واقفين ما زالوا .

تدخل سهير إلى الأنتريه حاملة صينية بلاستيك ، عليها فنجانان من القهوة ، وكوب شاي .

تتقدم باتجاه أم توتو ، وتناولها الفنجان ، وهى تخبرها بأنها قهوة محوَّجة : " بوقى بقى وأحكى " . ثم تناول الفنجان الآخر لوالدتها الجالسة على الكنبه الكبيرة المجاورة لفوتيه أم توتو .

تضع الصينية على مائدة الأنتريه المدورة الصغيرة ، وتأخذ كوب الشاي ، وترشف منه عدة رشقات ، منصتة لأم توتو التى تستمر فى حديثها عن جارتهم رضا التى سقط أخوها ليلة أمس فوق حديد بناء إحدى العمارات فى سوق ناصر ، وكيف تمزقت أحشاؤه فى الحال بفعل إحدى الأسياخ المدببة . وكيف انهارت أمه عندما علمت بالنبا ، ممّا اضطرّ معه الأهل إلى إدخالها مستشفى الأميرى القريبة من مسكنهم . ورغم محاولات الأطباء المستميتة فى مستشفى النصر إنقاذه ، إلا أنهم لم

يستطيعوا ، حيث أن السرّ الإلهي كان قد نفذ .

تتصت الأم لحديثها باهتمام ، وتأثر وهي تردّد لا حوله ولا قوة إلا بالله . ثم تقول : " صح ، أنا شفقتها إنبارح من شباك الأوضة نازلة ولايسه إسود ، واستغربت ، مش عاداتها يعنى ! " .

فترد أم توتو : " آه يا عيني ، زمنها دلوقتى ملبوخة مابين أبوها العاجز ، وأمها فى المستشفى " . ثم تصمت لحظة وتعود لتقول : " بس كويس إن جوزها مايجيش إلا كل أسبوعين مرة " .

تسالها سهير : " هوه لسه فى المنيا ؟ " .

- : " آه اللوا بتاعه غضبان عليه ، ورحله بعيد عنه " .

تقول سهير : " والله دا راجل كله أدب " .

تتظر لها أمها نظرة تعيها جيدا ، فنتوقف عن التماذى فى الحديث عنه ، حتى لا تشعر أم توتو بأى شىء ، ولا تصدق أى كلام ربما كان قد وصلها عنهما .

تميل أم طه على أم توتو ، وتطبطب على فخذها وهي تقول : " سبيننا دلوقتى من الموضوع ده يا أم توتو ، وقوليلى ، كلمتى الأستاذة ألفت فى موضوع طه " .

- : " البنت موافقة ، بس هى بتقول كبير عليها ، ومنه لسه صغيرة ، أمّا تجوز أخواتها الكبار الأول " .

الأم : " طه كبير ! ده لسه ما دخلشى الأربعين " .

ثم تلتفت لطله المواجه لها فى حجرة السفرة ، والواقف مازال يكوى فى بدلتة ، قائله له بصوت عال : " سامع يا طه ؟ هريت قلبى . الحق اتجوز ، الحق اتجوز . أهو ، إسمع بقى الكلام ده

بقى " .

تتدخل أم توتو بصوت عالٍ قاصده تسمع طه : " يا ست أم طه ما تقوليش كده . دا أنا أجيبه ست ستها " . ثم تكمل : " هوفى حد زى طه . والله بجد . ما شاء الله . امسكوا الخشب . مال وجمال " . لا ينبس طه بكلمة . فقط يبتسم ابتسامة محسوبة ، ويستمر فى كى كم الجاكت .

جرس الباب يرن رنين خاطف بصوته الحاد المزعج ، وكأنه صفارة إنذار .

تلقت سهير حولها ، وهى تُردّد : " أمال فين رشا تفتح الباب " . ثم تتادى : " رشا . رشا افتح الباب " .

يقبل كارم جريا من ممر الصّالة قائلاً : " طنط رشا مش حتفتح عشان مشغولة بالكومبيوتر " . ويجرى هو على الباب يحاول فتحه .

تطلب أم طه من سهير أن تقوم هى لفتحه : " مش حيعرف " . فتتهض على مضض ، وتتجه بالفعل لفتحه .

يطالعها كل من عفاف بخمارها البيج ، وفاتن أختها بلباسها الأسود . فتستقبلهما ببشاشتها المعهودة . وتدخلهما وهى تفتح نور الممر الضيق . ثم تغلق الباب ، وتقف لحظة مشاورة لهما بالفضل .

وحين تجدهما محرجان ، لا يتقدمان فى السير؛ تسير بمحاذاتهما ، وهى تردّد : " اتفضلوا . اتفضلوا . فى إيه ؟! هو إنتو غرب ؟ " .

يرن جرس التليفون ، فلا يبالي به أحد . بينما تستمر سهير فى السَّير أمامهما بعدة أشبار ، متجهة بهما إلى الأنتريه ، حيث تجد أمها ، والست أم توتو يستقبلانها بالسلامات ، وهما واقفتان على عتبة الأنتريه ، فتفهم أن طه ربما بالإشارة من حجرة السفرة ، طلب من أمه أن تذهب بهما إلى حجرة الصَّالون ، حتى يستطيع أن يكمل كى بدلته ، بلا إحراج لهما أو له .

رنين التليفون مازال مستمراً .
ولأنه لم يتوقف ، تتجه أم طه للردّ عليه ، بينما سهير تدعو الجميع إلى حجرة الصَّالون .
ترفع أم طه السمّاعة .

يطالعها صوت أم إبراهيم المصرى الذى لم تسمعه منذ فترة .

فتبادرها أم طه بالسلامات ، والتحيّات ، والسُّؤال عن أحوالها ، فتحمد الله ، ثم تخبرها على عجل بأن الست أم نوسة أبلغتها منذ دقائق " يدوبك قفلى السماعة ، واتصلت بيكى على طول " أن الحاجّة اعتماد نقلت إلى المستشفى " إنهارده الصبح " .
تتنفّض أم طه متفاجئة : " إنهارده الصُّبح !! إزأى ماعرفشى ، دا أنا لسه مكلمها إنبارح ؟! " . ثم تكمل بفزع حقيقى : " إيه مالها ؟! " .

- : " أزمة قلبية " .

- : " يا حبيبتي " .

فجأة ينقطع اتصال التليفون ، ربّما لضغط أم طه بأحد أصابعها

دون أن تدرى على زر التليفون ، أو من عند أم إبراهيم .
فتعلق السَّماعة ، وتعاود الاتصال ثانيةً باهتمام . وهى ما زالت
واقفة .

*

{7}
أميلُ دوماً إلى أن أعوضَ بسخاء . ومرغم الذى ينظر ،
أجماً للصّدِّ

تتقدم ناهد بالكرسى عدّة سنتيمترات للأمام .
تلتفت برأسها جهة اليمين ، وهى تحنى ظهرها انحناءة
صغيرة فى حذر . نعم تستطيع الآن أن تراه . لكن مع الحرص
أن لا يلاحظ شيئاً .
مازال مستمراً فى تمشيط شعره من الجانبين وسببته بعض
الخصلات التى تغطي صلعته باهتمام .
تلمحه يأخذ شيئاً من فوق التسريحة . عندما يرفعه ، ويزخ
منه عدّة زخات تحت إبطيه ، وفوق صدره ، تدرك أنه البراقان
الذى أهدته لها مدام رحاب ، فى عيد زواجهما الماضى .
كل المظاهر تؤكد لها أن هناك شيئاً ما جدّ فى حياته .
هل هى امرأة أخرى تعلق بها ؟! مؤكداً أنه ليس من هذه
النوعية من الرجال . أنا أعرفه جيداً " أمال إليه التى حصلت
بس " .

حين يخرج من الحجرة ، تتظاهر بأنها منتبهة تماماً إلى التليفزيون .

ورغم الرُّوب الذى جعلته يكشف عن ثلاثة أرباع فخذها الأيسر ، فهو لم يلق لهذا أى بال . أين نظرته الخاصة ياربى التى كان ينظر بها إلى ؟! أين تعليقاته الفكاهة ؟!

يضبط حزام بدلته ، وينجه إلى أحد الفوتيهات الموجودة فى الصَّالة . يجلس ويبدأ فى ارتداء شرابه الكروحات الكحلى .

ترمقه بجانب عينيها ، فتجده ينظر لنفسه فى مرآة الصَّالة . تزداد غيظاً ، وتحاول أن تظهر عدم مبالاتها ، وبالفعل تمسك نفسها لعدّة برهات قليلة ، إلا أنها فجأة تجد لسانها ينطلق : " كل يوم خروج ، مافيش مرّة تغلط وتقعّد فى البيت " .

ينظر لها ولا يتكلم .

تنهض من على الكرسي ، ثم تقف على عتبة باب حجرة السفرة ، وبعبصية تقول : " من حقّ إنت مش قولتيلي انبارح ، إنك حتخدنى انهارده نقعد فى أى كازينو " .

بهدوء يردّ ، وهو يرتدى فردة الحذاء اليمنى : " معلى خليها بكره . انهارده عندى مشوار مهم " . ثم فى محاولة منه لشغلها بشيء آخر ، وهو يشاور بيده : " ابقى اغسلى الشّربيات المتكوّمة تحت دى ، فى الكيسة السّودة " .

تجرى عليه ، وتضربه بقبضتيها فى كتفيه : " خلاص هاتلى غسّالة فول أوتوماتيك . أنا إدّيّة تعبّت " . ثم تستطرد تمادياً فى إغاظته : " ولأ إنت أقل من ابن عمك إمام " .

بنفس هدوئه : " إيديك تعبت من إيه ؟ " . ثم وهو يكمل إدخال قدمه اليسرى باللبيسة فى الحذاء " يرحم أيام زمان أمّا كانت أمّك بتغسل على إيديها ، ولا عندها غسّالة إيديال ولا غيره " .
تحرك سبّابتها أماماً وخلفاً فى غضب : " بقولك إيه ماتجبشى سيرة أمّى " .

يقف ، ويضع لبيسة الجزمة على الرّف ، ويمط كلماته : " خلاص يا سّتى ، لا أمّك ولا أمّى . سبّينى بقى عشان ألحق أنزل " .
تشدّه من إيدّه : " ما نتاش نازل " .
يسحب يده ، ويتّجه إلى الباب .
تهجم عليه وتمسكه من كتفيه : " بقولك ما نتاش نازل " .
يلتفت لها : " اعقلّى بقى ، الجنونة جاتلك ولا إيه ؟ " . ثم بصوت غاضب مكتوم عالى النبرة فى حرص : " عاوزة تكررى اللى حصل تانى ؟ " .

- : " إنت اللى مجنون " .

ثم وهو يشيح بيده لها : " يخربّيت هبك على المسا . ماتخلنيش أشتم " .

- : " لأ إشتّم ، هو جديد عليك يعنى " .

- : " الله ما طولك يا روح " .

ينقهقر إلى الوراء ، ثم يعود ليجلس على نفس الفتويه الذى كان يجلس عليه ، وهو يتمتم : " مش حتسكّنى إلّا أمّا تسمعى علينا الناس . أنا عارفك " .

تقف لبرهة أمامه صامتة وعينيها يملؤها الغضب ، لاتدرى

ماذا تقول .

يرتجع إلى الخلف بجسمه ، حيث يستند بظهره على خلفية الفوتيه ، ويشبك يديه ، ثم يجعل قبضته اليمنى أسفل جبينه ، ويردّد وهو يضع ساقاً على ساق : " وادى قاعدة " . ويردف مكماً : " عكننتى مزاجى يخربيتك " .

يصل إلى مسامعهما صوت قرآن ، ابتدأ لتوه فى الانطلاق من على مَبعدة .

هى ودون أن تردّ ، حيث يبدو أنها لاتريد أن يتطور الأمر لأكثر من ذلك ، تدور بجسمها ، خارجة من الصّالة باتجاه حجرة السّفرة .

تغلق التليفزيون ، ونور حجرة النّوم الذى نسيه ، ثم تذهب إلى المِطبخ ، وهى ترمقه بطرف عينيها ، لتعمل لنفسها كوب من الشاي .

بعد أن تنتهى، تجده مازال قاعداً على نفس الفوتيه ، وبنفس الطّريقة .

تدخل حجرة السّفرة، وتجلس على الطّرف الآخر من المائدة فى وضع لا يراها هو منه ، واضعة الكوب أمامها فوق الطبق الصّغير الذى كانت تحمله به . وقيل أن تبدأ فى ارتشافه تنهض، وتفتح شيش الشرفة ، يلفحها تيار من الهواء البارد . تشعر بقشعريرة خفيفة تسرى فى بدنها ، إلا أنها تدخل الشرفة ، دافعة وراءها الشيش بحذر .

﴿وَمَا كَانَ الْمَسَاءُ أَتَىٰ مَعَ الْإِثْنَىٰ عَشَرَ﴾ *

الشارع أسفلها مظلم ، ومبلول مثل
بقية الشوارع الأخرى المتاخمة .
لمبة وحيدة ، على يسار الشارع ،
أسفل برج الوفاء هي فقط التي تضيء
وتطفئ ، فيما شارع ١٥ سبتمبر ، الذي
هو على بعد عدة أمتار من جانبها الأيمن،
تجلله المصابيح البيضاء .
صوت المقرء ، يتناهى إليها من
خلف العمارات التي تحجب الفرع الآخر
من الشارع .
يبدو أن السرداق في نهايته ، أمام
ورش الهيئة .
بين لفطة وأخرى تنظر أسفل العمارة ،
لنتأكد من أن زوجها لم ينزل بعد .
حتى الآن ، لاتبصر أحداً .
فجأة ترى عربة جديدة تقف أسفل
العمارة المجاورة . ثم تنزل منها جارتها
الشابة تهانى . تركز متعجبة ، ومحاولة
* إنجيل متى^١ .

ألهذا
أشارت له
أن يصعد ؟
كان هو
واقفاً أمام
صالة
أفراح فندق
صوفيا ، غير
عابء بالمطر
الذى بدأ
ينهمر ، حتى
إذا خرج
صديقه
مجدى
الشححات من
الجانب الآخر
للفندق ، سارع
بجذب كتاب
حيدر حيدر
من جيب

سترته ، ثم
ودَّعه والِجا
من عتمة
مدخل
سَلَّم العَمَّة .
أما وقد
كانت هي
مازالت
تواصل قراءتها
بصوت عال ،
فقد قام
جورج
بالاتِّجاه
إلى المطبخ
واضعاً برَّاد
الشاي على
عين البوتاجاز
الصغرى ، ثم
راح يُعاود النظر
من الشرفة
متابعاً طاهر
وهو يمسك

التأكد من كونها هي بالفعل ، وليس مُخايلة
نظر بسبب الظلام ، تتساءل : هل أمكنها
أن تشتري عربة جديدة بهذه السهولة
" منين مأكنش باين عليها يعنى " .
تؤكد أنها فعلت ذلك يقيناً لتصطاد
عريس شاب ، ولتنتقم من طليقها رشدى
" كل النَّاس بتقرب إلا إنتى يا ناهد " . تردّد بينها
وبين نفسها ، ثم تستدير جاذبة ضلفتى
الشيش بأطراف أصابعها ، و تدخل .

الحجرات تركزن إلى الصَّمت ،
وتواجهها بهدوء مُقبض .
نور الصَّالة المغلق ، يجعلها تعتقد أن
عصمت قد غادر الشُّقة دون أن تراه ،
لكن عندما ترى الحذاء مازال فى مكانه
أسفل الفتوتيه ، تتأكد أنه لم يزل موجوداً .
تفتح باب حجرة الصَّالون المطل على
الصَّالة ، متوقعة أن تجده كعادته جالساً فى
الظلام ، إلا أن ظنها يخيب .
تخطو خطوة للأمام ، حيث تمد يدها ،
لتضئ الحجرة ، مرجحة أن تجده جالساً
على الفتوتيه الخلفى ، فى أقصى الزاوية .

بكوبه ،
ويحدّق طويلاً
بنظراته الساهمة
من خلال
النافذة المجاورة .
غير أنه
عندما مرّقت
قطعتها
البيضاء من
بين ساقيه
المنفرجتين عن
آخرهما ،
متشبّهة
بسناييل
الشُرْفَة ، خمن
أنه ربّما جاز
لصديقه مجدى
أن يقضى
مع شلة البيبي
تيس الليل
بكامله ، لكن
مُحال أن

يخيب أيضاً ترجيحها . تطفئ النور .
وتعيد الباب كما كان مغلقاً ، فيُسمع له
اصطفاق .

تتنجّ إلى المطبخ المطفأ النور، وتفتحه
بحركة سريعة من يدها، وعندما لا تجده
أيضاً ، تهزول عائدة إلى حجرة النوم .
يفاجئها الشبح الجالس على السرير ،
فتجفل ، وتسرع بإضاءة النور .
يأتيها صوته الخفيض المكتوم بأن
تطفئ النور .

تصوب نظرها إلى عينيه ، فتجدهما
نصف نائمتين . فيما سيجارة موضوعة
في الطفاية على الكوميدينو ، تطلق أحزمة
دخانها ، ليتطاير خارجاً من النافذة المطلّة
على المنور والمفضى زجاجها المفتوح ،
عن شيش مشنكل .

تبادره في اعتراض : " برده سجائر " ،
يردّ وقد أغلق عينيه تماماً : " امسى
على المسا ، جيبها البرّ بقي " .

ترفع يدها عن زرّ النور، بعد أن كادت
أن تغلقه ، وتتنجّه بغضب مصطنع إليه .
فجأة يرن جرس التليفون في الصّالة ،

يوافقهم
على معاودة
تعاطى
صراصيرهم
تلك .
قال : وهج
به يبدأ فى
الانتفاض .
قلت : ظلت
لما يقرب من
أسبوعين لا
أتوقف عن
عركه . كان
مجرد لمسى
له أثناء
الإستحمام
يُفجّر رأسى
بخيالات لا
تهدأ . أمّا
مشاهده
الموغلة فى
الحرافة ، فقد

فتقف على مضض، ممثلة ضيقها: "إنقذك
مئى" ، ثم تستدير باتجاهها، مغلقه النور،
وخارجة من الحجرة .
ودون أن تجلس على أى فوتيه ، ترفع
السَّمَاعَة ، وتردّ : "أيوه " .
- : "بقولك إيه يا ناهد " .
- : " أيوه يا وفاء " ، ثم باهتمام " فى
إيه مالك مستعجلة كده ؟! " .
- : " أصلى عادل شيفاه جاي دلوقتى من
اتجاه نيوسفنكس ، فبقولك قبل أمّا يطلع ، إبقى
إسالى ولاء أختك ، هى حنان لبسه دبله ولا
لا " .
- : " هى مش أمّها جاتلك أنّهارده فى
المدرسة " .
- : " آه " .
- : " وقالتك إيه ؟ " .
- : " بعديين يا ناهد أمّا ينزل حقولك " .
- : " ماشى . من عنيه . حسالك وقولك " .
- : " بصّى ، أوّل أمّا تعرفى اتصلّى بى " .
- : " ممكن دلوقتى وهو موجود ؟ " .
- : " آه ، حعرف منك ، وحقولك الثمرة
غلط ، وحقفل بسرعة " .

- : " خلاص ماشى " .
 - : " سلام بقى " .
 - : " سلام " .
 تغلق السَّماعة ، وتبدأ على الفور فى
 الاتصال بأختها ولأء .
 مدى أكثر
 من شهر .
 خاصة مشهد

تعذيبه الشبقى بالشمع .
 قال : أو كانت لا تتحرّج حقاً من ذكرها لهذه التفاصيل
 فى حضور العمّة ؟!
 إذن لماذا لم تنه هذا المقطع بحديثها عن إلياملاكسوسى أو
 السيّد عبدالله الذى استعمل زملائه السّكين فى نزع جثته من
 الأرض ؟ وعندما استرجعت ذاك المقطع الذى قلت فيه : " ولأنك
 تعزو حراك الظلال لشق فى الأرض يتعثر فيه الضوء حال
 انصبابه ، ولأنك مأخوذ بجراق يطن فى الرأس ، فأنت تُنحى
 بمقدرة تدعو للرّثاء كل ما من شأنه أن يمنحك سلماً للخروج من
 حالتك تلك " . أيقنت تماماً أنه لم يكن أبداً يريد أن يغيبنى حقى ،
 حينما أكّد مُكرّراً فى ندوتنا الأسبوعية ، أن صوت طاهر حاضر
 فى هذا المقطع بشكل وبائى .

أى ألم ظللت أبحرعه فى سواد تلك الليلة .
 أو لو لم أفاجئها أنا بتلك القبضة القويّة على خصرها ،
 وأضغطها فى الحائط ، سارداً على مسامعها مشهدها هذا المحزى

الذى رأيتها فيه مع صديق زوجها من شبّاك الحمام ، أكانت قد انبطحت أمامى هكذا بكل سهولة فى استسلام ملهوف، عارية إلا من جوربين سوداوين ، لأجدنى مُكْتَفِيًا فَقَطْ بعرك نهدِها ولطّها بالشبشب على مؤخرتها، فيما هى تقتنص ما تستطيعه من رشفات ؟!

أقول : هل صدمنى عريها فتوقفت مأخوذاً ، أم خشيت من وزر خطيئة لم اقرها من قبل ؟
حقاً لماذا أصررتُ على مدّها بهذا الشكل الساحر، ليتعالى ضحكها ويزداد ارتجافى عرقاً .

قلت : بعد أكثر من محاولةٍ حذفت فقط : "ما أحنك فتنة امرأة تتجلّل بسنواتها الأربعين " .

قالت : كنتُ ألاحظ تهُدُّج صوته كلما سلّم علىّ . ورغم تقبُّلى لفكرة أن يشرح لى تصميمات باتروناته التى أتى بها من جامعته ميدلسيكس على مرأى من زوجى ، إلا أنه كان ينمو داخلى إحساسٌ ما بجرمة ما نفعل . هل أعترف أن مجرد نبرة صوته كانت تثير فى غريزتى كائشى .

قلت : فلماذا كانت طرائقك المكشوفة فى استمالتى بهذا الشكل ؟! أهذا لوسامتى الخاصّة ؟ أم كنتِ تختبرين مدى تأثير أنوثتك علىّ ؟

قلتُ : انظروا : لكأن الأشجار فى تجائفها تستجيب لأجرة بكلويز أبى يوسف ، وهاته **المضونات** هاهى موقنة أن تترلها على مركبات من قطيرات المطر التى تطفو ، سيحيل بحارتنا حتماً إلى

فسا كل فرعة تركض باتجاه فراش إنائها الدّافئ . لقد بات مرآك
يا ابنة العمّة في ملامحك الحزينة هذى ، وسترتك الصوفيّة ذات
الشق الطّولى من أسفل ، يُخايلني كلّما هممت بالدّخول أو الخروج
من باب الشّقة .

هيّا . لديك ما يكفي من السّرعة كي تتمي عبور فساحة
الميدان الشّاسع ، بين محكمة الاستئناف العالي ، ومحكمة
الحمزاوى . لا تترعجى ، المطر يشتد نعم لكن لم يتبق سوى
شارعين صغيرين و قهنيين بوصولك . أو ستوقفين الآن أمام صيدلية
بورفؤاد الكبرى لتبتاعى علبتي سلبوفنت وكونككورت لزوم
مرض العمّة ؟

حسنٌ . انظرى عن يمينك . ها هو أفيش فيلم بيت الأشباح
الملصق بناصية عمارة الأطروشى ، مانفك يُخايلني بتهويمات
كنيسة مدينة كوتناهورا المعمول منبرها من عظام الموتى .
ثم أضفت : وبينما أنا أندفع ذاهباً لتلقيم الشّاي مُزيداً كوباً
فوجئت بقول العمّة : " ماقولنلكش ، كسبنا استئناف الشّقة " . رددتُ
وأنا غير منتبه تماماً لما أقول : " أتا ترى الحاج محمد قاعد أهو ع
القهوة ما بيكلمش حدّ " .

- : " طبعاً يا ابنى ذكرياته كلّها هنا ، بس حنعمل إيه " .

قول لى يا جورج . فيم كانت الغلالة التى أّشحت بها
عينك، توّ أن لحتها تبتحث عنه فى لُفة خِلت معها أن الصراخ
بعدها آت ؟ أو لم يكن من المستطاع تفادى تلك القبضة التى أتت
منه دونما قصد ، والى لم يزل ألمها يُلهب عنقك ؟!

هب أن **طيور ستومفالوس** ، كديدها عادةً ، والت هبها من أرض السّاكوت مقعيّة في حط مُصرّ على سطح الميدان ، أكان هو قد اخترق الحشد بكل هذه الجرأة راشقاً بطن البغدادى بمدّيته الحادّة ؟

في البداية حسبتُ أنت أنّها مجرد عركة بسيطة ، لن يتبادل فيها غير السُّباب ، وربّما قليل من التّراشق بالأيدي هذا صحيح ، ورغم ذلك نزلت مسرعاً إلى الشّارع ، ولم تُكمل ردّك على العمّ إلياس الذى لم يتردّد لحظة في الاتّصال بكم ، ليُطمئنك على قبولك منتسباً بجامعة بيروت ، بعد سنوات عديدة من التّخبط . هل لى أن أقول لك إذن بكثير من الشّجن : ألم يكن حرى بك ، أنت الذى بتُّ أخير مسالك التقاطه لركم تكوينات المشهد، أن تعاود بشكل حثيث استبدال خاتون الشّقة (٨) بفاتنتك **لوكريشيا** ، التى أطال جرمك الدّوران فى فلكها ، ريثما تواصل الأولى هجعتها التى ابتدأها منذ دقائق ، بدلاً من أن تستمرّ فى مخاتلاتك لتشييد قصر مونسيجور محل كاتدرائيّة مارى ، معلقاً على مدخله لافتة (لوسى دى براكونتال) ؟!

دعنى أسرُّ لك ، بأن الأدهى من ذلك ، أن الملقّب بأبى هنود فى اتّجاهه جنوباً من قرية عصيرا الشّمالية إلى نابلس فرارا من قوة التراكطور ، لم يسلك نفس الطريق التى سلكها ذو الجلباب الأبيض والذّفن الكث الطويل بعدما طعن . فهل كان منطقاً مغلوّطاً أن لا يكون عبورك للرّصيف المقابل لبنك القاهرة ، عكس مقدم عربة النّجدة بسرّيتها المزعجة ، بمثابة الخطوة النّهائية

لحسم تردُّدك ، فيما إذا كنت سترشدكم عن موقع اختبائه داخل مخزن محل ماى توى بعمارة رقم (٥) ، أم ستأى عن الأمر برمته ؟

على كل ، لم يبق عليك حالا ، إلا أن تضغط بسبابتك المعروقة على ناتىء قاعدتى الخزف ، متقبلاً كون ظلام حجرتك لن يجرّحه بعيد هذه اللحظة ، سوى ضوء سراجين صفراوين معلقين هناك أسفل الشراع الجانبي للصالة ، مؤملاً منهما ربّما هبوب كثير من قهوجيات يلزمها احتشاد مُعاودتك .

استرق : أو تعالى الآن فى أذنيك صيحات يوسف الخرما ، فى استجابة مُقشعرة لهدير يتصاحب بين جبلى عيبال وجرزيم ؟ أم يتراى أمام ناظريك موكب التّوايت الذى يمر بمحاذاة معبد مدينة **هابو** ، حيث ونيس ينظر خلفه واجفاً إلى النّساء المتشحات بالسّواد يكاد ينفطر الدّمع من عينيه ، فيما الباخرة مُضاعة تسبح بعيدا كلؤلؤة فى ضوء الفجر ؟

كم تبدو لى يا جورج ، على غير العادة ، حفّتا الوريقة المُسوّدة أسفلى من الوجهين ، كلما تطايرت فى هشيش ضوء المتساقط من الجهة اليمنى - جرّاء زفيرك المتوالى - كسيفين حادّين من نوع السّيرفو ، لا ينقصهما سوى تمثال خشبى يتمثل بالضبط مع هذا الذى يستكن هناك أعلى الرّف المؤطر ، كيما تتراكب من عُثيمات ظلالهما صورة مُموّهة لصبى من صبايا حى الرّعب ، يقف منتصباً شاهراً بؤس تمرّده فى وجه العالم .

قلت : تأتينى الهبات تباعا ، وهذا ما كنت أرجئه لحين سبّع .

قال : انتظر حيث أَنَّهُ من المحتمل ، وإزاء هذه المويجات المتلاحقة من السُّكْت ، أنا المُثَال دائماً إلى كلِّ وَكُنْ ، أن أشرع في التَّماهى مع هَوَلَوِيَّاتٍ ، يقول لى عنها قميص أختك المُعلَّقُ أعلي ثقب كانت قد تَخَلَّقت بفعل نَخَرٍ حشود التَّمَل الأبيض : دائماً ماكنتُ في العشيَّات المقمرة ، خاصَّةً في يومكم هذا المسمَّى بأحد التَّنَاصير ، ألح على وقع إيقاع صخب هَوَام حديقة المنتزه المجاورة ، أطيفا مُحَوِّمةً حول مقدمتها العليا التي تشبه الجعارين ، هالاتٌ من تموُّجات حلقيه متضامة الخواف ، كلما طالتها دَفَقَاتٌ من سطعك البهى ، تبدأ في التَّأْكِل بالرويد البطيء من أسافلها ، فإذا ما أشرفت على التَّلاشي نهائياً ، تشققت جعارينها في انفلاقه خاطفة عن كتائب من فقاعات لها أغشية مفسفرة ، لم يكن تكاثرها السَّرطاني الهائل على ما أظنّ ، سوى النُّبوءة الأخيرة لبدء تشكلها على هيئة هَلامِيَّات عملاقة ، كان مجرَّد سقوط بقعاتٍ ضوئيةٍ من سِيَالِك الهادر الذي يتزهزه على نسجي الحريري الشَّفَاف توَّ أن يمكث ، إيذاناً بأن أكون محطاً جاذباً ومستساغاً لكَلَابَات مُقَبَّباتها الآخذة في الانتفاخ ، حيث أبصرني وقد تحوَّلت أثناء نموِّهم المفاجيء والمستمر ، إلى هَبُو ، إذا قلت إننى استشعرت وقتها مدى قدرتي على مُعَايشة كلِّ فعل من أفعال أسرتك حال حدوثه ، وفي أين واحد ، فهذا أبداً لن يكون دقيقاً. فما هى إلا ساعة واحدة فقط حتى صارت شساعة بورفؤاد بجميع مبانيتها ، وشوارعها كشاشة ملوَّنة صغيرة، أعايش من خلالها كل ما يحدث لحظة بلحظة ، سواء حدث هذا في جبٍّ تحت الأرض ،

أم في شقّة في الدُّور السَّابع .
 قلت : ولا مفرّ . آه ، من أين يأتيني العيُّ ؟ نفسي حزينّة
 جدّاً حتّى الموت . امكثوا هاهنا ، واسهرُوا معي * .
 قالت : جورج هلاًّ قمت الآن ، وغطيت ظهر أخيك الذي
 انكشف . ثم ذهبت إلى حجرة والدتك هناك ؛ لتتأكد من
 إغلاقها لمذيعاتها الترانزستور الذي بجانبها كي لا تتركه كعادتها
 حتّى الصُّباح .

جورج لا تلق بالاً لأىّ لفح من هواء بارد قد يتغشّاك ، إذا
 أنت ولجت إلى الشُّرفة ، تتأمّل في غبشة الفجر الذي ينبلج ، جملة
 الأطفال الأطهار وهم يخلقون بمركباتهم المُجَنَّحة ، على بعد عدّة
 فراسخ أعلى مياه القناة ، حتّى إذا ما تناهت إلى مسامعك
 موسيقاهم الأقيانوسية ذى الوقع الجنائزي ، فتذكر على الفور
 لياليهم المذلّهمّة التي استغرقتها مسيرتهم الطويلة ، من ميناء جنوة
 ومارسيليا مشفوعين بأدعية ملايين البشر .

*

{8}

وقال له : " فين صديقك ده اللي بيقلدك فى كلّ
 حركاتك ؟ " .
 : " ياسر شردي ؟ " .

* إنجيل متى^١ .

: " آه . دا بيّنى بيحبّك قوى ياطاهر " ، ثمّ أردف
 : " أوّل مرّة أشوف حد بيقلد حد كده !! " ، " وياترى
 دماغه زى دماغك ؟ منهيّألى هى دى الحاجة
 الوحيدة اللى ما حدّش يقدر يقلدك فيها " .
 وقبل أن ينهض طاهر ، ويغادر كافتيريا
 الطّيران ، باتّجاه نادى المسرح ، طلب منه
 ذاك الزّميل تليفونه المحمول فأعطاه إيّاه ثم
 كان أن ودّعه ، ولم يترك له فرصة لتعليق
 آخر ، سوى فقط نظرة تتبعه بإعجاب .

*

السرداق منصوب بطول الشارع .
 وعندما
 مغطّى السّقف، وتفتّرشه السّجاجيد الزّرقاء .
 حكى
 بينما وابور النور على مبعدة بعدة أمتار .
 لها أنّه
 صوته الغليظ يعمل كخلفية لصوت المقرئ
 لولا
 المُجلجل ، فيخلق مجالاً من الضجة ، وسط
 أن ساقط
 المنطقة المغرقه فى سُبات سكونها .
 له
 السرداق يكاد يكون فارغاً، إلا من نصفه .
 الصّدق ،
 محمد ابن الحاج مهدي ، والعم إبراهيم أخوه ،
 من البدو
 يتصدّران مقدمة الصفوف من الجانب الأيسر .
 من
 يليهما العم آدم والعم عطية والعم عزّ أصدقاؤه
 تمكّن من
 المقرّبون . أمّا الخال أنسى ، والخال نصر
 تهريبه
 وبعض رجال العائلة ، فهم يتواترون تباعاً .
 عن

ينهض شلبي زوج فاطمة ممسكاً بيد ابنه
 عربى ، ويسير باتجاه فتحة السرداق لمغادرته .
 فى استغراب ينظر له بعض المتواجدين ،
 ويلاحظ هو ذلك ؛ فيتباطأ ، ومايلبث أن يقف
 عند واجهة السرداق ، ويتحدث مع ابنه حديثاً
 سريعاً ، ينحرف على أثره الابن باتجاه باب
 العمارة الذى لايبعد عنه إلا بعدة أمتار ، بينما
 يظل شلبي مكانه لحظات ، ثم يسير بخطوات
 متمهلة باتجاه الرصيف الموازى للسرداق من
 الجهة اليسرى، حيث يصعد عليه ويقف،
 بزاوية حرص ألا يراه منها سوى المقربين من
 الحاج مهدى فقط . إلا أنه يستدير معطياً لهم
 ظهره بالتفاتة بطيئة ، وينتظر .
 من بعيد يلمح محمد عربة خاله الرّمادية ،
 تقبل من شارع ١٥ سبتمبر .
 لحظات ، وتجد العربة لها محلاً شاغراً
 بين صفوف العربات بجانب الرصيف الأيمن .
 ينزل أحمد ، ويقف ممسكاً الباب الخلفى
 حتى تخرج أخته ، فيما خاله يغلق نوافذها ،
 ويخرج مؤمناً عليها ، ومتجهاً إلى السرداق .
 يسرع شلبي بالسّلام على أحمد وتعزيته .
 يسير أحمد ممسكاً بيد جيهان حتى باب

طريق
 بالقرب من
 مدينة
 الرّجعى
 السعودية ،
 لما كان
 فى
 عداد
 الأحياء
 حتّى
 الآن ؛
 أخذت
 تنتابها
 الكوابيس
 ليلاً ،
 وتعلو
 همهماتِها
 فى
 صراخ
 شبه
 مكتوم ،
 ممّا أفرغ

العمارة ، ويقف يتابعها وهى تصعد أول
السلام ، وبجانب عينه يرى خاله وهو يسلم
على محمد ، وبقية الأقارب فى أول الصَّف ،
ثم يرى محمد وهو يترك مكانه لخاله ، ويذهب
هو لكرسى متأخر فى نفس الصَّف .

فجأة ينادى أحمد بصوت عال على أخته
جيهان ، التى كادت أن تصل إلى البسطة التى
بصعودها تبلغ الدور الأول . ثم يسير مسرعا
إليها ، ويذكرها بنسبة السكر الذى يجب أن
تقيسه ، ويصر على نزولها ، وأخذها إلى
صيدلية عصام القريبة ، الواقعة على الجانب
المُواجه لكنيسة مارى .

على مضض تهبط جيهان الدرجات القليلة
التي صعدتها ، ويستقبلها أحمد فى منتصفها
لتنكئ عليه ، وتنزل معه ببطء ويسيران
ليخرجا من باب العمارة . الدمع يملأ عينيها
ويدها فى يده ، وجزعا يميل قليلاً باتجاهه ،
تكاد تكون محمله بجسدها عليه . وعند
منتصف الرصيف تقريبا إذا بالست نجاة
تقترب منهما ، ثم تقف فى مواجهتهما ، وتمدّ
يدها تعزى أحمد، ثم على الفور تأخذ جيهان
فى حضنها حيث تقبلها، وتطبطب على ظهرها

أمّها
حين
روت لها
حكاية
النَّعش
الَّذى تراه
كلّ ليلة
تقريباً
متسربلاً
فى
سواده
بجانب
مخدعها ،
فإذا ما
انتفضت
فى هول
وجلها،
تُحاول
مسرعة
مغادرة
الحجرة ،
بكلّ ما

وتستمر هكذا للحظات ، تشد بعدها على يدها ،
مودعاها ، وسائره في طريقها على الرصيف
باتجاه مدخل العمارة . على حين هما يتابعان
خطواتهما بجانب الجدار ، وقبل أن يَصِلَا إلى
نهاية الرّصيف، ينحرفان إلى عرض الشارع ،
حيث يعبران التقاطع متجهان إلى الجهة
الأخرى من شارع ١٥ سبتمبر .
على مبعده يلحان الخالة هند ، وابنتيهما
هناء ، ونهاد ، يتقدمن بلباسهن الأسود ،
بالقرب من محل الدّاودى سنتر . إلّا أنّهما
يستمران في طريقهما ، مُظهران عدم رؤيتهنّ.
يقطعان الكثير من الأمطار ، بهدوء ،
وتمهل ملحوظين .
لا يتكلمان مع بعضهما . فقط يسيران نحو
هدف محدّد ومقصود . عيناهما غائمتان ،
ومنفّحتان على هوائٍ سحيقة . لا تنظران إلى
الأمم بقدر ما تنظران إلى الدّاخل .
يتجاوزان النافورة التي تتوسط الميدان ،
ويعبراها ، وعند أولى خطواتهما في شارع
الجيش ، يلح أحمد عربة الحاج متولى الفيات
الزرقاء ، تسير هناك عن يمينه طالعة من
تقاطع الشارع الضيّق زوجته واجب عن يمينه

انتابها
من
رعدة ،
ارتفع
غطاء
النّعش
تدريجياً ،
مُفصّحاً
عن
جثة
شديدة
نصاعة
بياض
الكفن ،
رغم
مايلنف
حول
رأسها
من
أبادٍ لها
شكل
الخطاطيف.

وابنته أسماء فى المقعد الخلفى .
يتذكر كيف كان قد اتفق مع أبيه أن يتقدم لخطبتها ، فور
تسلمه لأول راتب من عمله بشركة بتروجيت .
تراه أسماء ، ويلاحظ هو ذلك ، لكنه يظهر العكس .
تسير العربية بامتداد شارع الجيش الهادى صوب البنك
الأهلى . يرجح أنه قد أختار كعادته أن يركن عربته ، فى
الشارع الجانبى الفارغ أمام مسجد الغفران ، أو أسفل برج مكة
المكرمة . ينتبه للرصيف الذى يقسم الشارع من المنتصف ،
فيجذب جيهان ناحيته ، ويدوران من حوله .
فجأة تطفز الدموع من عيني جيهان بشدة ؛ فتفتح شنطة
يدها وتلتقط منديل ورقى ملقبة الآخر ، وتأخذ فى المسح ، دون
أن تتوقف دموعها .
لم يبق سوى عدة أمتار ، ويصلان إلى صيدلية عصام
المقصودة .
يستمران فى سيرهما ، دون أن يفارقهما صوت المقرئ
الذى مازال يصلهما مجلجلاً .

نور الصالة مغلق .
بينما ضجة أصوات أم طه وضيوفها ، تصاعد من حجرة
الصالون ، وتتخلل مسامع طه دون أن يُحدد معالمها .
هو قد انتهى تقريبا من كى بدلتة السوداء ، ولم يبق غير
تعليقها على الشماعة المخصصة لذلك .

يتذكر أنه حتى الآن لم يتصل بغندر .
يلتقط الفيشة من مشترك الكهرباء ، ويدفع بالمكواة أسفل
مائدة السفرة ، إلا أنه يعود ويُغيّر رأيه ، فيأخذها ويضعها في
ركن الحجرة أسفل النيش .

يتجه إلى الصّالة ، حيث يجلس على كرسي الأنتريه ، ثم
يجرّ حذاءه ، ويبدأ في ارتداء شرابه في ضوء نجفة السفرة .
فجأة يرن جرس تليفون البيت ، فيرفع السمّاعة من فوق
الطّريزة الصّغيرة الموضوعّة بجانبه ، بين الفوتيه والكنبة ،
ويسارع بذكر إسم فتحى ظاناً منه أنه هو .

يأتيه صوت صديقة أخته سوزان العربى ، سائلاً عن أخته
رشا . يستلمحه لرقته ونعومته ، ويخاطبها وهو يشدّ على
مخارج حروفه : " آه موجوبة ، ثوانى " . يركن السمّاعة ، ثم
ينادى على أخته بصوت عالٍ ، وهو مازال يرتدى فردة شرابه
اليسرى .

يبدو أنها لم تسمعه .

يُكمل ارتداء شرابه ، ثم يضع قدماه في الشبّشب ، ويذهب
إلى حجرته ، وعند مروره ينظر إلى حجرة الصّالون باحثاً عن
رشا ، وهو يلقي السّلام ، فترد عليه الأختان السّلام بقليل من
خجل .

يدخل حجرته ، وعندما يجد رشا جالسة أمام الكمبيوتر ،
يبادرها بقليل من حدة : " إنتى مش سمعانى " . ثم قبل أن ترد
يخبرها أنّ صديقتها سوزان على التليفون .

تتهض في هدوء من على الكرسي الخشبي الصغير ، ثم
وهى واقفة تضغط بأصابعها خطفاً على الكيبورد ، كاتبة شيئاً
ما ، ثم بالموس تبدأ في غلق الأيقونات ، الواحدة تلو الأخرى
تاركة الشاشة مفتوحة ، وتسرع خارجة من الحجرة .
بينما طه ما إن ينتهي من خلع جاكيت بجامته ، حتى يفتح
دولاب ملابسه ، ملتقطاً قميصه السماوى ، ويبدأ فى ارتدائه ،
وإدخال رأسه من ربطة الكرافت ، ويشدها بحرص .
لكنه حين يقف خلف ضلفة الدولاب ، ويبدأ فى خلع
بنطلونه، يتذكر أن بنطلون البدلة مازال فى حجرة السُفرة .
فيعاود رفعه ، ويخرج من الحجرة ، ويأتى بالبدلة كاملة .
وبمجرد أن ينتهى من ارتداء ملابسه، يأخذ البدله على يده ،
ثم يلتقط زجاجة البرفان من فوق الكوميدينو ، ويرش عدّة
رشات أسفل إبطيه ، وعلى شعره ، و يخرج من الحجرة .
تتادى عليه أخته سهير ، حين تراه يمرّ من أمام حجرة
الصّالون ، التى تجلس فيها مع ضيوفها ، فيعود ، ويقف على
عتبة الباب ، دون أن يدخل .
تسأله أمه عن حبيب عياد ، وهل كلّمه فى موضوع صديقه
يوسف كامل الذى لم يشحن عربة عفاف حتى الآن . فيخبرها
بأنه كلمه ، وأن حبيب اتصل بيوسف فى الإمارات ، لكنه طلب
أربعة آلاف جنيه ، زيادة على ما أخذه منهم ، حتى يستطيع
شحنها، وأنه لم يكن يريد أن يبلغهما بذلك ، حتى يجد وسيلة
للضغط عليه . فتتدخل عفاف ، وتقول له إنهم لا يصدقون هذا

الشَّخص وإنه رجل ألعبان ، " ومش مطبوط " فيصدق على كلامها ، ويقول لها إن كل السوق " عارف كده عنه " . فتستمر في كلامها وتقول له أن الثمانية والعشرين ألف جنيه، التي أخذها ، تكفى لشراء العربية ، وأنهم لا يستطيعون أن يعطوه أكثر من هذا المبلغ ، حيث أنه مازال عليهم حوالى أربعة عشر ألف جنيه ، مصاريف الجمرك . وأنهم تعاملوا معه بالحسنى لكنه لم يُقدّر .

فيذكرها بهدوء ، بأنهم لم يأخذوا منه وصلاً ، وعليها أن تنتبه لهذا " لازم نسايسه " .

فتؤكد أختها فاتن على كلامه " صح لازم نسايسه " .
ترجوه أمه أن يبذل كل ما فى وسعه " عشان خاطر أم راشد اللي تعبانة من يومها " .

يطمئننها ، ويطمئن عفاف وفاتن ، بأنه يومياً يتصل بحبيب عيَّاد فى الجمرك ، وإنه له شغل كثير معه ، ومن مصلحته أن يضغط على صديقه يوسف " إنشاء الله كلها كام يوم كده ، ويجيلكم خبر كويس " . ثم يطلب منهما أن يبلغا سلاماته للست الطيبة أم راشد .

يخرج من الحجرة ، ويتجه لحجرة السفارة .
يرى رشا جالسة على الكنبة ، وهى رافعة ساقيها وممداهما بطولها ، لاتزال تتحدث مع صديقتها .

يتركها وشأنها ويذهب لأخذ الجاكت من الشماعة المعلقة على أكره الباب ، يتذكر غندر فيترجع ، ويلتقط محموله من

-
- جرا به ، ويتصل به ، وهو سائر إلى الشرفة .
- ثوان ، ويأتيه صوت غندر غير واضح ، حيث يوجد هناك ضجة حوله ، يبدو أنه فى مقهى ما ، أو فى الشارع . فيقول له :
- " أيوه يا غندورة أيوه يا صحبى ، أنا معاك ، إيه الموضوع بقى ؟ " .
- : " بقولك جبنتك مشترى للشقة بالتمن اللى إنت عايزه " .
- : " كام ؟ " .
- : " ١٩٠ باكو ، بس عاوز اليومين دولى يشوفها ، ويخلص " .
- يستند بذراعه على السور ، بعد أن يمسح بلله بسرعة بيده ، ويرد : " ماشى ، مافيش مشاكل " .
- : " أصلى حيرجع أبو ظبى يوم الإثنين الجاى " .
- : " خلاص تهولى بكره فى قهوة البلياردو الساعة تسعة ونروح نشوفها " .
- : " متخليها فى المكتب أحسن " .
- ينتبه لماجدة السائرة بجيببتها السوداء ، وبلوزتها البيضاء ، فيتتبعها بعينيه وهو يرد : " ماينفعش ، أصلى بعمل شوية تصلح كده فى المكتب اليومين دول ، وبهدّ الحيطه " .
- : " طيب خلاص فى القهوة " .
- : " ماشى " ثم يستدرك " من حق إنت عرفته إنها لسة حتشطّب " .
- : " آه طبعاً ، عرفته كل حاجة ومكانها وكله " .
- : " خلاص ، تمام ، معادنا بكره . سلام " .
- : " سلام " .

يضغط إنهاء على محموله ثم يضعه في جرابه أعلى الحزام. يطل برأسه من الشرفة ، وهو يقف مستنداً بكلتا يديه على سورها ، حيث يلتفت يمنة ويسرة ، فتواجهه الشوارع بهدوئها ، وأسفلتها الذى لم يزل مبلولاً . يخرج يده ، فيجد السماء قد هدأت تماماً. يتجه داخلاً إلى الحجرة ، ويجرّ كرسي السّفرة ويجلس . يضغط بيده اليمنى أعلى خصيته، ثم يمسكها بيده الأخرى. يبدو أنه يشعر بألم ما يزداد كلما ضغط .

يسمع صوت أقدام الصغير كارم سائرة في الممر ، فيكفّ عن الضّغط ، ويلتقط محموله ، وبأصابعه يلعب فيه . هو ينتظر ربّما بضغ دقائق حتى يذهب على معاده بالظبط مع شريف أبو الفتوح ، ولا يجلس كثيراً في مقهى الأوبرج الذى يضايقه جوه .

يقبل عليه كارم حينما يراه . ويلحّ عليه أن يأخذه معه ، فيخبره أن هذا لا ينفع ؛ حيث أنه نازل للشغل " وبعدين الدُّنيا بره بتشتى ، حتبرد ، وحتقعد تعطس " .

ثم يزيد في إخافته ، وهو يمسكه بكلتا يديه من خصره ، ويهزّه " عاوز زورك بوجعك ، وتسخن ، وتقعد تعطس على طول زى الأسبوع اللى فات . عاوز؟ " .

يقف كارم صامتاً ، ومتوقفاً عن الإلحاح . يستدير طه برأسه ، ومن فرجة الشيش المفتوح ، يوجه بصره إلى الخارج .

تهل على ذهنه صورة زميله خيرى شطا، ويتخيله وهو مع

عروسته شادية فى الكوشة ، ويتذكر مواقفہ القديمة معها ،
ويحمد الله أن زميله لا يعلم عنها شيئاً .
يقرر بينه وبين نفسه أن لا يمكث كثيراً فى الحفلة . دقائق
يقوم فيها بالواجب ، وعليه أن يغادر المكان .
ينهض متجهاً إلى الصَّالة ، ويبدأ فى ارتداء حذاءه ، وهو
واقف . بينما فى حزن يرمقه كارم بعينين مرتخيتين ، ثم يخطو
نحوه بخطوات متمهِّلة .

*

{9}

ولدواعى تعجيل . غير مقبول رضائياً أن ننتقل
لأعاشة متقوصة

رشا فى الغرفة بمفردها ، تجلس أمام
الكمبيوتر .
نحن الذين
نعبّر بين
ضفتين ، نستعير
وسادات
خفّ . ثم لا
نرى بأساً فى
كوننا ، ولربما
لدوافع بقاء

الشاشة مفتوحة على برنامج ياهوو ،
بأيقوناته المعروفة .
ضجة الضيوف فى حجرة الصّالون
التي بجانبها، تنتهى إلى مسامعها، هادئة
ومستساغة .
هى مستغرقه فى الحديث مع صديقها
عماد الذى دخل عليها منذ ثوانٍ . أصابعها

ذى بريق نختال
مترنحين
كأرجوحة .
فالبتّة لا
جدوى من
اعتقادٍ ما ، بأن
هناك داعياً
للزوم مساراً
بعينه ، أو
الإفراط فى
التّضييق على
من يحتفى
قليلاً بشهوة
الجنوح .
تكفيينا
العطلة الواجبة
بين حين
وآخر ، والتّ
تُزمننا لبعض
وقت . ثم
كيفما حدث

الرفيعة الدّملج ، تضغط على أزرار
الكيبورد بخفة ، وتمكّن .

Racha-2000 : بعثك رسالتين كنت

فبين الأسبوعين اللى

فاتوا دول

emad-9 : الكمبيوتر كان بايظ ،

وسبته فى الشركة

Racha-2000 : آه

emad-9 : أخبارك إيه

Racha-2000 : لأجدد

emad-9 : وحشتك ؟

Racha-2000 : لا لقيت شغل

emad-9 : لسه

Racha-2000 : متوافق على شغلة

المحل دى

emad-9 : ماقدرشى طول عمرى

ماستحملشى حد يتحكم فىّ

يُخَيّل إلى رشا أنها تسمع طه ينادى
عليها ، لكنها لا تهتم ، وتواصل كتابتها
إلى عماد Racha-2000 : يابنى كفاية أنعرة بقى
عمرى بيكبر .

تسمع خطوات تقبل باتّجاه الغرفة ،

فترجّح أنها لطفه .
تنزل إحدى الأيقونات الخاصة بالوورد
بحيث تأخذ ثلثي الشاشة ، وتبقى على
أيقونة الحديث مع عماد على الجانب ،
وتزيد من تصغيرها بالموس من الجانبين ،
ومن أسفل .
يدخل طه الحجرة ، وهو يقول لها
بقليل من حدة : " إنتى مش سمعائى ؟ " .
تلتفت له ، وهى تنظر إلى عينيه إلى أين
تتجه . تتأكد أنه لا ينتبه لما تفعله على
الكمبيوتر .
وعندما يخبرها وهو يبدأ فى فكّ
أزرار بيجامته ، أن صديقتها سوزان على
التليفون ، تكتب إلى عماد بضربات خاطفة
" شوية وكلمك " . ثم تغلق الأيقونات
الواحدة تلو الأخرى ، لكنها تترك الشاشة
مفتوحة . وتسرع خارجة ، إلى تليفون
الصّالة ، حيث تمر على حجرة الصّالون ،
دون أن تسلم على الضيّوف .
تتناول السّמاعة ، وتجلس على الكنبه
الكبيرة ، وبسرعة تقول : " أهلاً سوزان ،
فينك ، اتصلت بيكى انبارح كتير " .

لن نكون
عاتبين ، إذا ما
نُعتنا بأسماء
لا تتفق
والجسارة
فى شيء . وكذا
عفواً إذ /
الأسماك الميتة
معلقة
ببطونها
* البيضاء .
وإذا لا قدّر الله
شواطئ رام
الله ، خلا
القيمة المهداة
إليها للاصغاء ،
قد تُلجئنا
تباعاً ، أو بتعبير
أدق قد تُجيز
لنا أن ننظر إليها
بعين رحمة ،

جرّاء قصفٍ
مُشدّد . وعندها
لا يَناطُ بنا
إِلَّا أن نُحشد
لها المساعى ،
ونذكرهم
بتواريخ فائتة .
ولها لم
جوستلوف
ذات العدّة
آلاف ،
وأخريات لم
نذرف عليهم ،
في حينها دمة
أسف واحدة .
وكمراجع
نهائى جد
مغرمين بما يُقال
عنا من شطط
الجنوح . وأن
وجودنا قد

- : " كنت فى فرح بنت خالتى
أميمة " .
- : " فين ؟ " .
- : " فى نادى المعلمين " .
- : " آه ، عشان كده ماكنش حد
بيرد لغاية السّاعة واحدة
بليل " .
- : " إنتِ أخبارك إيه ؟ " .
- : " عايشه ، لا جديد " .
- : " كنتى بتعملى إيه دلوقتى؟ " .
- : " مافيش كنت قاعده على
الكومبيوتر " .
ثم تقوم برفع ساقها ، حيث تمدهما
بطول الكنبه ، مستطرده بصوت هامس
: " كنت بعمل شات مع عماد " .
- : " آه يا أروبة ، يا بختك ، دا
الكومبيوتر ده حكاية " .
- : " إنتى ما رحتيش الشغل
إنهاردة ؟ " .
- : " لبست ، وجهزت كل حاجه ،
وبعد كده لقيت نفسى بقلع ،
ومش قادرة أنزل " .

يكون
مرهوناً بقذيفة
قد تُخطئها يدٌ
مرة وإلى الأبد .
ألا ليت
قرون استشعارنا
تظهر
كحشائش ماء
طافية ،
وساعتها ربّما
يعلم بعض
بشرنا المعصوبي
الأعين كمّ ما
يتسنّى لنا أن
نتمثله من
مشاعر عفوية .
فما هو
صحيح
بالضرورة ، قد
يكون غير
مقبول رضائياً ،

يأتى الصغير كارم ويجلس على الكنبه
بجانب أقدام خالته ، وهو يحك بالدمية
الرفيعة التى معه سمانتها البيضاء ، فيما
هى تواصل حديثها مع صديقتها : " غريبة
دى " .

- : " مش عارفة ، زهقانه كده ،

وقرفانه قوى أنهاردة " .

- : " دكتور عبد المجيد مضايك ؟ " .

- : " دكتور عبده يضايقتى !

دا زى الخاتم فى صباغى ،

هو أنا قليلة يا رشرش " .

تتطر رشا دمية أشرف بساقها ، فيندفع
وراءها ، يأخذها ويتجه لأمه ، بينما هى
تبتسم وتقول : " لأ عارفه ، هو أنا تايه عنك ،
فاكره الأستاذ فرح ؟ " .

يمر طه من الصّالة ، وهو ينظر إلى
رشاء ، فتلمحه بجانب عينها ، وتستطرد
: " بطّل ولا لسة ؟ " .

- : " بطّل إيه ؟ " .

تصنّ ، ولا تتكلّم ، حيث تحسّ بأذن
طه معها .

تبادرها سوزان : " سبيننا والنبي من

وبذات
الوجوب
بالنسبة لنا. بل
ويصح أن
ينقطع إلا كداء
عقام ، يُكرّس
لإعاشة
منقوصة . لا
جدوى من
استيها
لحيطاتها . ولا
مثلاً للتساؤل
فرضاً عما ينمو
الآن بين إمام
وإمرأته . حيث
التحسب
للنظرات التي
ترنو بها إليه ، إذ
عبثاً تُجاهد
في فهمه ،
واستنطاق

الموضوع ده يا شررش . قوليلي تقدرى تيجي
تقعدى معايا شوية ؟ " .

- : " انهاردة ؟ معلش ، مش حقدر .
خليها بكره " .

- : " عشان خطري يا رشا " .

- : " والله ما حينفع ، لو كان

ينفع كنت جتلك على طول ،

إنتى عارفة أنا ما أتأخرش

عليكى " .

- : " ماشى يا حجة رشا " ثم وكأنها

تكلم نفسها : " بكره الجمعة ، أجازة " ،

" خلاص حسنتاكي الساعة سابعة " .

- : " إيه حاجة دى ، مالك

انهاردة يا سوزى ؟ " .

- : " ما إحنا كبرنا بقى ، وراحت

علينا " .

- : " إنتى بس اللي كبيرتى ، أنا

لسة بنوتة صغيرة " .

- : " طيب يا بنوتة أسيبك دلوقتى ،

عشان بيئى حتورط انهاردة

فى غسيل المواعين " .

- : " همه لسة ماتعملوش " .

- : " آه " .
 - : " طب يا جميل سلام " .
 - : " سلام " .
 تغلق رشا السَّماعة ، ثم تُنزل ساقِها
 من فوق الكنبة ، حيث ترتدى الشبشب ،
 وتذهب بِاتجاه غرفتها .
 تتذكر الضيَّوف فتدخل حجرة الصَّالون
 لتسلَّم عليهم .
 أنزاعه
 الأخير عليها .
 وكيف تكون
 المقاربة
 صحيحة على
 هذا النحو .
 وهى تعلم
 علم اليقين
 أن نُهال

قد انتزعت
 منه القلب . ومراراً مازلن يؤكدن صويحباتها لها ذلك . إذ
 الهواجس هنا تنفجر بالطريقة التى ينغلق دونهما كل مسلك .
 وحتى لو أبدينا نحن الذين هنا القليل من التذمُّر لاصطدام عربتهما
 بحافتنا المدرَّجة ، فلن تستعيد هى انتباهتها ، أو تستنفد طاقتها
 المهومة بالتخيُّلات .
 إنها المراجعة بين أحاسيس ذات تمظهرات ملتبسة . تعدو
 بفوران العاطفة، وتؤوب بأشدَّ الأخطال بعثا على الأسف . هكذا
 بالضبط مثلنا تماما ، ومثل طاهر الذى هو الآن نهب تخيلاتهِ
 المتلعة، وعلى ، ويوسف ، وجابر ذو الخمسة عشر حفيداً .
 لم يعد فى الوسع شيئاً ممَّا كان يُيده زائرنا بعد حرب
 كيور . فالطائر سيمر أمام رؤوسنا . ومنكب من

دم سينهض لأجله ، وسيضم جناحيه فرحاً على
ذروة . وسيأتى الظل ليرفع من صوته العلامات* .
قال : ثمة عندليب يشجو بين الموجات السارحة والمأذنة .
ويحدث أن يُقَطَّر رطباً فى الحجرة ، ومن شعره الغجرى نعزو
نسائم من الوجه تَهفو كنذير فرح .
ونحن نقول : أنتم يا أناسنا شفافون ، وميالون لأن تكونوا نهباً
لفرط تأثركم بمشاعر عارمة ، وعموماً تجيزون لتوهّمات مدّعاة ،
أن تصطبغ بظهورات أيام لكم فيها ترجى . أذاهبون لخianات أخر
تقاسمكم اللحظة ؟ أم يسوقكم الاعتقاد بأن ما تمنحونه ، أو
تقتنصونه حالئذ كفيل بأن يُسوِّغ لكم تماماً أى سقوط عفوى ؟
وربما ساعتها تودون على ما نعتقد لو تعوضون بسخاء عن شعور
ملازم كقبضة . إنه هو بالضبط نفس الشعور الذى ينتاب الآن
عصام حابك ، وهو يتتبع بعينين دربة وخبرة ، ردى المرأة التى
تخطو الآن خارجة من عتبة حانوته ، دون أن تُسمّى لها عنواناً .
على كل ، لماذا لا يخامرنا الشك لحظة ، بضرورة تلوين كل
هذه العتيمات التى تتزين بألقتها تبعاً . شريطة أن تُخصَّ قناديلنا
المعلقة على الجانبين ، بمزيد من ضوء ، يقوِّض كثير من غيم أمسية
نظنها ماطرة ؟ بالرغم من أن هذا بالطبع لا ينقض من وضعيّة
كوننا محصورين بين يابسين . وبذات القدر الذى يُمكن أن تُسمّى
فيه برّئاقى فتوق .
إلا أنه من حين سعى جنرال أولئك المفتونين لأسر قائد بحرية

جيراننا، ونحن نستقبل من أجداننا الجوانين، بشفافية وضياء،
وبشكل متوالى دورى آلاف الإشارات تحذرنا الاقتعاد، والاكتفاء
بذلك المسمى المذكور سالفاً .

نعم إنها اليوم حالة من المزاملة ، ووطأة نزرح تحتها جميعاً ،
ولا نستطيع أن نكون عنها بمنأى .
إنه خط المواجهة القديم .

يوم أن كنا ننام حتى الفجر كنمر مرقش ،
ونستسلم لسواد الزرقعة العميق* . ولا تكف قناديل
البحر المسرفة فى عفويتها ، عن تذكيرنا بتواريخ لم تزل تتناقلها
سالتهم بتصنيف نوعى .

الطراد سدنى يُغرق الطراد أمدين الذى سجل لنفسه تاريخاً
بطولياً . والقبطان فون مولر يقاوم وعينه على جزيرة دايريكشن
لمدة أربعين دقيقة ، بينما سفينة تهاوى من حوله قطعة قطعة .

هى الرغبة التى تزداد إلحاحاً إلى مسامرة وقائع بعينها،
وتحتاجنا كلما كان الزمن فيها جياًشاً بالصيرورات ، أو بالمخاطر
ذات الشئان ، والتغيرات الملتبسة . فهل نوعز الآن للعابرين
أمثالنا بأن يتدثروا بهذا الشئى الذى يتعذر تسميته، ونستعيره من
الدّفء ؟ أم لا نطنطن إلا بخلاف ذلك .

نتفهم حقاً كيف تكون عليه البدايات الواعدة ، وما أُوقِظَ فى
جسومنا جرء الملاوبة بين قارتين .

فبون شاسع من المفروض أن يهنا المسافات ، لكنه تصادف

لدينا أن يصير شبه رتق ، وما يترتب خليق بأن يغرى أمثالنا بما يغالب شعوراً مُخطئاً بالحصار . ثم من العسير التعامل معه كمعطيات ناجزة ولا مفر .

فمن الباحرة الحربية جراف سبي ، حتى رويال روك والبريطانية كليمنت . يشوقنا الاصغاء ، ويتنازعنا كهذا الحلّك الذي بدأ في غشيان سماننا على امتداد المرمى .

أية أُلقة هذه التي تُمارسها مصاييح ضفتينا المفتونة بضوئها ؟ أتود أن تنفث في النفوس بزخم صخبها المكتتر بأثر حيوات غابرة ؟

كل التلوينات المشعة بشحنها البنفسجي ، من المؤكد أنّها تُبدّد الآن ما خصّ بعض أناسنا من ترسبات نهار طالت وطأته ، وهامو يبدأ في الانزياح . ويجوز أنه وبغير مساعٍ بكر أن نتلقّى ، وعلى نحو قد يكون كاملاً ، وليس شائهاً أو ممسوخاً ، كثيراً ممّا تُطنب الموجات في ارساله لحفافنا . بل وسويعة ، وراء سويعة ، قد يتسنّى لها أن تحيل رؤوس بشرنا الأيايين بالوحشة إلى مغارات داخلية تومض بأشدّ الخيالات بهاءاً . ووقتها قد لا يكون كافياً أن يجزموا أأجواء كهذه جديرة بالسكنى ، أم بمجرد فقط العبور ؟

الشيخ إبراهيم الشريدي ، والأستاذ جمال مطر ، والمترو هيب ، جميعهم تملك منهم هذا المساء فكرة قاسية ، بأنه من المستحسن إذن التملص من مناخات كهذه ، لا تهبهم إلا زيف الأتعة ، والرطان الصوّتي في مقاه عامرة بالموتورين ؛ إذ لماذا يُدكُّ

مثلاً بيوت إخواننا الناشطين ، ونحن مازلنا لا نولى اعتباراً إلاّ
للمسامرة ، ولعبة التّرد .

هم ضجّوا بالمواقف السّالبة . وهذا شأنهم . وعقب كل
ضربة قذف ، لا يمكن أن نستنكر منهم ما تضحّهُ ألسنتهم من
رطان له نفس وقع التّدْمُر . هنا يجب أن يكون اليكّاء ، وصرير
الأسنان . وإلا كان الحال بالضرّورة يستثير كل ما يمت إلى
المهازل من فقدان منطق . بحيث يصير سهلاً أن تُلقَى بأوهام أيّامنا
في العراء ، ونعود فنجدها هياكل قد صُفّت .

إنّنا وبالطريقة الأغرب ، وعلى غير ما نقصد ، لانعتبر أنّ
مراوحتنا الدّيدن بين هاتين الضّفتين ، هو ما يتوقّف عليه حصراً
بلوغه فعلنا الكائن وجوباً .

ولم نعد مضطرين مثلاً ، لاستجلاء أموراً من قبيل عدّ رؤوس
النّازحين من عمارة الفرييور ساعة الظّهيرة .

الإمبراطور ، والمساجرية ، وحرّاز ، وممفيس ، ومس ديور ،
وأخوان قوطة ، وملفّاي ، ومونديال ، وتوتال ، وجيوفاني ،
ولورد ، وجيت سنتر ، كلها علامات منتصبة كشواهد كافية
لنشر وفرة من الصّخب ، بدوافع بقاء من العسير تصوّر البتّة
مداخلنا بدونها .

نحن مُكنترين حقاً كما ترون بهوس التّجمّعات ، غير أنّنا لا
نطالب أحداً بأن نكون راموزه ، أو ينْدِّ بما يراه عكس ذلك .
وحين فرضاً يتعاظم انزعاج بثينة من قبضة الحاج مردان ، وجذبته

الشديدة لجسدها باتجاه ممر المخزن . فنحن مأذونين وبآلية
نُرجعها إلى تكويننا ، بأن لا نسمي ذلك خطأ بنقض العفة ، وما
يتلوه من توابع ، بل نجوس مترعين ببشر هذا هو حي أفعالهم ،
وصغارهم الذى يفضح مايجوش بمخيلتهم من نزع .

إنه سراب اللحظة وغوايتها التى تلتهم عن طول رضا فضاء
العمر المقنّع بذرائعه ، والذى يُشهر تهويماته فى وجه من يتأمل .
دوماً كنّا وبخاصية الهجوم على الوقت، بمثابة أجهزة حاضنة ،
وحلى بالتّعجيل ، ثم بفعل المناجزة للأمكنة نستطيع أن نفلت من
عقال المسافات . وبين جب . ونوت يُهيأ لنا أننا نفرد شرعنا ، ونقلع
فى دوريات كظيمة ، حيث أصواتكم حولنا فى كل نقلة مبعث
الفرح لجرمنا، وتصويت نسترجعه عادة بمائل رغبة ونستمد منه
الرثاء فى ورش الصيانة .

صالوناتنا بحيزها الضيق ، وفساحاتنا المكتتزة بالسيارات
الجديرة بملاحظة درجة ترابيتها فى ميدان الوجاهة الإجتماعية ،
مشهدٌ يجد سببه فى تلك التحولات التى تعصف بمدينتنا . فكيف
لنا ثم كيف لنا وسط خضم هذا الصخب المفخّم ، أن نستكن
برهة ، أو نجنح لما يُسمى فى أعرافنا بمحاذاة الكسل ، أو تفريخ
الكمون؟!

إنّه الحراك الذى يفتن إليه رؤوس الأصحاء ، ويمنح عابرينا
ساقا رهوان ، فإذا سفينتنا تواصل دورتها فى مياه
نسرسر، وتسبح على القبة الررقاء فى ريع رخاء* .

لايعنيها ، إلا ما تمخره من آفاق ، ولا تحتفى إلا بكونها متأرجحة
بين يابسين . فاصمتوا هادئين أيها الصيادون . إننا نعرف لغتكم
جيدا ، ونعرف ما يورق في رؤوسكم وقت أن تمثؤا أياديكم من
فوق السُّقالات ، وترمقوننا بنظرة عابرة . فهل نلهج بأسماء مَنْ
يدأبون يوميا على عقد معاشهم بوضعية كهذه ، خالية من أن
تقدم لهم شيئا ذا بال ، فيما آخرون لايتورعون عن أن يستبدلوا
سياراتهم الشَّبح كل عام ؟!

حى البودرة ، أو حى البرنسات ، كلها مواطن لتصدير
نزقهم إلى فساحتنا .

أو نُحدثكم عن واقعة البرنس دياب مع سليل عائلة النَّجَّار،
والعركة التى جعلت زجاج صالوننا يتهشم ؟ أم نسند مقدمتنا
للحجر ، ونقول : ما من شيء أجدر من بهجة تمنحنا إيَّاهها
عرائس السَّماء ، والبرد الذى يتحوَّل في غير مواعده ، مذ يومين ،
إلى قطيرات .

وكلما طالعنا وجوه مثل وجه الممرضة سعاد ، اجتررنا
حادثتها التى جرت ، ورفضها ترك مستشفى بورسعيد العام ، ثم
أولينا اعتبارا خاصا ، لحجتها التى لا تكف تُطلقها عن فيروس C
الذى استوطنها جزاء خدمتها فى العنابر .

هو مزيجٌ من التَّشوش ، والصَّخب الدَّاخلى المفرط ، ثمن
حركات الافضاء التى نلمحها بدرجاتٍ متفاوتة فى عيون مَنْ يحط
لدينا ، وتقوده مساعٍ مبهمة ، لمعاودة ارتحالاتٍ لا يستطيع منها

التَّمْلُص .

فهذا الرَّائد خالد يَتَنَكَّرُ في زى صَيَّاد ، وبُحْصَافَة تُهَيِّئُه لِأَفْعَالِ
جَسُورَة ، يَقْبِضُ عَلَى الْأَمْبِرَاطُورَة الْحَسَنَاء . ثُمَّ هَا هُوَ يُجِيزُ
لِنَفْسِهِ ، وَهُوَ يَخْطُو نَحُونَا ، أَنْ يُبْرِزَ اللَّمْعَة الَّتِي تَتَأَلَّقُ فِي عَيْنِيهِ .
وهذا هو العقيد هاللى ، يَتَقَدِّمُهُ بِخَطَوَات ، وَمَازَالَتْ تَدَهْمُنَا
نَظَرَاتِهِ الَّتِي أَتَّخَذَتْ سَمْتَهَا الْحَاد ، جَرَّاءَ ضَرْبَاتِهِ النَّاجِعَة الَّتِي يَتْرَاهَا
يَوْمِيًّا بِأَوْكَارِ مَافِيَا الْمَخْدِرَات .

نَقُول : أَلَا إِنَّهُ قَدْ تَعَاظَمَتْ أَلْفَتَنَا بِكُمْ أَيُّهَا الْبَشَرُ الْمُقْتَعِدُونَ
أَحْلَامَهُمُ الرُّقَّة . وَلَمْ يَعِدْ يَكْفِينَا مِنْكُمْ ، أَبَدًا وَلَوْ بِشَكْلِ حَصْرَى
وَدُونِهَا عَمْدٌ أَوْ تَحْيِصٌ ، إِبْرَازَ الصَّلَّةِ بَيْنَ رَجْفَةِ أَقْدَامِكُمْ ، وَبَيْنَ
مَا يَنْفَتِحُ أَمَامَكُمْ مِنْ طَاقَات .

هنا كان ما تيسَّر من وقائع حاولتم مناجزتها بنفس التَّورُطِ
الذى يلزمها بالضرَّورة ، وهنا أيضًا سيكون تشوفكم الذى يُجِبُّ
كل ماعداه .

أفبم صبوة تظل ترتع في جِوانِحكم ، تُصَيِّغُونَ عبر الاجتهاد
عَبَثًا كُلَّ مَا يُشَكِّلُ بِالْكَادِ إِيقَاطًا لِلْبَهْجَةِ ؟! أَمْ تَبْدُونَ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ
كَنَاقِضَى عُمَرُ ؟!

على كل ، إِنَّ مَا يَتَذَرَّعُ بِهِ - اسْتِثْنَائِيًّا - خَلَائِقُ يُخْصِهَا
الاعتقاد بصحته ، هو من قبيل المجازات التى تُسْتَعَارُ لِفَتْرَةٍ مَا مِنْ
الْحَيْنِ ، دُونَ أَنْ يَنْقُصَ هَذَا مِنْ وَجَاهَتِهَا ، أَوْ اسْبَاغِهَا نَفْعًا لِبَعْضِ
وَقْت .

فهاهى عربة نقل الموتى ، تقبل فى هدوء الجنازات، دون أن
تنشغل صراحة بما تحمله داخلها من جثث ، ودون أن تدرك كم
ما كان يُخاتل جثتي هذين الشابين من صبوات ، أو كم ما كانا
ينسجانه ذهابا وإيابا ، وعلى مسمع منا من مشاريع مأمولة ،
وليست ظنيّة ، إذ هما بالفعل كانا قد أجزأ أولى خطواتهما فيما
يُسمّى عندنا بترجيح كافة . لكن الداء العقام الذى كان يُطوّح
بالسيارات ، إلى منحدرات هرمة ، تعظم فعله على طريق
بور سعيد دمياط ، ولم يستطع أى طرف تفادى صدامه المروّع .

ثم هل تنسى عائلة فخرى ، مصرع طبييها الشاب غرقا على
شاطئ الجميل ؟! أم ينسى أهالى حادث الميكروباس شباهم
الذين ودّعوهم عشية أمس ولم يبق لهم غير إنزال اللعنات بالسائق
الذى كان حينها شاربا للبنجو ؟

وغيرهم الكثير الكثير ممن تعصف بهم الأحزان ، ونكأت لها
عندهم موطىء قابض ومؤلم . ومع ذلك مازالوا يسيرون حياتهم
ببعض المجازات ، وبيعض ممّا يعتمل داخلهم من صبوة لا تتحاجز
عند شيء ، بل وتسهب فى بغيتها .

مازلنا نقول : من هنا نرى أن القطيرات القزحية التى تلتحف
بهبوها ، تتساقط فوق أسطح البيوت ، وفى أضواء المراسى ،
وبالكاد بوسعنا أن نتحسّس ما تشكّله هذه الزخّات من أجواء
موصولة بحيوات تتخلّق كأنها البدء . حيث أريج من فوعات
الطحلب والماء مشفوعة بكينونة لا تُسمّى . وحيث الدُّكنة المقوسة

على الامتداد ، عند التقاء الحافتين تُبدّد كلفةً شبيهة أن يكون بعدها شيء . وكذلك تيارات الهواء التي تلمح الوجوه المعصوبة بسخاء الطرح ، وبيعض الكوفيّات التي تتهدّل على الصّدر ، مازالت دوماً وبغفوية كامنة ، وبغير ذى قصد ، تلقى على عيون أناسنا ظلالاً من لمعة بارقة ، وتصبغ أجواءنا بدفق حيّ .

انظروا : هل هذه هي نفسها نظرة الحاج كَامِل أَمَس ، وطول اليومين الفائتين ، بُعيد فضيحة السّت عقيله له في محل عمله . وهل هذا هو نفسه إيقاع خطوات الأستاذ وافي عقب رمية يمين الطّلاق على زوجته ، وطرده لها في عز الليل .

إن المناخات التي تكسبها المستجدات صيرورة مبهمة، ستبقى دائماً مكنوزة بنكهة الإيحاء . ويكفى أن توجّه منعطفات الدّواخل وشحناتها ، إلى مسارب يكون لها فيها انفساح ، ومن ثمّ تحوّل نوعى .

فكيف تتصوّرون مثلاً حالة جيهان ، وهى تتلقّى شبهة قتل أبيها، في ذات الوقت الذى لم تكن قد استوعبت فيه بعد وفاته؟! هل نفسها حالتها الآن ، وهى تستند برأسها على كتف أخيها أحمد في الكرسي الخلفى لعربة خالها ؟

ثم ، وكذا ما الذى يمكن أن يُثار الآن ، أو يُطلق داخل نفس عائشة ، وهى تخطو خطواتها باتجاه عمارة إمام ، حيث جيشان العاطفة ، لم تُرقئه رؤية منذ عدة أعوام؟!

وحسبما نخال ، إن ممدوح العرباني ، في تطلّعه الذى يبدو

ضرورياً إلى اقتناص كيسيْن دم ، من الرّصيد الذى كونه له
الأصدقاء لزومٍ مرض أمه ، مازال يُخامرُه - جرّاء الدّفقات التى
تزدهى - نوعاً من أمل فى حياة قابلة لأن تُعاش .
إذن إلى من تُعزى كل هذه الإحباطات ، ومن ثمّ النّكوص ؟
أُتناجزنا أيّامنا بضربة عنقٍ ونحن ، أقصد وأنتم مازلتُم هَيّابي قادم ؟
ذلك أجدى أن تُجلى عن عمد سرائركم، وتُسبطن فى المحك
ناصعةً .

أعائذون أنتم بحركات الافضاء ، وقناعات لا يمكن منازعتها
قيد أئمله !؟ فإذا أمل تتسرّب من بين يديها السّنوات ، ودون
طاهر لم يقنعها أحدٌ بأهليّته . وإذا بصديققتها الصّدوق ماجدة
تكتشف فجأة ، أنّها ما كانت لترفض الذين جاءوها طالبين ،
لولا تعلّقها بنفس منّ تتعلّق به أمل .
فعلى أىّ نحو تُتثحث هذه اللواعج من مكائنها ، ويهيأ
لبعض بمشاعر غير مستنكرة ، بأنّهم يُشايعون ، بل ويتماهون قدر
ما تأخذهم الانخطافة مع جوهر غائر فى كنههم .
ثانيةً إنّها مجازات الكائن ، وتوهّماته التى يحيا بحجّة دفعها .
حيث الأجدر ، طبعاً فى تراتبيّة رؤية إبراهيم المصرى ، وسلّم
ألولويّاته النّظر إلى عمليّتيّ أجاكس ، وسفنكس ، من هذا الوقوف
الحذر الذى لا طائل منه أمام تصرّجات شلوموين-عامى ، وإفريم
سنّية .

وكذا من قانون داماتو ، وجاكسون فانيك ونظرية الاحتواء

المزدوج ، حتَّى اتَّفاق الخط الأحمر ، والطَّبعة الأخيرة لمشروع أيزنهاور ، تُطيل الحديث يا إبراهيم على مقدِّمة مدخلنا الحديديّ مع إسحاق اسكندر ، ثمَّ لا تجد غضاضة في أن لا تسأله عن أخته وطلاقها من المدعو موريس توما ، ومحاولته المروّعة لتشويه وجهها بماء النَّار ، بل وتزداد غلواً فتختتمها بالأبيات التي وُجدت مكتوبة على حيطان الجامعة العبريّة : *فليذهب السّفارديم إلى أسبانيا ، والاشكناز إلى اوروبا ، والعرب إلى الصّحراء ، ولترجع البلد إلى الله ، فقد منحنا الكثير من المتاعب عندما وعد بها الجميع .*

لكم إطلالة المسرّة أيّها البشر ، وقليل من شجن .
ولنا قانون الطفو، وشيء من شكيمة الخطّ، ورهافة الاجتياز .
ثمَّ كفى بها من محكّات توالى كرّها ، وتموضع كلا في خانته . عن الزّهرة الحاملة ، لا عن المرافئ المفضية إلى المغامرة نحكى * .

لم يعد ثمة من أرض لهبوط الحوائم الشّاردة .
فقط الأخيولات قرائن كلّ ذى زفرة .
وحبّذا لو تيسّر من يغتبط للعماء الذى بلا مرسى .

*

{10}

﴿ لتفق أنّ لهذا خصلة الإيحاء . ﴾

إذن يبقى لي أن أجهنر للأضياء ، مجبوراً يَخْصُ سعادتي ، ولا ألقى
بالألمن يتقوّل

تَوَّ أن رآها أحسَّ باستيقاظ شهوته .
لا يعرف لماذا هي بالذات التي تلهب خياله
بكل هذه الدَّرَجَة . أسواطٌ من الألم تنزل على
مناطق حسَّاسه من جسده ، فتجعله قلقاً في
جلسته . استدارة مؤخرتها ، والسنتيمترات القليلة
البيضاء التي تبين من ساقَيْها ، والتي يراها من
على بعد ، تجعل عينيه لاتحيد عن تتبعها .
عند محل جيد إبراهيم تتوقف . تضع شنطتها
على الرَّفِّ المنصوب أمام المحل ، ثم بحركة
عفوية بكلتا يديها تنزل بلوزتها من خلف على
جوبها الأسود .
البلتاجي أحمد يزيج كرسيه قليلاً إلى الوراء ،
بعيداً عن ممدوح العرباني ، فاقداً اهتمامه تماماً
بعركة الطاولة المنصوبة بين يوسف الأقطش
والداوودي حجازي . أكثر من مرة فكَّر أن
يختلق موقفاً ما ويحدثها ، لكنه لم يوفق . تطقَّس
عن أخبارها وعرف أنها قد كتبت كتابها ، وطلقت
قبل أن تدخل بأسبوع ، بسبب مشاكل بينها وبين
حماتها بخصوص حفلة الزَّواج .

ضعى
شفتيك
على
شفتي
،
ولتعب
روحي
إليك
عند
خروجها
من
فمى *

ينهض من على كرسيه ، وقبل أن يندفع خارجاً من المقهى يسأله ممدوح ، المشغول بمذكرة الدفاع التى يقرأها له المتر وهيب ، إلى أين سيغادرهم ؟! فيرد عليه بأنه مشوار قريب تذكره ، وسيعود .

يمشى بتمهل ، وهو يتابع بنظره تحركات ماجدة التى لم تنزل واقفة أمام محل جيد إبراهيم . ثم أسفل يافطة الشركة المصرية للبويات يقف ناظراً إلى أفراد شلثة فى المقهى . وعندما يتأكد أنه مازال فى زاوية نظر المتر وهيب ، يرجع إلى الخلف عدة خطوات ، حتى يبعد عن مرمى بصره .

تتحرك ماجدة مستديرة ، وتسير فى اتجاهه على رصيف كافيتيريا الطيران . يلتقط سيجارة ، ويبدأ فى إشعالها بولاعته الرخيصة الزرقاء ، مُصوباً نظره نحوها فى قصد وقوة . تتلاقى عيناها ، وهى تدور من دوران الكافيتيريا . تبخرها فى سيرها بالكعب العالى يبرز مفاتن مؤخرتها المقببة ، وثدييها الناهدين اللذين يزددان نفوراً ، ممّا يجذب إليها أنظار المارة ، وأنظار مرتادى المحلات المواجهة . يشعر أنه لو بدأ مسيرته خلفها ، سيكون محط شكوك من يراه ، يستمر فى وقوفه ، ويخرج محفظته البنية الجلد ، ويوجّه وجهه باتجاه ميدان المسلة ثم يظهر انشغاله بعد نقودها .

ثوان ، ويأخذ فى الدوران والسير نحو الوجهة المعاكسة لها عابراً الضقة الأخرى من شارع الجمهورية . باتجاه محل أسماك البرج ، الذى يصعد رصيفه ، ويمضى بتمهل فى نفس

الاتّجاه الموازى لها . عند محل ماى توى يقف ويتأمل فترينته المملوءة بلعب الأطفال المبهجة ، وعندما يجدها قد تجاوزت مكتبة بورفؤاد الحديثة ، وأصبحت على مقربة من مقهى الحبال يسرع من خطواته ، إلّا أنه يجدها فجأة تقف ، وتصافح سيدة على ما يبدو من معارفها ، فى حوالى الخامسة والأربعين من عمرها ، فيهدّئ على الفور من خطواته ، ثم ينحرف ليقف أمام محل هدايا بروكلين ، ويعاود تصنع الفرجة على فترينته . مع الحرص على الالتفات بحذر عن يمينه من لحظة لأخرى ، ليتأكد من كونها واقفة مازالت مع صديقته ، أم غادرتها .

يبدو أنها قد دخلت معها فى حديث طويل ، حيث أنه قد لاحظ تراجعهما عدة خطوات إلى الخلف ، حتى صارتا فوق الرصيف المقابل ، بعيداً إلى حد ما عن مرمى بصر زبائن المقهى ، أمام مدخل العمارة المجاورة .

يفكر فى ماذا يفعل لو استمرّتا هما على هذا النحو مدة طويلة ؟ إن الكثيرين فى هذا الشارع يعرفونه جيداً ، وربّما يشك فيه أحدهم ، ويظهر أمامه فى موقف لا يحسد عليه . يقرّر أنهما لو ظلّا على هذه الحال أكثر من ذلك فسيتجه إلى مقهى الحبال ، ليجلس عليه . لكنه فى نفس الوقت لا يريد أن يراه أحد من معارفه ويعطله ، وفى المقهى ربّما يجد من يفعل هذا . يتردّد ، ويقف مكانه أمام الفاترينة لايتحرك ، ثم يخطو مستديراً إلى جانبها الآخر ، ويميل برأسه ، ويخفض جزعه فى صورة مَنْ هو مشغول حقيقة باختيار هدية ما . وأثناء انحنائه ، ومن

خلف جانبه الأيسر ، وبمهارة من اعتاد على ذلك يصوب عينيه سريعاً باتجاههما . إلا أنه يعود ويحدث نفسه ثانية ، بأن الموقف قد يظل على هذا الحال طويلاً ، فهل يتجه إلى مقهى الحبال ، أم ينتظر لدقائق أخرى لعل ، وعسى . كل شيء قابل للتجاوز عنه ، إلا أن يدرك أحداً أنه قد أصبح يطارد بنات منطقته . وهو الذى تصدّى للشابين اللذين حاولا اغتصاب فتاة المنطقة الثامنة ، فى تلك الواقعة التى تحدثت عنها جرائد بورسعيد المحلية . يشد انحناء ظهره ، وينتصب عازماً على الاتجاه إلى مقهى الحبال ، ويحدث ما يحدث ، حتى ولو باءت كل جهوده اليوم بالفشل ، ولم يستطع أن يكمل مشواره خلفها .

يستدير بجزعه ، ويبدأ فى التحرك بخطوات بطيئة إلى المقهى . وما إن يفعل ذلك ، حتى يجد أمامه ، فى مواجهته زميل المدرسة الثانوية رفقى ، هذا الذى لم يره منذ عدة سنوات ماضية .

يأخذه بالأحضان ، مؤكداً لنفسه أن مغامرته اليوم قد باءت بالفشل ، وعليه أن ينساها . وبعد الطمأنينة على الأحوال والتذكير بالسنوات الفائتة ، يسأله البلتاجى عن ما الذى أتى به إلى هذه المنطقة ، يخبره أن العمارة المجاورة لفندق صوفيا من الجانب الآخر ، هى عمارة نسييه ، ثم يتقدم عدة خطوات إلى الأمام ، وهو يشير بيده قائلاً : " العمارة الصفرة دى اللى قدام البنك بالظبط " .

ويستفيض رفيق في الحديث معه ، ويعرف أنه ناسب عائلة الحاج عباس الجبروني ، فيشكر فيه ، ويخبره أنه رجل جدع ، ومن شلة قهوة وادى النيل الذى يجلس فيها ، وأن أخلاق بناته الثلاث لا يُعطى عليها . كل هذا وعيناه لا تفارق ماجدة وصديقتها، مع حرصه أن يقف بالطريقة التى تجعلهما فى مجال رؤيته .

غير أنه لحظات ويلمح ماجدة ، وقد استدارت جهة مقهى الحبال ، ويدها فى يد صديقتها ، تصافحها على ما يبدو مصافحة الوداع . فيتأكد أنهما قد أنهيا حديثهما ، وهما سوف تفارقها . ينظر فى ساعته منتفضاً ، ويتصنع ، أنه قد تذكر فجأة شيئاً ما ، وفوراً يمهد للاستئذان من صديقه ، مُتعللاً بمشوار مهم تذكره تواً ، وكاد أن يفوته . حيث بحرارة يصافحه ، عارضاً عليه وهو يتقدم عدة خطوات إلى الأمام أن يتشجع ويمر عليه فى مقهى وادى النيل ، فى أى يوم بعد الساعة السابعة مساءً . يومئذ له رفيق برأسه مبتسماً ، وقائلاً له وهو يصعد الرصيف : " ماشى حبيبك ، سلملى على ممدوح " .

- : " يوصل " .

يمضى رفيق أسفل البنايات ، متجهاً ناحية شارع ٥ سبتمبر، فيما يسرع البلتاجى عابراً الطريق ، عكس اتجاهه ، وفى لفظة لفتتين ينظر خلفه ، متأكداً أنه أصبح بالفعل لا يراه . وعندئذ يصبّ جل اهتمامه فى متابعة ماجدة التى هاهى قد تخطت مقهى الحبال، وتبدأ الآن فى الاستدارة من حول ناصيته

داخلة شارع زمزم ، حيث يلاحظ تكرار الاهتمام بمتابعتها من قبل كل من يراها ، وعودته هو في أضواء الشارع المتألقة إلى تأمل جوبها الأسود المحبوك على مؤخرتها ، والسنتيمترات القليلة البيضاء الظاهرة من ساقها المكتنزة .

ينتبه لكون المسافة التي بينها وبينه قد ضاقت كثيراً ، فيقف في أول الجانب الآخر من الشارع في مواجهة سوبر ماركت عطا الله حبيش ، مظهراً أنه ينتظر بعض العربات كي تمر ، ثم يعبر الشارع بخطوات متمهلة ، سائراً بمحاذاة الرصيف في نفس اتجاهها .

انتهى من تجاوز بعض المحلات ، وأصبح على بعد خطوات من مقهى الحبال ، ينظر ، فيتأكد من كون المقهى مملوء بالكثير من مرتاديه ، يسرع بخطى محسوبة ، إلا أنه عندما يلمح محمد زغلول وشلته ، جالسين في الواجهة، يرفع يده كإشارة بالتحية ، ثم يخرج علبة سجائره من جيب قميصه ، ويشعل سيجارة وهو يبطن من سيره .

هو الآن على ناصية البنك ، حيث بمحاذاة شارع الجمهورية يلتفت برأسه للجهة اليمنى ، ويمد بصره من خلف زخات الدخان ، فيجدها قد تخطت منتصف الشارع تقريباً ، وصارت بجانب عمارة (٤) .

يفكر في أن يعبر رصيف البنك سريعاً ، ويتجاوز شارع جوهر الصقلی ، وصف المحلات المترابطة ، ثم يدخل يمينا من شارع الحرية الموازي لشارع زمزم ، والممتد من حديقة

المنتزه وذلك إمعاناً في تمويه الأنظار التي ربّما قد لاحظته ،
أو شكت في نواياه ، مؤكداً لنفسه أن هذا الشارع أكثر هدوءاً ،
وأقل في المصاييح التي تضيئه . وهذا بالتّالي سوف يساعده في
تتبعها ، إذ في الغالب ستمرّ منه ، وهى في طريقها إلى منزلها
الذى يقينا هى الآن عائدة إليه . ولأنه حاول أكثر من مرة أن
يعرف مكانه بالضبط ، بلا جدوى . فهو يعلم أنه يقع في منطقة
الجامع الكبير ، لكنه أبداً لايعرف مكانه بالتحديد .

هكذا راح يحدث نفسه ، ويأمل أنه ربّما تنتهياً له الفرصة ،
لأن يوقفها ، ويتحدث معها في شارع مثل هذا من الصّعب أن
يتعرّف عليهما فيه أحدّ ، ولن يُدركا فيه إلاّ كظلال . وقد
يشجّعها هدوءه ، وقلة الرّجل فيه ، بل ويزيدها طمأنينة ، أن
تستجيب بسهولة لمحاولته ، وتسترسل معه في الحديث .

على عجل يسرع عابراً الرّصيف بخطوات واثقة ومشدودة،
حيث يستمر في مضيه متجاوزاً أستوديو بى بى ، وصالون
الجمهورية ، وعصائر حسين ، فمطعم الفردوس ، منحرفاً يميناً
داخلاً من شارع الحرية ، ومختفياً عن الأنظار . وتوَّ أن يرى
نفسه فى هذا الشارع الخالى ، حتى يقفز عدّة قفزات إلى الأمام
ليصل إلى المقهى الكائن على ناصيته ، والذى يكاد أن يكون
مخصّصاً للبنبوطية وعمال الميناء .

هنا يلتفت يميناً ويساراً ، لكنه لايجد لها أثراً .
يدور منحرفاً من جهة المقهى ، ويصوّب نظره بامتداد
شارع النصر الموازى للجمهورية ، والذى كان من المفروض

أن تُقبل هي من اتّجاهه ، دون فائدة . يجتاز الشّارع سريعاً ، وعند تقاطعه مع شارع زمزم يقف . وما إن يحيل بصره فى حزن باحثاً عنها ، حتى يلمحها هناك على البعيد بجوبها الأسود ، وبلوزتها البيضاء تعبر شارع الجمهورية من أمام مقهى الحبال . يُرجّح أنها ربّما تذكرت شيئاً ، وذهبت لاحتضاره .

يطرح نهائياً فكرة أن يذهب في اتّجاهها . ويقف فقط ليعرف الجهة التي ستتحرف إليها ، مُردّداً بينه وبين نفسه أنه لو فعل ذلك ، لتأكّدت شكوك مَنْ قد شكّ فيه ، وأصبحت أمراً واقعاً .

تتفرّج أساريده ، ويخطو خطوتان للوراء حينما يراها تنحو باتجاه حديقة المنتزه . وعندما تغيب ، ويتأكّد تماماً من ذهابها ، يستدير سريعاً ، ويهرول ليلحق بها من نفس الطريق الذي أتى منه . وعند منتصفه ، وبينما مازال يقفز في سيره ، يلمح الرئيس رجب آتياً على موتسيكله من تقاطع شارع الحرية المقابل وهو يُحقّق فيه بقوة وكأنه يرتاب في أمره .

يبطّئ من هرولته ، ويصطنع النظر إليه فى لامبالاة . ملامحه الحادّة البارزة والمتنمرة ، والتي دائماً ما يراها على وجهه ، تجعله يتطابق تماماً ، وبامتياز مع الصّورة التي تنطبع فى أذهان الناس عن مخبرى أمن الدولة . يقلل من سرعته ، ثم يوقف الموتسيكل فى حزم وشدة أمام باب عمارة (١٢) الكالحة الصفار . هكذا يتابعه البلتاجى أحمد ، وهو يمر بجانبه ، مظهرًا عدم الاهتمام . بينما شيء ما لا يعرفه تجعل الرئيس رجب يطيل إليه النظر ، فى تصويبة مُحايِدة غليظة ، ماتلبث

أن تخفت وهو يهبط من فوق موتسيكله بكل هدوء وورصانة .
يستمر البلتاجي في سيره ، وبعد عدة خطوات ، وقبل أن
أن يصل لتقاطع الشارع يلتفت وراءه ، فيجد الرئيس رجب وقد
حمل بعض الأكياس في كلتا يديه ، وهاهو يدخل من باب
العمارة فارداً ظهره ، ورافعاً رأسه في ثقة واعتداد .
على كل عليه أن يتم مغامرته التي لم تنته بعد ، وتكاد تفلت
من بين يديه . يدفع بساقيه إلى الأمام ، ويهرول في خطوات
محسوبة بعيد تجاوزه لنافسية الشارع ومقهاه . ثم ما إن يصبح
على ناصية الرصيف في مواجهة شارع الجمهورية ، حتى
يلتفت برأسه في كل الاتجاهات باحثاً عنها . يكرر ذلك عدة
مرات خاصةً باتجاه حديقة المنتزه ، وشارعها الممتد إلى
الشاطيء ، إلا أن بصره يكرّ خائباً من دونها .
يتسمّر في مكانه ، ويظل يفكر هل سيعود من نفس الطريق
الذي جاء منه ، أم سيتخذ طريقه من شارع الجمهورية إلى
المقهى ؟

لا يبقى على هذا الحال طويلاً .
يقرر ، ويبدأ في عبور الشارع إلى الضفة الأخرى ، مُحبذاً
الالتفاف من حول محل فرحات للخردوات ، واتخاذ مسيرته من
الشارع المظلم الموازي لشارع الجمهورية ، يحركه في ذلك
اعتقاداً ما بأنها من الممكن أن تكون قد اتخذت نفس هذا الشارع
لسيرها ؛ إذ من المستبعد أن تكون قد اتجهت ، وهي بمفردها
وفي هذا الوقت من الليل إلى الشوارع الأخرى الخلفية الموصلة

إلى الشاطيء .

عموما لم يبق إلا خطوات ، ويتأكد بنفسه .

أمامه ، وعلى بعد ستة أمتار على وجه التقريب يجدها واقفة بظهرها على العتبة الداخلية لمحل فرحات للخردوات ، وهي تشاور للعمّ فرح على شيء ما داخل الفاترينة . فوراً يوجه أقدامه لتسير بحذو الرصيف ، ولتدخل ثانية من شارع الجمهورية ، لكنه هذه المرة ، ولكي لا يثير الشبهات حوله يعزم على شراء أى شيء من أحد المحلات التي فى مواجهته ، متصنعا الجدّة ، حيث بسرعة ، وبدون تفكير يقرّر أن يتجه إلى محل بن شلبى ، ليبتاع ربع بن محوّج كعادته . وبالفعل يصعد الرصيف ، ويخطو عدة خطوات فوقه وعينه فى التفاتات جانبية خاطفة ، تركز على ناصية الشارع ، مُحاذرة أن يفوتها شبح ماجدة التى يمكن أن تمرّ دون أن يدرى .

فجأة يجد نفسه يكاد يتعرقل فى جرم الكلب الأبيض الوولف الذى يتقافز هنا وهناك على الرصيف ، إلا إنه ورغما عنه يجد نفسه يستند على كتف منبرفا التى كثيراً ما رآها تمر بكلبها هذا من أمام المقهى ، وخطفاً وبعده أشبار يتخذ موقعه بعيداً عنها ، معتذراً لها ومعبراً عن أسفه، فيما هى تحدّجه بنظرات عميقة ، وتومئ له برأسها وكأنها تقبل اعتذاره .

وحين يتجاوزها بعدة خطوات يشعر أنها مازالت ترمقه بقوة بجانب عينيها وهى تستدير من حول عربتها الـ بى إم دبليو الرمادية ، وتفتح بابها الأمامى بالمفتاح ، وتشير لكلبها أن

يصعد .

يقف أمام المحل ، ويستند بيده على بنكه الخشبي المسقوف بقطعة واحدة من الرُّخام البنى الدَّاكن . فى مواجهته على الرُّكن يجلس العم عدلى . وأمامه ابنه عبد الرحمن المشغول برفع الصناديق ، ووضعها فى تراتبية مستوية بجانب الحائط .

يلقى السَّلام على العم عدلى بإشارة من يده ، فينتبه عبد الرحمن ، ويقبل عليه ، لكنه ينتبه على صوت الحاج عبد الناصر مناديا ، فيلنقت خلفه ، فيجده ، يأخذ كرسى من داخل محله ، ويضعه بجانب المدخل ، وهو يشير له بيده ويقول : **" عاوزك يا بلتاجى "** . يرد عليه السلام ، ويؤكد له أن سيمرّ عليه بعد ساعة ، لأن وراءه الآن مشور مهم . فيقول له : **" كلمت المتر وهيب ؟ "** . فيرد عليه بصوت عال ، وهو مازال فى مكانه : **" آه كلمته ، أمّا آجى حقولك "** . يحذر أن يزيد معه فى الكلام بأكثر من ذلك ، حتى لا يضطر أن يقف ويحادثه فتغافله ماجدة ، وتمر دون أن يراها .

يطلب من عبد الرحمن ربع كيلو بنّ محوَّج فاتح ، وعيناه تلتفت التفاتات محسوبة إلى ناصية الشارع الكائن به محل فرحات للخردوات . وعندما يلمح ماجدة تسير على الرّصيف ، وتهبط منه بخطواتها الرّشيقة باتجاه نفس الشارع التى جاءت منه ، ينتظر وهو غير متعجل ، حيث أنه فى كل الأحوال لن يستطيع أن يخطو وراءها مُتتبعاً .

يأتيه عبد الرحمن بربع البنّ ، فى كيسه الورقى السّميك ،

المعدّ خصيصاً لهذا ، ثم يُخرج من درج البنك دبّاسة صغيرة سوداء، ويدبسه من أعلى ، ويناوله له سائله ، هل يريد شيئاً آخر ، فيقول له وهو يأخذه : " لا شكرًا ، تمام كده " .

يستدير ، ويخطو خطوتين باتجاه الكراطين المِرصوصة فوق بعضها ، أمام البنك ، والموضوع بها أكياس الشيبسى ، مظهرًا وكأنه ينتقى نوعاً ما ليأخذ كيساً منه ، إلا أنه لا يفعل . ثم ينحنى على المدرج الخشبي الموضوع فى الأسفل ، وعليه الأنواع العديدة من البسكويت والشيكولاتة ، لكنه أيضاً لا يلتقط شيئاً منها .

ينتصب قائماً ، ويخرج علبة سجائره من جيب قميصه ، ويشد بفمه سيجارة منها ، ثم يشعلها ، وهو يستدير ، ويصوّب نظره فى اتجاه الشارع الذى تسير ماجده منه .

تقريباً يجدها قد قطعت الثلث الأوّل من شارع زمزم ، وصارت أمام عمارة رقم (٣) من جهة اليمين . لا يلبث على هذا الحال كثيراً ، حتى لا يشك فيه أحدٌ . يوجه أقدامه صوب نفس الطريق الذى أتى منه ، لكنه هذه المرّة لا يأخذ مساراً دائرياً من حول الحيز الضيق المزروع الذى يقسم الشارع إلى فرعين ، بل يسير بانحراف زاوية منفرجة عابراً الحيز ، ومتجاوزاً المحلات التى تعقب البنك ، ثم عندما يصل إلى الناصية ، ويخطو عدة خطوات داخل الشارع ، يغويه الظلام الذى يُحيل السّائرين إلى مجرد أشباح غير واضحة المعالم ، فيعاود الهرولة قفزاً ، حتى يجتاز أكبر قدر ممكن من الأمتار .

وبالفعل ماهي إلا ثوان معدودات وپصير على الطرف الآخر من الشارع أمام المقهى ، ويجدها تقبل ، ويجدها وقد قطعت ثلثي المسافة تقريباً ، وأمست على مقربة شديدة منه ، ووجهها بدأت تبين ملامحه ، وعيناها تدريجياً تصير في عينيه .

الغريب في الأمر أنه لا يرى فيها أى اندهاشة ، أو مفاجأة . بل والأغرب أنها تكاد على العكس تخبره بسخرية ، وزهوة محسوبة تتألق في عينيها ، بكونها على علم تام بكل مسيرته التي اجتازها خلفها متتبعاً .

الآن هو يشعر ، فيما يسير في طريقه باتجاه الميناتل المنتصب على الرصيف المواجه ، أن هناك الكثير من العيون التي ترصد حركاته وخطواته ، من ركن المقهى ، لكنه رغم ذلك لايهتم ، ولا حتى يبالي بأن يلتفت ببصره إليها . فالموقف قد قرب على نهايته ، وعليه أن يُنهيه بالشكل الذي خططه ، ويرتضيه لنفسه .

يدخل كارت الميناتل في الجهاز ، ويطلب رقماً عشوائياً لا يعرفه ، ويسمع من يحدثه من الجانب الآخر ، مُردداً عليه كلمة ألو عدة مرّات ، ومتسائلاً عن يكون هذا الطالب ، على حين يردّ هو بأى كلام يخطر على باله ، دون أن يكون منتبهاً لهذا الذي يقوله . المهم أن يظهر ذلك لكل من يرمقه من المقهى ولها على الخصوص ، وهي تجتازه ، في نفس امتداد طريق النصر باتجاه نادى بورفؤاد الرياضى . يُطمئنّها بعض الأفراد الذين يسرون على مبعده وبعض المصاييح التي تضىء

وتريتها مواضع أقدامها .

*

{11}

قال : إنَّها قاعدة اينجيرليك التُّركيَّة الَّتِي
اتَّخذت منها القوات البريطانيَّة والأمريكيَّة ،
نقطة انطلاقها نحو العراق .
ثمَّ ارتجع بظهره إلى الوراء ، وأطرق لعدَّة
ثوان ، وسُرَّعان ماقاطعه المتر وهيب ،
حين كاد يهَمُّ بالكلام ، حيث بدأ يشرح لهم
ويسهب ، وهو يتابع العمَّ لوقا الَّذِي راح
يصبُّ الشَّاي في فناجينه ذى العبق
القديم ، عن ذاك الَّذِي قرأه في جريدة
صوت الأمَّة ، من أنَّ أخطر ما يُنسب إلى
أبى مازن ، هو أنَّه نجح في حلِّ مشكلة
القدس لتصبح عاصمة للدولة الفلسطينيَّة ،
دون أن تفقد إسرائيل سيادتها الفعليَّة
عليها . وكيف أنَّ هذه الخطَّة الَّتِي تُعرف
بخطَّة " بيلين وأبو مازن " تتلخَّص بأن تتسع
مدينة القدس لتشمل مزيداً من المناطق
المجاورة لها مثل أبو ديس ، والعيزريَّة
وسلوان ، تكون في الحقيقة ، العاصمة

الفلستينية ، وتُسمَّى باللغة العربيَّة ،
واللغات الأجنبية القدس تمييزاً لها عن
جيروزليم ، الَّتِي ستطلق على باقى
المناطق الَّتِي تقع فى الحدود الحالية
للمدينة ، والَّتِي ستصبح العاصمة
الإسرائيلية .

على أن يُشكَّل مجلس بلدى محلّى
فى القدس الشرقيَّة القديمة ، يُمثِّل
سكانها الحاليين من العرب ، ويكون تحت
مسئوليَّة بلديَّة القدس الإسرائيلية .
غير أنَّه بعد أن انتهى أخذ يُّضحك
الأستاذ رزق ، ويحكى له وللعلم لوقا عن
هذا الّذى حدث اليوم من محمد القزّاز ،
ورآه عن قرب .

*

{12}
البته ليس هذا بوابة للعافية ، فقط هو التّماهى مع أمسيات
العطب

{ برغمى إنها كثافة الأحزان
وما عدت أعى تعاظم اللوعة }

جيهان بمنديلها الورقى الممسكة به فى
قبضتها، وساقىها اللذين تجرّهما بتثاقل
تطالع مَنْ فى الصّالة .

وما إن تظهر على هذا الحال ، وتراها
شرين بنت عمها ، حتى تنهض وتضمها
إلى حضنها ، فتنفجر جيهان فى النحيح .
برهة . وتنهض صديقتها المقربة سمر ،
وتأخذها فى حضنها هى الأخرى وتطبطب
على ظهرها ، وتكاد تبكى معها .

يأخذانها هما الإثنان ، كل من جانب ،
ويسيران بها حتى يدخلانها حجرة
الصالون. وعلى الكنب الكبيرة ، و تقريبا
فى وسطها يجلساها ، حيث يوسعن لها
الجالسات على الجانبين مكانا مناسبا . وهن
يطبطبن عليها ، وإحداهن التى من الجهة
اليمنى تقبلها وتمسح دموعها بطرف
أصابعها ، فيما هى تحط بجسدها بينهن ،
وتنتبع من خلال الدمع الذى ينهمر ، أمها
المستنده لكتف جارتهم هانم ، غارقة العينين ،
وصوت نحيحها يصل للجميع .

يشعفها بشدة منظر أمها ، فتضع يدها
فوق جبينها وعينيها ، وتطأطأ برأسها ،

ثمة

ما يستدعى
أن أفترض ، أن
هناك إيعازا
لى ، بإطلاق
أنفاسا للوحشة .
وحيال كل
مسرف
أخترق ربّما
فساحة مؤقتة ،
لصحة
إرتجاع .
هم لم يكونوا
ميالين ، لبذل
مساع
لاجتنابى ، لولا
وفرة من
المواجس
انتابتهم ، حال
وقوعهم فى
أسر أيام

ويُسمع لبكائها شهيقاً .
 بعد لحظات تأتي بنت عمها شرين ،
 وفي يدها قرصين أبلونج نوفالجين ،
 وكوب ماء ، وتناولهما لها ، وهي تنبهها
 بهزة في كتفها . تنتبه جيهان ، و تأخذهما
 بيدها اليسرى ، وتبدأ في ابتلاعهما بكوب
 الماء التي قبضت عليه بيدها اليمنى .
 يبدو أن شرين تعلم جيداً ، ما يصيب بنت
 عمها جيهان من صداع عندما تحزن .
 من على الفوتيهين المجاورين للكنبة
 الكبيرة التي تجلس عليها جيهان ، تنهض
 زينات وأميمة بنتها . ويتجهان ليسلما على
 جيهان ، وغادة وأخيراً الحاجة إقبال التي
 تسلم عليهما وهي شبه مغيبة . حيث تدعوا
 لها الست زينات بالصبر ، وتكتفى ولا
 تزيد ، إذ تشعر بغصة في حلقها ، وأن أى
 كلام آخر سيُعتبر من باب المجاملات
 الغير مستساغة ، ولا يتحملها الموقف .
 ثم تغادر الحجرة فى صمت تتبعها أميمة .
 وعندما تلمح الحاجة إنعام ذلك من
 كرسى الصّالة المجاور لباب الحجرة ،
 تنهض بهدوء وتجذب جوبها الأسود بيديها

للعى ، حيث
 وبأسرع
 ثم يلزم ، يهوى
 لهم أنهم
 مشرفون على
 ساعات ستأزف
 لحظاتها .
 ولربما إذا
 جاز لهم أن
 يلثوا ، ولو
 لهنهات داخل
 فضاء فساحتي
 ذى الرفوف
 الرّص ، لهاهم
 كمّ ما تستلزمه
 أجسادهم من
 مداواة ، كي
 تعود إلى سالف
 عهدها .
 هو البياض
 الذى يسمّ
 كنهى ،

الإثنتين إلى أسفل ، فى محاولة لفرد
 تكسراته من الواجهة .
 تفعل ذلك ، وهى تنظر يميناً إلى أختها
 عواطف ، الجالسة فى أقصى الصّالة
 بجانب ممرّ المطبخ ، وتشير لها بإشارة
 خفية بأصابع يدها ، أن تتبّعها إلى حجرة
 الصّالون . وتستدير لتدخل الحجرة ،
 وبالفعل تنهض عواطف وتتبعها ، داخلية
 وراءها إلى الحجرة .
 يجلس الإثنان على الفوتينيين اللذين
 صارا شاغرين ، بعد مغادرة الست زينات
 وابنتها أميمة .
 هما الآن بالضبط، على الطرف الآخر،
 فى مواجهة الحاجة إقبال .
 لذا حينما تفتح عينيها نصف فتحة ،
 وتراها من خلال الدمع الذى يغشاها ؛
 ترفع جانبها الأيسر عن مسند الكنبية التى
 كانت تجلس عليها ، وتقول بصوت أبده
 الجالسات لقوته ، وهى تشوح بيدها لهما
 : " اخرجوا برّه " .
 تنهض الست عواطف بسرعة قائمة ،
 ووجهاً يمتنع إحراجاً ، وخجلاً ، محاذرة

كمجازات
 متعالية،
 ويذكرهم دائماً
 بضمّ الكفن.
 وهنا لن
 يكون
 تحاكى، إلا
 لليون التى
 تومض فى زخه
 مطر، وتقيم
 احتفالاً لكل
 موفور طاقة،
 هوساً
 بالمخاتلات التى
 تصاحب
 المترعين بغيهم .
 وخلافاً لما
 يشاع عني ،
 أطنب : أنا
 شهقة البرء فى
 الأبدان ،
 وأحياناً

ألاّ تنتظر فى عين أحد من الجالسات ،
حتى لا يفتضح انكسارها الدّاخلى الذى
يكاد يبكيها ، لولا محاولاتها المستميتة
للتّمسك .

لكن السّت إنعام تظل جالسة ، وعلى
وجهها علامات الغضب ، والإحراج .
فتكرّر الحاجة إقبال باصرار وبصوت
متهدّج : " بقولوكوا اطلعوا برّه " .

تمسك عواطف بكتف أختها إنعام ،
طالبة منها النهوض والمغادرة معها : " ياالله
يا إنعام ياالله قومى " ، ثم تستطرد ، وهى
تخبطها بأصابع يدها على ظهرها : " مش
بلوقتى الرّد " .

تنهض إنعام مع أختها ، وهى توجه
كلامها للحاجّه إقبال : " على العموم أنا
حسكت بس عشان خاطر أخويا فى تربته ،
وعشان عارفه إنك مش فى حالتك الطّبيعية ،
بس لينا حساب كبير بعد كده لمّا تفوقى " .

تغادر الست عواطف ، وإنعام ، حجرة
الصالون ، بخطوات سريعة ، ومتعالية ،
ومنها إلى الصّالة ، ثم إلى خارج الشّقة ،
التي مازال بابها مفتوحا على مصراعيه .

إكسيراها.ولا
يعوزنى سوى
حيز ضيق ،
يناط به بعض
الأدراج التي
تضطرب لمهام
ذوي الصّلاحية
المؤقّته ، ثم في
مقدمة طالعي ،
لوحا من
رخام ، لأكون
أنا صيدلية
بورفواد
الكبرى. حيث
أقول : رقيقة
هى الليلة
كباقة
صفصاف .
الظل ساكن
كنظرة نحو
البعيد .
اليوم

ودون أن يتكلما فى شىء ، يهبطان
درجات السلم ، وهما فى حالة غضب
داخلى وتحفز ، يملأ أسماعهما صوت
المقرئ العالى .

يتذكر
الشَّارع
ماضيه
الرَّيفى .
وكم من

غروب

بطولى سينا ضل فى عمق . كم من قمرٍ جديدٍ هَشَّ
سيلقى مجنانه فوق الحديقة* . ووقتها يصير عادياً ، بل
ومألوفاً أن يفدنى أناسُ ألزموا أنفسهم برباطة الجأش . إلا أنه
والبتة لا تصفى لهم أيامٌ ، اعتادوا على اجتيازها ، وفق قناعات
واجبة ، وبمقتضى تصحيح وضعية مأمولة .

العم لوقا ، جاءنى شأن العمة نرجس ، أصبوحة اليوم ، ليمرّر
قليلاً من دفقات الأكسجين إلى رئتيه ، ويختزل بحقنة واحدة من
عقار DIPROFS ما يلزم به دائماً إلى بضع ساعات .

ثم وبذات الخصلة المموجة من قبل أبيه . حمدى ، لم يكد
يسمع من صديقه الشَّحات ، عن اصطفائى لدهانات ليوسمز فى
ظروفٍ ألبأتنى سريعاً للتجريب ، حتى هرع كعادته ، وبعيد
مشاجرة مع أبيه مراد استتب أوارها ، إلى التقاطه فى الحال .
وبروح محارب ، ظل ينتظر آملاً إنبات تلك الشَّعيرات التى قيل له
عنها أنها ستطول كثيراً حتى تبلغ الحاجبين .

فيما يصلنا من آهات نفوسهم الغفلى ، وبما تسهب فيه
دواخلهم من هراء عذاباتهم المتملصة دوماً ، سادعوا لهم فيما

يخصني ، بألية لها كينونتها ذات الوفرة في إسباغ المراجعة ،
وسأزيد المواءمة بين أمزجتهم والبدن .

هذه هي منطقة مهامي ، وشأني في الاختصاص ، ومن المرجح
أن أصير لهم في القريب العاجل آية الذكورة ، المنضدة لتقرحات
ذواتهم . ثم البديل المنتظر بما لا يقاس لآفات من جهنم ، كانت
ستوالى انفجاراتها بشكل لم يروا له مثيلاً .

وكما لو أن الخواء يحتاج إلى مَنْ يملأه ، سأعلن إنتمائي إلى
رسولة أجسادهم بكبير تعضيد، واحتفاء . حيث يجدر لكل عابر
طريق أن ينظر لى ويقول : لزوم هشاشات تعترينا ، وفسولة
ضاربة في عمق ، ثمة أحاجى ننسبها لك أنت أيتها المستقرّة في
مكث ، آخذين في الاعتبار عين الدهشة التي تنفتح على
مصراعيها ، جراء تسويغك كمرجع نهائي .

إذن . وبإسـم كوني محطاً لكثير مـن تشايـعه أنفـاس العـي ، وتود
لو تستوطن جثمانه ، بوصفه حامل مياوات تنتظر الإفاقة ، سأصـرّ
على أن أقود مساع حثيثة للتواصل بيني وبين المرتابين في جدواي .
وسأزـمـع هـكـذا ، وكـما تـرون عـلى جـعل يد الدُّكتور خـلاـف ،
توفـق فـي التـقاطـها لموصـوف السـت أصـيلة مـن عقـار Aldactazid ،
دون بديله المعتاد .

فأنا التعجيل الذي يجد سببه في الإحاطة ، وفي تجاوز فترات
حرجة بعينها . وأنا البرء الذي يعلق مره بالنجرة . وكما تتعاضد
محاولاتي المستميتة نحو مناخات ، تتوهّم غناء شاغرها ، سأوالى
اختباراتي عند المحكّ . ولا شيء يُحترز منه ، سوى بالحصانة ،

وقليل من إجماع النفس المُشدّد . فهلاًّ تقبّل بشرنا القاطنين ، ما بين
محصة الحمزاوى ، وكافتيريا الطيران ، ثم الذى يليهم فالذى
يليهم ، ما نلزم به أناسٌ كان هذا شأنهم فى الصّحة .

إنّ الدّاوعى الكفيلة بتثبيت أنماط بعينها لها صفة الاستمرارية ،
هى وحدها التى قد تؤدّى ، كما فى حالة السّت اعتماد مثلاً ،
ومدام نجوى ، إلى الوطأة الضّاغطة على أعضاء البدن ، ممّا يستتبع
بالضرورة مروقها ، عمّا ألزمت به نفسها من آليات . أمّا
الكليبتومانيا ، على سبيل التوصيف لا الحصر ، وربما التّجوّز فى
الكلام ، فقد أحلّ للدكتور سرقس أن تخاذنه أيّامه ، جرّاء ما
استعصى عليه من ترسبات الصّبا .

فهل موعودة أنما بخصال مَنْ يكيلون لى الاتّهامات جزافاً ،
دون أدنى مقدرة على الإنصاف ؟ أم أنّ احتشادى بما يسمح
باصطفاء كل العناصر التى تسهم فى تخليق بوابات جديدة للعافية ،
هو ما أكسبني حساسية مفرطة فى مواجهة ألسنتهم .

ما زلت أذكر ذلك الشّكل فى آخر الممشى ،
مُدّرعاً برغبةٍ لم تولد بعد . بت فى رحم ليس من
وقت بعيد يثقلها العطر ، فارغة ، فارغة ،
فارغة كموت* . لكن ، ومع ذلك ما فتئت أرمق ، وبعين
مشفقة ، معوزيين الجائلين ما بين شارعى ١٥ سبتمبر والتّأميم .
وكّلما استوفزتنى الجسارة للتّماسّ مع حيوات ، أعلم مسبقاً
رزوحها تحت وطأة عضال نهّاش مزمن ، نظرت صوب أعينهم ،
وقلت : تجمعنا بكم المزاملة التى تتلاوب حركتها فى أجواء هيّنة ،

حيث تخبئنا بريية الاستيحاش ، وتعاود بالأمل .
فهاهما نزيليّ فندق صوفيا اللذين ، اعترى أمعائهما انتفاخ
حاد ممضّ ، تبعه تقيؤ طال أمدّه ، وما أشار عليهما به الدكتور
خلاف من الصّرف الفورى لعلّيتي فيلاجيل مطهرّ ، وما اعتاد
على سحبه يوميا ممدوح العربانيّ من حقن نالوفن المخدّرة ،
ويوسف الذي غادرتني أقدامه تواءً . كلهم ، وبموجب قناعات
يتباين حججها ، يسترسلون بدافع معتزم لاقتناص أيامهم من
برائث تهددهم في مقتل . ودائما ما تشايعهم أدعية مقريهم التي
يسوقونها، إلى تفعيل المضغة الربّانية فيهم بقلوب نزاعة للسّلوى .
قل : ليس الذين يرقنون سنواهم ببضع طموح ، كمثّل الذين
يأخذهم الوجل إلى صباحاتٍ عيبة .

إذن ومن هنا أجزى الافتراض بكوني ، وجراء استنطاقى ذاته ،
لم أزل محطاً للكثيرين ممّن تتلبّسهم ابتلاءات ما كان ليُحترز منها .
وعند كل ليلةٍ دامسةٍ تُحلّل بعض نفوس معذّينا ، يمكنني الخلوص
وبحسباني رائية إلى أن ما وقع ما كان يجب إلا أن يقع ، مشهرة
سيف التّثبت ، ومدّعية أنّي من العالمين بالبواطن ، والعارفين
بالشّأن الكوني ، وسننه .

لكن إذ ما جاءني مثلاً المتر وهيب ، أو الحاج محمود ، أو ربّما
الأستاذة عائدة بتوقيف من أمها ، هيأت لهم ، وبأسرع ممّا
أكسبني طول الرّقاد ، صحة اليقين بجدوى ما ييزلونّه ، وينحون
صوبه ، حيث ألقي في روعهم ، أن لا بديل غير هذا كنهج
حتميّ . فلا شيء يُقاس به عتقهم من ربقة حجيم أزالو المخاتل ،

حين لا يستحي من أن يفرغ فاهه ، مُخايلاً كل ذى هوا جس .
إنها ، وإن تفارقت صيغها ، نفس الآلية التي تأخذ دافع تجليها .
ولا أدري لماذا تتمرأى وقائعها أمامي بكل هذه القوة الآن .
حيث وحيال الدعاوى المبررة ، لتمرير أسلحة فدائي ٥٦ ، لم تجد
أم على بدءاً ، إلا أن تكون مأذونة بدفع المهمة إلى أقصاها . وما
كان منها إلا أن قررت ، ورغم كل المخاطر التي قد تتعرض لها ،
ولمدة ثمانية أيام متوالية ، أن تُوزع الأسلحة تحت مشنات السمك
والخبز خاصتها .

ثانية هي الملاوبة بين حدّين ، وكذا الافساح باكتناز همة ،
لأى بصيص يتوأمض على استحياء ، ثم ما خلاه باطل .
أقول : بسلامة نيّة ، وبأخيولات قادرة على لضم عثم
المشهد بإضاءته . أنتم يا من تحترفون الحياة ، وتطلقون زفرا تكم
من مقاعد مقهى وادي النيل ، وبين حوائط كافيريا الطيران
وبامتداد محلات جيد إبراهيم ، وأسماك البرج ، وهدايا بروكلين
وكوافير لانسكا ، وهريدي ، وملك شو ، والدّاوودي سنتر
وألبان السلام ، وحلوانى ملفاى ، وبيى ميادة ، والشّيماء ، وأحذية
قوطة ، وماكس بورجر ، و بوتيك هالة ، ونيوسفنكس ، إلخ إلخ
وذلك بالتّساق يحفظ لكم ناموس حياتكم ، وسط عراوات
التّصحّر . أو لا يُنات بكم التّجاوز عن كل ما هو مُبدّد ، لمجازات
أيامكم ، حين لا يعنى ذلك ، سوى احتضانكم للوحشة ، وربما
اقتناص مافات فى نكوص .

نعم أقول ، يقينا وبسعار محموم ، أنتم وحدكم أناس تخومنا

المجاورة ، خارو ، وفنخو ، وبننت ، وبلاد ما بين النهرين ، يا من
تساقط أنجم سمواتكم مكفية على وجهها ، وماتنى الربة نایت ، تجد
فيكم محلاً لتُصاول نزواتها بين ظهرانيكم .
يا من تُسلب حيواتهم بسخاء مُبذر .
مؤكد أنتم وحدكم الذين تستفيضون مع آلهة التَّجُوز ، بعوزٍ
لا تحده نهاية .

يا سيد الدَّم الذى يكبر فى المذابح ، والذى
يتعیش على الأحشاء* ، لكِّ مساءات العطب ، ولنا ما
يكفى لأن نزرع فضاءاتنا ، بما تبقى من استعاراتٍ بكر .
فبمثل هذا التماهى مع إهاب رؤية ، لم تنزل شلة البيى تيس ،
تخوض فى مستنفعات حالاتها بدخان البانجو ، ولم يزل العم
عصفور ، فى عامه الستين ، وبموجب تاريخه السابق ، يتقلب فى
فراغ الأوزيما ، بمحض قناعة زائفة ، كانت قد أغمضت عينه عن
القصور الذى اعتراه جراء الحادث . ممَّا جعل الست خوخة ، وفى
اتِّساق مع ذاتها ، تُعلن عليه خُلعا .
إنما التسويغات نفسها المبررة ، لاختراق كتائب البوليميا ،
بمثل هذه السرعة المقيتة ، لمجارى دم الصبى حوتة ، الغير معنٍ
بتغزيته المناسبة ، وكذا استبداد حالة البيدوفيليا بجسد الرئيس زكريَّا
الذى فى المقابل لم يغادر تموقعه فى هذى الخط ، وإعلان تموقعه
عند هذا الحد ، رغم محاولات ابنه المصرة ، وإقدامه على الانتحار
أكثر من مرة .

إننى أستعير ها هنا ، لسان حالكم ، وأتحرَّى بمطلوبية أبتغيها

كقصد ، مذ أسندت جرمى لمكثٍ يُجاور محمصة الحمزاوى ، كل ما من شأنه أن يكون مكمناً لصيد الأحيويات ، والرغائب التى أراها تُضوّء نافرة . وتسترعيني لأن أتأمل فى خلوّ من كل تأطير له جاهزيته المسبقة ، أفاعيل تبتحث عن تلويناتها فى الحكّ ، وتدفع ظهوراتها لكى تعلن عن كنه مغاير لما هو مكتسب شرعيته كقناع بلامألوفية شاذة ، أو استثنائية .

فما الحيلة مثلاً فى مَنْ افتضحت خواتمه عند أمانة سرخس ، رغم ذبوع صيته بعشرين حجة متوالية ، كان يغطه عليها الكثيرين من أبناء منطقته . حيث حبتان بروفين 600 أصابته فى الحال بتشنج ربوى حاد ومفاجىء . وفى ظرف سبعة دقائق بالضبط ، ووسط الصريخ الذى تعالى منها ، وفى تجريس علىّ لا تحسد عليه ، كان المهرولون يضربون كفاً بكف ، وعلى عجل وكما تقتضى الظرفية الواجبه عليهم ، ورغم مصمصه شفاههم ، راحوا ينقلون جثمانه الشبه عار، إلى عناية مستشفى بورفؤاد العام، علّ يكون هناك من سبيل ، أو مهلة تُمنح لإنقاذ حياته .

لكن ابنه الملتحى عزيز ، والشيخ مجاهد صديقه المقرّب ، ما إن اكتشفا لأول مرة فداحة ما سيحنيانه ، وما سينسب إليهما جراء اقتران إسمهما برائحته التى تسممت ، حتى كان عدم حضورهما مراسم دفنه ، والتّخفى عن الناس لبضعة أسابيع متواصلة ، هو الأسلوب الأمثل الذى ألزما نفسيهما به ، بإصرار ، وتمادى عجيبين .

إلا أنه لم يكن خافياً على أحدٍ، تلصّص هذا الأخير ، وتغليسه

كل ليلة ، لأخذ حقنة Phyto vit MM تخثيراً للتزيف الذى اعترى جهازه التناسلى ، لأول مرة ، وبشكل لم يعهده من قبل ، بعيد إعلانه بالخبر .

كان يبيت ليلته أعلاى ، فى شقته التى تسبق شقة طه رضوان معاوذاً بتكرار ملح ، لا إرادة له فيه ، صورة الأستاذ حسين طلبه وهو يجلس طوال ليله ونهاره على كرسيه الخشبي ، مستكيناً ومستسلماً فى الشُرْفَة الحمراء الكائنة فوق بقالة الحمزاوى ، المواجهة له ، على الطرف الآخر من الشارع ، غير مبال ، أو مهتم أو معنى بأى شىء أو أى أحد ، حتى شئون أولاده وزوجته لاشأن له بها . فقط ليتذكر ، مراراً يتذكر ، تلك العشرة أشهر التى قضاهما فى سجن الإبعاد الكويتى ، بعيد أن حرّر له الكفيل بلاغاً كيدياً بتغيبه عن العمل . هذا العمل الذى أُلجأته إليه الظروف ، فور الخسائر الباهظة التى مُني بها عنوة ، وعلى حين غرة فى الاجتياح العراقى المفاجئ .

أيام صار فيها مهياً وبالْحاح ، لمطاردة صورة جاره هذا .
و حين يجد مجالاً للمقارنة بينهما ، لا يوافقهُ الدكتور خلاف على ذلك . إذ يطيل إليه النَّظَر آسفاً ، ومُقسماً ، بحق السَّنوات التى قضياها معاً متجادلين فى أمور عدَّة ، أن ما يتنازع داخله من هواجس قاسية ، لحظة أن تلمحه أعين من يصادفهم مواجهاً ، سيتلاشى تماماً ، وفى أقل من بضعة أشهر فقط ، سيستحيل إلى لا شىء ، وكأنه لم يكن .
إلا أنه يطرق برأسه سارحاً ومخزوناً ، حيث يذكره بالسَّنوات

التي لم يكن فيها يفارقه . ثم يتمتم بمرارة متسائلاً : مَنْ ذا الذي ،
أو بأيِّ حجةٍ يمكن لأحد أن يصدّق عدم معرفته مطلقاً ، أو
اطلاعه على انفلاتات صديقه الماحنة ؟! ومَنْ ذا الذي ، وبأيِّ
حجةٍ سيتقبل أحد منذ الآن خطبه الأسبوعية في جامع النور
القريب ؟!

إن أكثر الأشياء مدعاةً للاستنطاق ، وبامتياز ، يا شيخ مجاهد
هو كمّ الإفراط الذي يجد فعله في دواخلنا حين يطل علينا هاجسٌ
يلحّ . إذ ثمة ها هنا اتّساقٌ ما ، بين الاستغراق في ثقل حالة كهذه
دون تملّص ، وبين دَفْعِ الهاجس إلى سُحقه .
أفكلّما بوغتنا بطريقةٍ كهذه ، ليست في حسابنا ، تضرب
بأذرعها دون هوادة ، قدّرنا مشروعية كُنْهنا بالمساحة التي لا
تطلبها منا ؟!

أني سأتلّبس لسان حالكم لأجوّق : وما نصفع الصّفْع الجميل
إلا بما تبقى لنا من طاقات صَبَوة ، تغالب ارتجاعاتنا التي تنكص ،
وهكذا ديدنا دوايك ، نحن الذين تبدّلنا في الأزمنة ، وافترشنا
البراحات الشّواسع ، كلزوم تسيير قوارب وصل ، ينتخبنا الميناء
ويجبّد ، حين كان لا يحتوينا سوى ثلاثمائة مسكن لاغير .

لكن بالكاد ، وبفعل وراء جسورة ، بدأت الحيوانات التي
أطنبت في المليون والمائتين والثلاثين ألف متر مربع ، تندغم في
مسيرتها . حيث وبإيعاز كل من سيادة صاحب السّعادة صادق
حنين باشا ، ومحمد بك رفعت ، والشيخ إبراهيم عطا الله ، وعلى
لهيطه أفندي ، والمستر باكستر ، وحنين جرجس حنين ، وشريف

صبرى بك ، والدكتور مصطفى خيرت بك ، ومحمد وجيه بك
دُشِّنت الأساسات، وأُجيز للشواغر ، استجلاب ما يُصلصل فى
امتداداتها الخاوية .

وبفعل أجسادٍ صَحَّتْ ، ورغبة خامرها كثيرٌ من وهج ، دُعى
الملك فؤاد الأول فى الحادى والعشرين من ديسمبر ، حيث العام
السادس والعشرون من القرن الفائت ، إلى أحفولة رصينة ،
وكرنفالات تدقُّ مباحجها .

فلمن أبتدىء سيرتى الأولى ، وأطنطن بما تيسر من أحداثات
أبدتهنى مسرّاً ، وازدهت مع القطيرات التى تهايرت ، تضوى
أطيافها على الأسفلت .

هل هو الطّابع العاطفى ، الذى يجعل ما يقرب من نحو السّابعة
والثلاثين ألف نفس ، يقطنون مدينتنا ، فى حالة استقطاب دائم
للممضات العُجلى من الشّجن ؟ أم ما سُمى خطأ بالدّفقات
المتناعة ، هو الذى يدفعهم دفعا إلى التّماهى .

على كل ، فإذا كانت الحيلة الرّئيسية هنا ، فى الالتفاف من
حول الطّبيعة المهيّئة دوماً للأدواء العضال ، هو أن يُستمالوا بقوة
إلى ظرفيّات تكتثر بقادماها . فإنّ تعاوى السّت شكر ، وعلى
مدى أكثر من ثلاثة أسابيع متواصله يوميا ، وبانتظام لكل من
Ronicol Retard الموسّع للأوعيه وخافض الكوليسترول ، و
Effortil المنظم للضغط ، و مرهم Baneocin الخاص بالحكة
التي أصابتها بين فخذيهما ، وشراب Di-Ease المهضم ،
و Buscopan المثبط للعقد العصبية الباراسيمباتوية فى الأحشاء ،

لدليل^٢ على ما يُبرّر اعتقادياً بكونه الصّحوة المفعّلة وجوباً ، من قبل المضغة الهَيّابة في كينونة الرّوح والتي ما إن تستشعر انزياحاتها المتوغّلة في العتم ، ووضعيتها اللصوق بشفير الهاوية ، حتّى تجاهد في استنقاظ نفسها من مغبّة براثن حالتها تلك .

أمّا الاخفاقات التي قد تأتي عفواً ، ثم تطبع طابعها على فضاءات البدن ، والتي إذا ما ناهضها زاغت . فراموزها إذا كنتم لا تستنكفون من أن تتلمّسوا له صورة على سبيل المثال ، لا على سبيل الحصر : الأنسة مروة ، وعلى مخاريطه ، والست وفاء ، وطه رضوان ، وزوبة الفحلة ، والبيى تيس ، والشيخ صالح ، وإلياس اسطافانوس ، والأستاذ رسمى ، وجمال ، وحسين طلبه ، ونظميه مسعد ، ومدام بثينة ، والست رقية ، والحاج عبده سلامة ، والعميد الشرييني ، والست سناء ، والأستاذة أمال ، والحاج مراد وأدهم ، ويوسف البنهاوى ، ومدام سلوى ، ومدام رحاب ، والمسّن عبد الباقي محمد الباهى ، وشوقى ، ومدام عقيلة ، وحسين موسى ، وسندس ، ووفائي حجازى . وشحنة الأمير .

إلا أنه يبقى بعد ذلك ، وبإجراءات ثقة أقولها ، أن لا نكون عاتبين ، إذا ما فاجأتنا تلك التّزوعات التي كثيراً ما تنفجر في أجساد ، يصحّ أن تكون موبوءة ببهظ حملها ، وتنشد لنفسها طاقة لمسرب تنفيس . كما هو الشأن مثلاً لدى الشّاب صبرى ، الذى دفعته بكبير تحد طول المغالبة ، لفيض من رغائب لا يوقفها شيء ، إلى أن ينجح ، تو أن يُصادف مساحات عوز لدى عمته جميلة ، نحو استمالتها ، ليُبدّه بعد ذلك ، باستحالة علاقته بها إلى

علاقة نهمة محققة من جانبها ، تُطالبه بها مراراً باشتياقٍ بالغ ، وكم هائل من شبق ولوعة .

أو كما حدث لعزّ ، الذى هاله جرأة أخيه مؤمن ، حين كان لهما سريراً واحداً ، فى أن يخرج قضيبه الجلط ، فى أحد نوبات نومه ويحكّه فى فحده النَّاعم حكاً مباحثاً ، ثم لا يكتفى بذلك بل ويصل من أسفل جلبابه الصَّيفى ، إلى ما بين إلبتيه ، ويظل يغزّه فيها ، للدرجة التى يضطرّ معها أن يُظهر صحوه المفاجيء ، إيقافاً له عند هذا الحدّ ربما ، أو لاستعصاء تقبُّل كونه مازال نائماً بعد كل ما حدث .

لكن الغريب بعد ذلك ، أنه ومع تكرار أخيه لفعلته تلك ، ومع المتعة التى ابتدأ يحسها لا توصف ، راح يطلب منه وبشكل علنيّ ، أن يولّجه كله بكامله فى غائر إسته دخولاً وخروجاً .
إنها ثانية ، وثالثة ، وإلى ما نستطيع أن نُعدّد ، مُماركات الجسد التى لا تتخاتل ظهار أقنعتة هكذا ، وبكل هذا العنفوان ، إلا بما كرّسناه لها من مسميات ، تأخذ سمتها المتفق عليه بأصح يقين .
وإنها كذلك السُّفول الذى يترع إلى إعلان حضوره فى أقل من إغماضة جفن .

فهاهى السّت كوتر التى واجهت الوحدة وجهاً لوجه ، وتقطعت السُّبل بينها وبين أولادها ، الذين انفضوا جميعاً من حولها .

حيث إلى كندا هاجر تيسير أكبرهم ، وإلى الإمارات أخذ رامز بنتها نظلة ليستقرّ هناك فى دعة ، حتّى هادى الوحيد الذى

بقى لها ، لم يتورّع في أن يشطح فاراً منها إلى الاسماعيلية ،
ليقطن هناك بجانب عمله .

أقول هاهي ، ورغم كبر سنّها ، ووقارها المشهود لها به من
الجميع ، والذي كان يوقف أى شخص عند حدوده ، لم تترث
لحظة ، ولم تأخذ أبداً زمام المبادرة برباطة جأش ، حيث ما إن
راودها عبد الله ابن خليل البوّاب عن نفسها، حين لم تجد غضاضة
في أن تدخله بأريجيه وسهولة متبسّطة ليصلح لها سكينه السيّفون
حتى استسلمت له مستكينّة تماماً ، ومبهورة الأنفاس ، بهول
أفعاله ذات الفحولة الجيّاشة بالنهم .

أقول : على العموم ، ثمّة ما يكفى إذن لأن نفطن ، وبما
يستحق من العناء ، للشعلة التي تُضوّىء ، ثم تخبو .

وإزاء فيض من الأمزجة ، التي قد تغدو في جوشانها كنذير
قبض ، أُعوّل على المخيال أحيانا في استتباب صحة ، أو في
احتضان لحظة ربما تبقى عالقة في الحلق ، باكتناز فرح .

وعليه ، وحسبما أخال ، ومع الاحتفاء بالشىء الذى يتعذّر
تسميته ها هنا ، بوسع كل بدن أن يُلقن افراطه ، بضع دروس في
اقتصاد الحرك الرّحيم . وأن ينادم حين يأتيه حين من مطارحات
عافية تزهو ، أو تُخاتل ، أسماءه التي يعرج بها إلى ما بعد تخوم
العدم .

إنّه الارتحان إلى عدسة لى تكون ملاصقةً تقريباً ، لما تودّون أن
يتخذ سبيله من محرقٍ مكامن لكم ، لها سمتكم .

وهذا أشرع عادة في التّفوال .

وأُعدّد كلها محفزات منع ، محفزات تمكين :
، Neurobion ، Silymarin ، Siradalud ، proctor-4
EssenTianle Forte ، Lexotanil ، Inderal ، Suprovit
Doxy Mycin ، Colon ، Dicynone ، Famotak ، Trivarol
، إلخ ، إلخ ، Alphintern ، Alphakadol .

* * * * *

*

{13}

قالت لى أمى : " بهاء أحواله غريبة الأيام دى ، مش كان متفق
معانا إنه حبيب والدته وييجوا ! ليه بقى بيقولك بلاش اتهارده ؟! " .

*

وراحت تحكي لها عن كيف تشك ، من بعض كلمات
خرجت منه عفواً ، فى أنه قد علم بالعلاقة التى كانت بينها
وبين ابن خالتها عصام ، وأخذت ترجّح بأنه ربّما يكون من
صديق له ، أو ربّما من أحد الجيران ، ثم أجزمت على أنه
مؤكد من بنت عمته نوسة التى تعرف ابتسام القاطنة فى نفس
عمارة خالتها .

ثم كيف حين أخبرته بأنهما يجب أن يتركا الشقة فوراً لأن
الساعة أصبحت العاشرة ، وسوف يقلقون عليها فى البيت ،
فاجأها ، وبدون أى تمهيد بمسك خصرها ، وشدها بقسوة
ناحيته بشكل أفرعها ، وكيف بدا لها لأوّل وهلة وكأنه يريد أن
يفتك بها ، حيث أدخلها بين فخذيه ، وبقدميه راح يحوّل ساقها

فى إصرار ، ويمسك يديها ، ويضغط عليها بقبضتيه القويتين ، وهى تنظر فى عينيه ولا تجد إلا جهامة لا تعرف منهما ما يريده بالضبط .

وكيف عندما وجدها لا تُعافر معه ، ولا تنبس بكلمة ، ونظراتها زائغة ومصوبة نحوه ، ترك يدها التى كان قابضاً عليها ، وراح يَفكُّ أزرار فستانها العلوى ، ثم يطرح ياقته الواسعة وصدره إلى الخلف وفي دفعة واحدة يسحبه إلى أسفل . وكيف لم تجد بداً حينها إلا أن تتراجع إلى الوراء ، وفى عجله تروح ترفع الفستان ، وتتجه للارتقاء على الكنبه الكبيرة المقابلة ، وتبدأ فى ترزير أزراره ، وهو يصن للحظات ويمسح بعض قطرات العرق عن جبهته ، مبتعداً بعينه عنها ، حتى لا تلاحقه نظراتها ، محاولاً السَّيطرة على أى انفعال قد تفضحه عروق وجهه الزرقاء النافرة التى تكاد تنفجر من اكتظاظها . وكيف بصعوبة وقف متمالكاً نفسه ، ثم رمقها بنظرة خاطفة قبل أن يخرج باتجاه باب الشقة .

ثم كيف بعد يومين أتاها تليفونه من أحد المحلات ، يقول لها أنها نجحت فى الاختبار؛ لتتأكد لها جميع الهواجس التى كانت تدور فى ذهنها.

وأيضاً كيف أن أمها لاتعرف شيئاً عن كل هذا ، وأنها لاتجرؤ على مفاتحتها بذلك حتى لا تخبر والدها ، فيمنعها من النزول معه فى يومهما الأسبوعى ، خوفاً من ذهابهما بالطبع إلى شقتهم التى قريباً قد أنتهى توضييبها ، ويكرر ماحدث .

وعندما تهم رشا بالاستفسار منها عن موعد دخلتها ، وهل حدّدوا الموعد أم لا ؟ يدخل ابن اختها كارم عليهما ، دافعاً الباب الموارب إلى نهايته ، ثم يعطى خالته مشط شعرها الأزرق ، ويجرى سريعاً خارجاً من الحجرة قبل أن تتمكن ريم من أن تأخذه في حضنها .

وهنا تنهض ريم من فوق السرير التي كانت تجلس على حافته ، وهي تنتظر لساعتها ، مُتفاجئة من كونها قد بلغت الحادية عشر .

تلتقط شنطتها السوداء من فوق التسيريحة المجاورة ، ثم تردّ على رشا ، فيما هي تفتحها وتتنظر في مرآتها الصغيرة تطمئنّ على مكياجها الخفيف ، بأن يوم دخلتها " لسه عليه كثير " .

تطلب منها رشا أن تنتظر قليلاً ، ريثما يأتي أخوها طه وتسلّله بنفسها عن قانونية أحد بنود عقد الشقة التي حدّثتها عنه ، فترجوها أن تستفسر هي منه ، إلى أن تراها غداً . أو تتصل بها . لأن الساعة أصبحت الحادية عشر ، وأنها عمرها ما تأخرت لهذه الساعة ، وهي بمفردها . ولولا أنّ البيت بجانب البيت ، وأن أمها تعلم بمكانها ما كانت استطاعت التأخير حتى الآن .

تودعها رشا ، وتتقدمها خارجة من الحجرة نحو الصّالة ، فيما هي تخطو خلفها .

*

قالت : لِإِيَّاي يَغِذُّ السَّيْرَ امرأتان غضتان
 لاضير من كون رُكْمٍ وريقاتي قد اتَّخَذَ من
 قبلهما سقيفةً لهطل بدأ يعلو (1) كم بتُّ
 اتَّحَسَّبُ لتيك الطُّغمة من الزَّناير الَّتِي لم
 تعد لَتَدَع طائري الخضيراء يَكُنَّ ولو قليلاً من
 غير لسع (2) تُرى أَوْ بالإمكان الآن لخاتون
 الشَّقَّة 8 المواجهة لأسماءك البرج أن
 تهناً هكذا بهجعتها مُطمئنة أن ثمة جَرَس
 سوف يمارس حالاً كائنيته معلناً عودة
 والدتها سالمة من سفر دام يومين على
 الرِّغم من علمها التَّام أن صديقتها نوسة
 فى الشَّقَّة المجاورة لم تزل تستملح
 انزلاقها المبالغ فيه داخل تدويمات استلاب
 إيروتيكية بها كثيرٌ من بكاره لمجرد مرآه
 هناك قادمًا بلا تقدير لأى عاقبة (3) بلى
 لن أوعز لك يا عُصيفر مهما كان ارتجاعك
 لى صاغراً بهذا الذى يكفى لجعلك قادراً
 على أن تعود ثانيةً لتلجأ إلى حِرْزِكَ
 بتعريشة العمِّ لوقا جزاء ماظلت طوال
 السَّاعات الفائتة عاكفاً على قرض غضار
 لُبى بأكثر مما ينبغى من نهمٍ لُمْتُكَ أنا فيه

(4) ثم وإزاء ماتبدَّى من كثير هطل ، راح
يطفو غير عابىء أو مكترث ببضّ ركبتها
الَّذى تسلَّخ إثر خطوطٍ منها غير صائبةٍ ، لم
يكن لنا نحن المنتصبين على مدخل عمارة
حرّك المواجهة ، إلّا أن نقول : لماذا صار
مألوفاً لنا أيُّها الملازمون لمقاعد مقهى
وادی النّيل ، أن نراكم هكذا مُصرّين على
تصويب ذخيرة أعينكم الحيّة نحو ماتكشّف
من سيقان نسوة بورفؤاد الغاديات ،
عالمين بما تطلّقه نظراتكم فى أجسادهنّ
من غُلمة ، يستعصى ربّها على كثيرات .
هل تعلمون أنّ حبوب الترانكيلان الّتى
تناولها توّاً صويحبكم البيبى تيس ، سوف
تجعله غير قادر على مخاطبة - من خلال
أخراى بالطّبع - سكرتيرة كيدزلاند فى
العاشرة والنّصف بالضّبط بناء على وعدهم
له أوّل أمس ؟ انظروا : هاهم قبيل مروق
السّاق اليمنى لذى الأيوفوريا من مدخل
كافتيريا الطّيران ، انطلق ثلاثتهم فى
واقعة اليوم الفائت عازمين كما سمعنا ،
على التّوجّه إلى نقطة شرطة بورفؤاد
والادّعاء عليه زوراً ، بأنه يقبض من عم

حسن عامل المقهى ، جراء تركه تسريب
قطع الحشيش إلى زبائنهما . بل وتنبيهه
قبل كل حملة ، تماما مثل ما حدث ، وتمَّ
ضبطه أخيراً فى مقهى مرزوق بشارع
الأمين . وكل ذلك لتكون لفعلته معهم
عشيّة أمس ، حداً لا يعود بعدها أبداً
لممارساته المجالومانيّة ، حتّى إذا ما
أوقفهم خوجة مدرسة الرّاعى الصّالح
إبراهيم المصرى على ناصية عمارة ورثة
الأقطش ، بمحاذاة الكاتدرائية فى محاولة
مستميتة منه لتنجيتهم عمّا بيّتوا عليه
العزم ، مذكرهم بالقلب الطّيب للصول
درويش ، وعم حسن الذى لا ذنب له ،
أشاحوا عنه ، ثم استقلّوا أوّل حافلة كانت
تمرّ ، تاركينه يُناجى شياطين مخيلته الّتى
أخذت تتخايل أمامه ، فيما هو يقترب ببطء ،
من واجهة إحدانا المطوّقة : " أه لو وصل
المارشال حروشى فى الوقت المناسب "
مُدخلاً كارت الميناتل من قُبْلِها ، ومجادلاً
خدنه الدّيماجوجى بجريدة صوت بورسعيد
فى هذا الّذى أطلق عليه دون بن بشاى
استراتيجية الدرع الجارف ، ثم مسائله عن

قضية محمد ياسين .

*

{15}

نكروفورس ، أو لحاد الطيور . تنشط هذه الخنافس
فى الظلام ، حين تجتذبها رائحة الموت التى يحملها
هواء الليل لمسافات بعيدة ، فإذا عثرت بجثة الطائر
الميت ، قامت بفحصها ، ثم مرّت بأقدامها فوقها . وحينما
تعرف ماتريده عن الجثة ، فإنّها تدخل جسمها المقعر
قليلاً تحتها ، ثم تجرّها ، وتظل أرجلها الست تدفع الجثة
بقوة يصعب تصديقها بالنسبة لحجمها ، حتّى تبلغ مكاناً
رملياً سهل حفره لدفن الجثة فيه .

*

يتململ حمدى فى جلسته على السرير ، و يقلب
الصفحة ، نازلاً برأسه حتّى يلامس الوسادة ، ثم يأخذ
فى قراءة خبر البقرة الحمراء التى ظهرت فى كفر
حسيديم ، وفى زيلها وجِد ، شعرتان لونهما أبيض ،
لكنّه لا يكملها إلى الآخر ، ويظلّ يقلب الصفحات ، ثم ما
يكاد يصل إلى الصفحة الثمانين من مجلّة روزاليوسف ،
ويقرأ مقولة روسبروك : " عندما يرتقى الكائن بازلاً مافى
وسعه ، دون أن يصل إلى مُبتغاه ، يولد السقام الفكرى " ،
يُنَادى على أخته شيماء ، الجالسة قريباً من حجرة

السُّفْرَة ، المجاورة ، ويطلب منها أن تغلق النُّور . وما إن
تفعل ذلك حتَّى يطوى المجلَّة ، ويستدير على جانبه
الأيسر الَّذي لا تألمه فيه كليته ، مُستسلماً لبشائر غفوة
تهبُّ عليه ، حيث يروح يستعيد مراراً وجه جارتِه هدهد
التي تُخايله بشجنها العذب .

*

سر آطل حُرّت رِعَا (ب))

الخميس 12 أكتوبر 2000م 14 رجب 1421هـ

كان هذا ما حدث . واستيقظت الأرض تنفّص عن
نفسها أنهار راجفة من العُتَّة *.

{1} {ألهذا تأتي الآلهة مَربِرة }

" ياإلهى ، إننى أضع نفسى بين يديك " . قلتُ : لمن تُطلقين
كلَّ هاتيك الزَّفرات ، وأنتِ تبدئين صباحاً جديداً ؟!
بالأمس كانت الذكرى تتلقاكِ بيدٍ حانية ؛ فلم تستوجبْ
منكِ كلَّ هذا الشَّجن . أمّا اليوم فتبدين وقد فاضتِ عيناكِ بهذا
الحزن الذى ربّما يكون فى ملاحظته من قِبلِ زوجكِ عبد الملك ،
آن يقوم مُسرِعاً كعادته وهو نصف نائم دالفاً إلى الحمّام ، مدعاةً
لأن تُخامرهُ مرّةً أخرى، شكوكٌ قديمة باتَ من المستحسن
إبعادها.

نانا أيتها الأنثى الشَّجيّة ، لست أنتِ بالطَّبع ، تيك التى لقبها

جيمس جيلبي في ليلة فائتة بالثَّاعمة اللذيذة ، ثم عكف على التَّغزُّل في جيدها ، لكن أنتِ يقيناً ذاك الطيف الذي حوِّم طويلاً في فضاء غرفته ، ممَّا جعله يُنحِّي وريقات نصّه جانباً ، مُستجيباً لتخميناتٍ باتت له مؤكَّدة : من أأنتِ تلك المُشاكسة التي اتَّصلت به ثلاث مرَّات متتابة ، دون أن تتبعي ذلك بردّ .

نانا لماذا هذه الأصبوحة بالذَّات تأخذكِ الذكري نحو غيطان بلدة المَهْجَر ؟! أو ستبدئين من هناك مسيرة أخرى باتّجاه أحلام لم تكتمل ؟

نانا مالكِ تضغطين بكلّ هذه القسوة على تَرْفُوةٍ ولدك، وأنتِ تلبسينه مَربِلته التي تشبَّعت بأتربة هوهِ أمس . كم أتمنّى لو تُفاجئكِ هذه اللحظة القدّيسة **لوتشيا** بجناحيها الأبيضين ، ليكون في غشيانها البطيء لعينيكِ مُفَتِّحاً لكشف يالطالما عذبك احتجابه .

نانا يجب أن تقرّري بأن قراءتكِ عشية البارحة ، في ذاك الكُتَيْب الذي أعطتكِ إيَّاه ابنة عمِّكِ نوسة ، قد أدخلكِ في متاهةٍ من ظنونٍ حتماً كان من السَّهل أن تجعل من مجرَّد استِشعاركِ لثَمّة علاقة حب حقيقيّة ، وحميمة تجمع بينهما أمراً مؤكّداً . فما بالكِ وأنتِ قد تشمَّمتِ بين صفحاته عطره المفضَّل ، وكذا تسويداته التي يُحبِّذها ، والتي كلها تفصح كتابياً ، أنّه ليس بالفعل وكما تقول لكِ مصمِّم على الزَّواج منها ، بل هو يبادلها حبّاً حجب .

قلتُ : كنتُ حينئذ قد وصلتُ إلى الدَّقّة قبيل الأخيرة من دَقَّاتي الثمانية . فيما هي لم يُعدّ يبين في هزّات رأسها ، ذاك الوهن الذي هيأ لي -إبان وقوفها في مُواجهة جرّمه الصَّغير- وكان

الرُّقعة الممتدة بين تجويفي منخريها ، ومسحوب حاجبها الأيمن المعقوص في قُهدل ، قد أُنخت بسائل له ثقل ، ما لبث أن أكسب ملامحها نوعاً من غلظة محسوسة . وفيما تلا كان بمقدور أيّ راء لها أن يُعدّد المناقب الرَّائفة التي اكتسبتها مذ هذه اللحظة ، نظرات عينيها ، وكلّما حاولت هي أن تمنحها آليتها المعتادة في تعايش مُتأقلم مع تفصيلات يومها ، ازدادت إغلا في فضح ما اعترى جهازها البدني من تمفصل بين مُحفزات حركاتها ، وما يكمن خلفه من دلالة .

على كل . كانت إجادتها الثّامة في صبغ جميع حركات بدنها بما هو مألوف منها كل صباح ، لجدير بأن يدع عبد الملك سادراً فيما عقد عليه العزم اليوم من شراء دشّ ديجتال ، ومحمول أريكسون ذا البريد الألكتروني آخر صيحة ، غير مدرك لحجم الهوة الشاسعة التي باتت تُرسّخ لما يمكن أن يكون فيه نهاية أسرته . ومثل أيّ زوجة محبة راحت تُذكر نفسها ، بأنّه يتعيّن عليها أن لا تنسى إعداد سندوتشين من البيض المسلوق ، وربّما آخر من الفول المدّمس الذي لا يعرف زوجها بديلاً له مع شاي الصّباح ، علّه سرعان ما يتمكن أثناء مشوارها اليومي لتوصيل ولدها عمرو إلى حضانتة القرية ، من قضم عدّة لقيمات منه وهو مازال طازجا ، قبل أن يقفز هابطاً إلى عربته الهوندا متّجهاً إلى محطة التلفزيون .

ومن موقعي هنا ، أسفل شُرّاع الشُّرفة المفتوحة ، كان بوسع أيّ عين ، أن تتلمّس معي بلا مخزون من خبرة أو مهارة ، كمّ

تستحقّين
ليلاً
مخياشيم
رفرافة
عبر
نهر
بط
الذكريات
.
أحراش
نُخيلات
من
العصور
السّحيقة
وحصى
صخرة
سوداء
مبتلّة *

التّباين الذى يتمظهر جليّاً بين ايقاع أجساد
أفراد الأسرة - كل على حدة - وهى
منخرطة فى فعلها لا تبغى شيئاً سوى شحن
آليّاتها صوبَ ما ترومه . رغم أن هذا لا
ينفى فى المقابل ما ينبغى علينا تحديداً أن
نظره جانباً من سمات حركة مألوفة ،
هى فى الأساس اكتسبت ماهيّة وقعها ذاك
من أمزجة وصفات لهم ، لم يكن هناك بدّ
مع مرور الزّمن إلا أن تنطبع بطابع
كينونتها المائز .

أعنى بقليل من التّبسيط ثرى ماذا كان
عليه مزاجهم التّفسى بالضبط ، أو بالأحرى
تحت أىّ وطأة أو درجة من دَفق مُخيّلة -
تلك التى تخلق مجالها الحسّى كما هو معلوم
- كانت الأستاذة عايذة تتلقى لحظتها
الرّاهنة هذه ، فى استشعار لما يمكن وصفه
بزخم عالمها الآنى ، توّ أنّ التفتت برأسها
صوبَ مدخل عمارتنا، فى حالة احتواء
وإحاطة بالسّاعد والمعصم والأكتاف لجِرم
جارتما الباذخ إيمان ؟

أى هل كانت تتفق فى حالتها المزاجيّة
تلك مع مدام عقيلة ، التى راحت فى نفس

الوقت ، ومن على الرّصيف المقابل تشرع في فتح باب عربتها ،
منتظرة نزول ابنتها دينا ؛ كيما تبدأ في تشغيلها والسّير ؟
أكاد أجزم أن العم لوقا ، لولا أنه معتاد يومياً على سقاية
أصص صباره المثبتة أعلى أفريز الشّرفة ، بهذا الشّكل الآلى الذى
ترونه أمامكم ، والذى يتلخّص في عدّة حركات منتظمة تنتهى
بجلوسه صامتا على أريكته التى صنعها من خشب الموجنة اللامع
في مؤخّرة الشّرفة ، وإعادة عقد كوفيّته السوداء بحرص بالغ
وإدخالها أسفل روبه الصّوف ، لما استشعرنا نحن بكل تأكيد مدى
ما اعتراه من أحاسيس متضاربة ، ومفارقة عمّا كان عليه في
أصباحاته السّابقة، وذلك لمجرّد فقط مرآه لوجهها الصّباح ، وما
حرّكه هذا داخله من ذكرياتٍ دفيئة استدعت أطيافاً لها عنده أثرٌ
لا يُمحى .

إذ هبّ أنه لم يشرب هكذا في وقفته ، ثمّ لم يُطل كثيراً في
نظراته الشّاردة إليها ، فمتبعاً ذلك عكس ما كان متوقّعا ، بتنحية
دلو سقايته جانبا ، ثمّ اتّجّاهه للرّكن الآخر من الشّرفة ، حيث
يكون تتبّعها لها مستطاعا وهى تسير ، بمحاذاة كافيتريا الطيران ،
فحانوت الوفاء للمفروشات والملابس القطنيّة عبر خرداوات جيد
ابراهيم ، فصعودها رصيف مطعم فول النّيل ، لتختفى بهدوء في
التّقاطع . أقول لو لم يحدث هذا ، أكان هو قد لاحظ ذينك
المُخبرين اللذين كانا في مراقبتهما لعزیزه طاهر وضوحاً لا لبس
فيه ؟

انتظروا : ثمة الكثير من البشر ، يقفون هاهم على ناصية هدايا

بروكلين . أو يكون المتر وهيب مازال مُصمماً على أن لا يترك مسافةً تُمكن عربة السَّعيد منصور من الطُّلوع ، دون أن يضطر في كلِّ مرَّةٍ لإرسال ابنه حازم ، كي يوقظه ليهبط معه ، أو يسلمه المفتاح ليزيحها خلفاً ؟!

إنَّ وضعي من هنا لا يمكنني من رؤية ما يلوح لكم أيُّها السَّادرون في تصييتكم . فهلاًَّ أخبرتموني بما يترأى أمام ناظريكُم دونما إبطاء . يبدو أن عَرَكتهما هذه الأصبوحة ستفوق جميع عَرَكاتهما السَّابقة . إذ هاهو ذا يأتينا صُراخ امرأته سناء من الشُّرفة عالياً بحدَّة ، في واقعة لها غير مسبوقة .

لا . بل أقول لكم : فلتهنؤا أنتم بإطالاتكم تلك . ولتدعوني أتخذ من هذه الهدأة التي باتت تسكن فراغَ غُرف الشُّقة مذ ذهبوا فسحةً ، ربَّما تمنحني ألفتها ، التَّوافق بشكل ما مع رتابة وَقَع دَقَاتِي ، التي صار يورقني توأصلها المستمرُّ . لاحظوا: لا أقول مثلاً نُقُولُ أمامي أنها علامة مؤكدة على مدى شغفي الذي أنزع إليه للتكريس لما هو كائن .

لكن لماذا تجتاحني بلا مدعاةٍ لذلك في تصوُّري ، كل هذه الغلالة من الدُّخْنِ الرَّاثِقِ الشُّفافِ الذي أحسب أنه بمقدوري وصفها ، بما يشبه وطأة هيار يساقط من أعلي .

هل إذا قلت أنها لم تكن لتتجلَّى لي إلا كضجَّةٍ كتوم ، ليس لها من أثر سوى سكونٍ يتفجَّر راقداً على كلِّ ما ينبتُ أمامي ، أكون قدَّ وصفت ما لا يمكن وصفه بما لا يُستطاع تصوُّر تجسّداته ؟ أم أكون قد تجاوزتُ مبالغاً فيما لست أستشعره هكذا

بالضبط ؟

لا بأس . لهنية خيّل إلى أن ما فاعت رائحته بهذا الشكل الغير ملوث بفوّهات روائح أخرى ، هو ما تبقى من جرّاء تسيلها فور الاستيقاظ لشطّافة غسالتها الهاف أوتوماتيك ، غير أنني لما ركزت مترصداً ، وفي غيبة من عبّق برفاها المعتاد ، تأكد لدى صدق رؤيتي لها ليلة أمس ، وهي تترع عضوه في لحظته الأخيرة من حشوتها بنفور مشمئز قاس وغير مبرر ، ليساقط بعدها جُماع نزوه بالكامل على ملاءة السرير الصّفراء ، بلا انسراب أو إيلاج ولو لنقطة واحدة داخل أغشيتها الرطبة .

هى إذن رائحة منيه المتكتّل التي راحت تملأ جوّ الحجرة بجرافة لا تُزايلا . لكن أو لم يكن من المستحبّ ، بل من الضّرورى رفع هذه الملاءة بأى شكل من الأشكال من فوق الفراش ، وتخزينها داخل غسالتهم الإيديال القديمة التي صارت مُخصّصة لذلك ، حتى إذا ما تصادف دخول أى من طفليها الحجرة ، أو أى زائر من العائلة - خاصّة الأم التي عادة ما تأتى في الإصباح - لا تكون هذه الرقعة برائحتها المميّزة في مرمى أعينهم ؟!

ثمّة الكثير من الأشياء التي دائماً ما تغفلين عنها أيّتها الزّوجة البائسة .

وحدّهن مثلك الزّوجات المنكودات ، هنّ اللواتي يمكنهنّ فقط إخبارنا ، بما عساهنّ أن يشعرن به ساعة إصرار أزواجهنّ على مواقفهنّ غضباً ، وهنّ لم يزلن بعد مستغرقات في سُباهنّ يستجلبن بصيصاً من أحلام تائهة . قانعات ربّما بأن استلقاءهنّ

على جنوبهنّ ، وإِتخاذهنّ من تقويس أفخاذهنّ المشدودة إلى البطون ، سياجا لما بين الإليتين ، لهُو السَّيْلُ الوحيد الذى سيجعلهنّ بمنأى عن أىّ استباحة قد تطاهنّ .

إلاَّ أنهنّ فى المقابل يتناسين غالباً عن قصد ، كون وضعهنّ الذى تبدو فيه مؤخَّرهنّ محض كتلة لحمية متماسكة على شكل قمع ، ليهيئ حتماً ، ولا مندوحة من هذا الذى تعلمه القحبات جيداً ، مساحة هائلة لمخايلات إيروتيكية شبة ، رغم أنّها تستلزم مجهوداً مضاعفاً من ذكّرة أىّ رجل ، كى يمكنه تجنّب افتراءها ولو لبعض الوقت ، إلاَّ أنه فى التّهاية ليس من فضّها بدّ .

قبلئذ لم يكن تلقّيها لفعيلاته الغير محسوبة هذه ، والتى كان يعدّها كلّما أبدت منها انزعاجاً من قبيل التّغيير المحبّب ، بمثل هذا الإشمئزاز والثّفور ، فماذا حدث بين يوم وليلة حتّى يلوح ردّ فعلها ، وكأنّها ليس فقط لا تُطيقه ، بل وتكن له أبشع مشاعر البُغض ؟! أوّبات ليلته تُخامرهِ من الهواجس ما نكأت لديه العديد من مسالك الشكّ والرّيبة؟! أم لم تتمثل له فعلتها على هذا النحو ؟!

أجل . لقد انغلق باب الشّرفة تماماً .

ربّما بتأثير دفعة هوائيّة من إصباح غائم ، هاهى ذى سُحبهِ تبدأ فى التّراكم . سأوعز لشرافش ستائر الحجره بعد أن استراحَت من هزهزة مستمرّة ، أن تستنيم معى لما أصبح فى تجلّيه وطأة رازحة . ثم لن تنسيني أبداً شُجيرة دقن الباشا، التى مازلت أعكف على عدّ وريقاتها بلا جدوى-إذ فى كل مرّة يتكرّر خطئى

فأبدأ من جديد- أن أسترجع جميع مشاهداتي لأنثنتنا الشَّحيَّة
من توَّ أن رأيتها ، ليلة البارحة تعود من بيت الحاجة وداد ، على
أستنطق من ملامح وجهها ، وما تأتيه من حركات ، وتلفظ ، ما
يكون لى مُحفزا لممارسة الأعيى الجهنميَّة فى التنبؤ بما سيسفر
عنه ماهو قادم من أيَّام . ليس فقط من حيث علاقتها بزوجه ،
وإنَّما وهذا هو الأهم ، من حيث ما قد يستحيل إليه ركم دَفقها
الحسِّي فى فيضه الدائم من عمق كوامنها ، وصولا إلى هيئاته التى
تتمظهر فى حركات جسدها بالكامل .
أنصتوا الحيطة .

إيه ، ما هذا ؟

أوَ هى سرينة عربة إسعاف تحطُّ أسفل عمارتنا ؟!
ومن يا ترى سيكون مقصودها هذه المرَّة ؟ !
أهو الصَّغير تامر المصاب بالرَّبو الشَّعْبى ؟ أم الحاج غريب ذو
الجلطة على المخ ؟ أم الشَّيخة نوال وغيوبة سكر ؟ أم شحاتة
جرجس ؟

آه .

مال أحزان ناسنا ترتع هكذا صائلةً بأكثر ممَّا يمكن تحمُّله ؟!
لا عليكم ، فمثلما ينفلج كل إصباح عن كوائن تستقبل شجوى
حضورها ، ترتحل كوائن أخرى فى صمت الغياب !
وكل يمضى !
ولا شىء يُنصت له سوى ببعض إصغاء .

*

واستمرَّ يقرأ عن كيف كان قبل
 الهجرة يملك فقط محل أحذية فى أول
 التُّجارى ، ثمَّ كيف كَبَّره بأن اشترى
 المحلَّ الذى على يمينه ، توَّ أن بزغ
 نجمه مع بداية سنوات الانفتاح
 والمنطقة الحرَّة . ثمَّ كيف استفاد من
 حصَّته فى البطاقة الاستيرادية ،
 وابتياعه لحصص بعض التُّجار زملائه ،
 لبدأ فى إغراق السُّوق بصفقات
 استيرادية كبيرة ، راح يتعيش عليها
 الشَّباب الَّذى يفرش أرصفة التُّجارى
 والحميدى ، وشارع الشَّرقية ، ولتكون
 هذه هى البداية الحقيقية للتَّضخُّم
 الَّذى أصاب ثروته . ثم توفيقه الذى كان
 لا يحلم به فى صفقة لبيا الشَّهيره ،
 والَّتى توجَّته كأحد حيتان بورسعيد
 الكبيرة ، وجعلته يُبرم العديد من عقود
 التَّوكيلات مع بعض الشَّركات اليابانية
 والصَّينية ، وما تلى ذلك من شرائه
 لكثير من الأراضى والعقارات فى حومة
 سنوات لم يعرف لها مثل .

وبعد أن انتهى ، نظر إلى الحديدى
وقال : " الولد ده مؤدّب " . فوافقه
الحديدى بإمالة من رأسه ، وسأله
: " تأمر بحاجه ياشاهين بيه ؟ " .

- : " افكر نتصل بيه بكره " . ثم
مستدركاً : " عرفت حيدفعلهم الطلعة دى
كام ؟ " .

- : " مين ؟! " .

- : " اصحى يا حديدى . مش الأيام
دى ! " ، : " حبيبى اللود " .

متذكراً : " آه ياشاهين بيه . فى بيقول
٣٠ ، وفى بيقول ٤٠ " .

يرفع ذراعه من خلف مكتبه ،
ويشير بسبابته بقوة : " حاول تنشر ،
وتعرف الجميع إن الحاج شاهين الغامرى ،
الصوت عنده بخمسين جنيه " .

*

{3}

مضى كل شيء بسرعة ، وكرت الأيام دون أن تتحقق
نبوءة أمك ، ولو لحفظ ماء الوجه .
من بعيد يبدو خطوك مُفعماً بحماسة لاتدل على ما أنت فيه

من خيبة. ولو كنتِ قادرة على رؤية مايتبدى فى ملامح وجهك من رجفٍ مرتعش بين الحاجبين ، وانتفاخات كم تذكرنى بسنى أمك الأخيرة ، لأفزحك ماتمخضَ عنه الزَّمن .

إنَّ مرآكٍ عن قرب فى بواكير إصباحك اليومى ، يُدمى القلب حزناً ويطيل علىَّ شجو الهواجس . ماذا بمستطاعى فعله لكِ ياسندس ، كيلا تتصارخنى فعلتى تلك القديمة الرِّعناء .

ثم راحت وهى تشرع فى إدلاءِ سِلَنتهم الخوص ، من الدور الرابع بهدوء ليس بمعتاد منها ، لتأكدها من أنها لم تتجاوز بعد رصيف بنك القاهرة ، تتادى بالراح على بنتها ندى ، لتأتى لها بشنطة خالتها السوداء ذات الواجهة المعدنية المستطيلة ، لتضعها مكان ما اشتترته لهم من فطور . إلا أنها لمّا لم تجد منها استجابة، جذبت الحبل قليلاً ثم قامت بعقده بأكرة شيش الشرفة، حيث اتجهت لحجرة أختها المُطلة على الشِّباك الصَّغير الجانبى . وأحضرت الشَّنطة من فوق السَّرير ، مُجيلة بصرها على عجل بين أركان الشقة ، فى بحثٍ عن بنتها ندى .

كانت ندى قد دخلت الحمَّام دون أن تلقى بالاً للعتمة التّى سبَّها انقطاع الكهرباء ، ودون أن تستمرّ حتى فى مُتابعة إناء اللين الذى بدأ يغلى ، لتغلق عليه النار كما نبَّهتها لذلك أمّها . على أمل أن تخرج سريعاً .

وعندما خرجت ، ووجدت اللين قد طَفَّ وسال الكثير منه على واجهة البوتجاز ، وعينه النحاسية فأطفأها ، أخذت بوجل تزيل كل أثرٍ له . حتى إذا ما أقبلت عليها أمّها ، لم تلاحظ شيئاً

سوى أنها قد بدأت على عكس ما هو مُتَوَقَّع منها فى إعداد طبق
من البيض المقلّى ، وبوادر من وجومٍ تنسحب على ملامحها .

*

{4}

فى الصَّباح الباكر يستوقفك مشهد
غريب جداً ، كل طالبة تذهب مدرستها
وراءها شاب ،

وبرغم خطورة معاكسات المدارس
وتحذيرنا الشَّدِيد منه ، إلَّا أنَّ ذلك لم
يشفع أبداً لدى مسئولى الأمن التواجد
فى الصَّباح الباكر . فهناك مجموعة من
الشَّباب يأتى بالدَّرَاجات البخاريَّة
ويُحدث ضجيجاً مزعجاً ، ويترك عادم
يُؤذى الجميع ، ويسير شمالاً ويميناً من
أجل أن يلفت نظر حبيبته إليه .

وهناك شباب يأخذون فى السَّير
بسيَّارات الأجرة والميكروباصات ويقومون
بحركات خطيرة جداً على الفتيات
والطالبات والمارة فى الشَّوارع بأسلوب
لايرضى أحداً . " أسرار بورسعيد "
كانت هناك وسجَّلت تلك اللحظات

واستمعت لأراء الجميع .
فى البداية تحدّثت سميرة مصطفى
مدرسة وقالت : إنها مهزلة بكل
المقاييس . أكثر من ٣٠ سيّارة أمامك
وهات يافرامل وهزار وكلاكسات ،
والسّاعة الآن لم تتجاوز السّابعة
والنّصف صباحاً !!! فین أولياء أمور
الشّباب دول أنا أناشد مدير الأمن أن
يرسل رجال البحث الجنائى والمرور إلى
هذه المنطقة .

وقالت الطّالبة رشا السّيد مصطفى
بالصفّ الثّانى : أنا كل يوم أتعرّض
لكلمات وألفاظ تخدش حياء أىّ إنسان
وليس بنت فقط . الكلام قذر وسافل .
أقسم بالله إننى لدى إحدى الصّدقات ،
فوجئت ببعض الشّباب يسّيرون
نحوها وأحدهم أمسك بها من
صدرها . وتحدّث الحاج السّيد عبده
السّعيد على المعاش ، وقال : أقيم
أمام مدرسة بنات ، وكل يوم فى الصّباح
أقف على البلکونة ، وأشاهد قلة أدب
من الطّلبة والطالبات معاً !!

وأخيراً كان لابد أن نستمع إلى كلام
أحد الشباب ، قال محمد : صدقوني
البنات هي اللي عايزه كده ، تروح
وتيجي وتشاور وتتكلّم ومواعيد وخلافه،
وأشار بإصبعه انظروا إلى تلك الطالبة
هل ترضون لأختكم أن تنزل بهذه
الملابس . نظرنا إلى الطالبة وجدناها
ترتدي قميص أبيض مفتوح حتّى
المنتصف ، والبادي الضيق المفتوح
أسفله ، والبنطلون ضيق جداً .
لا تعليق على هذا التحقيق من
جانبا .

أسرار بورسعيد

تحقيق

*

تتذكّر وجود سالم
فتغلق الباب الموارب ،
وحيثما تدرك أنها يجب
على ما يبدو أن تغيّر
ملابسها كاملةً ،
تنزل حمّالتى
الكومبيليزون ، وتسحب

كان صوت جرس المنبّه
يعاود رنينه ، بعد أن أغلقه
مستيقظاً من سباته القلق .
السّاعة الآن الثّامنة
والنصف ، والست أدّورة
ما زالت سادرة فى نومها .
يغلق باب الحمّام وراءه،

ثم يذهب للضَّغْط على زرّ
المنبّه ، وعندما يرجع يغسل
يديه بالصَّابُونة المخصَّصة
له لشدّة حساسية جلده. يتذكّر
أنّه لم يشدّ السيِّفون بعد ؛
لعدم امتلائه وقتها ، فيفتح
الباب الذى أغلقه حتّى لا
تظهر رائحته القويّة ،
ويشدّه. لكنه يجد أن الرائحة
ما زالت عالقة بالمكان ،
فيشَبُّ على أصابع قدميه
حتى يفتح شَبَّاك الحَمَّام
المُطل على المنور . ثم
يخرج ويغلق الباب ثانية .
ويتجه بسرعة للمطبخ ،
ويأخذ ملعقة من البرطمان
الذى فيه الشَّاي ، ويلقم
مقدار ملعقة مساح منه ،
وعلى الفور يُطْفِئ عين
البوتاجاز .
وفى اتجاهه إلى حجرة
نومه ، يطل ببصره ، على

ذراعيها منهما بسهولة ،
ثم تكمل إزاحة
الكومبيليزون إلى أسفل،
وهى مازالت واقفة .

تنظر لتكوبرى
السوتيان الأسود ، ثم
تجذبه بقوة إلى أعلى ،
وتقربه من أنفها .

تلاحظ رائحة عرق
غير مستحبّة ، فتثني
ذراعيها خلف ظهرها
وتفكّ توكته ، وتلقيه فى
ركنها بالدُّولاب
المفتوحة ضالفته
اليسرى .

تجيل عينيها سريعاً
فى مرآة الدُّولاب ، ثم
تجذب الكلويّ إلى
أسفل . ترى تدلى ثدييها
وانحناءة خصرها
المقوّس .

تحتكّ حافتيّ ثدييها

حنفية المياه ليتأكد من غلقه
لها بعد تشطيفه لوجهه .
وبهدوئه المعتاد يأخذ
بنطلونه ، وقميصه البيج
الفاتح الطويل الأكمام ،
ويضعهما على السرير ،
ويشرع في ارتدائهما . ولأنه
يعلم أن امرأته لا تحب
الاستيقاظ مبكراً . وأنها
بالفعل أفاقت على صوت
المنبه ، ثم جاهدت في إنامة
نفسها ؛ فقد حرص على أن
لا يعمل جلبة كثيرة ،
أوضجة توقظها ثانية . ثم
يتسحب خارجاً من الحجرة
ويسرع إلى المطبخ ، ويأخذ
براد الشاي ، ويتجه إلى
حجرة السفرة ويصبه في
الكوب . غير أنه لا يجلس ولو
دقيقة على الكرسي ، حيث
يروح وهو واقف يقضم
قضامات ، من الساندوتش

من الدّاخل فيقشعر
عريها . إلا أنه يجيئها
صوت نسرين من
الخارج بأن تنتهي
بسرعة ، فتأخذ
الكومبيليزون الأبيض
المطوى من الدُّولاب
وتفرده ، وتروح ترتديه .
لكنها تنتبه لكونها لم
ترتد بعد السوتيان ،
فتعود وتخرج ذراعها
وتتزل الكومبيليزون
ثانية إلى وسطها ، ثم
تأخذ سوتيان آخر
وترتديه ، وتتبعه
بالكلوت ، وتكمل ارتداء
ملابسها على عجل .
تفتح الباب وتخرج ،
وتناول الفستان إلى
والدتها التي كانت
منحنية تخرج من درج
البوفيه السفلى ، صابونة

الموضوع على المائدة
بجانب الكوب . وعندما
يتذكر أنه قد نسي ارتداء
السَّاعَة ، يعود إلى حجرة
النوم ، ويأخذها من جانب
السَّرير أعلى الكوميدينو ،
ويتجه للكنبة الموضوعة
بمفردها في الصَّالَة ، ويقعد
عليها ، ويلتقط الحذاء ذا
النعل الرقيق والمقدَّمة
المسحوبة ، ويرتدي شرايه
البيج الفاتح . ثم يعود إلى
حجرة السُّفرة ، ويكمل
السَّاندوتش ويأخذ رشفات
من الشاي .

وبينما هو في طريقه
لأخذ بعض الأوراق اللازمة
لجلسة القضيَّة ، من عقد
الشَّقة ، وصورة من بطاقته
الشَّخصيَّة ، وتوكيل المحامي
ومحضر الإعلان ، إذا به
يتعرقل ، في فردتي الحذاء

غسيل ، وتقول لها أن
صدره كله مكبوب عليه
اللبن . ثم تسألها عن
مدى إمكانية إزالة هذه
البقع من عدمه ،
فتطمئننها والدتها وتأخذه
منها ، وتعطيها الفلوس
التي طلبتها منها أمس
قبل أن تنسى . ثم
تهرول لتضعه في
الطَّبَق البلاستيكي ،
المركون أعلى الحاجز
الرُّخامي الواصل بين
الحائط والحوض .

وبعد أن تدخله تحت
حنفية الحوض ، وتفتح
عليه الماء ، تذهب إلى
الحَمَّام ، وتأخذ علبة
المسحوق الكرتون ،
وتضع ملء يدها كمية
منه ، وترشه فوقه .
ولكى تتأكد من عدم

الموضوعتين وسط الصَّالة
أسفل الكنبَة ، فتطير إحداهما
مندفعة إلى حجرة النوم
فيدعها ، ويأتى بالدُّوسيه
الأصفر الذى به الورق من
فوق الشوفنير، وبحرص
يخلع فردة الشبشب ،
ويضع قدمه فى فردة الحذاء
التي دُفِعت . ثم يخطو بعرج
قليل مُحاذراً أن تمس قدمه
الأخري الأرض . فاعلاً
نفس الشيء مع الفردة
اليسرى . ثم يساوى بين
مقدمتي الشبشب . ويفتح
باب الشقة . وما إن يكاد
يخرج ، حتى يتذكر سلسلة
المفاتيح التي تركها أمس
أعلى الرِّف ، فيدخل
ويأخذها ، ويغلق مصباح
السُّفرة النيون، ويندفع
خارجاً حيث يغلق الباب
ويدفعه بيده، ليتيقن من غلقه.

ثبات البقعة ، تقوم
بحكها بكاتبا يديها ،
حيث يجيئها صوت
سالم من الصَّالة ، يلقي
عليها السَّلام ويخبرها
بنزولهم ، فيعلوا صوتها
من المطبخ : " مع
السَّلامة يا ولاد " . ثم
تكمل : " بلاش تنزلى
البحر المرّة دي يا دعاء
عشان خاطرى . ظهرك
حيّتك تانى " .

- : " ما تخفيش

يا ماما " .

فيرد عليها سالم فى
محاولة لِممازحتها
وطمأننتها : " حنّزَلها فى
عَوَاصَة يا مرات عَمّى ،
ماتشليش همّ " .

تضحك نسرين
قائلة : " مع السَّلامة يا
أبلَة سوسن " .

ثم ينزل الدَّرَج متهللاً ، وواضعاً يده أعلى جيب بنطلونه الخفى ، ليتأكد من وجود محفظته . وعندما يسمع صوت ضحكات خلف باب شقة الأستاذ فاروق ، ويشعر أن وجهه يبدو متجهماً ببسطه .

ويُفتح الباب . ويخرج منه شاب لا يعرفه ، ثم تخرج دعاء ، وخلفها بنت عمّها ، وتجده فى مواجهتها .

- : " إِرَّيْكَ ياعمى " .

- : " إِرَّيْكَ يا دعاء . إِرَّيْ بابا ، بتبَلِّغيه السَّلام " .

- : " طبعاً " .

ويستمرّ الحاج محمد فى نزوله ، وهم خلفه حريصون ألاّ يتجاوزَه أحدهم . وتقول نسرين : " كلهم وصلوا ، ماعدا زين وعبير " . ويرد سالم : " حتّاخر كده " .

فتقول دعاء : " مش حنستناهم . زين قالى أَنهم حيقابلونا فى بورسعيد عند الموقف " .

- : " زين لكع " .

يضحكون .

ويخرج الحاج محمد من باب المدخل ، متّجهاً إلى اليمين ، مفضلاً السَّير عبر الشوارع الخلفية الضيقة؛ ليتخلص من عبء السَّلام على بعض أصحاب المحلات الذين قد يوقفه أحدهم فيأخره عن ميعاد الجلسة . بينما عليهم يُقبل حاتم آخذاً الشنطة البلاستيك الصَّقراء من يد نسرين ومشيراً لأريك وأختها أميرة الواقفتين أمام الكشك المحاذى لفندق صوفيا ، أن يسرعا من

شرب المياه الغازية ويأتيا إلا أنهما لا يردّان إشارته، ويراهما
وهما يتحدّثان إلى بعضهما بكلام لا يسمعه بالطبع .
يقف الأربعة أمام المدخل . منهم من يستند على إحدى
العربات المركونة ، فيما الآخرون يقفون صامتين .
بتمهل تخطو إليهم أريك وأميرة ، فيتحرّك الباقيون باتجاه
اليسار . ويدورون من أمام ناصية مقهى الحبال ، مجتازين
محلّ عطا الله حبيش، حيث يشير سالم بالسّلام إلى المتر وهيب
المتجه إلى الجهة المقابلة، يبحث في جيب بنطلونه عن سلسلة
المفاتيح . فيخرج يده وبإشارة مقتضبة يرد السّلام ، ثم يعود
ويدخل يده اليسرى في الجيب الآخر . فتطلع بسلسلة المفاتيح .
يستمر في هرولته باتجاه العربية ، بادياً على وجهه علامات
التّذمّر .

تدخل أريك ، وأميرة مكتبة بورفؤاد الحديثة. وعندما يلتفت
حاتم خلفه ليرى لماذا هما قد تأخرتا هكذا عن اللّحاق بهما لا
يجدهما ، فيخبر رفاقه أنهما غير موجودتين ، فيلتنفوا خلفهم ثم
يقفون .

*

{5} ❁ أظهر غضبةً ، ولا أجد تسويةً لكل
❁ ما يحتاجني ، إلا ما يُجانر فيه التّخفى ❁

تستقبل لفحات الصّبّاح البارد ، بعينين لم يأخذا حظهما من

النوم .

تفتح الشيش عن آخره ، ثم ماتلبث أن تقف مُتَكِّئة بذراعيها المفرودين ، على ضلفتى الباب الزُّجاجيين . المرائى أمامها مفتوحة حتى الميناء . لا شيء يعيق بصرها من هذا العلوِّ الشاهق الكائن به طابقها . التتدَّه كانت قد رفعتها ليلة أمس ، فظلت واقفة هكذا تتطلع بقميص نومها المفتوح الصِّدر، دون أن تخشى عينا تراها .

يرن جرس التليفون . وما إن تهم للمضى نحوه حتى يتوقف . تستقر فى مكانها ، متأمِّلة أسطح البيوت التى امتلأت بأطباق الدُّش ، متذكِّرة مشاهد الفيلم الذى سهرت معه ليلة أمس حتى آذانِ الفجر . فجأة يطرأ على بالها أن تدخل الحَمَّام ، وتأخذ دشا ساخنا فى الحال . يفتح السَّخَّان ، وتملأ البانيو ، وتسكب فيه قدر قبضتها من الشَّامبو الذى تفضِّله ، ثم تنزل بجسدها خفيفة مندَّاه ، وتجلس وسط فقائيع الصَّابون ، وتيارات الماء الدَّافىء . هكذا تقول لنفسها ، متمنية أن يفلح هذا فى معالجة حالة الهمود والارهاق التى استيقظت بها اليوم . تطرق برأسها ، وتشعر أنها حتى غير قادرة على فعل مثل هذا .

يعود التَّليفون للرنين ، فتستدير مرَّة أخرى ، وتتَّجه بخطوات متمهِّلة نحوه . ترفع السَّمَّاعة ، وتردِّ . وعندما يأتيها صوت أختها الكبرى نورهان ، تحمل العدة من فوق الكوميدينو وتطلع على السَّرير، وتطرح جسدها عليه، بحيث تجعل ظهرها

مستنداً على خلفيته . وكعادتها فى إلقاء الأسئلة الصَّباحية المتوالية ، والتي حتى لا تنتظر ردّاً ، تروح نورهان تسألها عن أبيها ، وهل مرَّ عليها أمس ، وعن الورم الذى ظهر فى نهاية ساقها ، هل أتى الفوار معه بنتيجة ، وهل هى قادرة اليوم على الذهاب معها لأختها نرمين للتسليم عليها هى وزوجها رفيق قبل أن يطلعا للعمرة . مذكراها أنه لم يبق على سفرهما سوى خمسة أيَّام فقط ، حيث أنَّ اليوم ١٤ رجب ، وهما سوف يسافران فى ١٩ منه . ودون أن تستفسر منيرفا عن المدَّة التى سيقضيانها هناك تخبرها أنهما سيقضيان العشرة أيَّام الأخيرة فقط منه . ثم تسترسل مؤكدة لها أنها اتفقت مع الحاجة أصيلة أن يطلعا فى النصف الأخير من رمضان ، وأنَّ الحاجة أصيلة وهى ، قد شرعا بالفعل فى الاتفاق مع شركة سياحة بورسعيدية ، وماهى إلا قليل من الاجراءات ويتم لهما ما عقدا عليه العزم ، ويتسلمان تأشيرة السَّفر ، ويحدّد لهما الموعد بالضبط .

ولأنَّ منيرفا ليست فى حالتها المزاجية المرجوة ، وتجيء ردودها على أختها جافة مقتضبة ، وبايقاع صوت كسول ، مشوب مازال بأثار النُّوم . فتعتمد أختها على شدَّ انتباهها ، ببعض حكاويها التى لاتنقصها الجاذبية ، والخبرة ، فتخبرها كيف أنها أمس ارتدت النقاب ، وخرجت به لأوّل مرّة ، بعد أن افتل بهائى معها خناقة ، أصرَّ فيها علي أن تبدأ فى ارتدائه ، طالما هى قد جهّزته منذ أشهر ، وكيف أنه كان ينتظر منها أن

تفعل ذلك من تلقاء نفسها ، دون أن يطلب هو . ثم كيف أن الأستاذة ألفت لم تعرفها عندما قابلتها في سوبر ماركت الفار ، ممّا اضطرها لأن تزيح النقاب قليلاً لأسفل كي تتأكد. وأنها انتهزت الفرصة ، وكلمتها في موضوع الدّعوة التي يريدون أن يرفعوها ضد صحفى جريدة بورسعيد اليوم . وعندما ذكرت لها بعض الكلمات التي كتبها فيهم بصفتهم أبناء الحاج شاهين المرشح لانتخابات مجلس الشعب ، طمأنتها بمشروعية ، بل وضرورة أن يرفعوا بها ضده دعوة سب وقذف . وبالفعل اتفقت معها على أن تزورها في مكتبها قريباً لتتخذ الاجراءات القانونية في هذا الشأن .

تتململ منيرفا في جلستها ، وينتقل لنورهان هذا الإحساس بشكل واضح ، وتشعر أن أختها ليست حقيقةً في حالتها المعتادة ، وترجّح أنه لطول الفترة ربّما التي قضتها منذ طلاقها من مدحت ، ولم يتقدم لها أحد سوى الأستاذ حمدون . فتعيد تذكيرها به ، وتعدّد محاسنه، وتكرّر أنه متفتح ، وعلى الأقل لن يضيق عليها الخناق مثلما يفعل معها الآن زوجها بهائي ، الذى أحياناً تشعر أنه بطريقته هذه ، سوف يكرّرها في الدين وفي التدين ، ثم تستغفر ربها ، وتذكر نفسها بأنها هي التي قد سعت إلى هذا التدين بكل جوارحها ، والتزمت به ، قبل حتى أن تتزوجه ، لكن تحكماته تلك أصبحت مبالغاً فيها ، كما إن تركه لمحل رزقه ، عادته الجديدة هذه الأيام ، بدايةً من صلاة المغرب ، وجريه وراء الشيخ الدويني ، أحد أقطاب الطريقة

العزيمة فى بورسعيد ، ومرافقته فى كل ندوة يعقدها ، وانتقاله معه من جامع الرّحمة إلى جامع السّلام ، إلى جامع العباسى ، سوف يصيبها بالجنون .

هنا تضيق منيرفا بثرثرة أختها ، وتبادرها قائلة فى دهشة :
" مالك انهاردة يا نونة ؟! فى إيه ؟! " .

تسكت نورهان متفاجئة من سؤالها الغريب ، ثم تقول فى تلعثم : " مالى ، مالى ؟! " .

وحين تنتبه لكونها قد استرسلت ، وأطالت فى حديثها معها ، رغم ردودها التى تأتى على مضض ، تقول لها : " طب يانانا عشان معطلكيش ، ألاقى عندك أمير؟ " .
- : " آه عندى " .

- : " أصلى البت حميده كسرت غطا الشكمجية الفخار ، ع الصّبح وهى لسه بتبندى تنضف الصّالون " .

بلا مبالاة : " آه " . ثم تردف : " خلاص حنزلهولك بالسّبت دلوقتى من المنور " .

- : " ماشى يانانا أسيبك دلوقتى ، أحسن سامعة صوت إسعاف بيّى وقف عندنا فى الشّارع . أمّا أروح أشوف فى إيه " .

قبل أن تغلق السّماعه تبادرها منيرفا : " بقولك إيه يا نونة ، ابقى حطّلى الجرايد بالمرّة فى السّبت " .

- : " حاضر يا نانا " . ثم مستدركة : " معنّى والله لسة مافراتهاش ، بس حطّها لك . سلام يا روى " .

- : " سلام يا نونة " . ثم بصوت عالٍ قليلاً : " ابقى سلمىلى "

على يوسف وعبدالله " .

تضع منيرفا السمّاعة على العدّة بجانبها ، وتظل ماكنة في مكانها لعدّة لحظات ، ثم تنهض ، وتفتح الدّولاب ، وتأخذ سوتيان وكلوت وكومبيليزون ، وفوطة ، وتخرج من الحجرة ، ثم تتذكر فتعود إليها ، وتفتح درج الكوميدينو العلوى ، وتلتقط أنبوبة الأمير ، وتردّد تتجه إلى السمّاعة الموضوعة هناك في ركن الحجرة بجوار الدّولاب ، وتشد روبها الديشنبر الأبيض ، وتضعه على ذراعها ، وتمضى إلى الحمّام . تضىء النور ، وتعلق أشياءها على المشجب العلوى المواجه للبانو ، ثم تغادره ، وتذهب إلى المطبخ . تفتح شيش بلكونته الصّغيرة ، وتتأمل كلبها الأبيض الوولف ، المقعى فى الرّكن ، بعينه شبه المغمضتين .

تقترب منه ، وما إن تميل عليه تمسح بيدها على ظهره ، حتّى ينهض ، ويتمسّح بساقيها . تأخذه فى حضنها ، وتقبله فى عنقه ، ثم تدعه ، وتقوم واقفة . ومن دُولاب خشبى فى مستوى رأسها على جانبها الأيسر ، تأخذ الشنطة البلاستيك السميكة الزرّقاء ذات التريعات المفرّغة من الجانبين ، وبمشبك موضوع داخلها تثبّت الأمير ، وتشرع فى إزالتها من البلكونة بحبلها الطويل . وتقربها عندما تصير الشنطة بمحاذاة شقة أختها نورهان ، وبالضبط ، عند فتحة البلكونة التى يمكنها منها أن تراها ، توقفها . وتظلّ تنتظر خروج أختها .

*

{6}

تدخل نجلاء يديها الاثنتين من أسفل قميص نومها الذى كانت قد رفعته ، وتنزل كولتها السّماوى الفاتح ، ثم تجلس على فوهة المرحاض البلاستيكية البيضاء، وهى تلمّ حواف فستانها حتى لا تعلق به قطيرات الماء المتساقطة من حنفيّة الدّش. ثم تتنهدّ فى راحة ناضرة إلى طش بولها ، وهو يندفع فى سخونة وقوّة .

وحين تستقرّ فى جلستها ، تنظر عن يمينها للمرأة المؤطّرة بإطار ردىء الصّنع، وتلاحظ بعض الحبيبات الحمراء التى نمت أسفل ذقنها . تفقع إحداها بطرف ظفرها ، فتفجر بسائل أصفر مخلوط بالدّماء ، تقرّبه من عينيها ، ثم تمسحه فى طرف كمّها . هل من الممكن أن يتحدّج بمصاريف العمليّة التى أجراها لعمرو مؤخراً فى عموده الفقريّ؟
تسمع همهمات تتعالى بالخارج، ثم دقّاً سريعاً على النّافذة الخشبيّة التى بين الحماّم والمطبخ . تعلق الشّطافة التى كانت قد فتحتها ، وتنصت تماماً.

تطلق لمياء صرخة مدويّة ، تفرع نجلاء، وتجعلها تثب من فوق المرحاض : " لمياء ، فى إيه ؟! " ، ترندى كولتها بسرعة ، منزلة القميص ، ثم تقبض على أكرة الباب ، وتفتحه دون الالتفات إلى أن الجزء الأكبر من ساقها اليسرى معرّى بكامله، وأن قميصها معلق بأستيك كولتها .
تجد أمها مقعيّة على بلاط الصّالة ، ممسكة بالسّتارة المعلّقة

على مدخل الطُّرقة الضَّيِّقة ، وتئنّ . تقريباً مغشياً عليها . تهم بسرعة بأخذ سمّاعة التليفون ، وتضرب رقماً ربما يكون رقم أخيها عبد الملك.

تنزلق قبضة الأم على الأرض تاركة السّنارة ، وهى تتمتم بصوتٍ خفيض : " ماتخفوش يا ولاد " .

تصرخ لمياء صرختين عاليتين : " ماما ، ماما " . وتتدفع تفتح الباب ، ضاربة فى خبطاتٍ متوالية ، شقة جيرانهم المواجهة بكف يدها . فيما تقفز نجلاء مسرعة لتأتى بزجاجة الكولونيا من دولابٍ حجرتها ، ثوان ، ويدلف الحاج صالح عبد العظيم من باب الشّقة ، وخلفه زوجته فتحية . حيث ينحنى ويمسك بيد السّت اعتماد ، ويجسّ نيضها . فى نفس اللحظة التى تجيء فيها نجلاء بالكولونيا ، وترش منها على أنف أمها ، ووجهها . وعندما يرجّح الحاج أنها أزمة قلبية ، ينتفض واقفاً ، يرفع سمّاعة التليفون ويطلب الإسعاف .

تتخرج أنات السّت اعتماد خافطة ؛ فتتوقّف نجلاء عن الرّش . ومع محاولات نجلاء أن ترفع أمها من على الأرض ، وطلبها من أختها أن تساندها من الجانب الآخر ، تهمّ السّت فتحية المصابة بانزلاق غضروفى كما يعلمان ، بمساعدتهما ، حتى يتمكّن أخيراً من إجلاسها على فوتيه الصّالة القريب .

كل العلامات من اصفرار الوجه والقدمين ، تنبئ عن أزمة قلبية حادة .

مهرولاً يتجه الحاج صالح إلى شقّته، كى يُغيّر جلبابه البنى

ببنتلون وجاكت ، فيكاد يصطدم بالحاجة وداد ، التى تنزل
مسرعة بقميص البيت، ودون حجاب رأسها الذى تحرص عليه.
وما إن ترى الست اعتماد على حالتها هذه ، حتى تمسك
بالتليفون ، فتبادرها لمياء بأنهم " خلاص " كلموا الإسعاف .
فتستمر فى ضرب الرقْم ، فيجئها صوت نوسة ، فتطلب منها
أن تنزل لها فوراً بمقياس الضَّغَط .

يظهر ابن لمياء واقفاً مرتعباً على عتبة الصَّالة ، يدعك فى
عينيه ، والنوم لم يبرحه بعد. فتأمره أمه أن يجرى إلى خاله
" أنكل عبده " ، ويجيء به حالاً " قبل أمّا يروح الشَّغل " . ثم
تذهب متجهة صوب الشرفة ، ربما لترشد السائق ، عن مكان
الشقة.

كان بعض نساء العمارة القليلات قد بدأن فى الوفود ،
والوقوف على الباب المفتوح ، يستقرن عن هذه الصَّرخات ،
وهذه الضَّجَّة التى تحدث .

تنسل مدام نجوى من بين الواقفات على الباب ، وتتجه
بكلامها إلى نجلاء ، والحاجة فتحية : " إمام موجود تحت ، يا الله
ناخذها بالعربية، بس نقدر ننزلها السَّلمتين دول " . يجيء صوت
لمياء مخضوضاً، وهى خارجة من الشرفة ، وسائرة فى حجرة
النوم تبحث فى وجه أمها عن أى علامات تطمئننها : " الاسعاف
جه تحت " . الست اعتماد مغمضة العينين ، وقطيرات العرق
تنقصد من جبينها ورقبتها ، وأسفل أذنيها . وكلما تخرج أُنيتها
شدت نجلاء على يديها، وزادت الست فتحية من هزّها للمروحة

الخشب التي تُهَوَّى بها على وجهها . إلا أن نجلاء عندما تغرورق عيناها بالدموع ، تقترب جداً من أمها ، وتحنى عليها وتقبلها . ثم تقول في أذنها : " أزمة وحتعدى يا أمى ، والله أزمة وحتعدى " .

بعض السيّدات اللواتي كن واقفات ، يجلسن على الفوتيهات الموجودة في الصّالة ، حيث يتصاعد بعض لُغْطهم .

يظهر صوت الحاجة شكر واضحاً وقوياً وهي تقول : " إيه يا ست اعتماد . دا إنت زى الفل . شفتى ولادك بيحبوكى إزّاي " . تتجّه أم العربى في مبادرة منها لإعطاء نفسها أهمية ما ، إلى الفوتيه المطروحة عليه السّت اعتماد قائلة : " ورّينى كده لّون رجليكى " . تجسّها وتتنظر فيها بإمعان ؛ فيزحف على وجهها قليل من ارتياب تخفيه سريعاً : " آه والله دا إنتى زى الفل أهو " .

يدخل شبان من باب الشّقة مُسرّعين . يمسك أحدهما أنبوبة أكسجين ، والآخر فارغ اليدين ، فتدرك لمياء من منظرهما أن ليس أىّ منهما بطبيب ، فتقول : " أَمّال فين الدكتور؟! " . فيرد أحدهما وهو يتجه للسّت اعتماد، مدركاً أنها الحالة المقصودة من إعيائها البادى ، والتفافهم حولها : " الحالات اللي زى والدتك دى " يقطع كلامه " والدتك صح؟! " فتومىء له برأسها . فيكمل : " الحالات اللي زى دى ، لازم ننزلها على طول " . تعاود لمياء سؤالها في اصرار بصوتٍ واضح تهجّجه : " أَمّال فين الدكتور يا حجّ صالح؟! " . يخبرها الحاج صالح ، الذى جاء فى أعقاب الشّابين ، ويبدو أنه كان ينتظرهما فى الشّرفة ، بأنهم

لابد أن يأخذوها لأقرب مستشفى ، لتجد عناية أكثر . فيقول أحدهما الذى يضع كمّامة الأكسجين على وجهها: " لا يا حج لازم تروح مستشفى كويّسة . الحالة شكلها جلطة على القلب " . ثم يردف: " الحامل بسرعة يا نادر من تحت " . يهم نادر بالخروج من الباب ، فترد نجلاء : " لأ . لأ استئوا " . نفس الشخص : " مفيش وقت " . ثم يوجّه كلامه للحاج : " الحالات دى لازم نسعفها بسرعة يا حج " . تبادر السّت فتحيّة قائلة : " اسمعى الكلام يا نجلاء . سيببهم ينزلوها ، ما احنا معاها " .

عند وسعاية الدور الأول تلاحظ نجلاء أن أمها قد باتت لا تحس بشيء . وأن القليل من الفواق الذى كان بادٍ عليها ، قد تحول إلى اغماءات متقطعة . حتى حشرجات الأنين لم تعد تتخرج منها ؛ فتجفل فرعة وتشدّ على يدها بصوتٍ خفيض : " ماما ، ماما " . تنظر إلى الحاج صالح فى خوف ، ربّما لتكتسب منه بعض اطمئنان ، فيhez رأسه ، ويشير لها بيده اليسرى إشارة هادئة بمعنى **مافيش حاجة** .

عاملا الإسعاف ينزلان بهدوء وحذر ، وهما يحملانها على الكرسي الخشب ، الذى أصرّتا نجلاء ولمياء على انزالها عليه ، وليس على المحفة المخصّصة لذلك .

إحدى الجارات تقول وهى واقفة على باب شقّتها فى الدور الأوّل : " سلمتك يا ست اعتماد ، شدّى حيلك يا نجلاء وانت يا لمياء . حصّلكم على هناك . حتوّدوها مستشفى إيه ؟ " . يسرع الحاج

صالح بالرّد : " الأميرى عنايتها كويسة " .
- : " خير انشاء الله " .

يقبل ابن لمياء من أسفل وهو ينهج من الجرى ، فيجد الحشد نازلاً ، فيقف مستنداً على درابزين السلم : " أبله نجلاء . خالو مش موجود . قعدت أخبط كتير ما حدش بيفتح " . تنتظر نجلاء للمياء والحاج صالح بوجوم مخلوط بالقلق ، فترد عليه لمياء : " خلاص اطلع انت بقى يا لله واستثنائى أمّا أجيلك " . ثمّ متذكّرة : " ما تمسكشى البوتاجاز " .

يسلك الحشد طريقه فى هدوء إلى باحة السلم . فيما السّت اعتماد مطروحة على الكرسي بلا حراك . وعامل الاسعاف يمسك معصم يدها اليسرى ملاحظاً النبض . ثم فجأة يفك قبضته عنها ، ويضعها على شريان الرّقبة ، وينصت قليلاً . فينظر له زميله نادر مهذباً من خطواته . وتلاحظ لمياء ذلك ، فتترقب بعينيهما من الخلف فزعة . أمّا نجلاء فتصن ، ضاغطة على يد أمها فى شدّة وممسكاها كطفل يوشك أن يفرّ منها . ثوان ويرفع يده عن رقبتها، معطياً إشارة لزميله بطرف عينيه، بالوقوف مكانهما .

يكمل الدرجتين الأخيرتين الباقيتين ، ويستقرّان بكرسيهما على أوّل فساحة السلم الدائريّة . يأخذ الأوّل أسطوانة الأكسجين التي كان قد تركها مع الحاج صالح ، ويضع كمّامتها على أنف السّت اعتماد . فى نفس الوقت الذى يضع فيه زميله نادر يده على شريان رقبتها من الجهة اليمنى ، وينصت مركزاً باهتمام .

لحظات أخر، ويرفع يده ويضعها بدلاً منه ، ويعود للانصات. ثم يشير له بالسَّير بسرعة إلى عربة الإسعاف الرَّاكنة عند المدخل . حيث ينزل السَّائق - فى عجلة مصطنعة - عندما يراهما متوجَّهين نحوه ، فاتحاً بابها . وبسرعة يقبل أحمد اللبَّان أحد أقرب الموجودين من العربة ، تاركاً درَّاجته بما عليها من فناطيس لبن مسنودة على حائط العمارة ، ويساعدهما فى مساندتها مع الحاج صالح ، ورفعها داخل العربة .

يركب الحاج صالح معها من الخلف ، ويتبعه كل من لمياء ونجلاء . ثم تشير لهم السَّت فتحية الخارجة لتوَّها من المدخل أن ينتظروا قليلاً لتأتى معهم . ودَّ أن يثنيتها عن ذلك لتستعد لاستقبال ابنها الآتى غدا من كندا ، لولا أنه رأى الرُّعب السَّاكن فى عيني نجلاء ولمياء ، فجفل خجلاً ، وهمَّ بالنزول لها ثانيةً ، لكنه غيَّر رأيه ، وحاول فقط أن يساندها ، ويأخذ بيدها ، إلى أن مكنها بالفعل من الدُّخول من باب العربة ، الذى يعلو الأسفلت بمسافةٍ ليست بالقليلة .

بعض المتواجدين على الأرصفة أمام محلاتهم يقفون ينظرون ماذا يحدث. منهم من يتجه ناحية الاسعاف سائلاً بعض الجيران المنتظرين قيامه ، ومنهم من لا يزال يعدّ محله للفتح ، موالياً النظر بلا اهتمام حقيقى بينه ، وبين المشاجرة التى نشبت على ناصية الشارع ، دون أن يُكلف نفسه عناء التَّدخل ، أو حتَّى عبء السُّؤال . وهاهو الصُّول مرتضى دروش ورغم صداقته لعدد كبير من أناس هذه العمارة ، يمر من أمام المدخل ، فى

طريقه إلى مقهى وادى النيل ، لا يبدر منه شيء ، سوى إلقاء نظرة أو نظرتين على عربة الإسعاف. وهذا على كرامة السَّبَّاح مشغول بعدّ ثمن الخلّاط الذى باعه للأسطى عرفه سَوَّاق الميكروباص . وبطرف عينيه يتابع سُنْدَس التى بدت ملفتة للنظر بفانلتها ذات اللون السَّمَاوى . فيما هى تلتفت وراءها على صوت السَّرِيْنَة عابرة شارع ١٥ سبتمبر . بيد أن لا شيء يشير إلى أن الحاج شومان صاحب كافيتيريا الطيران قد تنبّه إلى أن السَّتْ اعتماد هى المقصودة . إذ انتحى جانباً فى الرُّكن المجاور للبوفيه ، وراح يسحب أنفاس المعسل الذى يحرص عليه كل نهار بتؤدة متناهية .

عموماً كانت الشوارع تعجّ بحركتها العاديّة ، وتتنفّس بشائر اصطباحتها الأولى باليّة معتادة . على أن اختراق الصَّمْت المُخَيِّم بسرينة من قبل هذا النوع ، كان كفيلاً بإقلاق كثيراً ممّن تصادف وجوده قريباً من مجالها . فصار من المنطقى مثلاً أن تتوقّف أم خليل عن سكب زيت الزيتون على وش طبق فول الرّيس نبوى ، وتتجه مهولة إلى بلكونتها المطلة على شارع الجمهوريّة ؛ لتعرف ماذا حدث . وعندما لا تتمكن من ذلك ، لانفضاض الحشد وابتداء العربة فى السّير ، تنادى على شرين الخياط العاملة بمكتبة بورفؤاد الحديثة ، والتى تقف أسفلها على بعد مترين ، وتستفسر منها .

أمّا سوزان العربى والتى لا تستيقظ إلّا متأخراً ، فقد صكّ أذنها عواء السَّرِيْنَة ، فتنبّهت قليلاً ، ثم لم تلق بالاً ، واستمرت

فى نومها ، واضعة المخدَّة الصَّغيرة بين فخذيهما ، وضاعطة عليها . منتظرة أن يكرَّ النَّهار ساعاته ، وتذهب إلى صيدلية عبد المجيد التى تعمل بها بشارع الثلاثينى.وردية واحدة ، أصرَّت عليها ، وانصاع لها فى الحال الدكتور عبد المجيد ، معزِّياً نفسه بجسدها الذى لا تبخل عليه به ، وتذيقه الكثير من حلوه .

لكن قطعاً سببهت عبد الملك ، عندما تُخبره نجلاء من تليفون المستشفى ، أو من أى تليفون خارجى، أن أمه فى العناية المركزة ، وستظل الأفكار الخبيثة تتناوشه، بتساؤلاتها الموجهة. وهل يكون قد أتعبها أمس بموقفه الذى أصرَّ عليه بشدَّة دون مُراعاة لحالتها الصَّحية ؟ أم هى أزمة من الأزمات التى تفاجئها مصادفة ؟

داخل العربة . نجلاء تنظر لوجه أمها بوجف، مسمرة العينين على بُطء تنفسها . فيما العربة تجتاز شارع ١٥ سبتمبر مارَّة بصيدلية بورفؤاد الكبرى . فى اتجاهها للالتفاف من حول دوران المسلة . تغلق جفניה على جمرتين تشعان صهدا ، وتتمنى لو كان كل ما يحدث مجرد حلم مزعج ستفيق منه حالاً. " آه " . أو فجأة تبرا والدتها وتتنصب قائمة . وتعود معها إلى البيت سيراً على الأقدام .

ينظر لها الحاج صالح نظرات شفيفة حانية ، فتهرب منها إلى أختها الزائغة العينين كأنها مسافرة فى قطار لا يصل . اليوم يوم الخميس ، والأمسية التى كانت تنتظرها مع خطيبها

من أسبوع لأسبوع لن تتم . " إيه يا نجلاء ! فى حد يفكر كده دلوقتى !! " .

تميل لمياء إلى الأمام لتُسرَّ شيئاً لنجلاء ، وتقابلها نجلاء بنفس الحركة . يتناهى إلى مسامع الحاج صالح وشوشاتهما بشكل واضح ، فيبادرهما بالقول : " ماتشيلوش هم . أنا عامل حسابى . دا إنتم ولادى . انسوا الموضوع ده دلوقتى ، بعد كده نتفاهم " . يتقبَّلان كلامه بتسليم كامل ، ويقرَّان فى مكانهما . تخترق سرينة الإسعاف فى دقات مُتقطعة فضاء الشارع ، فيرفع طاهر بصره بعد أن كان مستقرّاً على بلاط رصيف المقهى ، ويوجَّهها ناحية الصُّوت . إلى سمعه تتسلل كلمات محروس ، بأن أم شكرى هى المنقولة . يلفت نظره العنوان السفلى للجريدة التى يتصفحها السيّد منتصر بجانبه ، يمرّر عينيه ، ثم يُعاود شروده .

المقهى يعجُّ بشباب المنطقة ، رغم هذه السَّاعة المبكرة من الصُّباح . أكثر من أربعة مقاهٍ فى رقعة صغيرة لا تتجاوز عدَّة نواصٍ ، ومع ذلك تغصُّ جميعها بالمرتادين . بسم الله يدخل الشيخ نيهان بعباءته الصَّفراء ذى الشغلِّ السعودى المميّز . مُتخذاً من ركن معهود له بالداخل محلاً لارتشاف القهوة ، والتأمُّل فى صمّت . ثانيةً يصل إلى مسمع طاهر بأن السّت اعتماد زوجة الحاج بيومى خفاجة هى التى تمَّ نقلها بالإسعاف ، وليست أم شكرى ، فيبدى اهتماماً لا يلبث أن يخفى . بعض أزواج الحمام الذى يحط على عمود المسلة ، ترعجه

على ما يبدو شدة صوت السرينة ، فيندفع مُحلّقاً . متابعته من طاهر وهو يرف بأجنحته فى انطلاق ، عادة لا يكف عن التماهى معها كل صباح .

أشرف الخواجه يرفع بصره من على عربة الاسعاف المسرعة ، ويصوبها باتجاه سُنْدَس التى تسير باستقامة بادية . يُلاحَظ هذا أيضاً على كثيرين من زبائن المقهى . وتشعر هى نفسها بغرابة هذه النظرات المشدودة إليها ، وتتساءل عن السرّ وتخمّنه .

ما بين دوران ميدان المسلة ، وناصية كافيتيريا الطيران ، فتحت كثير من بلكونات الشقق نوافذها ، وراحت الرُّعُوس منها تطلّ . إصرار سائق العربة على إطلاق السرينات بكثافة متوالية كان ربّما نذيراً لإيقاف معدّية وحيدة اكتظت بركابها ، وكادت أن تترك المرسى ، باتجاه البرّ الآخر .

زكى البغدادى الواقف على ناصية محمصة الحمزاوى يستدير نازلاً من فوق الرّصيف، بعد أن ناوله خاطر ماطلبه من لبّ أسمر . وبمجرد أن يلمح منار مقبلة بمحاذاته ، يسرع بالإبطاء من حركته ، مظهراً أنّه منشغل بقطع كيس اللب ووضعه فى جيب سترته العلوية . ثم ما إن أصبح على بعد عدّة أشبار منه ، حتى يُفاجئها بكلمات نابية تخدش حيائها بشدّة ، ويظهر أثرها فى الحال على وجهها، الذى يكتسى بحمرة قانية . لكنه رغم هذا لا يتوقف ، ولا يهتمّ غير عابىء بأن يُلاحظه أحد .

ترتّبك هي قليلاً ثم تلتفت برأسها جهته مبادراه في غضب
مكتوم : " احترم نفسك " . يهم بقول شيئاً لكنه يتراجع ، مكتفياً
بأن يجول ببصره بين عينيها وساقها المكشوفين عند الرُّبع
الأخير ، فيما ابتسامة مكتظة برغبات لا يمكنه إخفاؤها ترسم
على وجهه . تجفل عينيها ، فتدير رأسها سريعاً ، ثم تسير في
اتجاهها . من يراها هكذا يمكنه أن يُخمن أن دقات قلبها تتوالى
في سرعة .

يخطو عكس اتجاهها ، صاعداً رصيف صيدلية بورفؤاد
الكبرى ، ومنشغلاً بقرقرة اللب ، ودفع قشره في الهواء .
يصوبّ بصره نحو مقهى وادي النيل ، فيرى صديقه عادل من
وراء الزُّجاج جالساً بمفرده .

يهبط الرّصيف عابراً فساحة الشارع ومتّجهاً إليه . أثناء
هبوطه يمدّ بصره إلى شرفة مدام رحاب ، فيلمحها بطرحة
رأسها البيضاء تسقي زرعة فلها الوحيدة . تتقابل عيناها بعينيها .
لكنها تتفاداهما متصنعة انشغالها بسقاية الزّرعة . بين الحين
والآخر تشرّيبُ برأسها خارج السُّور ، وتجيل النظر في
عابرات الطريق . يدخل عليها ابنها أشرف ذو العامين ،
ويمسك بقميص نومها الذي مازالت ترتديه . تنتظر له ثم تستمرّ
في قطع الوريقات الصّفراء الذّابلة ، وتشذيب الحواف المُدبّبة
بمقص مقبضه أزرق . وحينما تهّم بالدّخول تبصر إيمان نازلة
من ميكروباس يقف أمام كشك الجرائد ، الموجود على ناصية
الشارع . ترتجع ثانية ، ثم تستند على السُّور ، وتقف تتأملها

باهتمام. ولأنَّ إيمان لم تتخذ المسار المعروف لشبقتها ، بل انحرفت يميناً باتجاه شارع النصر ، فقد أدركت أنها لابد ذاهبة لجدتها . وبالفعل اتجه سيرها المائل إلى العمارة المواجهة أكد ظنونها .

*

{7}

قالوا : وكيفما اتفق . ويكأنه قد صار سهلاً أن تغفوا أيها العجوز فوق سبعين عاماً من خفقان القلب (١) أما عن ذاك الحفيد أعلاى الذى أوهمته خشونة بدأت تزحف على حنجرتة ، فى ألا يجد غضاضة من سوق قرينته للاستماع إلى أحدث شرائط دانا انترناشونال، فلا خشية عليه من أعين جاراته الحسنאות ، إذا ما أحكم رتاج باب حجرتة جيداً ، ثم وقف بملابس والدته الداخلية أمام المرأة ، معلناً كون الفتشزم ترضية أخيرة له عن إصرار جميع صويحاته على نتف شعيرات سيقانهن البيضاء كل إصباحة (٢) .

*

تطلع إيمان درجات السُّلَّم المعتم .
وعندما تسمع دبيب حذاء يهبط إلى أسفل
تتخذ مسارها بجوار الدَّرَازين ، فيجيئها
صوت رجالي غليظ : " صباح الخير يا مدام
إيمان " .

- : " أهلاً أستاذ وهبة " .

- : " إزاي الحاجّة زينة دلوقتي " .

- : " لسة تعبانه والله ، ربنا يستر " .

تستمرّ في صعودها وينزلق هو إلى
الأسفل ، وعند الشقة بالدُّور الثاني تتوقف
مُبطئة ، ثم تدق الجرس متأكدة من أن سيدة
هي التي ستبادر بفتح الباب . لكنها تفاجيء
بعمّتها ضحى أمامها ، فتأخذها بالأحضان
وتقبلها ، وهي تسألها عن رحمة وفادية
وجميع الأهل في المنصورة . سائرة معها
باتجاه الحجرة الدّاخِلية ، حيث تقبل نينتها
الرّاقدة على السرير نصف مُنبطحة . ثمّ
تجلس بجوارها على الكنبّة الاسطانبولى ،
وتسأل عن سيدة وعمّتها روز ، فتخبرها
العمّة أن سيدة راحت لتحضر افطاراً . أمّا
عمّتها روز فقد نزلت بورسعيد لأولادها ،
وسترجع على العصريّة .

وتغيض
الليالي . فنقول :
وسماؤنا اليوم
دُجّة .

وأرضنا لم
تزل زحمة
بالوطء . فهل
كان لنا نحن
الثلاثة أن
ننتبه لهذا
الذي تمرأى
فيها لولا
حديث
المجاورة :
وسط الليل
أغلقت
الباب ، ثم
أتمّت
إسدال
الغطاء . وما
هى إلا

وعندما تجيء سيرة جارتها عيوشة
رئيسة الممرّضات، وتستفسر العمّة عن
صيحة خبر حبسها على ذمة قضية سرقة ،
تؤكد لها أن هذا صحيح . وأن الفلوس التي
سرقته من جارتهم السّاكنة فوقها فى
العمارة الملاصقة ، عثروا على نصفها فقط
فى نملية المطبخ ، ووجدوها مرقمة بنفس
الأرقام التى أخبرهم بها زوجها . وأنّ
زوج سميّة طلقها عندما علم بسرقة فلوسه
التى تعب فى لمّا طوال غربة استغرقت
سبع سنوات . وحينما استرجع نصفها ردّها
ثانية . وأنه الآن أحضر عربية تاكسى
وأصبح يعمل عليها خلافاً لوظيفته الدّائم
التزويغ منها . وأنه أخبر عبد الملك
باعترامه تركيب التّكييف خلال أسبوع .
وبينما إيمان مستمرة فى حديثها يلفت
نظر العمّة ضحى أنها كانت من حين لآخر
تتّبّع حركات نينتها بنظرات ساهمة
ودّهشة . فتنتهز فرصة وجودها معها
بمفردتها فى المطبخ ، وتسألها عن تلك
النظرات الغريبة التى لاحظتها، فتجيبها بأن
نينتها دأبت فى الفترة الأخيرة على الحكاية

خطوات عشر
حتى كادت
أن تصطدم
به إذ بغتة
كان انسلاله
من عمارة
صويحبه مجدى
المقرب .
وبغنة كانت
عينها فى
مواجهة
صدره المشعر
المفتوح بأكثر
مما هو معهود
منه . قلنا :
ومن العسير
علينا حالئذ
أن نستوعب
معها
ما استشعرته
يلجّم بدنها
ويجعلها بُعيد

لهن عن أشياء غريبة ، وأشخاص تصفها
لهن بكل دقة ، وتقول أنها تراهم متواجدين
معها فى الحجرة .

تنزعج العمّة من حديث إيمان، وتطلب
منها الاستزاده ، فيما هي تهَمّ بالدُّخول
إلى البلّونة الضيّقة المُطلّة على المنور .
وباهتمام تستمع إليها. إلّا أن جرس التليفون
يطلق رنينه، وتجيء سيّدة لتخبرها أن
زوجها الأستاذ توفيق يتكلم من المنصورة ،
فتسرع لترد عليه وذهنها مشغول بما
سمعت . وعندما تعود تحكى لها إيمان
عن الشخص الطويل شديد سواد الذقن ،
والتي تقول نينتها أنه كان واقفاً فى البداية
على عتبة باب الشّقة ، ثم ظلّ يقترب
تدريجياً إلى أن أصبحت تراه هذه الأيام
على مدخل المطبخ. وهو متجهّم وممسك
بسكين كبير، منكسه إلى الأرض. وأنها
ظلت تطلبهم كل يوم فى عزّ الليل ،
وترجوهم أن يأتوا لها بسرعة لوجود
حرامى فى الشّقة ، وكلّما هرعوا إليها لا
يجدون شيئاً ، ولا حتى أى أثر يمكن من
خلاله تصديق كلامها . بينما هي تقسم لهم

وقوفها
متخشبة على
بعد بوصتين
من دغل
صدره أن
تبتسم له
مدارية شبقاً
بدى واضحاً.
قالت: نعم .
قلنا : فأما
كان لها أن
تكتفى بهذا،
فلا تتماذى
بفتح الشرفه
لتقف من ثم
تراقبه، مما جعله
يندهش لكون
فعلتها هذى
فيها مبالغة
منها صارخة.
قالت: بخ ،
أو لم تروا

أنها تراه أمامها : " أهو واقف عند الباب ،
 إزاي مش شايفينه !! " . وأخيراً قاموا
 بعرضها على دكتور أمراض نفسية
 وعصبية . فشخص حالتها بإصابتها
 بتصلب فى شرايين المخ . وقصور فى
 الدّورة الدّمويّة يُسبّب لها هذه الهذيان
 التى تحكى لهم عنها .
 يعود جرس التليفون للرنين ثانيةً ،
 ويجيء صوت سيدة ليخبر إيمان بأن عبد
 الملك على التليفون ؛ فتقطع حديثها ،
 وتتوجّه إلى الدّاخل تتبّعها العمّة .
 ترفع السّماعة فيصلها صوت عبد الملك
 مكتوماً ومخنوقاً .
 تحس إيمان بأن شيئاً ما قد حدث .
 وفوراً يقول لها أن تسرع حالاً إلى
 مستشفى الأميرى للوقوف بجانب لمياء
 ونجلاء ؛ لأن أمه نقلوها الصّبح للعناية
 المركّزة .
 - : " مين قالك " .
 - : " مش مهم مين قالى . روحى إنتِ يا الله
 نلوقتى ، وأنا حصّلك " . ثم يردف قبل أن
 يغلق السّماعة : " إيمان . مرّى على البيت الأوّل ،

التى أصغت
 لحفيف غيّها
 فى سحق
 العتم فلم تجد
 مفراً من أن
 ترفع له قصراً
 ذا سبعة
 حجر يتحلّق
 بعضها فوق
 بعض ثم
 تدعوه .
 انظروا: هاهى
 تحفظ
 ببصرها نحوه
 من خلف
 مقود سيارتها،
 منتظرة أن
 يرمقها ولو
 خفية، أو
 حتى يتطلع
 إليها بأى
 أمارة

وهاتى معاك ألف جنيه من الشوفنيرة " اهتمام. لكن
لم تجد إيمان يداً من ترك العمّة ، يبدو
والاسراع فوراً بالنزول. أن
وعند مكتب نيوسفنكس وأثناء نزولها مجدى وحده
من فوق رصيف العمارة، أحسّت إيمان الذى لاحظ
بطقة كعب جزمته ، فأدركت أنه قد خلع ، نظراتها
فتوقفت ثم اتجهت للرصيف ثانية ، ورفعت المصوبة نحوه،
ساقها قليلاً ، حيث تأكدت من انخلاعه أما هو
بالفعل . ثم أبطأت من سيرها ، وهى تعرج فقد أصرّ
مطمئنة بقرب وصولها للبيت . على أن

يتجاوز
مكتبة بورفؤاد *****
الحديثة متظاهراً بأنه مأخوذٌ بحديث مطوّل معه . ذات الشىء
حدث منها أمس . وتكرر منه نفس رد الفعل .
فما الذى أطلق من عقال هذه السيدة المحافظة أشواقاً كانت
محجوبة فى صمت سترها ، فأخرجها عما ألفناه فيها من حسن
تصرف، وجعلها تبدو كما لو أنها صبية رعناء تفرّ إلى أنوثتها ؟
تلفتت برأسها إلى وراء ، ثم تسير إلى الخلف قليلاً حيث تبدأ
بحرص فى الطلوع من بين صف العربيات المتراسة، مشيرة إلى دينا
التي تجلس بجوارها أن تنزل الزجاج إلى آخره، فيما ترد السلام
على سندس مصحوباً بابتسامة كبيرة هادئة تنسحب ببطء من
فوق شفيتها ، ثم تختفى نهائياً توّ أن تتم نزولها من فوق الرصيف ،

عابرة إلى الوجهة المقابلة باتجاه أسماك البرج .
أوستوافقوننى إذا ما قلت لكم أنها عندما مرت الآن بعربتها
الفيات البرتقالى عن يمينه ، راودها إحساس ما بأنه إنما يحاول عن
قصد أن يظهر عكس ما يستشعره ناحيتها .

يمثل هذه الهواجس أيها المسيجون بتيجان اللوتس البيضاء ،
يُعزى شجو أخويلات أناسنا ، الذى يهبّ كتراتيل جهيرة تصيـء
بين العمائر مسكونة بالتماعات ضوكم .

بداية يجب علينا وبإسم طول مكثنا هاهنا بينهم ، ألاّ نغفل عن
كون استبصارنا لتضارس هذه المرنّيات التى تتمشهد أمامنا على
مرأى ، لا يخرج عن أنّه محاولة منا دعوبة لا تتوانى عن مطاردة
سأماً ، بات يستبيح كامل فضاء جُرومنا التى مازال يزحف إليها
اليُس ، فهل نحتسب ؟

قلنا : كلا بل لما عادت هى بمحاذاة مقهى الحبال ، لم تكن
الحمرة التى استبان نضوحها على حفاف الوجنتين ، قد بلغت هذا
الحدّ الذى أصبح يمارس عليها حرجاً ، كلما أطل إليها أحد
العابرين النظّر .

نعم أخطأت هى عندما غالبت حذرنا فتناولت دفعة واحدة ،
حبّتين من عقار رونيكلول ريتارد الموسّع للأوعية . ومع ذلك فما
زالت تحسّ ببعض التّئميل فى ساقها اليسرى ، ازداد أثره ، بُعيد
أن وقفت عدّة دقائق متّكة عليها، أثناء انتظارها إنزال الحقيبة .

فرّاعة أضحت بالنسبة لها هذه الحالة مع ما تبثه فيها من قلق
مزمّن لا تستطيع إبعاده . بل ما برحت تذكرها فى كل مرة بكرّ

سنوات الزَّهْوَةِ ودنو الأجل بغير أن تُحقَّق أغلى أمنية تصبو إليها امرأة .

قلنا : لكائنك يا سندس في مفازة قاحلة تعار كين جرجونات تُخيفك ، وكلما ظننت أو خُيل لك أنك قد أوشكت على التَّخلُّص من آخر أذناهما التي تطوِّقك بسواد جلدتها اللصوق ، انقضَّ عليك من عل طائرٌ عظيم ما إن طفق يرفعك بمخالبه إلى مناء قصبة ، حتَّى ألقى بك إلى جرجوناتٍ أُخر .

أهو داءٌ إذ غشوم ليس منه برء يُحكَّم به على بعض البشر ، ومهما جاهدوا في تلمس جريرة له يضمّدون بها حرقة في أرواحهم تُلظي ، خلصت مجاهداتهم إلى لاشيء !!؟

أناسك يامدينتنا شحيون مثل قطيرات المطر ، وجائشون بوفرة من الأهاذى . فمن بمقدوره تسمُّع صليل السيوف وحضئها في حشا بدنك . وأنت مسكونة دوماً بإحساس مُمض بالتَّهاوى من حالق !

قالت : جذبني من يدي ثم باغتني بصوت خفيض: " بعشقك " . وقبل أن أستوعب جرأته المفاجئة ربت على مؤخرتي بيدٍ خبيرة ، فلم أحتمل أن يراني أحد شددت يدي من يده ، وأمسكت بطبق الفاكهة وانسللت بحركة عصبية من المطبخ ، تصعد النار إلى وجنتي وتنفجر عروقي باشتهاء مؤلم . وفي الليل تنبهت للدموع وهي تسح وتغرق وجهي . إلا أن خشيتي كانت كبيرة من أن يصل نحيجي الذي تعاظمت شدته إلى مسامع أختي فريال أو إبنتها ندى ، ولا أجد ما يبرره لهما .

حاولت أن أهدئ من روعى ، وقمت بإدخال رأسى تحت
المخدّة آملّة أن أغفو . لكن لا أدرى ما الذى جعل الأمر يزداد
سوءاً . أهو صدح حليم الكليم ، الذى تسرّب لى من مذياع
الشُرْفة المجاورة ، أم هو احتياجى المسيس البالغ لأن أنفس عن
أبحرة سنوات طوال من تباريح أُمكِنى كتمها . أم تراها كلمات
موعود الأسبانة الحزينة التى تخاطب فى شجوننا ماضية فجرتها
لوعتى . أظنّ أنّه ربّما يكون كل هذا معا .

بعد لحظات أحسست بضغط خانق يعتصر عنقى بقوة ،
ورغاوى بلغم كريحه يملأ حلقى ويكاد يشعرنى بالتقيؤ .
أخرجت رأسى ، ففوجئت بسعال متكرّر يشرخ رثى وتزداد
حشرجه كلما كتمت طلقاته . ثمّ حدث ما كنت أتلافاه ،
وأصرت فريال أن تعمل لى كوبا من الينسون ، وهى تنظر إلى
عينائى المحتقنة نظرات من يعرف شيئا ، فهل ربطت حينها ما بين
زيارتهم لنا وحالى تلك .

قالت : بل أقول لكم : سمعت لهم همهمات غريبة وهمس .
وحينما تأكد لى من ديبب أقدامهم الذى أخذ يذرع الحجرة
بجانبي أن شيئا ما يحدث . وأنّ أختى الكبرى سعاد أتت وفى
جعلتها الكثير من الأمور ، نهضت بحركة محسوبة ثمّ سرت على
أطراف أصابعى حتّى خرجت إلى الصالة التى تطل على الحجرتين .
كانت الحجرة تعجّ بأصواتهم الخفيضة . إحدى ضلفتها مغلقة .
بينما الأخرى مواربة يشعّ منها نور النّجفة القوى بمصايحه
العديدة المسحوبة .

اقتربت ببطء وأصقت أذني بالصلفة المغلقة، وظللت لأكثر من خمس دقائق أحاول فهم ما يتفوهون به ، أو العثور على جملة مفيدة أتبين منها شيئاً ، بلا جدوى .

بعد يومين دخلت على سندس، وأنا أمشط شعري أمام المرأة الملاصقة للسريـر . دخلت وهى تتهلل وفي عينيها بريق وألق مَنْ تغمره وتفيض عليه السعادة من كل جانب : " باركيلي يا اختى ، عاصم جارنا فى الفيوم ، فكراه ، اللي كان بيعاكسنا على باب المدرسة ، حبيجي يخطبنى الأسبوع الجاي . قال لأختي كده ، وبابا موافق " .

وكان صميتى الذى لم تتفهّمه ساعتها . وبعد أن أستعدت نفسى من المفاجأة ، وجدتني أردّد : " بابا موافق ؟! " .

- " آه . فيه إيه ؟! " .

- " هو قالك كده ؟ " .

- " آه ، وماما كمان موافقة . مالك يا فريال ! إنتى زعلانة إن

همه وافقوا ؟! " .

لا يا سندس .

حزنى عليك يفتك بأحشائي .

منظرك وأنت تسيرين باتجاه ماى توى ، يذكّرني برشاقة أيام مضت كانت تُسبّل لعاب رجال حُتّنا .

أنا السبب يا سندس . وأنت لا ترغبين أن تصدميني .

من يومها وأنت لم تفعلينها . كم تمنيت أن تلقىها عاريةً فى وجهي ، ربّما خفتُ صخب ضميري الذى يزيده سكوتك اشتعالا . إلى متى سأظل أتلوى على وقع سياط فعلة لا تريد أن

تتركني ؟ أما من علاج لهذا الألم المقيم الذي ينهشني كلما تلاقت
في لحظات صمتك أعيننا ؟

وأغلقت عيني . وأثنت يدي اليمنى أسفل رأسي ، بينما
مازال صوته يحفُّ بي وينثر في أرجاء الحجرة مُخلفاً شُجيرات لها
إزهار البهجة : " بعشقتك " منذ متى وأنا لم أسمع هذه الكلمة ؟ أو
حقاً قلها لي أحدٌ قبله ؟ كم اشتاق لوقع حُروفها تلك . أو فات
الوقت ولم أعد أستحقها أو تناسبي ؟ ثم كيف يمكنني تصديقه ،
ربما يتوسَّل بما لئيل مقاصد أخرى ؟ يقولون عنه أنه يُحبُّ الصِّد
في الماء العكر ، وأن نجاة زوجته دائمة الشُّكوى منه . آه لو
بأخذني في حضنه ، ويعتصرني بين يديه القويتين المعروقتين .
اشتياقي لرائحة جسده واستطعام مذاقه لا حدَّ له . سُعار لم
يتحقق لي ارواؤه رغم مرور السنوات وفوقها .

قولها صراحة يا سندس ونحن سنردِّدها بدلاً منك : أمشتعلة
أنتِ بترواوت جسديك وغلمته كخيال لا تعرفين له هموداً
أو مخرجاً ؟ أمشتعلة أنتِ بمذيانات امرأة يكوئها منقوع شهوات لا
تُطفأ ؟ حمياً جسد ظمآن لمن يسخو عليه بحَيِّ أعضائه المتدفق
جمراً في معارج اشتهاؤه ؟

أشدوذاً مني أن تظل تطاردني خيالات انسحاقٍ تحت وطأة
جسد صلب عفى ، تُغزغزني ذُكرة شُعيراته الكثَّة المدبَّة . وأرى
نفسي وقد انطرحت أرضاً وجُذِبَ سروالي بعنف ، ورُفعت
ساقِي ودُفعت باتجاه أحشائي ، حيث وسادة عريضة يضعها أسفل
مؤخرتي ، ليداعب بإحدى يديه عضوي ويتزع شُعيراته ، وباليد

الأخرى يعتصر ثدييَّ بحلمتيهما البنيَّين ، فيما فمى مشغول بالقبض على جَظهِ ، واستحلاب خمرة غبطته المسكرة في مورة سعار نشوان يهبط بجنيَّات الشَّهوة من عليَّين .

آه لو لم تدخل علينا يومها ابنته الصُّغرى .
كلَّما تذكَّرت ما حدث يقشعرُ بدنى . ورغم ذلك ما عادت تفارقنى أبداً هذه اللحظات ، وما برحت تعاودنى بوهيجها المستعر وحضور نكهة شبقها العذب المؤلم .

صوت تزييق الباب يغافلنا ، يتمدّد بين تعاريج صوان أذنى ويتضخّم متعاطفاً . تتشبع الأجواء بوجل خفى ينتفض له جسدى . تندفع يدى فى محاولة أخيرة لإزاحته بلا تردّد . هو بارك فوقى يلحق شفقى غير مبال أو منتبه لشيء . يده تسرح بإصرار ودُربة بين فخذى ، وتجرّئى إلى حافة الكرسي . أصابعه تجاهد لتزلق من خلف حافة سروالى الأمامية . أئن تحت عرك أصابعه التى تعصر . آه . أبغى المزيد . اعصر أكثر . بقسوة ، لا تعباً بدفعى . جنيَّات أعضائى تفرّ من لجامها وتطلق هزيمها المدوّى . وددتُ لو يخرق أحشائى حتى يصل إلى نخاع عظمى . صوت بكاء الصَّغيرة يقترب . مازلت أدفعه بكل ما فى من عزم . روائح أشجارهم المتسلقة شرفات البناية تلفحن بوسن رقيق . أنفاسه تتلاحق ، وزبد فمه يختلط برضاب فمى . قواى تُنْهَك لكننى مُصرّة على دفعه . يلتهم لسانى بقواطع أسنانه الحادّة ، ويزداد شراسة فى مصّه . أحد أصابعه يهبط داخلاً إلى جحيم فتحتى الأخرى المختبئة . أتأوّه ، وأكاد أصرخ . أستصرخه بكل

ما في أن يكفّ ، وهو قابض على ضلوعى ببرائن وحش لايفلتنى .
صوتى يعلو . أنتفض لفكرة أن تسمعنى نجاة من خلف حمامها
المعلق . هو سائر فى بغيته بهول شهوة مخيفة لا تهدأ ، وأنا أتجرّع
لذة لم أقتربها من قبل . دموعى تطفر ، وجسدى يتلع انتشاء
ساعيا للقبض على جنياته التى انفلتت . صحيح ربّما لا تستطيع
الصغيرة استيعاب ما يحدث إذا ما رأتنا ، لكن الخوف كل الخوف
أن تفاجئنا نجاة بدخولها بغتة .

ثم كانت رائحة منيه الشبيهة برائحة أزهار القسطل ، والتى
ظلت عالقة بأنفاسى ، ويفوح زفرها مُستجلبا معه جميع طقوسه
يومها ، وذلك بمجرد فقط أن تصل إلى فتحتى أنفى أى رائحة
قريبة الشبه بها . ثم لا مفر بعدها أن أكون أسيرة لعادتى المزمنة ،
والتي أصبحت يومية بلا انطفاء لحم النار التى انفتحت بأحشائى .
أدخل الفراش الساعة الثامنة مساءً ، بعد أن كنت لا أقربه
قبل الواحدة ليلا . وحسبما يمكننى الانفراد بنفسى أواصل
استرجاع كل تفاصيل ما جرى بدقة ونزق متناهيين . يدى
تتحسّس أعضائى وبظرى يشتعل ويحظّ خارجا من هموده . أنوء
به ولا أدرى معه ماذا أفعل غير العرك والدّعك الخفيفين اللذين
يتحوّلان إلى اعتصار شره قاس .

كل هذا وعينى مُصوّبة على طاقة باب حجرتى المفتوح عن
آخره ، لا تُرفع نهائيا خشية أن يدخل على أحد منهما ، يتقافز
إلى ذهنى تساؤل قديم بلا إجابة وماذا بعد ؟! هل باستطاعتى
الاستمرار بهذا الشكل ، وعلى أى نحو يمكن ذلك ؟!

عَفَنِي تَعَذَّبَنِي . خَمْسَةَ وَأَرْبَعُونَ عَامًا وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَعِشْرُونَ
يَوْمًا ، وَأَنَا مَازَلْتُ أَتَعَارَكَ مَعَ هَذَا الْوَحْشِ الرَّابِضِ فِي يَسْتَصْرِخُنِي
بِأَكْثَرِ مِمَّا أَحْتَمِلُ كِتْمَانَهُ .

أَصْبَحَ لَا يَمُرُّ يَوْمٌ إِلَّا وَتَغْزُونِي لِحْظَاتٌ أَتَمَنَّى مَعَهَا الْمَوْتَ فِي
الْحَالِ . الْمَوْتُ أَفْضَلُ لَدَيَّ مِنَ الْوُقُوعِ فِي مُحْظُورٍ يَعْرِبِدُ فِي بَعْدِهَا
إِحْسَاسٌ مُرِيرٌ بِالذَّنْبِ . إِحْسَاسٌ يَزِيدُنِي بُؤْسًا عَلَى بُؤْسٍ وَيَذِيقُنِي
أَلْمًا لَا أَطِيقُهُ . أَطْرَافِي مَغْلُولَةٌ . وَعَنْقِي مُعَدَّةٌ لِلْبَتْرِ فَكَيْفَ يَتَصَرَّفُ
الْوَاتِي حَالَهُن مِثْلَ حَالِي ؟؟! كَيْفَ يَقْضِي حَيَاتَهُنْ بِلَا رَىٍّ لْجَفَافِ
أَجْسَامِهِنَّ الَّتِي تَتَنُّ فِي عَزَلَتِهَا الْمَدِيدَةِ الْمُوحِشَةِ ، وَالْخَالِيَةِ مِنَ الْمَتْعِ
الطَّبِيعِيَّةِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ أَنْ تَطَاقَ الْحَيَاةُ بِدَوْنِهَا ؟! أَجْمِيعُهُنْ يَتَرَعْنَ إِلَى
تِلْكَ الطَّرِيقِ الْمَلْتَوِيَّةِ ؟

بَتُّ أَجْدَ عِزَاءٍ غَرِيبٍ فِي أَفْعَالِ عَفَافٍ ، وَسُلُوكِيَّاتِهَا الَّتِي كَانَتْ
بِلَا حَيَاءٍ تَتَحَاكِي أَمَانَنَا عَنْهَا .

يَسْكُنُ ضَمِيرِي ، وَيُخَفِتُ صَاحِبَهُ كُلَّمَا تَذَكَّرْتُ حِكَاوِيَّهَا
الْفَاضِحَةَ وَأَقُولُ لِنَفْسِي : هَاهِي قَدْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ رَغْمَ أَنَّهَا
مَتْرُوجَةٌ ، وَلَا تَجِدُ صُعُوبَةً فِي تَلْبِيَةِ احْتِيَاجَاتِهَا . فَمَا بَالِي أَنَا الَّتِي
أَكَادُ أَقْتُلُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ ، مَقْبُورَةٌ بِانْتِظَارِ الْمَمِيتِ . كَوْنُ هُوَ
قَلِيلُ الْمُمَارَسَةِ كَمَا تَدَّعَى ، أَوْ مَشْغُولٌ عَنْهَا بِعَمَلِهِ ، فَهَذَا لَيْسَ
مُبَرَّرًا كَافِيًا لِتَصَرُّفَاتِهَا الْمُسْتَهْتَرَةِ ، وَانْزِلَاقِهَا الْمُبَالِغِ فِيهِ وَالَّذِي لَيْسَ
لَهُ مِنْ وَازِعٍ مِثْلِي يَخْرِجُهَا عَنْ إِرَادَتِهَا .

صَحِيحٌ ، وَأَبْدًا لَمْ يَكُنْ لِي خَطَرٌ بِبَالِي قَطُّ ، أَنَّهُ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ
سَتَكُونُ رَأْسِي مَحَلًّا لِتَعَارُكِ كُلِّ هَذِهِ الْأَفْكَارِ الَّتِي تَدُورُ حَوْلَ شَيْءٍ

واحد فقط . شيء واحد يصير معه أى شيء آخر ، مجرد عبث لا طائل منه ، بل وأتردد ألف مرة قبل أن أعطيه مساحة من وقتي ، متسائلة عن مدى استحقاقه هذا الوقت .

إنني أشعر أن حالي قد بلغت حداً مفرطاً في التَّطَرُّف . هل أصابني المرض ؟ لماذا لم أعد أرى أمراً غيره في حياتي ! أُلْفِزَعِي من سني عمري التي تنقضي بلا منجى ؟ أليس لي الحق مثل أى امرأة أخرى ، في أن أعيش حياة طبيعية مع رجل يُحِبُّني ويرعاني ؟ أو لا يشفع لي طول ما انفقته من سنوات كثيفة مُرَّة ، في أن أنال بعضاً ممَّا أصبو إليه ؟ أستظل حياتي سائرة على هذه الوتيرة المرعبة ؟ أو ستستمر مرارتها ساكنة هكذا في حلقي ؟

آه .. جوعٌ يَأْكُلُنِي جسدي . سُعَارٌ يُسِيلُ مِنِّي اللحم ، ويدعه مُكَوِّماً منهوياً في مفترق شوارع بورفؤاد ونواصيها . أبى . أراك وأنت تعطيها مصروفاً أكبر مِنِّي وتقول أنها يجب أن تظهر أمامه بمظهر مشرف . أبى أراها وهي تأخذه من يده إلى ركن في الحجرة ، وتختلس منه القبلات بلا أدنى اهتمام لتواجدنا معها في شقة واحدة . أو أن هذا ضد طبيعتها كأنتي . وضد تقاليد عائلتنا المحافظة .

من أوَّل أسبوع يا أبى وهي تتركه يتحسَّس جسدها ويجول فيه مداعبا صدرها دون اظهار لأى بواذر تمُّنَع . أكثر من مرة رأيتهما من وراء شيش الشُّرفة وهما في أوضاع يصلان فيها لأكثر ممَّا تصوَّرت . هما يظنَّان أنني في حجرة أُمِّي أساعدها في طيِّ الملابس المغسولة ، فيما أنا أنتظر بفارغ صبري ، يوم الجمعة هذا ،

مُنيّة نفسى بَمَن يَحْيىء ، ويفعل معي مثل الذى يفعله هو معها .
أخي على الجبهة لا يأتى إلا كل شهر ، أو كل ثمانية وأربعين
يوماً ، ثم لا يَمكث فى الغالب إلا بضع ساعات قليلة ، وأنت
مشغول بعملك تأخذك دوامة ورشة قطع غيار السيّارات . أمّا
هى فتكشف عن رغبتها المكبوتة بعين جريئة . لم أكن أعلم أنّها
تملك كل هذه الجرأة مع الرجال .

إنّها مثالى لم يكن لها صداقات مع الجنس الآخر . ليس فقط
لشدّة أخى ورقابته الصّارمة علينا ؛ فمن الممكن كما تعلم أن
تتواجد مثل هذه الصّدقات لو كنّا رغبنا ، وبالرّغم من كلّ ما
يُمارسه علينا أحيانا من ضغط . لكنّنا لم نكن نُحبذ التعامل مع
الشّباب ؛ فقد كانت خشيتنا كبيرة من أن نُصبح مُضغّة للكثير
من ألسنة هذه البيئة الرّيفية المغلقة على عاداتها ، والّتي لا تقبل
الاختلاط بسهولة .

ذات يوم . عنّى أن أجلس معها ، ولا أختلق حجة ما
تُمكننى من التّهرّب ، مثلما أفعل فى كلّ مرّة تطلب منّى أمّى
ذلك ، لكنّنى فوجئت بأختى تنادىنى من خارج حجرة الصّالون
الجالس فيها هو ، وتنبّه علىّ أن أتركهما بمفردهما ، وإلاّ ادّعت
علىّ أمامك واحدة من ادّعاءاتها الكثيرة المتكرّرة الّتي كنت
تُصدّقها أنت منها بسرعة ، ثمّ لم تنسَ قبل أن تفوتنى ، أن تُطلق
رصاصتها المؤلمة علىّ : " إنتى عايزة تخطفى منّى الرّجالة كده على
طول " . حقيقة يا أبى كثيراً ما كنت أخشى أختى ، مُتصورة أنّها
أكثر خبرة منّى ومعرفة بالعالم ؛ وإنّنى لذلك يجب أن أطيعها ، ولا

أخلف لها أمراً ، وإلاّ أذاقتني من مكائدها المؤلمة ماهو فوق طاقتي .
فهى دائماً يا أبى ما كانت تتمثل لى وقتها كامرأة كبيرة لها
حنكة ، ودراية الكبار ، رغم أن الفارق بيننا أربعة أعوام فقط .
هل تذكر يا أبى يوم أن أغلقت على باب حجرة النوم ، وأنا
مازلت أكمل ارتداء ملابسى مدّعية أنّى قد سبقتكم وجارتنا هنية
لفرح بنت خالتي . ثم لم تكتف بذلك ، بل ارتدت خفية منكم
حذائى الذى كنت قد اشتريته خصيصاً لهذه الحفلة . لتُفاجأوا
حين رجوعكم بأننى مازلت نائمة على سريرى وقد امتلأ فراشى
بالدموع . وكل هذا لخوفها من أن يرانى صديق شقيقنا منعم ، أو
أبى من شباب العائلة ، فألفت نظراً أحد منهم ويخطبني قبلها .
أبى إننى أحبُّ أختى فريال كثيراً ، لكننى كنت أخافها أكثر .
ثمّ فيما بعد تحولّ خوفى منها إلى شفقة ، وربما كره أيضاً . أبى
مازال ينمو داخلى تجاهها أحاسيس مُتناقضة لا أعرف منبعها ، أو
ربّما لا أستطيع بالضبط تفهّمها تماماً ، مثل المشاعر التى أشعرها
الآن نحوك . أبى أنت الذى أدخلتنا هذه الدائرة المغلقة المميّنة ،
التي أصبحت تسجننا يوم أن صمّمت على رأيك ، دون مبالاة
بموقفى . أبى إننى أحبُّك مثل أختى ، لكن تسمح لى أن أبوح لك
بأننى صرت حقيقةً أخشى أن يكون قد نما داخلى كرهك .
قلنا : إذن أنت وحدك التى تستطيعين أن تُوهمينا بما كان
يُغالبها فى العشيّات إن التّكأت . ووحدهم الذين فى الواجهات
المهيّأون للالتئاس بإسباغ حصافتهم على ذلك . فإذا ما سَنَح
لهم أن يُخاطبونا عن اللتين تتحيّنان الوقت للسّفر ، هابطتين درَج

كأننا
بكم
ننتسب
لمن
يُمارس
حياة
.

عمارة كافثيريا الطيران باتجاه المرسى، فما من
ضرورة لأن نكون بوقاً مُتسَعاً لهذيانات أُخر ، عن
عائلة عثمان شلى الجيزى ، أو عن العلاقة التى
راحت تكتسب مُسمَّها بين امرأة المتر وهيب ،
وبنت زوبة الفحلة . وأن يكون تريثنا ملياً قبل أن
نتحدَّث بتعال مسبوك ، عن سَمَت ذلك اللوح
الذي كاد اللون الأصفر أن ينحل باقى سماويّته .
وكَلِّما سألناه كانت إجابته : إنَّه جزاء ما عملتُ
بأرِحيقِ التى عهدتموها فى ، على تمكين بروريات
سطحي من الاستطالة ، فحدث أن جميع اللصوقات
التي دأبوا على تمكينها لدواعي انتخائية ، تنفض
حوافها فى وجل متهاوية حين تماسَّها معى . ويصحَّ
أن أ مُشْهد لكم ما حدث نهار أمس ، فى شقة العميد
الشربيني ، كى يكون بوسعكم التَّثبت من مدى دقة
حكى أولئك المصطفين بطول شارع الجمهورية .
حيث أكمل إسهابى بما لدى من صيغ ، عمَّا تقوَّلوهُ
عنه من كونه المسئول الأوَّل عن فكرة توزيع
استثمارات استطلاع المحافظة فى إمكانية عودة تمثال
ديليسييس إلى شاغره عند مدخل القناة .

وكما يقتضى منى الواجب لن اسهو غافلاً عن
ذكر أبناء الشَّاعر عبد المنعم ويحيى اللذين مازالا
يباهيان أحفادهما ، بما وضعاه من ديناميت ، أسفل

قاعدة التمثال .

على أن مبالغوا في وصفه ، بنسج تفاصيل تعزوا حركة يده
لنوع من الانخطافة المفاجئة ، التي فقدت صوابها للحظة ،
فسأعتره أنا مجرد تحفيز لى ، كى أرتق المساحة الفاصلة ما بين
إقدامه - باندفاع محسوب - على تحسُّس قضيهه النَّاتِيء بِقِماش
بنطاله، والضربة التي وجهها له شريف بمقدِّمة قدمه أسفل عظام
الرُّكبة ، ليسقط عنه كل ما ألصق به من صفاة موقرة . ثم تلك
النظرة المحقرة التي لن ينساها الشَّرِيبِني أبدا مهما طال محياء .
وبالهرء ذاته أسبغوا على أنفسهم الجسارة للقيام باختصاص
الاستبصارين ، فشرعوا يمنحون الدلالات على ما لم أجروا أنا ،
رغم اقترابي الشَّدِيد منه لأكثر من خمسة عشر عاما ، على الزَّعم
بمعرفة دقائق غوائره . فبالله عليكم ، كيف يكون جورج مشغولا
بتقمُّص حال معتقلي زنازين بازمامارت، بسقوفها الواطئة، في
نفس الوقت الذي يُحاول فيه إكساب عناصر مشهده قبل الأخير،
حيث وقوع الفيكونت دى رباستين على جسد المرأة الجالس
مُتجمدا على مقعده الخشبي ، عتاقة تناسبه. ثم يُبرِّرون ذلك بمخيلة
شغوفة بالحكايا الخرافية المرعبة. رغم ما يعلمونه جيدا عن تلك
الحادثة التي وقعت له وهو طفل في كنيسة مارجرجس .

أهى أخيونات يُعلنونها أمانا ، لتغامض عمّا يشيعه كث
أخضرهم من كرية روائح كويثناهم الطَّيَّارة ؟

قلت : لاحظت أنه فيما يتعلق بالموقف الذى افتعله معه البيبي
تيس ، الأحد الفائت ، وأضحك أفراد الشَّلَّة عليه ، أنه قرَّر أن

يُكَيِّلُ لَهُ الصَّاعَ صَاعِينَ ، وَيَصْدُمُهُ بِالذِّى يَعْلَمُهُ عَنْهُ ، وَعَمَّا يَفْعَلُهُ
مَعَهُ الرَّئِيسَ زَكَرِيَّا لَيْلَةَ كُلِّ جُمُعَةٍ ، فِي جَرِيرِينَ عِمَارَةَ الْأَطْرُوشَى ،
وَعَنِ الْجَنِيهَاتِ الْقَلِيلَةِ الَّتِي يَقْبُضُهَا مِنْهُ ثَمَنٌ ذَلِكَ . وَيُرَوِّحُ يَشْتَرِي
بِهَا قِطْعَ الْحَشِيشِ الَّتِي يَفَاخِرُهُمْ بِهَا . لَيْسَ هَذَا فَقَطْ ، بَلْ وَعَنِ
أَخِيهِ الَّذِي ضَرَبَهُ أَحَدُ الزَّبَائِنِ عِلْقَةً سَاخِنَةً ، لِمَفَاجَأَتِهِ أَمْرَاتِهِ
بِإِخْرَاجِهِ لَهَا عِضْوَهُ ، حِينَ كَانَ يُوَصِّلُهَا إِلَى مَسْكَنِهَا بِجَوَارِ جَنِينَةٍ
سَعْدَ ، ثُمَّ حَجَزَهُ بِالْقِسْمِ لِأَكْثَرِ مِنْ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ مُتَوَالِيَةٍ عَلَى زَمَةِ
التَّحْقِيقِ ، وَاسْتِنْجَادِهِ بِاللَّوَاءِ مُخْتَارِ التَّفَاهَنِ ، الَّذِي لَوْلَا تَدَخُّلُهُ ،
وَإِقْنَاعُ الرَّجُلِ وَأَمْرَاتِهِ بِإِصَابَتِهِ بِحَالَةٍ مَرْضِيَّةٍ لَا يَدْرِي مَعَهَا حِينَ
تُفَاجِئُهُ مَاذَا يَفْعَلُ ، لَقَضَى عِدَّةَ سِنَوَاتٍ أُخْرَى مِنْ عَمَرِهِ مَسْجُونًا .
لَكِنِ الْمَفَارِقُ فِي الْأَمْرِ أَنَّ جُورْجَ بِالذَّاتِ هَذِهِ الْأَيَّامَ ، لَمْ يَكُنْ
لِيَتَنَاسَى أَلَمَهُ بِهَذَا الْقَدْرِ مِنَ الْإِلْمَابِلَاءِ ، لَوْلَا عِلَاقَتُهُ بِمَدَامِ سَلْوَى ،
الَّتِي بَدَأَتْ فِي اتِّخَاذِ مَنْحَى جَدِيدًا . فَمَنْ كَانَ يَتَصَوَّرُ أَنَّه
اسْتَطَاعَ أَخِيرًا أَنْ يُقِيمَ عِلَاقَةً بِأَمْرَاءَ تَكْبِرُهُ بِأَكْثَرِ مِنْ خَمْسَةِ عَشَرَ
عَامًا . هُوَ الَّذِي لَا يَسْتَشِيرُهُ مِنَ النِّسَاءِ ، إِلَّا الْأَكْبَرَ مِنْهُ سِنًا . فَلِذَا
بِرَغْبَتِهِ تَتَحَقَّقُ وَبشَكلٍ نُمُودَجِي .

إِنَّ أَكْثَرَ مَا يَجْعَلُ جَسَدَهُ يَنْتَفِضُ ، كُلَّمَا غَزَتْ أَطْيَافُهَا ذَهَنَهُ ،
هُوَ إِحْسَاسُهُ بِأَنَّهُ وَرْغَمَ صِغَرِ سِنِّهِ ، قَدْ صَارَ قَادِرًا عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ ،
وَالْتَّحَكُّمِ فِي مَشَاعِرِ إِمْرَأَةٍ كَانَتْ حَتَّى وَقْتُ قَرِيبٍ لَا يُنَادِيهَا ،
سِوَى بَطْنِطٍ أَوْ أُبْلَةٍ .

كَمْ أَتَذَكَّرُ شِدَّةَ اخْتِلَاجَاتِ بَشَرَةِ وَجْهِهِ ، وَزَيْغِ عَيْنِيهِ ، حِينَ
كَانَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى لَوَاقِعَتِهِ مَعَهَا ، يُغَادِرُ بَابَ شَقَّتِهَا وَيَغْلِقُهُ بِهَدْوٍ

وحذر ، متلفتاً يمنةً ، ويسرة . ثم الفزع الذى اعتراه ، توَّ أن رأى زوجها شوقى ، وهو يصعد الدَّرَج حاملاً كيساً به بعض المشتروات . حيث فكرَ بسرعة أن يهَمَّ بالطلوع إلى الدور الأعلى ، لكنَّه خشى أن يكون لخطو قدمه حفيفاً يسمعه فينتبه . إلا أنه ما إن رآه يتوقف أمام شقَّة جاره السفلى عزَّت الإمام ، ضارباً الجرس مرَّات عديدة بلا تمهُّل ، حتَّى راح يُطلق زفيره فى راحة .

ومنذ دقائق ، وبجوار عمودى الأيسر ، وأثناء ما كان يُطلع زميله مجدى على ماخطه ليلة البارحة ، تأكد لدى ، وبما لا يدع مجالاً للشك ، أن شيئاً ما فى حياته قد توهَّج ، ومنحه طَراجة فى التَّعاطى مع فيوضات العالم . بل أن ما كان لا يولى له اعتباراً فى طرائق سرده ، أصبح من آليات إنتاجه لما يُحيكه من علامات . أو لا تُلاحظون معى ، كيف نزع إلى تلافى نظرات مدام عقيلة المصوَّبة بوضوح نحوه ، وذلك فقط لجرَّد لمح مدام سلوى ، واقفة فى شرفتها تنشر بعض الملابس الدَّاخلية لزوجها ؟ إذ بالطبع لولا خشيتها من أن يُخامرها شك ، قد يخلق حاجزاً بينها وبينه ، لما عبىء إطلاقاً أن يُظهر ناحيتها أى اهتمام .

انظروا : هاهو ، وُعيد تجاوزه لميدان المسئلة ، يعمد لمغازلة الأستاذة عرَّة ذات السَّاقين البيضاوين الملفتين للنَّظر . يُمكنكم مُتابعة حركة شفَّتيه ، وهما يهترَّان بحرص ، والابتسامة تعلق بهما . يبدو أن مغازلته قد صارت من الأشياء المألوفة التى تطيب لها صباحاً ، فوق حركاتها لا يشير إلى أى نفور غير مُستحبٍّ ، أو انحراف يُبعدها عن مجال توجُّهها . وحسبها العين الخبيرة أن تلاحظ

إيقاع سيرها الذى يزداد دلالاً وأنوثة . فمهما فعل - هكذا تقول لنفسها - فلن يصل إلا إلى كلمتين أو ثلاثه ، قد يحملوا كثيراً من بذاعة ، لكنهم ربّما يشحنوها بما هى فى أمسّ الحاجة إلى الاستعاضة به ، عن إعجاب تستجديه من زوجها الذى يُلوّح لها بأخرى ، مُدّعياً رغبته الشديدة فى الإنجاب . ومع افتراض أن هذه الحالة أضحت ذا تأثير مُشدّد عليها ، فبوسعكم أن تتقافزوا بخيالكم ، إلى الحدّ الذى تغمركم فيه بشاعة الصّرخات التى تئنّ بها أنوثتها . ثم ماعليكم إلا أن تُركّزوا جواظكم على الرّعشة التى جدّت على جفنها الأيسر ، والهلالات الخفيفة السوداء التى راحت تتسع أسفل عينيها ، حتّى تُدركوا كم بات يُؤرّقها أمر زوجها ، بأشدّ ممّا تستلزمه حالتها تلك .

فلمرّة واحدة كرّرت عليه ندائى ، وعندما لم يجئني منه ردّ تناوشتنى الظنون . أمسكت بمقبض الباب ، ودفعته بقوة . كانت نوبة الرّبو قد فاجأته وهو فى نهاية الاستحمام . المرجّح هو تسرّب بعض الغاز من مواسير السخّان الصّديئة القديمة . حرصى على وضعه خارج الحّمّام لم يكن احتياطاً كافياً على ما يبدو . ولولا وجود حقنة الديروفوس ، ومقدرة أحنى على إعطاء الحقن ، لكان من المستبعد إنقاذه . بدت لى التّوبة شديدة هذه المرّة ، حتّى أنّي وجدته متكوّماً وعارياً تماماً بجانب المرحاض ، وكلما لطمته على وجهه محاولة إفاقته ، كان يهذى بكلمات غير مفهومة . يالهفتى . الولد الوحيد سأفقدّه مثل أبيه . وصرخت عدّة صرخات . قال لى أحنى فيما بعد ، أنّى كنت فى حالة شبه هستيرية ، لم

يسبق أن رآني عليها . حتَّى الجار الَّذي دخل علينا الحَمَام ، لم يسلم من دفعات يدي وتشويحها . وذلك حينما قال فقط وهو يحاول جذبُه معي إلى الخارج ، أَنَّهُ طلب الاسعاف لثُرتله . حيث وجدّتي أصرخ بعزم مائي وألطم خدودي : " لأمانزلوش " .
أو يعتقدون أَنَّهُ بإمكانني نسيان مَوتة أبي في المستشفى ، وهم يُحاولون إنقاذه بأجهزة انتهى عمرها الافتراضي . وما اصطنعناه من حيل ، كي نعيده إلى البيت ، ولا يُلقى به إل مشرحة المستشفى ؟! كلِّ القواميس لن تستطيع أن تصف حالتني وقتها . تكفي الرَّعشة التي مازالت تتابني حتَّى الآن كَلَمًا هَبَّت على هذه اللحظات .

قلت : لكنك هأنتِ وبهجة مثيرة للحسد تسرعين إلى الشُّرفة . تبدئين خطواتك جرياً ، ثم قبل المدخل بخطوتين أو ثلاث تُبطئين مُهدئة . وعندما تلمحين جارتك عليّة ، وهي تُطل من شرفتها العلوية المقابلة ، تحمدين الله على أَنَّك قد ظهرت أمامها في حالتك العادية . وأنّها لم تلمح شماتة ما في عينيك ، يُمكنها أن تعزوها لحادثة سناء المعروفة مع إبنك .

تتهددين بقوة ، ثم تبطئين مائلة بجزءك لفتح إحدى ضُلُف الخزينة الخشبيّة المكونة بأقصى الشُّرفة . حيث تُبدئين وكأَنَّك تبحثين عن بعض أدوات المطبخ ، فيما عيناك تُحاول جاهدة وفي التفاتات سريعة من فرجات السُّنابل ، استكشاف ما يحدث . أمّا عن كون عيني عليه يرمقان حركاتك ، دون أن يُعطيانك المساحة الكافية لتلقائيّة الالتفاتات ، فأمل ألاَّ يحول هذا بينك ، وبين أن

تعرفين بالضبط أسباب تعالي صرخاتها هذه الغير مسبوقة .
 قفى الآن ، وطلّى من الشُّرفة . لاتبالي بشيء إن مشهدهم
 الغريب ، لو لم تهمّى بسرعة سوف يفوتك . عجلّى باخراج
 الهون النُّحاسى من بين فتحتى القدرتين ، وزمّى عليه يقبضتك، أو
 فلتركيه بجانب المنشر الحديدى الصّدىء . لم يعد هناك من وقت
 لرؤية العركة فى أوجها . كان ممكناً ببساطة أن تُدلى سلتك
 الخيزران ، وتقفى منتظرة بائع الخضار الذى يُقبل من ناصية
 شارع مقهى الحبال بغلظة صوته الممدود الصّارخ ، دون أن
 تتصنّعى كل هذه التّمثيلية الغير محبوكة . ماذا يُضريك فى مشاهدة
 الواقعة كبقية الجيران . حساسيتك الزائدة التى ورثتها عن أمك
 ستظل تشقيق بقية العمر ، إن لم تضعى لها حداً .
 قال : وعدت للتفكير ثانية ، وكدت بالفعل أن أبادرها بما
 ترددتُ طويلاً فى كشفه أمامها . وقلت : ربّما تهدأ ناراها، وتعود
 للاهتمام بالطفلين . كنت أراها تذبل أمامى ، ولاتقوى على
 النهوض من الفراش ، إلا حين تضطر فقط لدخول الحمام .
 عيناها دائماً تسحّ بالدموع ، ووجهها فى صفار طلاء الغرفة
 النّاصل . كابتى ، ومُغبرّ وعليه تكشيرة جهمة تفضح غضب مرير
 مكتوم ، وكأنّها ليست حزينة فقط ، بل رافضة لما قدّره الله .
 جاءت الخالة فتحية بناء على رجائى من أبو كبير لتمكث فترة
 معنا، وبكلامها الحكيم المتبصر استطاعت أن تنتشل زينب تدريجياً
 من كآبتها المزمنة، فبدأت بتعفف تقبل على الطعام الذى كانت
 لاتقربه لمدد طويلة ، بل وتقف أمام المرأة ، لتأمل وجهها ، الذى

انطفأت وضاءته ، وتسريح شعرها الخشن المجد ، ثم تظل قاعدة طول النهار على فراشها تقرأ القرآن . إلا أنها وبعد عودة الخالة إلى بلدتها ، صارت تجعل النهار بكامله لأعمال البيت ، مع الحرص الغريب على عدم الدخول نهائياً إلى الشرفة ، فإذا ما احتاجت شيئاً تناديني خصيصاً لكي أدخل بدلاً منها وآتى لها به ، رغم ظروفى الخاصة التى لا تجعلنى ألبى لها حاجتها بسرعة . ثم بعد صلاة المغرب تجلس على الفتية المجاور للسرير وتظل تقرأ فى القرآن حتى يصيبها الإعياء فتنام ، وكثيراً ما نامت وهى واضعاه على حجرها ، فأخذ من بين يديها وأدخله أسفل مخدتها وأوقفها لتنام .

حزن دفين يعوى بين ضلوعها ، وأتابع أنا جهادها البائس للتغلب عليه أو تحجيمه حتى لا يسحقها هى وأطفالها . وبعد أن كنت أفكر جدياً فى مفاتحتها ، أصبحت مشغولاً بمحاولة معاونتها للعودة ثانية للممارسة حياتها بشكل طبيعى . وكلما لحت بكاءها الذى كانت لا تريقه إلا خفية منى ، عاودنى انشغالى بمدى صحة قرارى بطى هذا الأمر فى نفسى .

إن تفرسها الآن فيما تفعله جارتما سناء وهى تعلو بصراخها ، ليعيدنى سنوات إلى ما قبل فاجعة أغسطس المشؤومة ، حيث كانت ملامحها تنطق بهذا الفضول ذاته والرغبة الدفينة فى معرفة أسرار البشر من حولها ، بل وأدق خباياهم - رغم حرصها المبالغ فيه على ألا تخرج مشاعر أحد - حتى أن الحال كان يناديها بالصفراوية الصغيرة ، ولما كنت وقتها أظل أبحث عن هذا الصفار الذى يقول به الحال فلا أجده ؛ فقد انتهيت إلى الاعتقاد أنه مؤكد

يوجد في مكان ما لا أعرفه ، وكلما سألت أمي عن هذا الذي يقوله خالي ، هزنتني بشدة ، وحذرتني من أن أتفوّه بمثل هذا الكلام على أختي ، لكنني لا أدري لماذا كنت أنظر بالذات كثيراً إلى عينيها ، وأقارن بينها وبين صديقتها عبير ذات الفوينكات القصيرة والحول البسيط في حدقتها اليمنى .

تطلع معي إلى حماسها الغير منظورة التي تشع من حركاتها ، وهي تدلى السبت مهدأة من لايبالي بما يحدث ، ثم فلتتصوّر المدى الذي يمكن أن يكون قد بلغته من شقاوة وعفرتة في ميعة صباها الباكر .

أختي يا على كانت نموذج للفتاة الذكية والجميلة والمتمردة والمقبلة على الحياة ، بكل ما تحتمله هذه العبارة من معنى . وظلت هكذا حتى بعد زواجها وإنجابها لابنها الثاني كريم ، إلى أن حدث ماحدث .

- : " كون إني بقولك فاتحها إنت بنفسك ، فده مش رفض مهذب أبداً منى زى ما إنت افكرت ، بس غرضى إنك ربما تقدر تقنعها وإنت بتقولها " . ويقول أنه في كل مرة يفاقحها في هذا الموضوع تبكى بشدة وترفض تماماً مجرد الحديث فيه ، وتقول له : " آمال بيقى فين بقى الوفاء يا جمال ، أرجوك ، أقفل الموضوع ده أرجوك . أنا خلاص حعيش لولادى وبس " .

هنا ينهض جمال من جلسته فوق مقعد الصالون ، غارزاً هلب السنارة في مكانه المخصص على عموده الخشبي ، ثم يتجه إلى النافذة مشيراً لعلی أن يتبعه ، وبينما يتطلع على ، هذه المرة

بطرف عينيه إلى زينب التي مازالت مشرّبة من الشرفة ، يتأمل جمال حركات سندس وهي تقف على مدخل أسماك البرج بفانلتها السماوية الزرقاء ، وجوبها الأسود ، وقد استحوذ عليها الموقف ، وأضفت مسحة الحزن التي يكتسى بها وجهها جمالا خاصا جعله يطيل إليها النظر ، ولا يقدر على رفعه .
كم أتمناك يا سندس . هل ستفصح لى الأيام عن كم كنت مخطئا بإحجامى عن التقدم إليك .

كفاك مهارات يا جمال . ظروفك واضحة وتمنعك . قدرك أن ترمقها هكذا فقط من حين لآخر . قدرك أن تعايشها فقط فى صحوك ومنامك كخيال أو كطيف ، يذكرك بكم كان من الممكن أن تكون حياتك جميلة وساحرة ، لولا ما قدر لك وليس لك فيه يد .

ونقول : غشيتك جهمة الزمن المكبل لخمسـة وأربعين عاماً من دفقك الحى ، وأنت مازلت تصغى لصوت غائر فى دواخلك ، يُمنّيك بسطعة أمل قادمة ، فتتخذ من البشاشة سمّتا لوجهك ، وتتغاضى عن دُويّة هذا الألم اللحوح الذى ألفت نفسك محلا لنخرها ، بتحاحك مديباها كلما ارتكنت فترة لهدأة من شجن ، وتُساررك بالذى تذاوب منك حتى النخاع ، وليس بالمستطاع إرجاعه . فبإسم الوجد المتخثر فى كينونة هذا الجسد المصلوب على تضاريس الأيام ، وبإسم بزوغ أحلام العمر التى تُسكب بين حضور اللحظة وكرّها ، تآبط حزنك ، وأبصر كيف تُعايش فقدان الروح لرتقتها ؛ فما من شأن أحد هذا حاله ، إلا أن يُصابر

لائذاً بالصمت ، وكما يتكشف لشيخ في أواخر سنى عمره ،
وبأصح حجه يمكن اشهارها إزاء احتياجه الشديد لمن يؤنس
وحده ، استنيم لتوهمات تتوقع نفعها ، إلى حين يُجاز لك أيام
تستطيب فيها طعاماً تمنحه إياك . فإذا ماتسنى لك أن تُشاطر أناس
شوارعنا المقربين إخفاقاتهم . فتعلم كيف لا تصير نهباً لستمتمتالية
موجعة ، أو تهرؤ يقربك من حد استساعة الانزلاق في حومة العى .
فمن المسموح به الافتراض أن محياك بقية الأعوام القادمة سيكون
كغلصمة في الحلق ، أو أن أنسجتك لن تتقبل ، بعد ما أذاقته من
شظف ، أى جفف آخر يقاسمها ما تعايشه الآن على مضض ،
لكن كون أن تأخذك أريحية الاستئامة لهذا الذى كنت تعتقد أنك
متجاوزة لاحالة ، فهو مانخشاه عليك بالفعل ، ولا نملك إلا أن
نحس معه فى أذنك ، بالأا تمناع إطلاقاً من أن تقضى وطرك من
أى واحدة تتصور قبولها بك ، بغض النظر عن ولعك بها من
عدمه .

*إنه نهر لىتى يغرى بالنعاس فى أعماق كهفه
الصغرى* ، ومن فوقه الحصى يرقد وقد تيبس ركمه . ثم ماهى
إلا صكة واحدة ، وتندلع الحلكة نضاجة بهيارها الذى يُناسب
تلويناتنا العداء . أسرجوا شعاليكم ، وزر كشوا بها طلات له
دامسة . سيسعى كل منا إلى قبره الحزين وسيسترد
جسده وصورته ويسمع ما يدوى إلى الأبد* .*
إذن فشأنك من الجلى أن تبصره ، وأنت تتخندق خلف
تمازلك بظروفك الخاصة . وعندها أطلقها كصرخة رستنيك

الأخيرة: " جاء دورنا الآن " ، وأشرع في تنسّم مناخات قد تفتح لك أذرعها . فإذا ما خامرتك نفسك ، وخلتها قدرة على استعادة مباح صبا آزفة ، فلا تعزو ذلك إلى انكسار الأربعين ، بل اعزوها إلى وفرة في الجسارات التي يجب استفاد مكنوزها ، وابدأ بذات المهمة ، على تكشف مكنون فيك طال كبح بكارة انطلاقاته ، نحو مزيد من التشبع بنقيع الحياة وصخبها ، ذلك الصخب الطالما تسمرت أقدامك على أعتابه ولم تملك الجرأة الكافية لاجتيازه . فأهلاً بأهل الشمس الذين يرقصون أمام وجهك . وإيه بتلك الأصداء التي تعربد في بدن لم يزل يُسارق النظر إلى مُسكرات حراشفه . فلربّما يا جمال تكون كل التّنينات في حياتك أميرات جميلات ومقدمات ينتظرن رؤيتك يوماً ما* . فهل كان ينبغي مثلاً على الشاب يحيى ، ألا يدخل بزوجته في نفس الشهر الذي توفي فيه أبيه ، وعندما يخاطبه أحدهم عن عميق الوفاء الذي يتخصّل به ، ينفطر الدمع من عينيه؟! أم أخطأ محسن بيه حينما أصرّ على الزواج من قرييته وفية ، رغم أنه لم يمر على وفاة رفيقة عمره سوى أربعة أشهر؟! هل نقول عندئذ أنه قد خان حبه الكبير الذي كان يتحاكى عنه أهالي شارع ١٥ سبتمبر ، ولم يحرص على الاحتفاظ بنموذجهما هذا الرائع داخل مخيلتهم؟! أئى سياج هذا الذى تضربه حول نفسك ، وحول ما تظن أنه عالمك الوحيد الذى يمكنك السكنى فيه . بلغت المدى فيما كان العم لوقا ينعت به طاهر ، على مسمع منك . ونؤكد إن ما يحجبه

عنكم طاهر لكثير .

فأنى أنت من حيوات طاهر التى تقطل بباخياتٍ تستبق فى
الخطافاتها تخوم العدم . ففى الوقت الذى ترى طاهر يسير هكذا
بفقدان همة غير محدودة متجاوزاً كوافير لانسكا ، باتجاه على
ما يبدو مقهى الأوبرج، فتق أن ما يخطر بين ضلوعه لكفيل بتصعيد
أرهاطاً من البشر إلى مدارج عالية ؛ فقط إذا اتخذ له إسماً فى عالم
الحضور. فلا شئ فى الواقع يمكن أن يمنع هذا المشاء المسهد القلق
من أن يجتاز سحق ميتاته ولو أبهظ ما ينوء به من حمل .

استدر إلى الخلف ، واذهب لتقترض من جارك عويضة
سلطان ما يكفيك من جرأة ؛ كى تقبل على ما ليس لك منه بد.
فاذا ما خامرتك الهواجس بشأن ما عقدت عليه العزم ، فانطلق
إلى عوالمك المشفرة وتأمل طيران تيك العيون ،
وهذا الظهر الذى يتقوس ، وهذين الفخذين
الذين تضمهما الذة ، وتأكد أن الموت ليس هو
الذى يأخذ أولئك الذسوة ، بل هى المتعة
والنشوة والفناء المطلق لحظة المعاشرة* .

أما حين يسلمك هاتفك الليلى إلى فح ما هو كائن ،
فاستحضر بئراً بعمق خمسة وعشرين عاما من الوجع الكئود،
واستمر فى التهاوى إلى سحقه دونما انقطاع .
جمال الظروف لم تدخر وسعاً كى تجنبك التهازم .

بتمهل تدخل قدميها الحافيتين فى ششبها الأحمر الفرو .

احتكاك فخذيهما الرّجراجين أسفل الديشنبر الأبيض الذى ارتدته، يتقلّاهما بشعور جنسى فوّاح له أثره ، وتشتّم رائحته فى فوعة جسدها المعطر بضوعات الشامبو .

لاتدرى بالضبط لماذا أصبحت منطقة الرّدفين فيها حتّى ركبتيهما ، تستقطب مثل هذا الاحساس الذى لم تكن تعتاده قبل زواجها من مدحت ، ثم تعاظمه بشدّة بعد طلاقها منه ، للدرجة التى أصبحت تعلل به ، سرعة اكتناز اللحم فيها ، وامتلأها الذى صار ملفتاً . تجيل بصرها هنا وهناك بحثاً عن كلبها بيتر فلاتجده . تروح تنادى عليه ، وهى تستدير داخلة ثانية إلى الحمام الذى يبدو أنها قد نشفته بحرص : " بيبي ، بيبي " . تلتقط روبها المشجّر ذا التريعات الزرقاء على الصدر ، من فوق المشجب المواجه للبانىو، وتطمئن من كون كل ملابسها الدّاخلية قد وضعتها فى الغسّالة الفول أوتوماتيك ، الموضوعه هناك فى الرُّكن القريب من المدخل .

تشعر بنشطة ما قد دبّت فى أوصالها جميعاً ، وأن هناك وهج يشع من جسدها ، فيجعل حركاتها أكثر سرعة وحيوية . تغلق نور الحمام ، وتسير فى الصّالة متجهة إلى حجرة النوم ، وهى مازالت تنادى على بيتر .

تضع الرُّوب على السّرير من أسفل ، وتتحو نحو الشّرفة ، وتقف على عتبتها، فتجد بيتر وقد انتصب على ساقيه الخلفيتين، بينما ساقيه الأماميتين يحاول أن يتسلق بهما الحائط . تطرق له بإصبعيهما ، وهى تنزاح إلى الدّاخلى ، حتى لا تكون فى مرمى

بصر أى ناظر ، فيتَّجه إليها ، ويشرع فى مسح رأسه فى فخذيهما البضين ، ويتقافز إليهما متطلعا . تهبط بجزعها إلى أسفل وتميل نحوه ، فيدخل فى حضنها ، يلعق عنقها ، والمنطقة العارية من صدرها وتأخذها فى بين ذراعيها ، تغلق شيش الشرفة ، وتصعد به إلى السَّرير منطرجة على ظهرها ، وهو مازال يلعق رقبتها ويتقافز حولها رواحاً ، وجيئة . ثم بحركة سريعة من يدها تكشف عن ساقيهما تماماً ، فتبين سمانتها البضتان المدكوكتان فى نِصاعة ، وتكويراً فحذيها المنسابين فى انحدار تاخخ عند المؤخرة . ترفع ساقها اليسرى وتقربها من بيتر ، وتشير له أن يلعقها ، لكنه لا يستجيب . تصعد بمؤخرتها قليلاً متكئة على ظهرها ، وببيديها تروح فى إزاحة الرُّوب الديشنير أسفله ، ثم بهدوء تأخذ رأس بيتر بين يديها ، وتقربه من أسفل فخذها . هنا يستجيب لها بيتر ، ويبدأ فى اللعق ببطء وهو يقترب أكثر ويدخل منحشراً أسفل فخذها ، فترفع له فخذها الأيمن . إلا أنها فجأة وبحركة متمهلة تزيح بيدها ، وتهبّ بسرعة قائمة من فوق السَّرير وهو يتبعها ، وتهول إلى المطبخ ، حيث تفتح الثلاجة وتتنظر داخلها . تلتقط برطمان مربة التين ، وتكاد تتعرقل فيه وهى تستدير . ثم تعود إلى السَّرير .

تستلقى عليه ، وتخلّص فحذيها من كلوتها الكحلى ، ثم تباعد مابين فحذيها ، وتفتح برطمان المربّة وهى مازالت منطرجة ، وتقلب فوهته إلى أسفل ، وتضرب حافته فى سرّتها ،

فتنزل بعض المربّة على بطنها . وعندما يقبل عليها بيتر ليلعقها بلسانه تزيحه . لكنه يظل يُحوم . ترفع جزعها ، وتأخذ القليل من المربّة بأصابعها ، وتدعك به عضوها ، ثمّ تفرش الباقي في المنطقة الواقعة بينه وبين سرّتها . وتعود إلى الاستلقاء تاركاه ليبدأ في اللعق ، وهي في حالة من الاستئمان بأريحية لدغدغته التي تستجيب لها بإغماض العينين .

يرن جرس التليفون بجانبها فلا تبالى .
يعود للرنين ثانية ، لكنها أيضاً لا ترفع السّماعَة بل تستدير لتستلقى على جانبها الأيمن عكس موقعه على الكوميدينو ، حيث تهّم برفع ساقها اليسرى ، مباحة ما بين فخذيهما ، ليتمكن بيتر من الاستمرار في لعق عضوها ، ولعق الحواف وما بينهما من كل جانب .

تصدر منها بعض الآهات الخافتة ، فتأخذ المخذّة ما بين ذراعيها ، وتعض بأسنانها على غطاءها ، وتنزل بمؤخرتها عدّة سننيمترات إلى أسفل ، مع ضمّ فخذيهما المرفوع أحدهما إلى بطنها ، والتحرّك بالدّبر إلى الخلف ، ثمّ إلى الدّاخل . وكذلك صعوداً ، وبشكل دائري ، في حركات متتابعة بطيئة ، يتمكن بواسطتها بيتر من الوصول بلسانه إلى كل مواطن الشهوة فيها . وتظل على هذا الحال لبضع دقائق ، وعندما تدخل أصابعها في مقدّمة عضوها ، وتجد بعض الرّشح منه ، وتشعر بانفجار الشّبق في كل خليه من جسديها ؛ تجلس على ركبتيها ، وتتكىء على ذراعها الأيسر ، وبالذراع الآخر تزيحه خلف مؤخرتها ،

وتحاول بحنكة مَنْ جَرَّبَ هذا الفعل عديداً ، أن تجعله يرفع
رجليه ويثب على ردفها . إلا أنه لا يفعل ، فتجره من رقبته ،
وتدخل يدها مابين فخذيه ، وتشدّ قضيبه وتعركه ، حتى تشعر
به بين يديها مستقيماً ومنتصباً، ويزداد في الصلابة، فتسحبه
منه وتقربه من عضوها . وهو قد صار مطوّعاً يستجيب لكل
مانفعل ، ولايصدر منه أى تدمر ، يجعله مثلاً يقفز بعيداً عنها،
بل تلحظ أنه قد اعتاد على أفعالها تلك ويستمتع بها ، غير أنها
تجد مشقة في إيلاجه في تجويفها ، لكنها تستمر ، وتبذل
مجهوداً في ذلك ، لتقافزه ، وميله هنا وهناك ، ومع زفرة
تصدر منها عن قصد ، يكون قد ولج ، واستقر ، وبالفعل لم
يبق إلا أن تساعده كي يتحرك ذهاباً وجيئة .

*

{8}

لا تُشرب . كان يكفي أن تسمه بمِسَم الذهب حين
أوشكت . وبذا يكون الصعود

وحدتك	قام بالتوقيع حضوراً في دفتر عمله ،
الخبول	ومالبت أن قادتته قدماه إلى هنا .
،	أربعة مقامٍ يتنقل بينهما بلا ملل . ورغم
وقناعك	المرتادين الذي يعج بهم هذا المقهى، في هذه
الطاهر	الساعة المبكرة ، إلا أن الملاحظ هو الهدأة التي

الَّذِي
يَحْمِلُ
عَلَامَةَ
مُغَايِرَةِ
.
إِنَّهَا
طِفْولَةُ
الْبَحْرِ
وَصَمْتُكَ
حَيْثُ
يَتَحَطَّمُ
الرُّجَاجُ
الْعَلِيمُ

*

تلف الجميع . لكن وحيال الصَّخب المزمِن الذى يُطلق أواره فى رأسه ، لايجد سلواه إلا فى الإطراق ، أو التماهى مع المرئيات بعين سارحة . عشرون دقيقة مرّت منذ مكوثه على ناصية الأوبرج ، ولم يأت له محروس الطويل بقهوته المعتادة . يمدّ بصره ، فيطالعه الميدان بفساحته ، وهدوئه ، ووقعه الأسر ، وسياراته التى لا تزعج أحداً فى هذا الوقت من النهار .
آنسة فى نهاية العشرينات تقريباً ، تطلع من داخل المقهى ، وخلفها شاب يبدو أنه أصغر منها سناً ، مايبلث أن يسبقها ، ويخطو عدة خطوات بعيداً عنها إلى الأمام . نازلاً من فوق الرّصيف ، ومستديراً إلى حيث يقف رافعاً الكاميرا ، وملتقطاً صورة على ما يبدو للواجهة ، فيما هى تجيل نظرها بعين راصدة ، وتتأمل السّاحة الخارجية الخالية إلا من نفر قليل .

فى جولانها تتلاقى عيناها بعينى طاهر . يتأملها هو بعين غائرة ، وجفنين مرتخين باديين كأنهما لم يعرفا يوماً قط . بينما يبدو عليها هى من طريقة نظرها له ، أنها تعرفه بشكل ما . يتجه بنظره بعيداً عنها ، إلا أنه يُفاجأ بها تترك زميلها بعد أن تصافحه ، وتسرّ له

بشيء ، ثم تدنو مقتربة منه بخطوات متمهّلة ثابتة .
بعد السّلام ، تستأذنه في الجلوس على الكرسي الذي في
مواجهته . يومئ لها برأسه ، وهو يخفي اندهاشه من جرأتها
المحسوبة . على عجل تخبره بأنها صحفية في جريدة أسرار
بورسعيد ، وتقوم بعمل تحقيق صحفى عن انتخابات مجلس
الشعب المزمع إجراؤها في ١٨ أكتوبر القادم ، فيقول لها وهو
يمط الحروف في لامبالاة ظاهرة : " آه . مفهوم ، إيه المطلوب ؟ " .
يضطرم وجهها قليلاً من ردّه الجاف ، لكنها تستمر على
ثباتها قائلة : " مجرد كذا سؤال حاخذ رأيك من خالهم " .
يتراجع إلى الخلف مستنداً على حاجز الكرسي ، ثم يشدّ
ذراعه ، ويضع قبضته على المائدة أمامه ، وكأنه يحاول أن
ينفض عنه أروية اللامبالاة : " اتفضّلى " . لكنه يستدرك : " بس
حتّملوا رأيي ؟ ! " . تصنّ لبرهة ، وهى تنظر فى عينيه
الغائرتين ملياً : " مش عارفة . حقيقى يمكن نحذف " .
طريقة ردّها ، ونظرة عينيهما له ، تيقنه بسابق معرفتها به .
يُرجّح أنها ربّما رأته فى ندوة من ندوات نادى الأدب ، أو ربّما
فى إحدى احتفاليات الكليّات التى كان يلقى فيها شعراً . لذا
ورغم نفوره من أى لقاء من هذا النوع ، ونوبات فراره التى
تعدّد حدوثها ، فى كل ندوة تكون مصوّرة تليفزيونياً من قبل
القناة الرَّابعة ، فقد قبل أن يتحدّث معها ، من باب الفضول
ربّما أو لجرأتها التى شدّته ، أو لشيء ما لا يعرفه جذبه إليها ،
فيردّ وهو يتململ ، وينظر إلى واجهة الجريدة الموضوعة بين

أجندتها : " يعنى حجهه نفسى على الفاضى " .

تخفض عينيها ، وتطرق مفكرة وهى تفتح أجندتها وتقلب فى الأوراق . و ثوان وتخرج جهاز تسجيلها الصَّغير من شنطة يدها، وتضعه على المائدة أمامها ، ثم تبدأ فى أخذ رأيهِ فى مرشحي الحزب الوطنى، وحزب التَّجمع والوفد، ومتقلبة ما بينهم ، وبين وضع بورسعيد الآن ، والحالة السِّياسية العامَّة فى مصر ، وهل يَتصوَّر أن يحدث فى هذه المرَّة أيضاً تزوير فى الانتخابات .

كل هذا وهو يردّ عليها باقتضاب، وجرأة بادية ، غير خافٍ تملله الواضح. وعندما تسأله عن الدِّيمقراطية ، وتصوِّره لها فى مصر ، يردّ بما لا يتناسب مع ماتصوَّرت أن يكون عليه ردّه من سابق كلامه . بل ويفاجئها بقوله : "ديمقراطية إيه اللي إنتو بتكلمو فيها دى بس ؟!!" . ثم يحرك يده مسترسلاً : " الدِّيمقراطية يعنى اختيار . تمام . والاختيار محتاج معرفة باللى حيكون عليه اختيارك . تمام . قوليلى بقى كام من اللى بيتخبوا على معرفة بمرجعات مرشَّحي الأحزاب فى مصر ؟!! " .

تردّ بثقة ، وهى تتحاشى النظر إلى عينيهِ : "مش لازم طبعاً يعرفوا . كفاية إنهم يطمنوا لنزاهته ، وتاريخه الشَّخصى ، وما سيقدمه لبلده من خدمات " .

يقول : " آه " .

ثم يصمت للحظات ، ويشعر أنَّ عليه الاسهاب فى شرح الكثير ، حتى تستطيع الاقتراب من الأرضية التى ينطلق منها

كلامه. يتأمل اليافاطة القماش البيضاء المعلقة بين عمودى النور فى مواجهته ، والتى تعلن عن مهرجان الأغنية بمركز شباب بورفؤاد . والمكتوب عليها بالبنط الأحمر العريض نجم الشباب / حمادة هلال . والمنولوجيست / وجيه الإمام مع باقة من ألمع النجوم . سعر التذكرة ١٠ جنيه . الثامنة مساء أيام ١١ و١٢ و١٣ أكتوبر . وسرعان ما يروح فى لحظة شروء خاطفة ، ثم ينكس رأسه ، ويقطب جبينه ، ويبدأ فى إخراج سيجارة من علبة اللاليت الموضوعة أمامه ، وبعود تقاب يبدأ فى إشعالها ببطء . ويقول بتلمل وبمدّ للحروف ، فيما هى ترمقه باستغراب بادٍ : " الإسلام هو الحلّ " . ويزفر زفرة تنهّد ، ثم يكمل : " كم من النّاهبين سيخذه هذا الشّعار الخادع ، والعالى الصّوت ، والقريب والمعروف لهم . وبالطبع لا يُصوّر إلا أن يستجيبوا له بفطرة ساذجة وبدائية ، زى ما شوفنا وحنشوف " .

- : " وإيه المشكلة فى كده ؟! " . ثم تتبعتها : " إيه دخل ده فى اللى بتكلم فيه ؟! " .

- : " لأنه عندما تختار الناس هذا التيار ، ستنتهى الديمقراطية ، اللى بتتكلموا عنها ، وحتكون هذه هى المرّة الأولى والأخيره اللى حتمارسوها فيها ، وحتضيع مسيرة عقود تعبنا فيها عشان نفعلها على أرض الواقع " .

تبدأ فى الانصات له باهتمام ، وتقرب جهاز التسجيل منه . فيما هو مازال مسترسلاً فى الكلام : " يا عزيزتى لازم الأوّل زى ما قولتلك الناس تعرف ؛ عشان تختار . لازم تعرف كل دعاوى هذه

الأحزاب والسياسات . لازم الدولة تسبب كل السياسات تتكلم ، وكل الأصوات تجد فرصتها ، وتأخذ طريقها للناس . مش في شرح برنامجها الانتخابي بس زي اللي بيحصل ، وإنما في شرح مرجعياتها الفكرية . وده مش حيتم لا في شهر ولا في شهرين ، ولا حتى في سنة أو سنتين ، بل في سنوات وسنوات " .

- : " قصدك البداية من الجهاز الاعلامي للدولة " .

- : " مش بس جهاز الدولة ، والفضائيات الخاصة ، والصحف ، والكتب ، والسماح لكل إنه يتكلم ويعبر بحرية ، بدون خوف أو ملاحقة قانونية ، وذلك ، وده المهم وما فيش بديل عنه سواء آجالاً أم عاجلاً ، بسن وتشريع قوانين تحمي حرية التفكير والتعبير " .

تشعر مني أن طاهر قد خرج من حالة اللامبالاة التي كانت تصبغ حركاته .

ولأول مرة منذ بداية لقائها به تراه على هذا النحو من الاهتمام ، بل والحمية ، وبدا وكأنه بالفعل شخص آخر تماماً ، فترمقه متابعة ، وتتركه يتكلم دون أن تقاطعه بأي استفسار : " أي أن دور الدولة هنا أن تنحاز بداءة بجانب حرية التفكير والتعبير والبحث العلمي ، دون وصاية أو سلطة ، أو تجريم من أي حد أو أي تيار ، أو فهم منظوره أحادي مغلوط ، تحت أي حجة أو دعوى كانت ، وأن تفعل ده في مؤسساتها ذات الصلة " .

يصوب عينيه لها ، ثم يقول : " فهماني يا آنسة مني " . ثم يستدرك : " مش آنسة برده ؟ " .

توميء له دون كلام بحركه من رأسها ، منتظرة أن يكمل ،

فيو اصل : " أى أن تمارس الديمقراطية الأولى على مستوى الوعي ، قبل أمّا تمارسه على المستوى السياسى الضيق كصندوق الانتخابات وتداول السلطة . وماتخضعشى لابتزاز أى تيار مهما كان شأنه . وأن تكون على بينة تامّة كدولة من خطورة العواقب على هذه الأمة فى المدى الاستراتيجى البعيد ، إذا هى ماستجبتشى لذلك . إنّها بالفعل معركة صعبة وخطيرة ، ولها سلبياتها وتضحّياتها ، لكنّها ضرورية ضرورية ، بعد كل اللى وصلناله من حالة التردى المفزعة ، وخاصة فى الوعي قبل أى شىء آخر . فتاريخ أنظمتنا يأنسة منى هو تاريخ وعينا فهمانى ؟ " .

تهم منى بأن تقول شيئاً ، حيث تقربّ جهاز التسجيل ناحيتها ، إلا أنه ، وقبل أن تفعل يبادرها بإشارة من إصبعيه قائلاً : " ثوانى لو سمحتى " . ثمّ وكأنه ينفث عن شلالات هادرة ظلت مخنوقة داخل صدره مدة طويلة : " يعنى المشكلة الحقيقية ، أكرّر وحطها بين قوسين مش ديمقراطية صندوق الانتخابات ، لأن هذه الديمقراطية بالذات ، وفى الطرفية اللى إحنا فيها دلوقتى ، حتجيب اللى يقوضها نهائياً ، وبالأساس ، وهى دى المفارقة اللافتة والغريبة " .

يبتسم ابتسامة ساخرة ، ثم يطرق ، ويقول : " بصّى يا آنسة منى " . مشكلة الديمقراطية عند التيار ده ، مشكلة بنبوية فى مرجعيّاته " . يلاحظ فى عينيها تساؤلات بخصوص لفظة بنبوية هذه ، فيوضّح : " يعنى مشكلة هيكلية وجوهريّة ، وليست مشكلة عارضة " . يكمل : " الديمقراطية أساسها الفكرى المرجعى ليبرالى ، والليبرالية منطلقها علمانى ، وأصحاب هذا التيار يرون أنّ العلمانية ضد

الدِّين . أحبك لأقوال كل رموزهم وأقطابهم التي أنتى عرفاهم كويس ،
الراديكالى منهم والمعتدل . وهذا من وجهة نظرى ليس صحيحاً ،
بس ده يطول شرحه ، ومش مجاله دلوقتى " .

يلفت نظره مجيىء صديقه ياسر شردى من جهة الشَّارع
الضِّيق الذى تقع علي ناصيته مكتبة دنيا الأصدقاء ، فيكمل ،
ولايبالى بنظراته الدَّهشة التى تبين على ملامحه ، ويحاول فى
ذلك تقليل صدمتها ، وجعلها تفهمه على النحو الذى يقصده ،
وليس أبداً لتخفيف حدَّة كلامه كما يمكن أن تتصوَّر ليُجَاز
نشره . إذ هو قد بات مؤكداً لديه ، وبعد استرساله بهذه الطريقة ،
أن كلامه هذا لن يرى النور جملة وتفصيلاً : " بس أحب أؤكدك
إنى معنديش أى تحفظ على شخصياتهم المحترمة ، فلا يمكن أن ينكر
أحد على أمثال هؤلاء المبجلين شدة ورعهم وإخلاصهم . وهل نقدر
مانحترمش مثلاً رجل زى سيد قطب الذى أخلص لقناعاته حتَّى الموت .
أنا هنا لا أتناولهم إلا فقط من حيث مرجعيَّاتهم الفكرية ، وإشكاليَّات
وعيهم ، وقناعاتهم التى أخلصوا ويخلصون لها بكل صدق ويظنون
صوابها " .

يصل ياسر إلى رصيف المقهى ، وما إن يحطَّ أول أقدامه ،
حتَّى يقبل عليهما سريعاً ، قاطعاً حديث طاهر ومصافحه ،
وابتسامة مستفسرة ترتسم على وجهه . ثم يصافح منى ، وقبل
أن يجلس على مائدتهما يلمح فى عيني طاهر ، نظرة يعرفها
جيداً ، فيغادرهما فى الحال مستأذناً وماضياً إلى الدَّاخل . بينما
يتابع طاهر حديثه ، وهو يرمق عيني منى ، ليستشف تأثير

كلامه عليها : " إنن هذا التَّيار اللي بيعلن ايمانه بمبدأ الديمقراطية ، وإن كان بعض رموزه تدرك إشكالية هذه الديمقراطية اللي بتصطدم مع مرجعيتهم فى مفهومها اللي عمالين يصدّروه لينا . آخده بالك ، بيعلنوا كده ، فى نفس الوقت اللي بيرفضوا فيه الأساس المرجعى الفكرى للديمقراطية ، واللى من غير مافيش ديمقراطية ، وهو الليبرالية العلمانية . فحرية الفرد هى مرتكز جوهرى فى الليبرالية ، حرته من حيث الاعتقاد والقول والبحث . فإزاي يتم ده ، وعلى أى شكل ، عندما يمسك هذا التَّيار بالسلطة وإنتى طبعاً شايفه دعاوى الحسبة اللي بتنهال على المثقفين ، ودعاوى الطرد والنفى اللي بتضرب الديمقراطية فى مقتل ، ودعاوى الردة لأى اجتهاد يخالف منظور المؤسسة حتّى ضد من هم أبنائها ، بدلاً من أن يصدروا كتب تقارعهم الحجة بالحجة . إزاي بقى حيطبقوا الديمقراطية دى اللي همّهم بيعلنوها ؟ وإزاي حيطبقوا حق المواطنة ؟ وإحنا شايفين العبارات اللي بتتطلق هنا وهناك . ثم الأهم أى إسلام سيطبقونه ؟! هل هو الإسلام الطلّبانى ، أم الثرابى ، أم الإيرانى أم الوهابى ، أم القاعدى ، أم إسلام جديد سيتصورونه هم ؟! لازم تعرفى إن مافيش إسلام واحد يتفق عليه الجميع ، حتّى فى صلب الاتجاه الواحد هناك اختلافات جذرية . وكل ده بيظهر لمّا بيستخدم الدين استخدام نفعى فى السياسة . فهمانى يا آنسة منى ؟ " .

يجد طاهر نفسه قد استغرق فى حديثه ، وتواصل به الكلام دون أن يطلب لمنى أى مشروب يُذكر ، فينتهز فرصة مرور محروس الطويل بجانبه ، ويسأله عن القهوة التى لم يأت له بها

حتى الآن ، فينتبه محروس مندهشاً ومعتذراً ، ويؤكد له بأنه كان يظن أنه أتى له بها ، ثم يخبره بأنه سيأتيه بها حالا . إلا أن طاهر بإشارة من يده يطلب منه الانتظار ، ومايلبث أن يسأل منى عن ماذا تشرب ، معتذراً لها عن نسيانه ذلك حتى الآن ، فترفض أول الأمر متعللة بكونها قد شربت شايًا ، ولا تريد شيئاً الآن، لكن أمام إصراره تطلب فنجان قهوة زيادة . فيغادرهما محروس ويذهب لإحضار الطلبيين .

وعندما تجد أنه قد توقف عن الكلام ، وعينيه أصابهما مسحة من شجن ، وكثير من شرود جعله يشيح بوجهه عنها ؛ تقول له منبهة بإشارة من يدها : " اتفضل . كمّل ، أنا بسمعك " . يلتفت نظره نبرة صوتها الهادئة ، والإعجاب الخفى الذى ترمقه به بجانب عينيها ، ثم استكانتها الواضحة لكل مايقوله ، على العكس تماماً من تلك الحماسة التى جاءت بها ، وأسئلتها المتدافعة أول اللقاء . فينظر فى عينيها، ويقول : " على فكرة أنا بحاول ألخص كلامى وأختصره على قد ما أقدر ، وبشكل ممكن يكون فعلاً مغلّ . بس لو شرحت أكثر من كده حنقع للصّبح " .

تبتسم ، وتقول : " وأنا مهتمة جداً ، ومتابعة لكل كلمة بتقولها " . - : " ويرده معلش إذا كنت بتكلم بانفعال ، أصلى الموضوع ده بالذات باعتبره أهم وأخطر قضية لازم تشغل بالنا دلوقتى " .

تنظر له نظرة منقهمة ، وكأنها تعينه بها على الاستمرار ، حيث انقل لها شعورًا ما ربّما من طريقة كلاميه ، وحركات يديه العصبية أحياناً ، من أنه رغم اهتمامه الشديد بما يقول ،

واسترساله بعيداً عن حدود أسئلتها الأولى ، وكأنه قد تقمّص دور أستاذ جامعة يُحاضر طالبة له ، إلا أنه يبدو مع ذلك فى حالة شبه ملفتة من الزهق ، خالفاً انطباعاً ما لديها من أنه يريد أن ينتهى سريعاً ، وعلى عجل من شىء قد تورط فيه عن غصب ، ودفع إليه دفعا . بل وأحسّت فى بادىء الأمر ، والآن تكاد تكون متيقنه من أنها لو أخرجت أى عبارة من فمها ، ولو عفواً ، لاتريق له ، لفضّ الجلسة على الفور غير آنفٍ. فتبادره بكلمات محدّدة ومحسوبة : "رغم أنّى مش موافك فى نقطة الديمقراطية دى ، إلا إنك أكيد ملاحظ اهتمامى الشديّد بكلامك ، وبشكل شخصى ، بغض النظر عن إنى صحفية " .

- : " يا آنسة منى " .

يمد الحروف فى حدّة قليلاً ، ثمّ يزعم شفّته متوقفاً برهة ، ويكمل بإشارة يضغط فيها على جماع أصابع يده اليمنى ، بادياً وكأنه يخطب فى حشد : " حقيقى مشكلتنا ليست مشكلة حكام ، ولا نظام سياسى ، لأن كل ده هو فى النّهاية محصلة ، ونتاج سياق بعينه ، سياق مازلنا أسراء مناخه . المشكلة كما أتصوّر مشكلة وعى مُعرقل ومعاق ، ويلقى بإعاقته على كل صروف الحياة ووقائعها . مشكلتنا يامننى " . ثمّ يستدرك : " مشكلتنا يا آنسة منى ليست مشكلة سياسية بداعة ، رغم إن لها فعلها الجلبى والمؤثّر بالطبع ، بقدر ما هى أقولها ثانية ، مشكلة وعى ، وفى قلب هذا الوعى تيجى المؤسسة الدينية بكل مرجعيّاتها وسياقاتها " .

ينتبه لكون إيقاع كلامه قد زادت حدّته كثيراً ، بحيث صار

يلفت نظر بعض الزبائن الذين كثر عددهم ، وأصبحوا قريبين جداً من مائدته ، فيرجع بظهره إلى الورا ، ويقول بصوت أكثر هدوءاً : " ويرده ينسحب ده أيضاً على كل الدعاوى ، والتَّيارات ذات الجذور الفكرية التي راحت تفعل نفسها فى الواقع السياسى العربى ، زى القومية ، والماركسية ، والليبرالية . كلها أراها مازالت أسيرة عدم نضجها ، وكلاسيكيتها ، وتموقفها عند محطة أخيرة ونهائية تدعى الصَّوابية المؤبَّدة والإطلاقية . إن الذهنية العربية يا آنسة منى يجب أن تتحرَّر من إطلاقيتها . وكل ده يمكن حطّه تحت بند " . ينظر لها متوقفاً ثم يستدرك : " مش عارف حتفهميه ولا لا ، بند ضرورة تغيير أبنية الوعي الثقافى العربى المتكلَّس لتغيير الواقع الاجتماعى " . يتنهد ، وكأنه قد أنهك : " وهذا موضوع يطول الحديث فيه " .

يقبل محروس حاملاً الصَّينية التى عليها كنكتى القهوة ، والفنجانان ، ثم يروح يصب كل واحدة منهما فى فنجان ، ويضعهما أمامهما ، مقرونى بكوبى الماء ، حيث يتركهما دون أن ينبس بكلمة ، على حين طاهر يستمرّ فى كلامه ، ولا يبالي بوجوده : " لكن اللى يهمنى الإشارة إليه هنا هو الخطاب الإسلامى تحديداً ، لأنّه له تأثير كبير على الشارع العربى ، ولأنّه يُصدِّر لنا مفهوم أحادى ، وقاصر للدين وفق ما أرى ، بل أكاد أقول مفهوم طفولى وبدانى ، ولا أجد مسمّى غيره " . ما إن ترن حروف كلمة طفولى هذه فى أذنيه حتى تعجبه ، ويبدو أنه وجدها تعبيراً بالضبط عمّا يقصده ، فيكرّرها مؤكداً ، وهو يلح لمعة تطل من عيني منى : " آه طفولى ، وغير ناضج " .

هنا تقاطعه منى قائلة: "مش فاهمة؟! قصدك إناك بتفرق ما بين الدين، وفهمنا ليه؟!".

-: "آه. تمام كده". لكنه يردف: "بس برده مش بالبساطة دى. الموضوع أعقد من كده بكتير".

-: "هو انت كل حاجه عندك يا إمّا معقدة، يا إمّا عايزه وقت!".
يبتسم فى تصنع: "آه طبعاً. مشكلتنا إن إحنا فاكيرين إن كل حاجه يقينية، ومعروفة، وبسيطة، ولها إجابات محدّدة، ومنتهية".
تنظر له فى صمت. وللحظات يخالجها شعورٌ بأنّ طاهر هذا ليس سوى شخص مدّعى، ومغرور، واستعراضى وغير متّزن بالمرّة، إلّا أنّها تتذكر كونه شاعراً، فتعود وتفسّر كل هذا بتمردّ الفنان وجنوحه، وشطحه، ولامألوفيته. ويبدو أنّ طاهر قد قرأ كل هواجسها تلك فى عينيها فلم يبال، وراح فى تريث، وبمخارج حروف واضحة يتابع كلامه قائلاً: "يا أختى العزيزة هاتيلي عالم دين واحد، أو مفكّر من هذا التيار يعرف جاك دريدا، ولأّ ميشيل فوكو، ولأّ كلود ليفى اشتراوس، ولا فرديناند دى سوسير، ولأّ حتّى قرأ كانط، أو هيغل، أو فتنجشتين، أو مارتن هايدجر هؤلاء الفلاسفة القدامى. ولأّ يعرف بتقول إيه حتى الفلسفة الظاهرية مثلاً، ولا سمع عن مدارس اللسانيّات الحديثة، واللغة، اللى قامت عليها فلسفة القرن العشرين كلها".

تقاطععه منى باستغراب: "توهنتى. حقيقى أنا تهت. إيه اللى جاب الفلسفة والعلوم دى بس للدين، مش فاهمة؟! إيه اللى جاب ده لده؟!".

- : " إزّاي بقى !! أنا قصدى أقول " . يشير له ياسر ، وهو يغادر المقهى، ويعبر الرّصيف بإشارة سلام من يده، فيما ترتسم ابتسامة على ملامحه ، فيرد عليه طاهر بنفس الإشارة ، وهو مستمر فى كلامه : " إنَّ خطاب هذا الثَّيَّار معاق معرفيّاً ، ومغيّب ، أقول مُغيّب لا أكثر ولا أقلّ ، عن تراكم فكرى خبراتى هائل فى مناهج الوعى التى قُتلت بحثاً خلال مسيرة الانسانية ، وما زال يُعاود النّظر فيها حتّى الآن . فهو " . يقبض أصابع يده اليمنى إلى كفه فى حركة عصبية : " متوقف عند القرن الرّابع الهجرى ، وهذا فى أشدّ رموزه نضجاً ، أمّا ما جدّ خلال العشرة قرون التى فاتت ، فهو مغيّب تماماً عنها ، ومش بس على مستوى الأفراد ، بل الأهم على مستوى مؤسّساته التى من المفروض أنّها تنتج المعرفة ، وتتفاعل وتتماس مع كل مناهج البحث العلمى ، وإلّا ماتكنش مؤسّسات علمية بقى . وده بيحصل دلوقتى ، مع إن كل اللّى أسهموا زمان فى علوم القرآن ، وأنتجوا لنا الرّوائع السّامقة ، كانوا قد استفادوا من العلوم ، والمعطيات المعرفية لعصرهم ، سواء المصنعة محلياً ، أو الوافدة . هذا ما يقوله التّاريخ " . يتوقف لثوان يمسك فيها علبة سجائره ، ويأخذ منها سيجارة ، ثم يشعلها ويسترسّل : " شوفى يا أنسة منى لازم إن إحنا نعرف إنه زى ماحدث تطوّر فى الكيمياء والفيزياء ، والعلوم الطّبيعية حدث برده تطوّر يماثله بالفعل فى العلوم النّظريّة ، بل ونشأت أيضاً علوم جديدة " .

هكذا يستمرّ طاهر متدفّقاً فى كلامه بانفعال بادٍ ، وكأنّه على عجل من أمره . وفقط أمامه ثوان ليقول كل مايريد وإلا

سيفوته الوقت .

وتلاحظ منى ذلك ، فلا تقاطعه ، وتصمت مستمعة فى انتباه شديد له .

غير أنه يتوقف هاهو برهة ، ليرشف عدّة رشفات من فنجان قهوته ثم يكمل : " تاريخ الفكر يا عزيزتى هو تاريخ الوعى ، وإذا نضج الوعى تغير فهمك للنصّ القرآنى ، والعلوم اللّى نشأت حوله ، فعشان مثلاً نتعامل مع سياقات النصّ القرآنى . التاريخى ، والمعرفى ، واللغوى ، لازم نكون على استيعاب لابس به بالمناهج الأبتستولوجية الحديثة بكل تياراتها ، واللّى كلها هدفها أن تعى أى ظاهرة بشكل أكثر نضجاً ، وبعيداً عن البدائية الفكرية وتوهماتنا وزيفها " .

تتناول منى فنجان القهوة، وكأنّها انتبهت الآن فقط لوجوده ، وبدأت تشرب منه عدّة رشفات ، منصتة لظاهر .

- : " أمّا مناهج الاتنوغرافيا ، والاثربولوجيا ، والسوسيولوجيا واللسانيّات الحديثة " . يشير بإصبعه : " خلّى بالك بقول إيه ، مناهج اللسانيّات الحديثة ، وليس المنهج الفيلولوجي اللّى قاربه طه حسين فى كتابه الشعر الجاهلى ، ثم تداخلت هذه العلوم اللّى أنشأت مناهج جديدة تكاد تكون بالفعل علوم أخرى قائمة بذاتها ، فدى كلها ، وبرده ماتراكم من مكتشفات إجرائية وأليات لمناهج النّقد الثّقافى ، والتّاريخى ، بقول دى كلها أدوات لابد منها ، وحتمية على الأقل فى الظّرفية الرّأهنة . يعنى مش زى ماهمّه بيقولوا فريضة الجهاد هى الفريضة الغائبة ، وإنما فريضة الوعى هى الغائبة . فهماتى يا آنسة منى " .

يقبض أصابعه إلى كفه ، وهو متأكد ، أنه أوغل فى المصطلحات التى تحتاج وقت طويل لكى تفهمها ، ويقول غير عابىء حقيقةً بما يقول : " فهمانى " . ثم يستدرك متذكراً قبل أن يختم كلامه : " عارفة الإعجاز اللى تبدى لى أنا شخصياً ، بصفتى شاعر ، فى بنية النص القرآنى ، من خلال المناهج الحديثة ، أهم وأخطر من كل ما دُون حَتَّى الآن " .

تبادره بسؤال غريب ، لم يتوقعه : " من حق إنت مسلم ؟ " .
- : " أبوه مسلم " .

- : " على العموم ، ويعنى على قد ما فهمت . إنت فى النهاية خالص قصدك إن لازم نغير وعينا الأول ، قبل مانطالب بالديمقراطية " .
وهو يرجع بظهره ثانية إلى مسند الكرسى : " بالضبط " .
ثم يردف : " بس مش حيحصل ده إلا مع فتح جميع النوافذ لكل التيارات وبدون وصاية ، زى ماقلت قبل كده . عشان الناس تعرف إن اللى فكراه صح ، وهو اقتران السلطة الدينية بالسلطة السياسية ، حتوربها اللى ما عمرهاش شفته ، ولا جربته إلا فى أشد مراحل التاريخ دموية وبطش " .

- : " أستاذ طاهر أحب أقولك إنك إنسان مثالى ، ورومانسى زياده عن اللزوم " .

تفاجئه مقولتها ، فيرد بصوت انتفى انفعاله ، وبدى خفيضاً رتيباً : " بالعكس " . ثم يرفع فنجان قهوته ، ويأتى عليه فى رشفة واحدة ، ويقول : " دا أنا عايز الناس اللى بتلخص الإسلام كله فى الشريعة ، وتقول نطبقها ، نتنبه كويس إلى إن القرآن العظيم نفسه

لم ينزل من عند الله جاهزاً ، ومنتهياً ، وبشكل مسبق ، وقال للناس يالاً طبقوه . وإنما استجاب لحركة الواقع ، ونزل على دفعات استجابة لوقائع بعينها فى حياة الناس ، ثم كانت أحياناً آية تنزل لاعطاء حكم فى موقف معيّن ، وبعدها بفترة تأتى آية أخرى تنسخها ، أى تبطل حكمها تبعاً لمستجدّات غيرت ظرفية الواقع . فمثلاً كثير من أحكام الآيات اللى نزلت فى مكة أمّا كان المسلمين ضعفاء ، غيرتها أحكام أخرى بآيات نزلت فى المدينة ، بعد أمّا بقى المسلمين أقوياء . بل إن القرآن معرّش أعراف الناس وعادتهم بشكل قسرى قاطع من الأوّل ، وإنما بالتدريج ، بل وتماشى فى الأوّل مع أعرافهم خشية رفضه . ياريت نعى هذه الجدلية جيداً ، ونستلهم هذه الكيفية ، سمعانى . بقول هذه الكيفية اللى علمهنا القرآن ، فى تعامله مع الواقع وحياة الناس . وما يسمى بحركة اتّجاه النصّ فى توليد الأحكام " .

يبتسم ويقول : " وبرده النقطة دى عايزه وقت طويل لشرحها يا آنسة منى ، مش حينفع دلوقتى " . يلتقط علبة سجائره ويقول : " ياريت بقى تكونى فهمتينى شويّة يا منى " .

يبدو أنّ منى كما بدا لطاهر ، قد أصمّت أذنيها منذ فترة عن أن تستجيب لكلامه ، أو حتى تناقشه فيه ، ربّما بسبب عدم فهمها لمفردات كثيرة ممّا جاء به ، وربّما أيضاً لتناوله لأمر دينية ، ترسّخ فى اعتقاده لسنوات ، أنها فوق المناقشة ، وفوق الكلام بهذه الطريقة . ثمّ من يكون هو حتى يُناقش مثل هذه الأمور الدينية ، أو يتكلم بهذا الكلام . مؤكد هذا شطح الشاعر

فيه .

هكذا تردّد بينها وبين نفسها ، ثم تقول له وهى تهمّ بوضع الكاسيت فى شنطتها : " ماترعلشى منى يا أستاذ طاهر . أنا حقيقى معجبة ببك كشاعر من يوم ما سمعتك فى كلية التربية ، إلا إنى مش مقتنعة نهائى بكثير من اللي إنت بتقوله ، وحاسّه ، متزعلشى منى ، إنك مشوش فكرياً . وبعدين إزاي واحد مثقف زيّك يرفض الديمقراطية ؟!! " .

يشرد طاهر بعينه بعيداً عنها .

ثم يقول لها بصوت خافت رتيب ، ولا مبالى ، وكأنه لم يُفاجأ أبداً برّد فعلها : " ديمقراطية صندوق الانتخابات بس ، ومؤقتاً " .

- : " الديمقراطية لا تتجرأ " .

تقول هذا ، وهى تنهض من كرسيّها ، راشفة آخر رشفة من فنجان قهوتها ، حيث تستأذنه ، تاركة له ، على المائدة بجانب جريدة النهار التى تخصّه ، نسخة من جريدتها التى تعمل بها ، كى يطلع على تحقيقاتها كما أخبرته .

ثم تودّعه مغادرة المقهى ، باتجاه ميدان المسلة ، فيما هو يتابع إيقاع خطواتها الرشيقة ، هابطاً بظهره قليلاً على المسند الخلفى للمقعد ، وضامّاً قبضتيه إلى بعضهما ، ليكونا مسنداً لذقنه .

*

{9}

﴿كفاكم﴾ . نعم أتقياً أحزان . وأعدو نهياً لأخيولاتي .
وبما تيسر لم يبق إلا ما انتويته حين البدء ﴿﴾

وبما تبقى لنا .

دائماً ما كنا نحن الذين لا نكتفى بغير عجزاتهم منبعاً لحراوة ،
تمنحنا دِفْأً في أماسي الشتاء ، ما نلبث أن نكفّ عن التطلع لأناس
شوارعنا ، مستنطقين مرآك وأنت قادمة ، تحذوك هذه الهالة
المشعة من الضوء ، والتي لم يكن ليراها أحدٌ غيرنا .

وبقليل من الصبر والتمهل المحسوب ، يمكننا إذا ما شرعنا في
التفرس في إيقاع حركات عينيك ، وما قد يعترى شفتاك من
ارتعاشات ، أن نتنبأ بحجم ما قطعت قدماك من مسافة .

أيها السّادر المسهد ، عبثاً تحول عيناك باحثة عن مكان شاغر
يهبك إطلالة ما قد يكون بمقدورها ، وإزاء ما يلزمك من وطأة ،
أن تشق لك متسعاً لاستكناهه هويمات ذات عبق ، لكن حاذر فلو
تركت تجوس مخيلتك بهذا الشكل لأصابتك عى لافكاك منه ،

قلتُ : ورغم ذلك لم تتلمسني حتى الآن نبضات أحذيتهم ، وهم
يسارعون بالاحتشاد بأمر جرانت بك على جانبي شارع محمد
على ، مع أن المحاولات المستميتة لمنعهم من التوغل باتجاه كازينو
بالاس قد نجحت . فأى عتيمات تلك التي لم يزل يفيض عليّ من
غورها ، وعلى وقع لا يني يلاحقني منذ أمد أنى ذهبت ، كل هذا
للجج الهادر في صحبه ، يصفع بمويجاته مسمات الجلد ، وتوئاته

التي جَدَّبَتْ !!؟

ثم ماذا أقول إذا كانت أحفولة استقبال فتيات الراعى الصَّالح له ، كلِّما حاولت أن تقتنص من مخيِّلتي فضاءات ، يتسنَّى لها أن تُطلق منها أريجَ فيوضاتها في أجوائي ، لا يصير ذلك سهلاً ، حتَّى بعد أن أسرجت شركة القناة آخر مصابيحها المعلقة بامتداد الرُّقعتين أسفلَى ؟!

هل كان سيرى بخطوات بطئة ، على ما يبدو ، في شارع ١٥ سبتمبر أعلى رصيف الدَّاودى سنتر ، ثم وقوفى فجأة لإشعال سيجارة بوسطن أمام كنيسة مارى ، كفيلاً بإتاحة سويغات كافية يمكنها فيها إذا ما التفتت قليلاً برأسها ، أثناء هبوطها خلف جارثها عائدة من ناصية البرج ، أن ترائى ؟
أيا أثنتى الشَّجِيَّة في أىٍّ منخفضٍ سوف أخفى روى كَيْلا ترى غيابك .

كل البيوت التي خصَّتها عينك بشَّجو تباريح عراءات استيحاشك الذي لا يندمل ، تتلقانى في أوج رزوح سكونها الباذخ ، بهطيل أسجوعات لها صليل لا مثيل لغيه . يطفو صداه أيان أخطو كاشفاً لى عن سمواتٍ صموت ، يلفحنى غيمها بما قد يُريق ما أنا عليه أضْم .

إلاَّ أُننى عندما أُرَاود منها بصقيع جهْم ، لا يتراءى لى إلاَّ كهولة عملاقة تتضام متاهاتها في إغواء لا يُقاوم ، أدخل فيها ، وألج مستزيداً ممَّا تُذيقنى إِيَّاه من وحشة أعلمها جيِّداً ، وأشجان تنخر فى صلب حشائى .

من أجل هذا أتيت يا شوارع مدينتي المضطربة ، يا من يسكنني
عقب توارينها كداء مُمض لا أسلوه .

تتخشب العروق ، وتستحيل مياه أعضائي إلى رؤوس إيرينيات
مُخيفة ، شعورها حيّات تعتصر عنقي بملاسة جلدٍ بذيء ، ثم لا
تدعني ، إلا وأنا جثة هامدة تنهش أشلاءها كلاب سائلة ،
وتطوحها ريحٌ صرصر لصوقة ، إلى سحق قصيٍّ من جحيم كهنة
مينوس ، في مورة مالنخوليا جيّاشة لا تبغى أن تبرحني ، مهما
تذرعت بترانيم قينتي العُطبل التي ماتني تستدعي شجوها ، كلما
سجنتني عنّة بين نُخوم أيام تُمارس فناءها بآلية رتيبة مُنهكة ، في
إصرار على أن تستحلب مني غفل حيّ حتى آخر مدى .

جواب أنا ، بين خرابات من ورثتي جهامة نكوصه المستمر ،
وارجاءاته لكل ما ينفلت خارجا من صبوات الاستحالة ، متماهيا
مع دوائر تجاسده المكتمل . تأخذني مئات الشوارد إلى سجون
من عتم رمادي . أيّان أوغل يُفاجئني تيه الخطافي . أنا الكائن
المعطوب سادراً ، على ضفة نهر كيرونتي الحزينة ، أمعن في
التشظى ممتلئاً بهواجس بيلاطس الأولى .

"وحين يحين مينائي إلى امتدادات بعيدة ، تنفتح
ساحتي البواطئة" * ، وأخلق في وثبة مشدوهة ، نحو أخيلواتي
المستعرة ، لماسة مكنوز سرّك ، متلاشياً مع جدران عمائر
العَبة الكالحة . فهل يكفيني حائد عدوى بين شارعِي شجرة
الدُر وجواد حسني ؟ أم أستعير تحديقة انجيلوبولس ، مُيمماً بسخاء
كلوشار منبوذ ، باتجاه من هم يتوارون ، خلف مرثيات تُناجزني

أطياها ، فلا أستطيع منها فكاكاً . ليتنى كنت أعلم أن ما
ستكتحل به مُخَيِّلة حواسى فى تلك الليلة ، لن يبرحنى أبداً ،
مهما تلاحقت الأيام . إئننى جد مُتلهِّف للتضوُّع بفوعات ركز
صوتها الرِّخيم . كم هو أثوى حقاً ، ومحتشد بزخم ثرى واعد .
ما من شىء يا هليِنيتى يستطيع أن ينسينى ، ما كان يقدحه
فى ولم يزل مجرد مرآك ، بل فقط تحليقي طيفك ، وإحساسى بدنو
جرمك ، فى سنوات شبابى الغصَّة ، كلما أخذتنى أقدامى عبر
شارع الجمهورية ، محل قطونك ، فى تجواله عصرية ذات مواجد
إلى مكتبة المنتزه .

أمن هول فقدك ، تجأى علىَّ كلاب كيريبيروس بأفواهها
الفاغرة ؟ أم من كَرَّ أيامى ، بلا افتراع لأى من رُبى صواتى التى
مافتئت تلاطمنى ، تأتيني الدَّمدمة الموجعة ؟!
فلأمدد القامة قليلا ، ولأرشف ممَّا أحضره لى محروس الطَّويل .
فما حانة تيفولى إلا على مقربة ، وما هى إلا سويعاتٍ معدودة ،
وتطالعنى بولين فى مركبتها الكاروس ذات الجوادين .
أم تُرى ، وعلى خلافٍ ما كنت آمل ، ستطاردنى أشباح دون
ميجيل ، وهو يتمرِّغ لوعةً وصبايةً ، فى رغام قبر زوجته جيرونا ،
بمدافن دير الثلوج ؟

ها أنذا أراك يا مارى ، قهبطين دَرَج جُبِّ قصر فوترنجاي ،
بثوبك القטיפىة الأسخِم . فيما منظر المقصلة المُعدَّة سلفا ، يُحجَّر
منك المقلتين ، ويصكَّ عيناي بمرائى ممسوخة شائهة ، لفيالم آخذة
فى الدَّنو . تلك التى ما إن تلوح لى أوجهها كدُخٍ من رمادٍ مُسوَّد ،

حَتَّى تَتَعَمَّقَ فِي اسْتِطَالَةِ ، هَاطِلَةِ بَغْزِيرٍ مِنْ سَوَائِلِ زَرْبَةٍ لَهَا بَخْرٌ
كَرِيهٌ ، فَتَبْدُو كَمَا لَوْ كَانَتْ بِالْوَعَاتِ تَطْفَحُ ، بِمَا شَرَعَتْ تَكْتَرُهُ
عَلَى مَرٍّ أَجَالَ مِنْ نَتْنٍ .

يَا لَكُمْ مِنْ مَشَاكِلِي أَحْزَانٍ ، أَيُّهَا الْوَاجُونَ إِلَى صَبَابَاتِ
حَتْفِكُمْ بِسَرَائِرٍ مَغْتَبِطَةٍ .

قَطُّ مَا بِمَسْتَطَاعٍ أَحَدَكُمْ تَصَوُّرُ كَمِّ مَا يَتَهَايَرُ فِي نَفُوسِكُمْ ،
لِحِظَةٍ تَقِينَكُمْ ، أَنْكُمْ قَدْ صَرْتُمْ رَهْنِ مَحَابِسٍ ، قَامَتْ عَلَى مَهْلٍ
بِإِعْدَادِهِ لَكُمْ زَمْرَةً مِنْ أَنْاسٍ مِثْلِكُمْ ، كَانَتْ قَدْ رَاحَتْ تُجَيِّزُ
لِنَفْسِهَا ، وَذَلِكَ لِمَجْرَدِ كَوْنِهَا غَيْرِ مِيَالَةٍ لِمَنَاطِحَةِ هَذِيَانَاتِكُمْ ، أَنْ
تَصْمَكُمْ : بِكَائِنَاتٍ يَجُوزُ فِيهَا الْحَصْدُ .

فَقِيمِ يَخْصُنِي ، أَوْ حَتَّى يِيَهْظُنِي ، أَنْ كُلِّ مَا يَطْلُقُونَهُ نَحْوِي مِنْ
رَزَزِ أَلَسْتَهُمُ الْخُبْثِ ، حَرَى بِهِ كَمَا يَتَصَوَّرُونَ ، إِذَا مَا تَوَاصَلَ
عَلَى هَذَا النَحْوِ ، أَنْ يَجْعَلَ مَكُونِي بَيْنَهُمْ بَغِيرِ ذِي إِطَالَةٍ .

هَلْ خَبَرُوا مَا خَبَرَهُ أُخِي ، وَشَقِيقَاتِي الثَّلَاثُ ، وَمَنْ قَبْلَهُمْ
أَبَوَايَ بَعْدَ طَوْلِ مَكَابِرَةٍ ، مَدَى الرِّغْبَةِ الْمَحْمُومَةِ الَّتِي تَسْكِنُنِي فِي أَلَا
أَتَمُوقِعُ أَبَدًا بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ ، وَأَنْ يَكُونَ انْسِلَاخِي بِحَرِيَةٍ كَامِلَةٍ مِنْ
كُلِّ مَعْيُوشٍ ، لِهَوِّ مَحَجَّتِي الْوَحِيدَةِ ، لِمَآرِسَةِ اسْتِحْلَابَاتِي النَّهْمَةِ ،
لِحَيَوَاتِ أَبْصَرَهَا تَتَخَلَّقُ هُنَاكَ عَلَى مَبْعَدَةٍ .

إِنْ الْبَصَرَ لِيَعْمَى يَا طَاهِرُ ، وَالْفَسْكَوْلَ دَائِمًا مَا يَأْتِي آخِرُ
الْحَلْبَةِ .

فَهَبِ أَنْتَ ، عَلَى سَبِيلِ الْفَرَضِ ، ظَلَلْتَ فِيمَا تَلَا هَذِهِ الْوَاقِعَةَ ،
صَامِتًا وَمُسْتَكِينًا هَكَذَا ، مِثْلَمَا اعْتَادُوا مِنْكَ ، وَبَلَا أَى شُرُوعِ

البُتَّة فيما أبدَهِتهم به بعد ذلك، أكانوا تراجعوا بكل هذه البساطة التي تحدّث لك بها حسن ، عمّا بيّتوا عليه العزم .
لشدّ ما أنت في حاجة يا طاهر ، خاصّة في هذه المرحلة من حياتك ، إلى امرأة متفهّمة جوابيّة ، تروح بخنان بالغ ، تضمد ما تقرّح من شقوق جسدك الصّديان ، دون أن تلقى بالاً لما تُطلقه فيك غوائرك من أنين وتوجّع .

لكن ما الذى كانت تجوش به مخيلتك، وجعلك في نفس اليوم الذى خرجت فيه من الحجز ، لا تكتفى فقط بدخول إحدى حفلات سينما ريو ، لتجلس كعادتك في آخر كرسي من الصّالة، بل وتخرج في النهاية ، وأنت ممتلىء بالقدرة الكاملة للتحدّث من تليفون الشارع لواحدة من إيّاهن ، بهذا الشّكل الفاضح المُقرّز ، ثم لا تشعر عندما تأتي في آخر الليل ، وتلقى بجسدك على الفراش مستسلماً لتهجاعة طويلة ، بأن ثمة أى شيء يدعوك للخجل منه .
فهل كنت وقتها تُمارس إحدى حالات نكوصك ؟ أو بتعبير أدق إحدى حالات انزياحك إلى الخارج ، هارباً من ليلة أثخنك ألماً ، حيث كان مجرد تمويهك ، على ما يضح به باطنك من صخب أخيولات تدميك بسياطها ، بغية تسعى إليها دونما إرادة ؟ أم أنت كنت ، على ما أرجّح ، تدع عن قصد واسع مساحة لنفسك ، يختمر فيها ويذخ ما صادفك في تلك الليلة من أحبولة كهشّامات داخلية مُلتاعة ، في فريدة تجربة غير مسبوقة ؟

يا له حقاً من منظر يا طاهر ، مازال يعشى كل مشاهداتي ، بازغا بقوة كلما حطّطت بي داخل أى سيارة .

إنها نفس النظرة ذات الأثر الذى صعقتك بها صاحبة الكشك،
توَّ أن وجدتكَ تخرج من باب التاكسى ، فيما يدك تجفل فى تحوُّط
غير متقن من أن تلمحها عين ، وهى مشدودة بساعد أحد
الأشقياء ، ومطوّقة بسلسلة سميكة من حديد .

نعم . ما أفدح ما تعرّضت له يا طاهر فى هذين اليومين .
وقطعاً ستظل تطاردك مرئياتهما، كجرِّدٍ نهم عجوز ، مهما
بعدت بك الأيام ، وتواطأت مع زمنٍ يلتهم فى عدوه كل غالٍ
ورخيص .

كم أتمنى حالاً ، لو خطوت بى فوق رصيف مبنى الفرييور ،
ذى البلاط الناعم المصقول ، إذ ربّما يأخذك صخب حوانيته إلى
ملكوت جان لوك جودار ، الذى أعلم جيداً كم حاولت جاهداً
أمس ، أن تتماس معه بعبارتك تلك الحميمة . بل وعلّى أنا أيضاً ،
حين ألامس سطحه بانسراحات جلدى السفلى المشدبة نتوءاته ،
أن تتشرّب مساماتى ، دفقات من تياره ، الذى يسرى بفعل حكٍّ
أتشوّف إليه . أنّى لى يا طاهر ، بصدِّ هذا الشّطح الذى أصبح
يعرج بى بعيداً ، ويشوّشنى هكذا مثلك ؟!

ثم ماذا عساك أن تفعل ، وهم كانوا قد أعدّوا العُدّة بحذق
مفرط ، وبما لا يدع لك مجالا حتّى لاستجلاب أى شاهد ؟! أكان
جزافاً أن يصمك أكبرهم بهذا الوصم المروّع ، فيما يسألك
بنغلبة ماكرة أمام مأمور القسم ، بما إذا كان ثمة أى شىء يمكنه
أن يحضره لك .

إنه يورانيملك الذى اتى عاجلاً، قبل أن يتلفّظ به جنرال خربة

خزعة .

أقول لك ، فليتمر بعينيك على العنوان السفلى لجريدة السيد منتصر ، التي يتصفحها ها هو بجانبك .

نعم ، هنا . ثبّت نظرك بإمعان أكثر .
ها هي قد جاءتك الفرصة ، التي ستمكّن بها من التماهي بأكثر ما تستطيع من تقمّص مع ما يذوقه أولئك البشر ، على يد زبانية لا ترحم .

حقاً قضبان السجن ثمكّ العظم ، وتترع لحاءه ، كما قال إبراهيم المصري ، في مقاله الذي قرأه لك أمس : " ومع أنهم موقنون في أهون الأحوال ، باختراق الرصاص المطاطي لأجسادهم ، تراهم لا يتورعون ، ولا حتى يأخذهم الوجع أو تعثرهم الرجفة ، من كون شواهد القبور أمامهم ، تنعى اخواناً لهم ، لم تحف آثار دمائهم بعد .

أين محمد فراج ، وبلال عفانة ، ومحمد فزازة ، الذين لم يمر على مقتلهم ، سوى فقط اثنتا عشرة يوماً .

أين الذين كانوا يترفون عيونهم ، وهم مستمرون مازالوا في مصالوة الحجارة .

أين الذين يرقدون الآن في مستشفيات المقاصد ، والمطلع ، والعيون .

مجرد أخبار ميتة ، ومشاهد فاقدة الحسّ ، اعتدناها وأصبحت لا تحرك فينا شيئاً . بينما هم على الطرف الآخر يواصلون التحليق في سهب ميتاتهم ، بمخاتلات خلاص لها وطأة " .

أُتَسْمَعُ مَعِيَ يَا طَاهِر !!
إن شلة حجازى التى بجانبك تتحدّث بأن السّت اعتماد زوجة
الحاج بيومى خفاجة، قد نقلوها تَوّاً إلى مستشفى الأميري،
لإصابتها بجلطة على المخ ، جرّاء نوبة سكر . وهذا بالطّبع من
شأنه أن يقلب نظام حياة إيمان ، وعبد الملك رأساً على عقب .
ضاعت الفرصة يا طاهر ، ولن يجدى أن تستمر فى تحيُّن
اللحظات التى كنت تنتظرها اليوم .

فخلافاً لما كنت قد أجّلتَه من ميعاد مع ابنة عمّتها نوسة، يجدر
بك أن تبلغها ، بأن التوقيت مازال كما حدّد له لم يتغيّر . فلربّما
يكون فى هذه الاستعاضة ، بعضٌ من سلوى ، تُناجز بها أطيافها ،
التي تتوعّدك بحرق من فقد .

طالت اللحظات ، التى ظللت تمارس فيها قهومات مخايلاتك
بلا هوادة ، فيما عينك تُسارق النظر ، إلى أجرامهم التى تروح
وتغدو فى حالة شبيهة بالتّنويم . وفى البين لا يكون إلا اكتمال
انشطارك دوغماً رتق .

فهلاً انزحت ، بقدر ولو قليل عن شجوقيتك الكلثوميّة .
إن ما ينفحك إياه من رحيق نسيمات الدّواخل ، يجعلك دائماً
فى نأى . مع أنه خليك بك فى هذه المرحلة ، أن تنتبه لاستنطاق ما
بدأت فى تشكيل أجواءه ، منذ أكثر من عامين .

هل أقول أن الصّمت ، يومىء لك بما منح له إسماً ، غير غافل
عن الصّخب الذى قد يمنحك عدّة أسماء . إن شغفك بالتّنصّص
على ما يدب فى حواشى عتمك الدّاخلى، سيظل جرثومة شقائقك

الذى لن ينفد ، ولن يتفهّمه أحد .
ليتك تخرج بى عبر شارع الجيش ، إلى شجر المنتزه الكثّ العميق . فمثلما تفتقد الكثير من الضمادات الهوائية المبللة بالندى لرأسك هذا المملوء بالرّوث ، أفتقد أنا أيضاً لحشيش من غضار رطب ، يُغالب تصوّح جلدى ، الذى يتنامى بذات الهمة التى تستحلب بها تقرّحات أيّامك . لذا أدعوك فوراً ، لأخذ برهة من وسن ، تحت تعريشة إحدى أرائكها الخشبية الخضراء ، ولتعاهدنى أن تُسكن جميع جوارحك ، خاصّة هذا الضجيج المنبعث من جموح مخيلة لا تهدأ .

أطلق عليكَ تعويذة زوبة الفحلة ، علّكَ تجد ملجأ ما يكون لك فيه بعض سكن ؟!

هاهو يوسف الأقطش يعبر ميدان المسلة ، باتّجاه حلوانى ملفاى . تأمّله . إنّها نفس مشيته المترنّحة بيديه اللتين لا يعرف أين يضعهما . وملامح وجهه المبتسمة دائماً ، رغم - وأنت تعلم - كمّ ما تذيّقه امرأته من شقاء وهوان . وهاك صبرى السّحت يسير قافزاً صوب موقف الميكروباص ، بحويّة ونشاط يُحسد عليهما وكما ينبغى لمواطن ، ليس مُهدّداً أبداً باستلاب عام من عمره سجنًا ، جرّاء شيك بدون رصيد .

وذاك الصول درويش .

وهذه الأستاذة عزّة .

وهؤلاء هم البشر الذى يكتظ بهم الميدان .
الكل يتعلّق بشيء ما ، يُشاكِل به ما يتوهّم جدارته من بغيات .

فلماذا أنتَ دونهم ، تذر نفسك نهب كل هذا العيِّ ، والتَّهاير
بلا طائل !!؟

أعلم أنَّك تحمل داخلك سخرية منِّي باهظة ، تصرّ دون
ظهورها في حركة شفتيك ، وأنت ترتشف ما تبقى من بنّ .
أقول: فاستنطاق حراكك في الحياة، بالشكل الذي أوجزته في
مداخلاتي الكلاّنية السّابقة -وكما سمعتك حرفياً تقول لجورج -
لا يُوضع علائقك بمعطيات الحياة ، في سياقها المتاهي الأجبولى
الذى له أكثر من مسرب، بالقدر الذى يتيح لك تبصّر المنظورات
المختلفة للرّصد ذى الصّبغة الموضوعية . يا راجل اضحك قليلاً ،
ولو بانفراجة شفة . أو لم تردّ عليه بالضبط بنفس هذه الكلمات،
حين بادرك بمقولته الشّائعة .

اعذرني يا طاهر . فخشيّتي عليك تزداد يقيناً كلّما طال أمد
مكوّثي معك . أو لم تنزل تردّد مع جورج سيفيرس ، منذ
استيقاظك هذا الصّباح : " صحوّت وبين يديّ رأسٌ رخامىّ ،
يرهمق مرفقىّ ، ولا أعرف أين أضعه * " .

إنه الاسكندر الأكبر يا أنجيلوبولس ، مازلت أشاهده معه
للمرّة الثالثة على التّوالى ، وهو لا ينفك يتتبّعه من قصر ثقافة
النصر ، إلى المسرح الإيطالى ، إلى مركز الالينس بلا ملل .
وعندما سألتها عمّا إذا كان ممكناً ، أن تظل معه لما بعد العاشرة
والنصف موعد انتهاء العرض، ردت عليه بثقة زائدة، يشوبها
بعض الاحتراز : " ممكن " ، رغم أنّها تعلم جيداً ماذا يمكن أن
ينتظرها من أمها ، إذا ما هى تأخّرت عن التاسعة والنصف . ثم

في اليوم التالي انتبه إلى أن شيش شرفتهم الدائرية المطلّة على الوجهتين ، لم يفتح نهائياً طول اليوم ، ممّا جعله يعتقد أنهم ربّما يكونون في زيارة قصيرة إلى خالتهم كاميليا بالأسكندرية . لكنه بعد يومين علم منها الحقيقة كاملة .

فلماذا يومها بالذات أصرت أنتَ على تقمّص روح شيطان زنيم ، ورحت تدكّ مقدمتي بسور المدرسة في قسوة لم أعهدُها فيك من قبل ، ثم لا تكف ، إلّا وقد فتقَ جانبي الأيمن تماماً ؛ ولتجيز لنفسك دون تردّد أن تذهب بي إلى محل قوطة ، لأصير فوراً مرّتعاً لعدة غرز تخرق أنسجتي في ثقب مُروّع .

أو أسيرُ لك ، بأنني وبقدر ماكنت أضيق وقتها بما تمثّلت عليه من جلافة ، وسوء وعي لا يُقدّر عاقبة ما يفعل ، بقدر ما أشفقت عليك كثيراً ، من ترجّلك هذا المُستنزف لكل قوى بدنك، متمنياً لو ترغب معي في هدأة ساكنة على كرسيك المعتاد بكافيريا الطيران . فما من أحدٍ يا طاهر يصيخ مثلي لتقلصات أمعائك ، أونشيج صدرك المتفجّر بفوران حمّى غائرة مكظومة .

أنتظّاهر بأنك لا تبالي ، بما تدهسه فيك الأيام من بقايا فيض نبضك الحي ، فيما أنت تُشيع يومياً لحظات غبطتها المختلّسة التي تضمحل تباعاً !!

لكنّ بك هولة فزعة تجاهد في الانفلات من فتحات جرمك الثخين ، دوغماً أن يلوح لها منفذ . ولكأن هذه الثوبات المتتالية من الارتجاجات والانشطارات ذات العصف ، صدّى لتقاذفها الشرس تطلعا إلى حلق .

لذا فلا بأس من أن يعزو خليلك المُقَرَّب ، بحنكته المصطنعة ، أن ما تبدو عليه من تماوت ، ما هو إلا محصلة طبيعية لوصولك إلى قناعة راسخة ، أن كل ما تأتى به من فعل ، هو محض حرث في الماء لا مردود له . مخالفاً بذلك ما يطلقه عليك العم لوقا ، من أنك كائنٌ مُتلاون تنتمى لفصيلة الأبسوم ، الذى يتمترس خلف ميثاته ، كلما استشعر فى الأفق ضيراً سيهاجمه : " أَيْهَا النَّوْم ، أَيْهَا السَّادِرِ الْبَلِيد ، كَفَانَا مِنْكَ مُدَاهِمَاتٍ تَرَاوِغ ، إِنِّى أَلْزَمُكَ مَوْتِكَ " .

ثم هب أن ثعلبهم ، اتَّخذ من مكثك الصَّامت هكذا بلا فعل ، أو كلمة هنا أو هناك ، ذريعة لاقناع زملاء أخر بأَنَّك بلاشك شخصية غير طبيعية ، مُصابة بمرض مالنخولى مزمن توطئة لاتَّخاذ إجراء رسمى بذلك ، أكنت ستصرّ على ترديد أنَّهم لا يستطيعون لك ضرراً ، طالما أنَّك لم تقم بفعل ذى خطورة كالتَّهَجُّم مثلاً على إحدى الرَّميلات ، أو كسر نافذة من النَّوافذ ؟! لاحظ أنَّهم لا يعرفونك بالقدر الذى يكفى لكى يُجنِّبوك أى فعل قد يكون فيه تجاوز لما يجرى فى المصالح الحكومية . ثم أنَّه ومنذ مقدمك عليهم ، وأنت تحيط نفسك بسياج يصعب اختراقه ، بأى شكل من التَّواصل ، ربَّما يتيح لهم مساحة كافية ليصروك منها عن قرب . قل : أو لو لم يسارعوا بالزَّجِّ بك بين أتون دوامات ممارسات ، استسهلوا اجتراحها ضدَّك ، لكونهم استشعروا فيك ما لم يؤوِّلوه لصالحك ، أكنت قرَّرت ، فيما أنت تحتضن سخريتك هذه المرَّة ، أن تُذيقهم بعضاً ممَّا تتقنه جيداً ، ولا تخشى ماقد يطولك من شواظه ؟

قالها لك صبرى ، إنك تسعى بدأب منقطع النظير ، لقطع كل ما من شأنه أن يقيم علاقة صحيّة بينك وبينهم .
أيّها السّاكوت كفّ عن هذا الصّمت الذى أصبحت تستمرّته بالدرجة التى قد توصمك حقيقةً بالمرض ؛ فليس كلّ الذين يعيشون حولك بالمهيّئين عادةً لتقبّل ، ما أنت سادر فيه من خروج سافر عمّا هو فى عرفك مُلجماً للحركة . دبّ على سطح هذا الأسفلت الذى أمامك . ثمّ جسّ بين عمائره التى تتشاهق فى بذخة مكتنّظة بمور وهج الحياة . أمّا وسواد مُقدّمتى التى أُلّقت ، إنّى أتشوّف معك لوطء جنان كلّ نء ، ووهدة ما برحت أنفاس أناسنا القدامى تتعالى منها جائشة بظمئها الملتاع . حيث الفضاءات تتمرّأى فى تبارُغها مكنتره ، وغير مفضية إلى زوال .
أو ليس حقاً فى دفع صخب ما يخلفه البشر من هواجس ، مثلما خططت أمس ، نواده نستطيع اتيانها ؟
ألا ليت هطول المحيطة فيك ، يُساعف انسلالك هذا المنسرح ما بين عقب تضاريس أبنية منطقتك التى ماتنى تحسّب لمن يغشاها ؛
كيما تتجلى مُفصّحة عن مكنوز لألاء توارىخها التى تزرع .
أتأبى أن تستجلى غوائرها التى بدأت تتكشف تدريجياً أمام تمهّلات خطوك ؟!

أقول : ها أنذا أراك تعبر شارع الجيش أسفل لوحة نظّارات إمبابى الصّفراء . ماراً بجوار بوتيك هالة ، فمكتبة بيى ميّادة ، حيث تواجهك العمارة رقم عشرة بدوريتها الإثنين . ثمّ ها أنت تعرج هابطاً الرّصيف باتّجاه ماكس بورجر ، دون أن تلفت يمينا

لتحترز من العربات المسرعة في اختراق لا مبال لشارع التأميم ،
ليصير فيما يتلو من خطوات ، وجه محمد حسنين هيكل على
غلاف جريدة الصباح الجديد ، هو المحطة النهائية التي تستوقفك
عند بائع الجرائد المفترش الركن المصاقب لموقف الميكروباس .
فلأى مكان بعد ذلك ستودى بك أقدامك ، إذا كنت مُزْمَعاً
على ما أظن أن تستقبل إحدى المعدّيات ؟!

أتخامرك فكرة العودة إلى المديرية ، بعد أن كنت قد قرّرت أن
لا تطأها إلا عند التوقيع فقط حضوراً ، وانصرافاً ؟ ثم ماذا أنت
فاعل هناك ، إذا كنت مازلت ممتنعا عن العمل منذ مايقرب من
الثلاثة أشهر ، جرّاء ما أذاقوك إيّاه ؟!

هل ستهبهم فرصة أخرى يطالوك منها ؟! أم لأنك على يقين
كامل بأنه ليس بمقلوهم تكرار ذلك ، ستذهب لاستكناه
انطباعات تحرص على أن لا يفوتك سبّرها ؟

فوالذى يَعْرُمُ في أحيولات دواخلك ، إننى كلّما خبيت الخطى
بأتجاه ربّض الميناء ، تُتخمنى هبّاتٌ من رائحة طازجة ، ما إن
تُمسّد منى المسام ، حتّى تنفتح أمامى براحت شسعة ، يلجها
الطُحلب والعشب في مُماسّة تُدغمنى بكنه كالحى ، وما أكتفى .
قلت : يومها بكيت لى بنهم غريب ، لأننى ذكرت لك كل
ذلك بقسوة بالغة .

كان لم يمرّ على موت العمّة سوى ثلاثة أسابيع ، وكنيت
مازلت تخصفين على حينك بوريقات الغفلة المرّة . هل كنتِ
تعلمين أنّى صرت متأكدا تماما ، من أنّك أنتِ التي كنتِ تطلبينى

في هذا التوقيت المتأخر من الليل ، رغم
محاولتك تغيير النبرة ؟

ذلك

أنني

الآن

مُتَحَفِّزٌ

مثلك

إلى مُماسَّة

تُخْمًا

ما تزيديني غير

صدِّي

لن

أكون

منه بمنفلة ،

ولو تناكصت .

أُحَسِّبُ أَنَّهُ

لاتلاحقني

دونكم دُجْنَة

هاديس

بدياجيرها التي

هيها

لي

إلا

نعم بكيت كما لم تبك في أيّ اتّصال آخر .
وفاجأني هذا ، وظللت بعدها أتساءل على
ماذا كنت تبكين بالضّبط ؟! ولما أوشكتُ أن
أخبر المشاعر المختلطة التي كانت تتتابك
حينها ، كانت حموضة المعدة قد بلغت أوجها ،
وبت أستشعر طفحاً لازعاً أجاجاً على فمي ،
ثمّ المأ لا يُطاق أعلى سرّتي ، لم تُجدِ معه حبة
الزانيتاك التي بلعتها .

ولأئنّي لم أكن مُؤَهَّلًا لاستنطاق ماخامرن
من مُخايلات مُمضّة أعقاب اتّصالك ، رحت
أُسجّل بسرعة ، وبلا أدنى دقّة ما ذكرته سابقاً .
لكنني ما إن وجدتته ينحى منحاً ميثافيزيقياً
مُسطحاً ، وأن ماخالجني لم يكن هكذا تماماً ،
فبدا كنت في سياق كنت قد بدأته منذ فترة
خلاف الأفأويقي ، حتّى جعلت أُقطّع
الصفّحات كما لم أفعلها من قبل . ثم لم
أستطع أن أغفوا ولو قليلاً طوال الليل . بيد
أنّي لا أدري لماذا دأبت تطاردني بعدها
مقولة ميلان كونديرا في روايته البطاء
: " بالنسبة لأي رجل لا يوجد دواء

أكثر تخفيفاً للألم أفضل من الحزن
الذي يسببه لامرأة" * .

قلت : إذن - وكعادتى - سأجيز لنفسي ،
وبحكم ما ذكره لى طه رضوان على بوابة
المعدية ، من أن وصول أول طائفة سورية منذ
عشرين عاما إلى بغداد ، برئاسة محمد مفضي
سيفو ، لكفيل بالتكريس لكثير من التغيرات ،
أن أتمادى مخاطراً في استنتاجات أخر ، ربّما
تلقى بظلالها على ماهدّد به الجنرال عوزى
ديان أول أمس ، بأن مراكز القيادة الفلسطينية
لن تكون بمنأى عن اجتياحه إذا ما استمرت
أعمال العنف .

ثم لكيلا يبدو هذا انفلاتاً مزمناً عن النسق
الذي حاولت أن أتواشج معه ، في سعي
ملحاح لاكتناه ماقد يتسرّب بعيداً عن مركزه ،
سأعاود بالرويد ، وبترئّث محسوب النّكء في
فضاءات حُبلى ذات أثر . يُخيّل إلى أن رهيف
عواملها ، يمتلك من الشّحنات ما لاحد لما يمكن
أن يشيعه من أغوار ، فقط إذا ما حط
مستجيباً .

قلت : حسنٌ . هكذا بالضّبط . تمهلّوا
مثلى ، وأنتم تعبرون مهابط الممشى ، واطنين

أن
أتسحسح
إلى
مفاوزها
كأنفوضة ليس
لها من حظ .
كثير
ماتساءلت في
تطهّرى أكان
لزاماً
عليه
أن
يجعلنى حاضراً
في
حديث ناظوره
دون أن يُغورّ
في استنطاقه
لى
بأكثر
مّا يتكشف
من
أواصر بين

ناعم
بضّ و نته .
ماعليّ
والحال على
هذا
التّحو ،
إلاّ أن
أحتشد

في
أوج ترجُّلك
لمواجهة
أيّ
مُناجزة مع
حُجير قد
يروِّق
لك أن
تُرحزحه من
مكمنه ،

ليصير معها
معقولاً أن
أشرع في
رفع التّحدُّب

حصويّات الوادى الأصفر باتّجاه نمر أوز .
لكن تذكروا . عليكم قبل أن تهمُّوا بفعل
ذلك ، أن توجّهوا أنظاركم نحو قرية
سيلزماريا . حيث من هناك يمكنكم أن تُتابعوه ،
وهو مازال سادراً يتأمّل تغضّضات ملامح وجهه
على سطح بحيرة سيلفا بلانا ، مُتلقياً
أسجوعات ذرادشت الفيّاضة بوجيب وجل
متوله .

إن ترككم لعصيّكم مثلها على الشّاطيء ،
توّسماعكم لصراخ تلك الأصوات التي تصكّ
أذانكم في جلبة جهيرة ، ومن ثمّ شروعكم في
حشد جيوب معاطفكم بالحجيرات ذات
الثقل ، يجب أن تتبعوه بأن توسعوا لى محلاً
لأكون أوّل البادئين بالنّزول . شريطة أن
لا تدفعوننى لأن أسرّ لصديقتها فيثا بلا مبالاة
: "هذه هى التّجربة التى لن
أصفها * " .

الآن .
هل يُخايلكم مثلى آخر ما تسمّرت عليه
أعيننا ؟

أقصد وجه ذاك العجوز الذى ظلّ يترّف
سنوات عمره ، فوق هدّد منزله بُعيد أن دمرّوه

قرب مستوطنة نتساريم .
 المقبب من
 حفاف قبلى
 باستقامة
 شاهرة
 تُجيز
 الصُدود . أمّا
 إذا ما راودتك
 إحداهنّ لمعالجة
 ما أدمأها
 أواره
 بين
 بض المؤخّرة ،
 مُحبّدة القسوة
 التى يمنحها
 جلدى حين
 اللطّ ، فلن
 يكون
 من العسير
 علىّ أن
 أترزح
 مستجيباً بلا
 رجوع . إذ

بلى ، أرجوكم لأُحدّثوني على وقع هذه
 الألحان التى تمّوى معنا ، بما اعتدتم عليه فى
 الأواخر . فما تهاير داخلى ساعةً فاجأتني جثته
 وهى ملقاه فى مشرحة الأميرى ، يقتعد الموت
 عينيه ، فاقت كل قدرتى على التماسك .
 طاهر مابال عيناك تغرورق هكذا
 بالدّمع ؟!

لا ، يجب أن تُرقئهما حالاً .
 ها أنت تحتاز شارع النهضة باتّجاه محمد
 على ، ولم يبق أمامك سوى عدّة أمتار . أتريد
 أن يُفسّروا دموعك هذه بما يُزيد متربّصوك
 شماتة ؟!

آه .

" غيابك يُلْقنى ، مثل حبل فى
 الحلق ، مثل البحر للغريق يُصارع
 الموج * " .

نانا .

" إنّنى أهبط من ذرى لم يُحدّق
 فوقها طائر * " .

رَبِّ فُرَجٍ تَسْلُقَانِ بَعْدُنَا بِحَفْضِهَا ، فَلَا تَتَنَابَى أَىْ غَضَاضَةٍ مِنْ أَنْ أَوَائِمَ
بَيْنَ جَوْفٍ جَذَعَى الْمَكْنُوزِ بِلَاءِ قَدَمِكَ ، وَبَيْنَ اسْتَوَاءِ أَكْسَبِهِ طُولِ الْمَلَاوِبَةِ
تَقْعُرًا يَنْقُصُهُ احْتِدَابٌ . بَيِّدْ أَنْ إِمْلِيسَ لِبْدَى أَيْآنٍ تَتَبَيَّسُ مِنْهُ الْحِفَافُ ،
يَسْتَحْلِبُ مِنْكَ كُلَّ نَشْعٍ تَبَاغْتَهُ بِهِ . فَأَلَوْ مَكَّكُنَى حَلْزُونِيَّاتٍ سَادِرَةٍ
شَأْنِ الْعَدِيدِ مِمَّا يَتَوَاتَبُ فِي حَوِطِ الْعِمَائِرِ ، أَسَوْفَ تَنْحِينِي دُونَهَا أَنْ
تَفْتَحَ لِي فِي عَوَالِمِكَ مَوْلَجًا يَلْبِي فِي إِفْصَاحًا .

قلت : من أين تنتهني الهواجس ، وأنا إزاء تَهْيِئَتِهِنَّ ، أَخْبُ الخَطَى .
بِأَخْيَاتِي اللَّوَاتِي يُسَارِرْنِي ، ثُمَّ يُوصِلُنْ صَحْوِي بِنَهْجَاعَاتِ تَزْدَهَى
فِيهَا عَرَائِيسُهُنَّ الْمَائِسَاتِ . أَلَّتِي يَلَامُسْنِي ، يَطْلُقْنَ فِي رَكْزًا صَاهِلًا . فَإِذَا
الْعَرَاءُ صُنُوجٌ ، وَإِذَا مَاكَادَ يَتَوَغَّلُ دَاخِلًا شِرَاقٌ غَلَقَهُ ، يَنْتَفِضُ مَوْمئًا
لِرَوَامِزٍ لَمْ تَعُدْ فِي غَيْبٍ .

يَا ذَوَاتِ الْقَنَادِيلِ الَّتِي تَطْفُو مَسْرَأَتُهَا عَلَى غُفْلِ قَلْبِي ، لِمَنْ أَعَزُّوْهُ وَخَزِ
تَبَارِيحِي ، إِذَا كُنْتُ لَا أَيْمَمَ ، إِلَّا لَكِي أَفَرٌّ مِنْ خُومِيبَاتِي الْجَدِيدَةِ بِفَضْ
مَلَأَ سُوْبِعَاتِنَا وَجَعَلَهَا خَاوِيَةً . أَوْكَدَهَا لَكُمْ : مَا أَنَا بِهَارِعٍ وَرَاءَ وَقَائِعِ
يَتَلَقَّاهَا الْمُقَرَّبُونَ لَيْسُدُوا بِهَا فَتَقَ . وَمَا أَنَا مِنْ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَتَلَمَّسُونَ
بِرَاحًا يُضِيئُونَ فِيهِ كَيُنَوْنَتُهُمْ ، وَلَوْ كَانَ فِي ذَلِكَ مَا فِيهِ مِنْ لَبْسٍ . إِيْ
وَجَوَى غُلْمَتِي إِلَى امْتِلَاءٍ ، لَوْلَا اِرْتِحَالَاتُ مَا زَلْتُ أَحْرَصُ عَلَى مَعَارَكَةِ
دُرُوبِهَا ، كُلَّمَا تَمَكَّنَ مِنِّي حُرَاقٌ لَاعَجَ يَبْغِي التَّهَارِيَّ إِلَى سَحِيْقِهِ ؛
مَا تَقَبَّلْتُ اسْتِمْرَارَ مَكْنَى فِي الْحَضُورِ .

لهفى على لحظات أستعير منك فيها يا حائك رواميزي ، بَزَّة
انْسِلَالِكَ ، إِلَى مَا تَكشَّفَ لِي مِنْ غَوَابِطٍ تَحْلُقُهُ . أَنَا أَدْخُلُ إِلَى حُومَةٍ
مُوَاجِدِي بَغِيَةِ التَّصَوُّعِ بِالذِّي تَنْسَرِبُ مِنْهُ أَفَاقِي كَوَائِي ؟ أَمْ أَنَا صَدِيَانِ

إلى ما يخيلنى ظلّاله أينما صبوت ؟

عبثاً أمضى مثقلاً بديبب النّكّائين فى بكارة أحرفى . غير عابئ بالذى
يخلفه فى من ضئى . إذ ، وياسم وطأة أحفولات نذّاهاتى التى تتصايح فى
حومة موار التّيعاى ، أستنيم مشدوهاً لصولات لا أعلم منتهاها ، ولا
أكفّ عن مناطحة مخاتلتها ، إلّا إذا عاودت الكرّة بجوشان أكاد أشتّم
حيم صهيدة فى حلقي . أهوى مُستدرجاً إلى قيعان قصيّة يالطالما تُخايلنى
باللاء ناصعها الوضىء ، حتّى إذا تدانيت مُمسكاً بكرابل منها تبرز ،
كنجيمات وامضة ، موشكاً أن أفتنص ، تغشّاني رهطاً من سحب سوداء
جهمة لا أرى بعدها شيئاً مهما كابدت . حيث أستمّر هكذا أبداً بلا
قنص . تتملّكنى الشّقوة تلو الشّقوة ، وأنا دائماً فى رنوّ من دون أن
يتسنّى لى - ولو لمرة واحدة - أن أملاً راحتي بما قد يُخفف من بُرّحاء
جدي الذى أستشعره صلياً كمداً مُقرّحاً بين تعاريج جوانحي . فمِمّن
أتلقي عطايا آل أفاويقي ، إذا كانوا هم قد أسروا إلى منذ أكثر من
عشرة أعوام : " الفَيروُزَج كموّن لنا ، فإخلع تُندوتيك يا آجا وحرّقص .
إنّا سنلقى عليك جرّاً ثقيلاً " . لكنّنى يا لهفنى ما إن استجبت لهم
عارجاً إلى مغاور ، مافتت أعب منها خصباً فاض علىّ من مكنوز
مكنونها ، حتّى ظللت أسيراً لغمر الرّكّز فيها ، و اعتراضى بعدها تكلّس
لا أعرف له انزياحاً حتّى أيننا هذا .

كل شيء ماعدا صبواتى انتفاء .

وكل مجاهدة دون مسالكها قبض .

أما وشطحي ، صوب شتات مُتخّم بأحاييل لاحدّ لمتاهاها ، لا يعينى
ثمّ لا يعينى كمّ ما أنفقت من سنون ، ولا كمّ ما تأكل فى من غفل كائنيتى

طالما مازال ابتحاثي دون وصول . وطالما مازال احتفائي بدفق الدَّم في
خرائط بدني ، بمنأى عن زيغ مُناجزتي في دروب ليس لمقاصدها قرّ .
هي جرثومة التَّشوّق لِبَكَارات البدء تُعاودني ، كلِّما اعتقدت منها
البَرء .

وهو الخبء ، نارٌ بها تبلغ الغُلمة إيغافها .
فلماذا تعتصرنى بمثل هذا الثَّقُل يا أفاويقي ، حقيقة كون كل
مكابداتي تلك التي وهبتها شغاف القلب، وجماع عصارة منقوعه ، ذاهبة
أبدًا إلى زوال !! رغم أنَّها كانت تُتخمني بزخم حيٍّ لا أتصوّر محوه .
قولي لي : من أين يلج هذا التَّخر في حشا كينونتنا ، فُتترك هكذا مُبًا
لإفناء بطيء مُصرّ ، حتّى فيما كنّا نظن أنّه غير قابل لذلك !!؟

*

{10}

جرس الباب يطلق صفيره المموسق بصوت طائر الكناريا.
ذراع منيرفا الأيسر مفروود بعرض السرير ، فيما بيتر
يستكن برأسه فوق رجليه المضمومتين أمامه ، بالقرب من
زاوية إبطها الخالي من الشعر . يغلق عينيه ، ويفتحهما بتمهّل
سارح ، استجابة فقط للصوت الذي يصله .
الجسد مستقلق على ظهره ، والعينان مغمضتان ، وشفتاها
بينهما فرجة لاتندمل .

حالة من الاسترخاء التام قد تملكته . يُسوِّغها تنفسها
الهاديء ، وسكون أطرافها الخالي من أي نأمة. غير أن ساقها

المنفرجتين بزواوية حادة، هاهو ينكشف بضمهما الناصع ، إلا من
 بضع أجزاء يحجبها بطرفيه الروب ديشنبر الأبيض . من
 أي زاوية يمكن رؤية عانتها المعرّة ، وغائر ما بين فخذيه
 حتى المنبت .
 هي على ما يبدو قد التحفت ببدنها ، وبقاياها التي اغتسلت ،
 ولا تريد إزعاجاً .

*

{11} وإذا ما أوضحت الكلمات في رأسه تظن

<p>مُتمهلاً بخطوك تسير معصوب العينين نحو عمل ليس لك منه بدّ ، حقيقى تقدّره ، لكن ليس هو الوضع الذى كنت ترتضيه لنفسك يا إبراهيم عندما تصل لهذا السنّ . تعرج باتجاه الحيز المسوّر الذى يقطع شارع الجزائر إلى جزئين ، و بالقرب من واجهة ألبان السّلام تطأ قدماك المرحاض الحكومى الرّطب مبلل البلاط جرّاء مسح قريب ، تسلم على عم عبد الله . وتخرج وأنت تسبح فوق تساؤلات لامعنى لها ، وبلا إجابة . تغمر وجهك دفقة هواء رطب ، توّ أن تطأ</p>	<p>أيّها النّاس: انكحوا ما طاب لكم من الملاح، واقطعوا العمر فى فى أكل وشرب ، ونيك ، وإخراج ، فهنيئاً لمن</p>
--	--

غَلَبَ
مَحَبَّةَ
الْبَنَاتِ
عَلَى
الْبَنِينَ ،
وَجُودَ وَهْزَ
اللَّهُوِ عَلَى
الْكُسِّ
الْمُقَبِّبِ
السَّمِينِ .
وَطُوبَى
لِمَنْ لَمَسَ
خَدًّا أَسِيلًا ،
وَعَاذَلَ طَرْفًا
كَحِيلًا ،
وَضَمَّ خَصْرًا
نَحِيلًا ،
وَرَكَبَ رَدْفًا
ثَقِيلًا .
وَاعْلَمُوا أَنَّ
مَنْ جَلَسَ
عَلَى

قَدَمَاكَ امْتَدَادَ ١٥ سَبْتَمْبَرِ ، وَتَمَرَّ بِعَيْنِيكَ عَلَى
بَعْضِ وَاجِهَاتِ الصُّحُفِ الْمَنْصُوبَةِ أَمَامَ كَشْكِ
الْجَرَّادِ ، وَعِنْدَ جَامِعِ بُورْفُودِ الْكَبِيرِ تَفَاجَأْتُكَ
عَرَبِيَّةَ مَسْرَعَةٍ بِصَوْتِ بَوْقِهَا الْمَزْعَجِ ، فَتَنَتَّبَهُ
لِسَرَبٍ مِنْ سَيَارَاتِ الْمَيَكْرُوبِاصِ السَّائِرَةِ فِي
نَفْسِ الْإِتْجَاهِ . تَتَحَرَّفُ يَسَارًا ، لِتَعْبُرَ شَارِعَ
الْحَرِيَّةِ ، ثُمَّ تَمَدَّ خَطُوكَ نَاضِرًا فِي سَاعَتِكَ . لَمْ
يَبْقَ عَلَى مَوْعِدِ الْإِنْصِرَافِ سِوَى رُبْعِ سَاعَةٍ
فَقَطْ ، وَأَنْتِ قَدْ أُدْثِيتِ حَصَصُكَ فِي الْجَدُولِ
الْمَقَرَّرِ عَلَيْكَ . تَطِيفٌ عَلَيْكَ صُورَةُ رَمَضَانَ
الْكُحْكِيِّ النَّاضِرِ ، وَتَتَمَنَّى لَوْ كَانَ قَدْ قِيلَ عَذْرُكَ
هَذَا الْيَوْمِ . تَسْتَمِرُّ فِي سِيرِكَ ، وَذَهْنُكَ مُشَوَّشٌ
بِالْعَدِيدِ مِنَ الْمَرَائِي ، تَنْتَظِرُ إِلَى الْأَسْفَلِ ،
وَيَلْفَتَاكَ نَظَافَتُهُ الْغَيْرِ مَعْتَادِهِ . قَالَتْ لَكَ أَنَّهَا
مُسْتَعِدَّةٌ لَتَرْكَ بِنْتِهَا لَهُ : " هَمَّةٌ سَنَتَيْنِ وَحَيْخُدهَا
غَضَبٌ عَنِّي ! " . وَإِنَّكَ أَوَّلَ رَجُلٍ تَشْعُرُ مَعَهُ بِتِلْكَ
الرَّعْشَةِ . وَأَنَّهُ جَاءَ الْوَقْتُ لِتَقْدَمَ عَلَى هَذِهِ
الْخُطْوَةِ . وَأَنْتِ تَسْمَعُ لَهَا فِي صَمْتِ ، وَتَفَكِّرُ
فِي مَوْعِدِ غَدٍّ ، وَتَتَسَاءَلُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ نَفْسِكَ مَاذَا
لَوْ عَرَفْتَ أَنَّكَ تَسْعَى لِلزَّوْجِ بِالْفِعْلِ مِنْ غَيْرِهَا ،
وَسَتَذْهَبُ بِالْفِعْلِ لِرُؤْيَا الْعُرُوسَةِ الَّتِي عَرَضَهَا
عَلَيْكَ عَاطِفٌ . وَعِنْدَمَا تَقُولُ لَكَ : " إِبْرَاهِيمُ .

سامعنى؟ ما بتردش ليه؟! ". تلتفت لها شاردًا ،
وتقول : " أبداً " .

تمضى إلى شارع المروة الضيق الشديد
الهدوء والمتوّج بكثير من فيلال الهيئة ، وتسير
لا تلوى على شيء . فيض من الكآبة يصبغ
خطوك . تتحرف يمينا من شارع النصر ،
وأمام مركز طبى بورفؤاد على رصيف نادى
بورفؤاد الرياضى تقف ، وتلتقط زهرة من
شجرة لاتعرف إسمها ، وتشرع فى شممها .
فجأة تقرّر عدم ذهابك للتوقيع انصرافاً . ثم
على نحو مصرّ تستدير إلى الخلف صوب
شارع الحرّية .

وعندما تصل إلى مبنى محكمة استئناف
بورفؤاد العالى ، تسحب من جيب بنطلونك
الخلفى كارتك المينائل ، ثم تمضى للجهاز
المنسوب على زاوية الرصيف فى مواجهة
القناة ، وتبدأ فى ضرب الرّقم .

يجيئك صوت أمك متهدّجاً . تدرك أنها
كانت تبكى كعادتها من وقت وفاة أخيك منير .
تسألها عمّا إذا كان عاطف قد اتصل بها ،
وأكد عليها مجيئه هو وزوجته أم لا . فتخبرك
بأنه لم يتصل بعد ، فتطمئنّها على أنك فى كل

أطراف
أصابع
قدميه ،
وطعن بأيره
قلب الكسّ
وأحسن
التّجويد
عليه ،
وأسرع فى
إنزال
عسيلة
المرأة ،
مالت
النساء
إليه ،
فاغنموا
هذه
العشرة ،
وغرقوه
إلى
الشّعرة .
وانكحوا من

السُّمَر
القصار ،
ومن البيض
الطَّوَال .
وإذا عمد
أحدكم إلى
نيك امرأته ،
فليلو
مرافقها
قبل أن
يُعَانِقها ،
ويقرص
مفاصلها
قبل أن
يوصلها .
ويُكْثِر من
هراشها
قبل أن
يلاقِها
على
فراشها .
ويُحَسِّن

الأحوال ستأتى بالسَّمَك البورى الذى طلبته .
تنهى المكالمة سريعاً ، وتذهب لتقف أسفل
السَّقْف الصَّاج على رصيف المعدِّيَّة ، وواضعاً
قدمك أعلى أحد العمدان الأفقيَّة المنصوبة
هناك . تتأمل سطح المياه الرّمادى العكر الذى
يضرِب بلا هوادة حجارة المرسى . . بينما
على البعيد إحدى السفن العملاقة تمرّ متبوعة
بوابور الهيئة ، وزوجين من اللنشات بمحاذاتها
من الجانبين ، تحسباً لأى مُفاجأة . لاتبحث
بعينيك عن العلم المُعلَّق فوقها ، كيما تتبيّن
الدَّولة التى تنتمى إليها ، إلا أنك ، وبضيق
يرتسم على ملامح وجهك تدرك أن وقفتك
ستطول ربّما كثيراً ، ريثما تعاود المعدّيَّات
السَّير فى طريقها المعهود باتّجاه المراسى .
يجتذب نظرك بعض الشباب ، واثنين من
الشيوخ يقبعون بسناراتهم على حافة المرسى
أمام السَّياج الحديدى . فى نفس الوقت الذى
يقترِب فيه منك فتاتان وينظران لك عن قرب
نظرة من يعرفك .
تلافياً لأى نظرات أخرى لالتطيقها ، تتجه
ببصرك ناحية نادى تجديف بورفؤاد على
الجهة اليمنى من وقفتك كأنك لاتراهما، مُخْمِناً

فى
 اطراحها
 قبل
 نكاحها ،
 ويجدّ بيده
 تكة
 اللباس ،
 ويجسّ قبة
 الأكساس،
 ويأخذ فى
 عناقها ،

أنهما ربّما كانا من تلامذتك فى أعوام مضت .
 على نحو لاتعرف له سبباً ، ينقبض صدرك ،
 وتشعر بحزن مُمِضّ موجع يأكل أحشاءك .
 تتذكّر الدقائق الأخيرة قبل وفاة أخيك الأكبر ،
 ونظراته النَّائِهة المفعمة بالشجن ، وأمّك وهى
 ملقاة على سريره تبكيه بحرقة .
 تتقدّم عدّة خطوات إلى الأمام ، ثمّ تقف .
 يرنّ فى أذنك صوت أمّك الواهن .

* * * * *
 *

قبل شيل ساقها . ثم يُقبّل الخدين ، ويعرك النّهدين ، ويمصّ
 الشّفتين ، ويبدأ بالتّحليّك ، ويثنّى بالتعميق ، ويثلث
 بالتّصفيق ، حتّى تبقى لانعى ولا تفيق .

نواضر الأيك فى معرفة النّيك
 تأليف

الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرّحمن بن أبى بكر السيوطى
 المتوفى سنة ٩١١هـ .

تحقيق وتعليق

طلعت حسن عبد القوى

دار الكتاب العربى . دمشق

* * * * *

*

{12}

﴿ يبدو أنه كلما انتهى الأب من إفراغ ماسورة بالوعته بمساعدة الأسطى على كرامة ، عاود الصبي حاتم إلقاء بواقى طبقه من الأرز ، فى حوض شقتهم ، ذاك الذى استوطن من قبل عائلات النمل الأبيض ﴾

بعده خطوات يبتعد منحرفاً عن مدخل الحجرة . الرّيموت فى يده يوجّهه للشاشة ، ويستمرّ فى الضّغط عليه . وبفرد الذراع يرفعه لأعلى ، مبعده عن جسد أمّه التى هاهو يفسح لها حيزاً للعبور . فجأة يعلو الوشيش الصّاخب من التّلفزيون ، وكأنّه طائرة تزمجر ، وعلى الفور يأتيه زعيق أمّه بصوتها المبحوح ، فيما هى تدفع شيش الشرفة الأيمن بيدها وتدخل : " مش بقولك مش حترتاح إلاّ أمّا تبوظه " .

يضغط على كاتم الصّوت ، ثم يقترب من التّلفزيون الموضوع فى منتصف البوفيه ، حتى يكاد يلتصق به ، ويبدأ فى خفض الصوت تدريجياً ، ثمّ يعاود الدّخول على قائمة ضبط مسبق . بحث يدوى . ويستمرّ فى تحريك المؤشر فى الاتجاه الأيسر بالضّغط المتكرّر بالإبهام . إلّا أنّه حين تطلب منه أخته ريهام من الصّالة أن يأتى ليضبط لها اللّمْبة النيون التى لا تريد أن تضيء . يتوقّف ويغلق التّلفزيون مؤقتاً ، وفى الحال وعلى غير المعتاد منه يذهب مسعفاً لها . يجرّ المائدة الخشبية الصّغيرة من المطبخ ، ويضع عليها كرسى الحّمّام ، ثم يأخذ

فى تحريك اللبلة إلى أعلى ، وإلى أسفل حتى تسرج . يفعل
هذا ، ويعود بسرعة إلى فتح التلفزيون ، بعد أن يكون قد أعاد
كل شيء إلى مكانه .

لحظات ويسمع اصطفاق باب الشقة ، فيعلم أن أخته قد
غادرتها إلى الكلية .

أخيراً . وبعد محاولات عدّة ، تأتي الموجة التى يسمع من
خلالها بعض المكالمات التليفونية بين أفراد لايعرفهم ولايعرف
موقعهم بالضبط . فيوقف المؤشر عليها ضاعطاً ، ويخفض
الصوت قدر مايسطيع ، ويقترب من الجهاز . ويروح فى
التسمع . يصله الصوت مشوشاً ، وغير واضح . يحاول أن
يضبط المؤشر ، ويجاهد فى ذلك ، حتى يصل إلى أقصى
درجة يمكن أن يكون فيها الكلام مفهوماً . غير أنه لاينجح فى
ذلك كثيراً .

من على البعيد يتناهى إلى سمعه ، صوت أمّه تكلم أحداً ما
من الشرفة . يرجّح أنها ربّما تكون جارتهم رئيسة فى العمارة
المجاورة، أوروبّما جارتهم على القاطنة أعلاهم . لايبالى
ويستمر فى الإنصات باهتمام وبحرص ، خاصّة بعد أن بدأ
صوت الشابين اللذين كان يصله حديثهما مبهماً، وغير مفهوم ،
فى الوضوح التدريجى . يمكن القول أنه الآن يكاد يفهم جميع
جمل الحوار الذى يدور بينهما . غير أنه ما إن يركّز فى
متابعتهم متلاهما عن كل ماحوّله ، حتى يفيق على رنين جرس
الشقة يصكّ أذنه فى تتابع واتصال .

على مضض يتّجه متذمّراً ، وبخطوات بطيئة لفتح الباب .
لكنه عندما يجد أنّ أخته ريهام هي التي قد عادت لتأخذ أحد
كشاكيل محاضراتها من درج البوفيه ، قائلة له بصوت منهذج ،
وهي مازالت واقفة على عتبة الباب : " والنّبي يا حاتم هاتلى
كشكول المحاضرات الأحمر من درج البوفيه " . لا يستجيب لها ،
ويتركها مهرولاً ، وراجعاً إلى مكانه ، وهو يردّد : " ارحمونى
بقى هو مافيش إلا أنا اللي فى البيت ده " .

لاتجد ريهام بدءاً من أن تدخل السفرة بحذائها الأسود ذى
الكعب العالى ، محاذرة أن تراها أمّها ، وبسرعة تفتح الدّرج ،
وتلتقط الكشكول ، ثم تلتفت ناضرة له ولما يفعله : " دا اللي إنت
فالح فيه . إنت مأجّر عشان كده " . هكذا تقول له ، وهي تمضى
إلى الصّالة ، غير منتظره منه ردّاً .

يسمع غلق الباب ، فيرفع الصّوت قليلاً .
يجيئه صوت أنثوى : " بقولك استئنائى على محطة الأتوبيس " .
يرد عليها صوت شاب يبدو صغيراً : " مش حينفع . دى فيها
تلت تربيع ساعة على بال أمّا أجيك " .

- : " حاول . حسّناك " .
- : " طب ماتخدى تاكسى من الموقف ، وأنا أسئنّاكى تحت
العمارة أقرب " .

- : " يا حبيبى معيش إلا جنبه ونص ، ويمكن مايكفوش ، وعائزه
أشترى شوية حاجات كده " .
- : " يا حبيبتي أنا لسة نايم على السرير " .

- : " طب قوم بسرعة . يا الله . أنا نصّ ساعة ووصل . وبعدين
إنت متقوليش يا حبيبتي أنا بس اللي أقولك . أنا اللي أكبر منك " .
- : " الحب مافهوش كبير ولا صغير . زى ماتقوليلي أنا أقولك " .
- : " لأ يا صغير على الحبّ . لأ يا بيبى . أنا أقول زى ما أنا عاوزة .
أنا حرّة . إنت ماتقولش " .

يحدث تشويش قوى يغطّى على صوتهما ، فيعاود حاتم
بسرعة الضّغط على المؤشر ، فى محاولة منه لالتقاط الصّوت
قبل أن تفوته المكالمة ، لكن بلا جدوى . يستمرّ فى البحث
بالمؤشر ، ويميل بجزعه أكثر على البوفيه ، مقترباً بأذنه من
التليفزيون . هنا تدخل أمّه حاملة بصعوبة كرسى خيزران عليه
بعض الملابس ، والغيارات التى بدى أنها كانت واقفة تلمّهم من
على المنشر . يلتفت لها ، وهو مشغول بتحريك المؤشر ، دون
أن يتكلّم .

تبادره ، وهى تنهّج من ثقل الحمل الذى وضعتّه بجانب
النّيش : " حتضّيع برده اليوم كله مفت كده ؟! " . ثم تقطّب جبينها ،
وتشير له بقبضتها : " يا بنى إنت فى التّوجيهية ، روح ذاكر شويّة
دا اللي زيّك بيكلوا الكتب أكل " .

- : " يعنى حمل إيه بالشّهادة " .

- : " إوعى أسمعك تقول الكلمة دى . كل اخواتك راحو كليات ،
وأخذوا شهادات . عاوز تبقى أقلّ منهم " . ثم تكلم بصوت نهد
صبره : " عشان تتجاوز واحد بنت ناس لازم تاخذ شهادة ، افهم
بقى يا بنى " . هكذا تقول له ، آخذة بعض الغيارات والملابس

التي كانت قد وضعتها فوق ساعدها ، وتعتبر الصَّالة ، ذاهبة إلى حجرة نومها ، وهي تتبعه بقولها : " يلا سييك من الحاجات دي وروح ناكِر ، يلا : " . فإِردَ عليها ، وهو مازال يُحرِّك فى المؤشر : " ربع ساعة وحروح " .

تمضى دقائق ، وبعد استمرار فى البحث ، تصله مكالمة بين فتاتين لم يستطع تحديد معانى عبارتهما .

يحاول أن يضبط المؤشر مُبعداً وجهه عن إضاءة الشاشة التي يستشعر تأثيرها على بصره ، إلا إن صوت التليفزيون يعلو فجأة بدرجة مزعجة يحاول أن يخفضه بالضَّغط على الرِّيموت فلا يستطيع . يبدو أن الرِّيموت لا يستجيب نهائياً رغم محاولاته ، ربَّما البطاريَّات ، أو أن زر الصُّوت قد علق . يتجه إلى مشترك الكهرباء المجاور للبوفيه من أسفل . وسرعان ما يشدَّ الكبس .

يسمع أمّه تتحدَّث مع أحد على باب الشَّقة . يصن قليلاً . يصله صوت رجل نبراته جهورية عالية . يتأكد أنه ليس لرجل الغاز أو الانارة . يذهب إلى أمّه عابراً الصَّالة ، حيث يقف بجانبها ، ويسألها وهو ينظر إلى الرَّجل من خلال ضلفة الباب المفتوحة : " فى إيه يا أمى ؟! " .

- : " مفيش استنى بلوقتى " .

يقول المحضر بزَهق ، وهو يمدّ يده ببعض الورق إلى أم حاتم : " يالله والنَّبى يا حَجَّة ماتتعبيش معاكى ، أنا ورايا شغل كثير امضى هنا الله لايسيك " . يشير بإصبعه لها فى المكان المخصَّص

للتوقيع ، فتبادره قائلة بغضب مكتوم ، وهى تدفع بالورق بعيداً عنها : " قولتك انزل للحاج عبده تحت . حتلقية قاعد قدام محله اللى جنب بن شلبى " .

ينظر لها فى شكّ، فتسأله مستطردة : " تعرف بن شلبى ؟ " .
- : " لا " .

- : " طب تعرف محلّ السّلام ؟ " .

- : " لأ برده " .

- : " طب أنا حريّك . طبعاً تعرف فندق صوفيا . صحّ ؟ اللى جنبنا ده " . تشير بيدها اليمنى جهة اليسار .
- : " آه أعرفه " .

- : " بعديه محلّ . ماشى " .

- : " أيوه " .

- : " المحلّ اللى بعده بقى " .

- : " اسمه إيه ؟ " .

يندفع حاتم بالرّدّ : " عبادكو " .

يقول متنبّها : " آه . دا اللى مرفوعة عليه الدّعوى " .

يستفسر حاتم فى اهتمام : " دعوة إيه " .

- : " دعوة انتهاء عقد لتغيير النّشاط " .

- : " يعنى إيه ؟ ! " .

لايردّ ، ثم وهويستدير إلى الخلف ، تاركاً الباب وراءه وهابطاً درجات السّلم : " الحاجة بقى تبقى تقولك " .
ثم ينهى الحديث قائلاً : " السّلام عليكم " .

- : "وعليكم السّلام" .

هكذا تردّ الأمّ في قلق ، ثم تغلق الباب بهدوء وحذر ، وهي تتنظر لابنها حاتم الذي بدى مبهوراً ، وتتمتم : "مَنكَّ الله يا حجاج مرتضى" .

لم يلبث مجدى منذ أتى، و جلس أمام أحد الكومبيوترات في المؤخرة يعيد انزال ويندوز ٩٨. وهو ينظر إلى أخيه رمزى من حين لآخر ، ليتأكد من متابعتة للذين يتوالون دخولا على المقهى.

أربعة فقط هو تعداد المتواجدين الآن في مكان يتسع لثمانية أشخاص دونه .

يقف على عتبة المحلّ ، ثم يعاود جلوسه خلف المكتب الموجود في أقصى الرُّكن الأيسر منه ، رمزى الذى يعطى انطباعاً ما بأنّه منتظراً أحداً بعينه ، متحرك دائماً ، ولايمكث على حال أبداً طويلاً . بينما على الرُّكن المجاور لمحل بن شلبى فى الواجهة ، يجلس الحاج عبد الناصر . أنفاس يشدّها بامعان ، ثم يزفرها فى حركة متوالية بطيئة ، تعطى لكل منها حقه . ويخيّل لمن ينظر إليه وقتها ، أنّ بين يديه ماهو جدير بأن يأخذه تماماً من العالم ، فلا يبالي بشيء غيره . العينان تطلّان على الدّاخل بالقدر الذى يُظنّ معها أنّها لاتبصر أحداً أمامها، وصبغة الشرود تمنحها سمت التفكير العميق .

يرشف من الفنجان الموضوع أمامه ، على مائدة دائرية

صغيرة من البلاستيك ، ويوالى الشدَّ بأريحية فخيمة . جلابيته
الرمادية ذات الثقل التي يرتديها ، تجعله غير متسق مع واجهة
المحل الذي جدّد مؤخراً ، وغير نشاطه .

نعم بدأ يستشعر منذ فترة وجيزة ، وعلى نحو غامض
وتدرجي لم يكن منتبهاً له أوّل الأمر ، بأنه قد صار كالموظف
الذي أُحيل إلى المعاش .

جدياً أصبح يُعاوده التساؤل ، هل كان موفقاً حقّاً فى
استجابته لتغيير نشاط محله ، الذى ظلّ ثابتاً لأكثر من ثلاثين
عاماً ؟

؟؟؟

اشرب يا حَجّ عبد الناصر .

هكذا راح يردّد بينه وبين نفسه .

مُفاجئاً يأخذ الحاج عبد الناصر الإعلان من المحضر . ثم
يقوم بالتوقيع على الصورة . ولكى لا يُظهر قلقه الذى أطلّ من
عينيه ، يناوله إيّاها ، دون أن ينظر إليه . إلا أنه عندما يتجّه
إلى درّاجته السوداء القديمة التى يركبها بتوؤدة ، وخفة ، يتبعه
بعينين شاردتين ، ويبدو وكأنّ سؤال ما سينقضّ فوراً من لسانه ،
لكنه يراجع نفسه ، ويكتمه . حيث بيده اليمنى يروح يمسك
لغده ، ويضغط عليه بقوة ، وهو يعيد قراءة الإعلان من جديد .
يرى رمزي أباه على هذا الحال ، فيغادر عتبة المحل الذى
يقف عليها ، ويتجّه إليه . ينتصب بجانبه فى صمت واهتمام .

وَيَصُوبُ عَيْنِيهِ إِلَى الْوَرَقَةِ الَّتِي يَقْرَأُ فِيهَا . لِحْظَاتٍ . وَيَسْأَلُ
أَبَاهُ : " فَيُؤَيِّدُ يَدَهُ . إِيَّاهُ ؟ " .

يَقْطُبُ جَبِينَهُ ، وَيَمْدُّ لَهُ ذِرَاعَهُ جَانِبًا بِالْإِعْلَانِ ، دُونَ أَنْ يَتَجَهَّ
بِصَرِّهِ إِلَيْهِ ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ بِنِبْرَاتٍ مَشْحُونَةٍ فِي كَظْمٍ : " أَهْوَ
يَاسِيدِي الْحَاجُّ مَرْتَضَى رَافِعٌ عَلَيْنَا قَضِيَّةً " .

- : " قَضِيَّةُ إِيَّاهُ ؟ " .

- : " اقْرَأِي وَانْتَ تَعْرِفِي " .

يَأْخُذُ فِي الْقِرَاءَةِ لِدَقَائِقٍ ، وَبَهْزَةٍ خَفِيفَةٍ يَحْرِّكُ الْإِعْلَانُ فِي يَدِهِ
: " وَلَا يَهْمُكَ دَيْتُهَا إِيَّاهُ يَعْنِي " . إِلَّا أَنَّهُ وَقَبْلَ أَنْ يَكْمَلَ كَلَامَهُ ،
يَبْصُرُ هَدَّهِ آتِيَةً مِنْ شَارِعٍ زَمَزَمَ الْمَقَابِلَ ، وَوَجْهَهَا مِنْ هَذَا
الْبَعْدِ فِي وَجْهِهِ ، وَكَأَنَّهَا قَاصِدَةٌ أَنْ يَرَاهَا ، وَيَتَّبِعُهَا إِلَى حَدِيقَةِ
الْمَنْتَزَهِ مَكَانَ لِقَائِهِمَا . وَبِالْفِعْلِ تَمْضِي فِي انْحِرَافٍ عَابِرَةٍ
الشَّارِعَ بِخُطَوَاتٍ سَرِيعَةٍ إِلَى هُنَاكَ ، مُحَازِرَةً هَذِهِ الْمَرَّةَ ، وَبَعْدَ
أَنْ رَجَّحَتْ أَنَّ أَبَاهُ رُبَّمَا يَكُونُ قَدْ لَاحِظَ أَنَّ شَيْئًا بَيْنَهُمَا ، أَنْ
تَلْتَفَّتْ بِعَيْنَيْهَا إِلَيْهِ .

عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ ، يَلْمَحُ الْحَاجُّ عَبْدَ النَّاصِرِ الْأُسْتَاذَ وَافِي
مُقْبَلًا مِنْ رَصِيفِ فَنْدُقٍ صُوفِيٍّ . وَيَرَى عَيْنِيهِ الزَّائِغَتَيْنِ ،
وِخْطَوَاتِهِ الَّتِي تَضْرِبُ الْأَسْفَلَ بِلَا مَبَالَاةٍ ، فَيَنْسَبُ ذَلِكَ لِحَادِثَةٍ
أَمْرَأَتِهِ الْمَعْرُوفَةِ ، وَالَّتِي طَلَّقَهَا عَلَى إِثْرِهَا مِنْذُ أَيَّامٍ . يَأْخُذُ
الْإِعْلَانُ مِنْ ابْنِهِ ، وَيَضَعُهُ فِي جَيْبِ جِلَابِيَّتِهِ الْجَانِبِيَّةِ ،
وَسُرْعَانِ مَا يَنَادِي عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَنْحَرِفَ ، عَابِرًا الشَّارِعَ إِلَى
الْجِهَةِ الْآخَرَى . فَيَلْتَفَّتْ وَيَنْظُرُ لَهُ بِلَا اِهْتِمَامٍ رَافِعًا إِلَيْهِ يَدَهُ ، ثُمَّ

يستمر في سيره . لكنه عندما يروح يدعوهُ منادياً بصوت عالٍ لشرب فنجان قهوة معه ، لا يجد مفرّاً من الاستجابة ، وينحوّ باتجاهه .

إلى الدّاخل يهرول رمزي ، ثم نجده يعود وقد ارتدى نظّارته السّوداء ، ومضى صوب حديقة المنتزه ، مستأذناً من أبيه بإشارة من يده . ينتبه الحاج عبده ، فينادي عليه بعد أن تجاوزه بعدّة خطوات ، ويطلب منه أن يأتي له بكِرسى من الدّاخل لجلوس الأستاذ وافي . يسرع داخلا ، ويأتي له بالكِرسى ، ثم يمضي في طريقه .

- " اَرْزَيْكَ يا حَجّ عبده " .

يقولها الأستاذ وافي بصوت واهن مدغوم النّبرات ، وهو يزيح الكِرسى من مسنده ، ويحطّ بجسده عليه . حريصاً أن يكون وجهه باتجاه شارع الجمهوريّة ، ومصاقباً للحاج عبده .

- " برده لَسّاك كده . مش حتروق بقى ؟ " . ويضع الحاج

عبده يده على ساق الأستاذ وافي ، ثم يروح يسبّ ، محرّكاً يده بعصبية : " يلعن ديك أبو السّئات وسنينهم يا أخى " .

لا يتفوّه الأستاذ وافي بكلمة ، ويتنقل بعينه بين السّائرين أمامه ، ثم ينكس رأسه في الأرض ، وتندّ عنه آهة مشحونة . يحاول الحاج عبده أن يخرجّه من حالته تلك ، فيحدّثه عن الحاج مرتضى ، والدّعوى التي رفعها عليه . لأنّه غير نشاطه من محل بويات وحدaid ، إلى مقهى نت . وكيف أنّه ليس من حقّه أن يفعل ذلك ، لأنّه ليس المؤجّر الأصلي كما يعلم ، بل هو

و راحت تقول
لها أن أمها أصبحت
معروفة فى
المنطقة بأن
دعواتها تُستجاب
بشكل غريب . وأن
الكثيرات أصبحن
يخشينها . وأنها إذا
ما دعت على
واحدٍ منهن ، بل
إذا فقط استشعرت
إحداهن أن مجرد
نظرتها لها تشعُّ
بأى غضب أو
ضيق . و رجَّحت أنها
سوف تقوم
بالدَّعوة عليها ،
شرعت على الفور
بقراءة المعوذتين ،
وبعض الآيات من
سورتي البقرة

وارثه عن أبيه الحاج مصطفى الطحان
الكبير . ثم يحاول أن يخوض معه فى
أيام زمان . لكنه عندما لا يجد منه
استجابة لما يقول ، يرفع ذِراعَه ويشير
من مكانه وهو جالس لمهنا عامل
مقهى الحبال ، أن يأتى . ولأنه لم
يلاحظه من هذه المسافة البعيدة ، يظل
رافع يده حتى ينتبه ، ثم يقول للأستاذ
وافى : " قهوة ولا شاي ؟ " .

- : " لا والله مش حقدّر أشرب أى
حاجة " .

- : " بقولك إيه ، حتشرب يعنى
حتشرب " .

ثم يسأله فى تصميم : " قهوة ؟ " .
- : " خلاص قهوة " . يقبل عليهما
مهناً بخطوات مسرعة والصينية
الصَّاج فى يده ، فيبادره الحاج عبده
: " واحدة قهوة زيادة " . ويشير بكفه
للأستاذ وافى : " وواحدة حلبة " ويشير
لنفسه . ثم يتذكر فيسأله عن ابنه ،
فيجيبه : " لسه والله فى المستشفى " ،
ويكمل ، وهو يميل بجزعه ، ويلتقط

فنجان القهوة وكوب الماء ،
الموضوعين على المائدة البلاستيك : " *دا كويس اللي جت على قد كده ، الأمين اللي
شدّه بالعافيه على القسم كانت إيده زى
المرزبة . اكتشفنا كمان امبارح إنه خرمله
ودنه "* .

- : " يخربّيته كل ده عشان تحرّى " .

- : " هو كمان غلطان ، كان لازم

يقاوم يعنى . يالاً منهم لله ، ربنا

بيعدنا عنهم " . يقول هذه العبارة
وهو يلتقط الشيشة ، ويستدير متوجّهاً
إلى مقهاه المقابل ، بينما الأستاذ وافي
مازال شاردًا بعينه ، وغارقاً
فى صمته . يرمقه الحاج عبده بجانب
عينيه من لحظة لأخرى ، ولا يدرى
ماذا يفعل . غير أنه عندما يرى الحاج
عباس الجابرونى ، مقبلاً من الجهة
اليسرى أسفل عمارته ، يتذكر
موضوع ابنته ريهام ، ومشاحتها مع
معيدها فى الجامعة ، ويزعم أن يفتحه
فى توصية من أخيه يوسف الجابرونى
الأستاذ بنفس الجامعة ، ربما يستطيع

وياسين . ولا
تكتفى بذلك ، بل
تشعل البخور وتقرأ
عليه بعضاً من
الآيات القرآنية .
وفى نفس الوقت
تقوم بزيارتها حتّى
تتيقّن وتطمئن
برضاها عنها ،
وأنها لا تحمل فى
نفسها شيئاً من
ضغينة ناحيتها .
وأنها سمعت هذا
بأذنيها من الحاجة
عنايات التى تسكن
أمامهم ، وهى
تحدّث على
السلم مع جارتهم
سوسن ، وتخبرها
بأنها هى التى
دعت على أم
أيمن فأصابتها

أن يصلح العلاقة بينها وبين هذا
المعيد . ويروح يرتب فى الكلمات
التي يحرص أن يقولها له مختصرة ،
منشغلاً تماماً عن الأستاذ وافى ،
وتاركه فى وجومه، وصمته .

بالشلل .
ثم أكدت لها
أنها إذا كانت تلجأ
لكتب الأعمال
والسحر ، لتعمل
لطاهر عملاً

إليها . فهي تفعل ذلك لرغبتها الشديدة فيه ، " أعمل إيه
يا ماجدة ، كل أمّا أشوفه مايجنّيش نوم طول الليل ، وأفضل أتقلب كده زى
ما إنتى عارفه ، وأفضل أتصّل بيكى " . ولأنها كلّمّا حاولت لفت نظره ،
تجد عينيه ساهمة وشاردة و لا تنظر إليها .

*

مكتبة
(ج)

الخميس 12 أكتوبر 2000م 14 رجب 1421هـ

{1}

ألفت محمد العشماوى
المحامىة بالنقض

إنه فى يوم الخميس الموافق ١٢/١٠/٢٠٠٧ .

دعوى رقم بناء على طلب السيد / مرتضى عبد المنعم
٤٥٦٧ لسنة حسن ، والمقيم فى ١٥ شارع المروة والتفريضة ،
٦٩ قضائية . ومحلله المختار مكتب الأستاذة/ ألفت محمد
إنهاء عقد العشماوى المحامىة بالنقض ، والكائن ٦ شارع
إيجار لقيام ٢٣ يوليو وعرفات ببورسعيد .
ورثة أنا /عمران محمد شطا محضر محكمة / محكمة
المستأجر بورسعيد الابتدائية انتقلت وأعلنت : ورثة
بتغيير المرحوم/مطفى الطحان الخطيب وهم :-
النشاط . السيد/عبد الناصر مصطفى الطحان ، والمقيم
٩ شارع الجمهورية - بورسعيد .

٦ شارع ٢٣ يوليو وعرفات - بورسعيد - ت : ٢٣٣٤٥٦٢

مخاطبا مع /

وأعلنته بالآتى:

بموجب عقد إيجار مؤرخ بـ ١٥ / ٤ / ٦١ استاجر مورث المعلن إليهم المرحوم / مصطفى الطّحان الخطيب ، ما هو بغرض الاستعمال فى البويات وحدايده بالعقار رقم ١١ الكائن فى شارع الجمهورية . وقد نما إلى علم المؤجر ، أن وريث المستأجر الأصلى ، قد قام بتغير النشاط من البويات وحدايده إلى مقهى نت مخالفاً بذلك نص العقد رقم (٥) والذى ينصّ على : " لايجوز للمستأجر أن يؤجر من باطنه ، أو يتنازل عن هذه الإيجارة للغير ، أو يغير نشاط المحل المتفق عليه طبقاً لنصوص هذا العقد ، بأى حجه ووجه من الوجوه سواء حصل ذلك عن جميع المحل المستأجر ، أو عن جانب منه ، إلاّ بإذن كتابى من المالك ، وإذا خالف هذه الشروط فالإيجارة تكون باطلة ، ويكون المستأجر ملزماً بالمصاريف والأضرار التى تحدث " .

وكذلك مخالفاً نص المادة الأولى من القانون (٦) لسنة ١٩٩٧ و التى تنص على أنه: " فاذا كانت العين مؤجرة لمزاولة نشاط تجارى أو صناعى أو مهنى أو حرفى، فلا ينتهى العقد بموت المستأجر ويستمر لصالح الذين يستعملون العين من ورثته فى ذات النشاط الذى كان يمارسه المستأجر الأصلى طبقاً للعقد ، أو زواجا وأقارب حتى الدرجة الثانية ، ذكورا وإناثا من قصر وبلغ ، مستوى فى ذلك أن يكون الاستعمال بالذات أو بواسطة نائب عنهم " . واعتباراً من اليوم التالى لتاريخ نشر هذا القانون المعدل ،

لايستمر العقد بموت أحد من أصحاب حق البقاء فى العين إلا لصالح المستفيدين من ورثة المستأجر الأصلى دون غيره ولمرة واحدة . الأمر الذى حدا بالطالب بتحرير محضر إثبات حالة برقم ٤٥٦٧ لسنة ٢٠٠٠ إدارى بورفؤاد . الذى أثبت تغير النشاط من البويات والحدديد إلى مقهى نت . ومن ثم يحق للطالب رفع هذه الدعوى لإنهاء عقد الإيجار لقيام وريث المستأجر الأصلى بتغيير النشاط .
بناء عليه

أنا المحضر سالف الذكر قد انتقلت فى تاريخه ، إلى حيث المعلن إليه وسلمته صورة من أصل هذه الصحيفة ، وكلفته الحضور أمام محكمة بورسعيد الابتدائية دائرة مدنى كلى بورسعيد الدائرة (٦) وذلك بجلستها التى سوف تنعقد علناً فى تمام الساعة التاسعة من صباح يوم الأربعاء الموافق ٢٠٠٠/١٢/٢٠ ليسمع الحكم بإنهاء عقد إيجار العين المؤجرة لمورثه ، لقيامه بتغيير نشاط مورثه مخالفاً بذلك صحيح العقد ونص القانون ، وتسليم العين خالية من الأشخاص والمتاع سليمة من التلف مع إلزامه بالمصاريف والأتعاب ، وشمول الحكم بالنفاذ المعجل وبلا كفالة . مع حفظ كافة الحقوق القانونية الأخرى للطالب .

ولأجل العلم //

*

{2}
كيف غدت حياتنا خشية الحركة

المخاطبة، كما لو أنها سويكاتٌ تأفل ﴿﴾

تسمع طقطقة أسفل قدمها اليمنى ، فتعلم أنها وطئت أحد الأقدام التى يتركونها بإهمال .
تكمل سيرها حتى شيش الغرفة ، وتوارب ضلفته اليمنى بما يكفى لتسريب بعض الضوء . لكنها وعندما تضع ركبتيها على مقدمة الفراش تتذكر مرآه وهو يطل من الشرفة المقابلة . تكرر راجعة ثانية وتجذب الستارة حتى الحواف . يأتيها صوته الخشن وهو يقول حازماً أنه سيدخل بها فى شقة بنك الإسكان : " صدّقينى مش حمسّ شقتك " .

تنطرح على الفراش مستسلمة لهدأة ما بدأت تغشى بدنها : " ابن الجزمة الوسخ بيتكلم وإيده فى مية باردة " .
صوت تامر وشرين اللذين يبدو أنهما قد تسحبا ، ودخلا الشرفة من حجرة النوم ، يأخذها من غفوة بدأت تهبط عليها .
بعينيهما تسبح بلا اهتمام على حوائط الغرفة ، ثم تتوقف عند الساعة الخشبية القديمة بمنائها الفضى ، وصورة الأب الذى يظهر فيها متجهماً . تعلو ببصرها حتى الإفريز الأحمر القاتم المؤطر للجدران ، فتنتبه لتشققات غائرة فى السقف لم تكن تراها من الجهة المقاربة للشرفة ، وبعض المواضع التى تقشر طلاؤها .

يلفت نظرها أنّ اليوم ١٢ أكتوبر، وليس ١١ كما كانت تظنّ .
تقوم مائلة بجانبها ، ومستندة على يدها اليمنى التى فردتها فى

تخشُّبٌ ، ثمَّ باليد الأخرى تقطع - فى خطفة واحدة - ورقة
اليوم الفائت من النتيجة الكرتون المخطوط عليها آية النور ، إلاَّ
أنَّ النتيجة تسقط منها على السرير ، فتقف على ركبتها وتعيد
تعليقها من ثقبها العلوى .

تسمع جرس الباب يرنّ بصوته الذى يشبه زقزقة
العصافير .

تظل راقدة فى مكانها منتظرة أن تبادر أمها بالفتح .

من الصالة يأتيها صوت انتصار عاليا .

اصطفاق الباب القوى الذى أعقب دخولها ، جعلها تدرك أنَّه
بات فى حاجة ملحَّة لمن يَنْجُرَّ منه زوائد الجانبين ، كى يسهل
غلقه ، ولا يُسبِّب هذه الضجة المزعجة التى لا لزوم لها .

تأمر وشرين يفتحان عليها شيش الغرفة من الخارج ، وفور
دخولهما ينجحان فى إعادته كما كان . تزجرهما بكلمات عفوية
لا تلقى لها بالاً : " أنا قلت إيه " . يضحكان لها ثم يجريان
مندفعين إلى الصَّالة . لكنها بصوتٍ مبجوح عالٍ تنادى عليهما
أن يأتيا ، ليضعا فردة الشبشب فى مكانها

بين الضلفة وحافة العتبة الخشبيَّة ، حتى لا
يطرقه الهواء. فى استجابة سريعة يعودان
وينفذان لها ماقالت ، ثم يخرجان ثانية .

بعد قليل تدخل عليها انتصار ببلوزتها
المشجَّرة وجوبها الطويل الأسود . يتدلى
من قبضتها اليسرى شنطة قماش عريضة،

لا س ض ع رأ

س ه س واحد أ

ع عطفوا قلب

طاهر وهيب

إلى محبة أمل

سنقر أيوش

كموش
هرمر مرش
كيموش هيجوا
عقله واحرقوا
قلبه حتى
يأتى خاضعاً
ذليلاً إلى أمل
بنت رقية
غالى بحق
هذه الأسماء
عليكم وطاعتها
لديكم العجل
الساعة

تعرف وفاء مسبقاً أنّها مكتظة ببعض
الغيارات لها ولأولادها. تلقى عليها السلام
ثمّ تتفحص وجهها بنظرة عابرة .
وبحركة فيها تكاسل تفتح إحدى ضلف
الدولاب المنسوب في المواجهة ، ثم تلقى
بالشئطة في أحد جوانبه .

على طرف السرير تروح تخلع
الشراب ، وهى تسأل وفاء عما قالتها لها أمّ
حنان فى المدرسة . وعن سرّ اصرارها
على هذه المقابلة . لكن وفاء لا تجيبها
على تساؤلاتها ، وتطلب منها تأجيل الكلام
فى هذا الموضوع لأنها مصدّعة
: " استئنى بعد الغدا أقولك بالتفصيل إنت
وماما " .

يبدو على وجه انتصار بعض
الضيق، وتطبق شفتاها ، ويرين عليهما
الصمت ، فتقوم من مكانها وتفتح ضلفة
الدولاب ، وتأخذ قميص البيت ،
وكومبيلزون كان مطويّاً ، فى الركن من
أسفل ، ثم تضعهما على السرير ، وتفتح
الشيش وتدخل ملتقطة من على الحبال
فوطه زرقاء كانت معلقة مع بعض ملابس

أخرى ، وتعيد الشيش كما كان ، ثمّ تخرج من الحجرة متوجّهة إلى الحمام .

على باب الشقة .

تمدّ الست شكر يدها ضاغطة على الجرس بقوة وبشكل متّصل .

يبدو أنّها قد فعلت قبل ذلك ، ولم يفتح لها أحد .
يأتيها صوت أمّ وفاء من الدّاخل عالياً : " حاضّر " فترفع يدها سريعاً .

تفتح أمّ وفاء الباب ؛ فتفاجأ بوقوف الست شكر أمامها بقميص النوم وقد اضطرم وجهها . تستقبلها ببشاشتها المعتادة ، وتشير لها أن تتفضّل : " اتفضّلى يا حاجة " . ثم تأخذها إلى حجرة الصالون في الجانب الأيمن المواجه لممرّ الصالة ، حيث تجلس معها قليلاً ، ثمّ تخرج متّجهة إلى المطبخ . وعندما تدخل تقول : " نشرب كلنا شاي معاه بالمرّة ؟ " .

تردّ وفاء الواقفة تغسل أطباق الغداء بلا انتباه : " ماشى يا أمى " . فتسألها انتصار : " هى مين دى اللي نشرب معاه شاي ؟ " . فتخبرها أنّها الست شكر ، وأنّها مستغربة لزيارتها فى هذا الوقت المبكر : " عمرها ما عملتها " .

- : " إنتى مش كنتى زعلانة معاه ! " .

- : " آه . ، بس من يومين كلمتى من البلونة " .

تأخذ أمّ وفاء البرّاد من فوق المائدة وتناولها لها : " شطفيلي

البراد وإلهولى بسرعة يا الله يا وفاء " .

تقوم وفاء بوضعه تحت الحنفيّة وملئه حتّى الحافّة ، ثم تعطيه لانتصار الجالسة خلفها على أحد المقاعد المتروكة فى المطبخ بجانب المائدة الصغيرة . تشعل انتصار عود الثقاب ، وتضعه على عين البوتجاز الكبيرة . حيث تكمل ماقطعته أمها عليهما : " قصدك إنك كنت فاكرة إنه حيّبي " .

- : " آه " .

- : " وطبعاً كلّ ما حنيجي نكلّمه حيقلّونا حقى يكون لى ولاد " .

- : " حجّة " . ثم بصوتٍ مخنوق تذكرها بأنّه سمع بنفسه الدكتور ، وهو يخبرهما أن بعد سنتين من العلاج ، فى أمل كبير إننا " نقدر نجيب ولاد " .

- : " بس حقيقى أمها ست محترمة ، كون إنّها تعمل حسابك

وتجيبك ، وتساالك الأسئلة دى ، تبقى حقيقى ست محترمة " .

- : " ما تغيطنّيش يا انتصار ، وتحرقى دمى . لو كانت زى ما

أنتى بتقولى كان من الأولى أنها تبعد بنتها عى ، وما تخربشى البيت " .

دقائق ليست قليلة تمرّ، وتغادر الست شكر الشقّة مودّعة أم وفاء على وعد التلاقى عند الست اعتماد . وفوراً تذهب أم وفاء لحجرة نوم بنتيها ، وتبلغهما بإصابة جارتهم اعتماد بأزمة قلبية، ونقلها إلى مستشفى الأميرى ، وأنهم اضطرّوا فيما بعد لنقلها إلى مستشفى آل سليمان ، لأن حالتها كانت خطيرة وتستلزم نقلها إلى القاهرة . وأنها والحاجة وداد ، يقومان بجمع

بعض المال لمساعدتها على مصاريف المستشفى الكبيرة ،
وأنها أعطت لها مؤقتاً خمسين جنيهاً من فلوس المعاش الذى
قبضته صباح اليوم ، ريثما تدبّر ما تستطيع تدبيره . وتسألها
انتصار إن كانت راحت لخالتهما نبيهة ، بعد أن نزلت معهما
صباحاً؟ فتخبرها بأنها بالفعل مرّت عليها ، ووجدتها مشغولة
بتوضيب البيت لابنها صلاح : " خلاص دخلته يوم السبت " .

فتسألها باهتمام إن كانت العروس قد وافقت على الدخول
فى شقة حمّتها : " مش كانت مصرّة على الدخول فى شقة
مفروشة ! " .

فتجيبها بأنها وافقت مؤقتاً . وعندما تتذكّر أنّها كانت ذاهبة للمّ
الغسيل من الشرفة الصغيرة ، تنسحب على عجل من الحجرة
وهى تقول : " زمانة أم أحمد متضايقة قوى عايزة تنشر " ، فترد
انتصار : " إنت مش مغطّياه بالمشمّع " .
- : " ملحقّتش " .

وفاء وانتصار راقدتان على سريرهما ، وبجانبهما فى
الممر الضيّق كرسى من الخشب ، فوقه صينية عليها كوبان
فارغان إلا من ثقل الشاي يستقر فى القاع ، وبعض حبيبات
البونبون .
ليس أحدهما نائماً .

وفاء تتنّى ذراعيها وتشبّكهما من خلف رأسها ، بينما انتصار
تبتعد بظهرها عن حاجز السرير نصف جالسة .

ملاح وفاء تنطق دهشة واستغراباً ، وبادياً عليها بعض اهتمام . وانتصار مأخوذة بكلامها تحكى لها بصوتٍ خفيضٍ عن جارتهم أصيلة ، وعن المنظر الذى رأتها عليه أمس من نافذة المطبخ . تمنع انتصار فى الحكى ، فتزداد وفاء اندهاشاً ، مُشككة فيما تسمع . فتقسم لها انتصار بأن كل ما تحكيه لها قد حدث ، وليس فيه أى شبهة كذب : "وكنذب عليكى ليه فى حاجة زى دى " .

- : " شفتى كده بنفسك ، ومع خالد جوز بنتها ؟! " .

- : " آه والله " .

- : " معقولة !! " .

يرن جرس الباب ، فلا يتحرك أحدٌ منهما لفتحه : " بيئهم ولادك جابوا الحاجة وجم " . هكذا تقول وفاء ، ثم تكمل ، وقد استولى عليها الاهتمام : " غريبة !! دى كل ما تقابلنا تقولنا أنها نوت العمرة السنة دى كمان ! " .

- : " يا ستى الناس مظاهر ، أقنعة ، إنتى فاكرة الشيخ حجازى لما ظبطوه بعد صلاة الجمعة ، بيبيع حشيش وبيقول دى أعشاب للشفى من الربو " .

- : " يبقى الكلام اللى كانت بتقولهاولى نجوى كان صحيح ، وأنا من هبلى كنت مش مصدقاًها . فاكرة ، وجيت حكيتك وقولتك خلى بالك منها ، دى بتنقل الكلام " .

تصمت لحظة ثم تعقب : " أغرب شىء كنت أتصوره !! " .

- : " فعلاً . طب يبقى مع حد تانى ، لكن تخرب بيت بنتها ! " .

بصوت ممطوط خالٍ من أى مشاعر وهى تهبط برأسها إلى

أسفل ، منبطحة على جانبها الأيمن المواجه لانتصار: " والله علامات يوم القيامة " .

تترك انتصار السرير ، مدخلة قدمها اليمنى ثم اليسرى ببطء فى الشبشب منادية على أولادها وهى تخرج من الحجرة : " تامر. شرين " .

يصلها صوت أمها التى تتحدث مع أحد الجيران من الشرفة؛ فتدرك أنها قد نسيت نور الحمام مفتوحاً . لكنها فجأة ترى أخاها طارق يخرج منه ، ويتجه لغسل يده فى الحوض المجاور له ؛ فتتأكد من كون ابناها لم يأتيا بعد .

يسألها طارق وهو متعجل عما إذا كانوا محتاجين أى شىء يحضره لهم وهو عائد ليلاً ، فتجيبه بالنفى : " طب اسألى ماما كده " .

- : " إزاي " .

- : " ما أنا اشتغلت انبارح فى الشركة اللي وراكم هنا " .

ويشير بيده باتجاه خلفية العمارة من جهة المنور .

- : " شركة إيه دى ؟! " .

- : " شركة الكومبيوتر نيوسفنكس " .

تقطع أمهما حديثهما وهى خارجة من حجرة السفرة ، وفى يدها بعض الملابس المغسولة والتى مازالت تلمها، طالبة منه أن يذهب إلى الأستاذ ياسين حرّك صاحب البيت : " بيقد جنبنا هنا على قهوة الحبال " . ويكلّمه عن ماسورة المياه التى تنتشع فى المنور ، ومخربة لهم سقفة الحمام والمطبخ : " شفت الحمام

عامل ازاي ؟ " .

- : " إذا ماجبتش نتيجة معاه بقى المرة دى ، نبلغ الحى " .
بانفعال تخاطبه انتصار ، فيرد عليها وهو متجه إلى باب
الشقة فى استعجال : " ماشى ، ماشى يا انتصار " . يمسك مقبض
الباب ، ويفتحه ليخرج .

- : " طارق ، ماتساش بكرة على الغدا إنت ونوفى " .

- : " خلاص يا أمى " .

- : " حعمل حسابى ، أوعى ماتجيش " . ثم متذكرة وهى
تسرع باتجاه المطبخ : " آه ، استنى ثوانى ، حجيبك ولأعة
البوتجاز تملهاى " .

- : " حتأخر يا أمى " .

من خلف الباب يطلع تامر ثلاث درجات من السلم ، ثم قفزاً
يضغط الجرس ويهبط ، دافعاً الباب الموارب بكل جسمه .
تتبعه شرين حاملة كيس فيه بعض أصناف من البسكويت
والشيكولاته . وعندما يجدان فى مواجهتهما خالهما طارق ،
يتقافزان عليه ويحتضنانه ، ثم يمسكاه من بنطلونه ، ويصرّاً
على أن يظلّ معهما ولا يخرج .

*

{3}

الإسم : محمد زكى إبراهيم القزّاز .

السّن : ٢٢ عاماً .

الطُّول : ١٧٥ تقريباً .
العنوان : ٥ شارع النُّصر ومكَّة المكرمة .
ملك ورثة جابر السَّيد على . شقة ٣ مسروق .
بطاقه شخصيَّة : ٨١٤٠٥٥ حى بورفؤاد -
بورسعيد .
الحالة الاجتماعيَّة : أعزب .

*

هو الابن الأصغر للحاج زكى القَرَاز ، فتى لحام
سابق بترسانة بورسعيد البحريَّة .
وقد أفادنا أحد الّذين يجلسون مع الأخير فى
مقهى وادى النِّيل ، ويُدعى على كرامة ، وشغلته
سبَّاك . بأنّ المذكور زكى القَرَاز ، قد أنهى خدمته
منذ مايقرب من العامين لبلوغه السنّ القانونيَّة .
كما أفادنا بأنّ للمذكور محمد شقيق أكبر يُدعى
السَّيد القَرَاز ٢٩ عاماً ، خريج المعهد الفنّى
التُّجارى ببورسعيد . وقد اتَّفَق المصدر على
كرامة ، مع بعض جيران الهدف فى السَّكن ، من
أمثال المدعو أشرف الخواجه ، موظَّف بحاويات
بورسعيد ، وكذا المدعو يعقوب شتيَّة ، ترزى
رجالى ، على أنّ السَّيد القَرَاز ، وحتّى تريخه
مازال يعمل بشركة المهندس للتأمين كمندوب ،
وأَنَّهُ ليس على علاقه طبيَّة بمالك العقار الحاجّ

أمين جابر ، حيث سبق وأن اشتكاه الأخير
بمحضر رسمى ، على استخدامه لمدخل العمارة
فيما ليس محلاً له ، أو جائزاً قانونياً ، من بيع
بعض أنواع البسكويات ، وكثير من الأدوات
المدرسية الخاصة بطلبة المدارس .

كما تطابقت إفادة الأستاذ عابد صاحب شركة
نيوسفنكس لصيانة الكومبيوتر ، مع إفادة الحاج
فتوح صاحب محل هريدى لتصليح الأحذية ، وهما
المحلان المجاوران لمسكن الهدف ، من أن شقيقة
المذكور منار ، وألتى تكبره بعامين تقريباً ، قد
تمت خطبتها منذ ثلاثة أشهر من المدعو حسين
طلبة ، مدرّس لغة عربية بمدرسة الفتح الابتدائية
ببورسعيد . وأنها لم تصل فى تعليمها إلا إلى
شهادة دبلوم التجارة ، وهى جالسة فى البيت الآن
ولا تعمل ، بعد أن شوهدت تعمل لمدة شهرين فى
استوديو بى بى المجاور لبنك القاهرة ، إلا أن
أخاها محمد ، وكما تواتر إلينا من أكثر من نفر ،
قد اقتحم الاستوديو ذات صباح أحد الأيام ،
وأمرها غصباً ، وتحت التهديد بالضرب أن تعود
معه إلى البيت ، ممّا لم تجد معه بدءاً سوى
الانصياع لأمره . ومن يومها لم تُشاهد فى هذا
الاستوديو . أمّا إذا سجّلنا بعض ما توصّلنا إليه

عن هدفنا المقصود ، من أفواه متناثرة ، وكذا بعد مواصلتنا رصده لفترة من الوقت ، فقد تأكد لدينا أن المدعو محمد زكى القَزَّاز ، خريج مدرسة بورسعيد الثانوية العسكرية ، وأنه التحق بكلية تجارة بورسعيد عام ٩٦م ، وهو الآن مازال فى السنة الثانية منها ، نظراً لتعدد مرّات رسوبه . وقد لوحظ عليه فى الشهور الأخيرة ، كثرة جلوسه بمسجد النور الكائن بشارع الجيش أمام مقهى الأوبرج ، فى غير أوقات الصلاة . غير أنه لم يُشاهد مُنتسباً لأى من التّجمّعات المرصودة فى هذه المنطقة . ودائماً ما يُرى سائراً بمفرده ، أو مع بعض زملاء الكلية الذين ليس لهم أى نشاط يُذكر . وهذا ما ثبت لدينا من خلال التّحرّيات المكثّفة الّتى أجريناها عليهم . لكن يمكننا القول أن تركه لذّقه غير حليقة ، قد ترافق بالضبط مع تاريخ اعتياده المكوث الطّويل فى الجامع المذكور . ولأننى من قاطنى هذه المنطقة ، بل ومن سكان نفس الشّارع الكائن به مسكنه ، فيمكننى الجزم بأنّه ليس من مرتادى المقاهى بل ولم يسبق شخصياً لى أن رأيته يفعل ذلك .

وسوف أوالى متابعة أمر المذكور ، وسأوافى سيادتكم بالتّقارير عنه تباعاً ؛ إذ أنّه قد لوحظ فى

الآونة الأخيرة هجره لكليته تماماً ، ومكوثه
الطويل وبمفرده طوال فترة فتح المسجد السابق
الإشارة إليه ، مع كثرة شجاره مع أبيه ، وأخيه .

تقرير أول

الخميس ١٢/١٠/٢٠٠٠م

رجب بيومي عثمان

*

{4}
﴿للظهرة أمر يحيتها التي تنزلق﴾

{ هداة هاهنا تستكين }

خطوات إمام البطيئة على الدّرج لها وقع يُسمع له صدى .
اشتمامه لروائح السّمك المشوى والقلقاس بالسّلق يزيده إحساساً
بالجوع . يتذكر أنّ نجوى امرأته هي التي تقوم بطبخ أكلته هذه
المفضّلة ، فيداخله شعورٌ برضىٍّ ما . وعندما يفتح باب شقته
بالمفتاح ويدخل يسود الهدوء ، إلا من بعض ضجّة الأطباق
والمعالق التي تغسل في أحد المطابخ ، ثم صوت إيناس جوهر
الذى يتناهى على البعيد .
درجات الدّرج عليها آثار مسحٍ قريب لم يجفّ بعد ، خاصةً
عند عتبات الشّق وفي المفارق .

يُفْتَحُ أَحَدُ الْأَبْوَابِ وَيَصْطَفِقُ مُخْتَرِقاً سَكُوناً بَدَأَ فِي التَّجَلَّى ،
وَاتَّخَذَ سِمَةً لَا يَتَمَظْهَرُ بِهَا إِلَّا فِي أَوْقَاتٍ بَعِينَهَا . لَكِنْ مِثْلُ هَذَا
الرُّزُوحِ لِلنَّوَافِذِ الَّتِي تَقْرُ بَيْنَ جِدْرَانِ مَائِلَةٍ لِأَعْلَى ، يَمْنَحُ
انْطِبَاعاً بِإِذَاخٍ بِدِيمُومَةٍ لَنْ تَنْتَهِيَ . وَيُمْكِنُ لِمَنْ يَطْلُ هَكَذَا أَنْ
يَرَى التَّوَاءِمَاتِ الدَّرَابِزِينَ تَصْطَفُّ فِي اسْتِقَامَةٍ ، بِحَيْثُ يَتَصَوَّرُ
أَنَّهُ قَدْ صَارَ فِي مَأْمَنٍ مِمَّا تَنْضَحُ بِهِ الْأَسَافِلُ .

*

ثَمَّةٌ هَا هُوَ وَقَعَ يَتَعَالَى تَدْرِيجِيّاً لِذَيْبِ أَرَجَلٍ تَتَقَافَزُ فِي
طُلُوعِهَا ، وَعِنْدَ شَقَةِ الْحَاجَةِ وَدَادٍ تَتَوَقَّفُ ، حَيْثُ تَدُقُّ الْجَرَسُ .

❖ غَزَلَةٌ مُوصُولَةٌ بِسُرْحٍ تَوْمُضٍ عَلَى الْجَانِبَيْنِ ❖

لَوْ قُتِّ أَطُولُ	مِنْ مَكَانِهِ عَلَى السَّرِيرِ يَنَادِي رِيمُ أَنْ
سَأُظِلُّ مُتْرَعاً هَكَذَا	تَعْجَلْ بِمَاءِ الشَّعِيرِ قَائِلاً لَهَا أَنَّهُ يَكْفِي
بَدَهْسِ الْعَابِرِينَ .	مَا اسْتَغْرَقَهُ مِنْ وَقْتٍ .
وَبَدَلاً مِنْ مُهْلَةٍ	يَأْتِيهِ صَوْتُهَا مِنْ حَجَرَةِ السَّفَرَةِ
أَتَشْمَمُ فِيهَا رَائِحَةَ	الْمَجَاوِرَةِ أَنَّهَا خَلَاصٌ قَامَتْ بِرَفْعِهِ
مَنْ يَتَعَلَّوْنَ	مِنْ عَلَى الْبُوتَاجَازِ ، مُنْتَظِرَةً أَنْ يَبْرُدَ
سَمَاجَاتِهِمْ ،	قَلِيلاً حَتَّى تَصْبَهُ .
سَأَتُمَادِي فِي التَّكْرُرِ	يَرْفَعُ يَدَيْهِ الْإِثْنَتَيْنِ فِي تَمَطُّعٍ ، ثُمَّ
لَكُنْهُ كَانِئَتِي ، مُسَرّاً	يَتَرَاوَعُ بَجَزَعِهِ إِلَى الْوَرَاءِ مُسْتَتِداً
	عَلَى الْحَاجِزِ الْخَشْبِيِّ . وَعِنْدَمَا يَنْظُرُ

فى ساعته ويرى أنها قد بلغت
الرابعة تماماً يُحوّل مؤشر الرّاديو
على إذاعة لندن .

دقات ساعة بج بن تجئه قوية
وحادة . يعاود تحريك الحصان
بالضبط كما يقول له الكتاب ، ثم
يصنّ متوقفاً ومتأملاً مسار اللعبة .

ينتبه على صوت المذيع وهو
يقول أنّ طائرات الأباتشى
الإسرائيلية تضرب مقرّ الرئيس
عرفات فى رام الله ، وتقصف
محطّات الإذاعة ومراكز الشرطة .

يندهش لهذا الخبر بعض الشىء ،
ثم يُعاود تركيزه على القطع وخطّة
الكتاب . يسمع أمه تتادى أحداً من
المنور ، ويسمع كلامها معه ، لكنه
لا يهتم ، ولا يقوم ليفتح شبّاك المنور
الجانبى كعادته .

تدخل عليه ريم متذمّرة بطبق
صغير عليه كوب الشعير: "كفاية
طلبات بقى النهاردة ، انزل شوف
شغلة بدل ما إنت قاعد لنا كده على

للعمائر التى
تُحوطنى من
الجانبين : "
عاشق أنا
للبلد الذى
فيه تتساقط
الأنجم مكفيّة
على وجهها ، ولا
تعرف كيف
تُعاود الصُعود
* "

إلاّ أنّى ذات
يوم سأكون
ملجأً وعن
غير ذى قصْد
لليوريات التى
تتقاذفها
صُدورهم . وكلّما
نظرتُ إلى
سندس أو إيمان
أو الحاج صالح ،
قلتُ إنهم تتّمة

طول". ثم تنسحب بسرعة خارجة من الحجرة تتبعها قولته: "بكرة ترتاحوا منى". لكن وما إن تكاد تخرج ، حتي يعود ثانية ينادى عليها ، طالبا منها أن تزيج التلفزيون الموضوع على النيش فى حجرة السفارة ناحيته بدرجة أكبر، فتفعل له ما طلبه وهى تقول: " راديو وتليفزيون وشطرنج ، إيه ده ، ابن مين إنت فى البلد "

لا يرد عليها ، حيث يكون قد أخذ جُل اهتمامه تعليق راديو لندن على الانتخابات فى مصر ، وعن قصة تجميد لجنة الأحزاب السياسية التابعة لمجلس الشورى المصرى لأنشطة حزب العمل المعارض ذى الميول الإسلامية فى ٢٠ مايو / آيار . ثم مفاجأته بما لم يكن يعرفه من أنها قد طلبت حله رسمياً فى ٢٤ يوليو/ تموز ، وقول المذيع بصوته الغليظ المضحك أن هذا جاء على إثر قرار اتهم تسعة من أعضاء الحزب بأنهم

الحلم الذى لم تزل عنى بعد أطيافه . وحيث لا يُمكننى أن أملك فى عزلى المديدة تلك إلا بعض تخمينات، فلن تكون قوارب الليل سوى إغماضة جفن عن بعض أحفولاتٍ للجسد ليس له صدّ . فما هى إلا ظلال من المستحسن أن يكون حصرى لتلاعجها بامتداد التُّخوم ، علامة على اللابغية التى تطلنا جميعا . فلمجرد الفساحة أتقبل مزيداً من

على صلة بجماعة الإخوان المسلمين
المحظورة . وبأنهم قد حصلوا على
أموال غير مسموح بها كما تزعم
اللجنة ، وبأنهم يعملون ضد الوحدة
الوطنية ، ومن بينهم الأمين العام
لحزب العمل عادل حسين .
يقل اهتمامه ، فيثني رأسه، ثم
يوجه بصره تجاه التليفزيون .
وحيثما يلتقط الريموت ، ويضغط
زرَّ القناة الثانية تطالعُه أغنية إيهاب
توفيق وعدّى الليل ، فيبقى على
الصوت مغلقاً، ويتابع مرونة
الأجساد وهى ترقص . ثم بصوتٍ
عال يسأل ريم التى يعلم أنها مشغولة
بتنقيّة الأرز ، إن كان أبوه قد جاء أم
لا ، فلا ترد عليه . فيرجح أنها ربّما
لم تسمع ، فيعاود سؤاله ، فتجيبه
بالنفى .

يصله رنين التليفون الذى شرع
يرن بالصّالة . ومن ضلّفة الباب
الموارب يراها وهى تتجه إليه .
ثم ما هى إلا لحظات ، ويجدها

الوسع . وإذا
بساطة الانزلاق
ثمهلنى مجسّاً
لكشف ما يعترهم
من صيرورة :
حقاً. إن
استحلاب الأحن
التي تتقنها حناجر
منهم تبزغ كومض،
كفيل بتهيئى لعقد
صلة بين ديب
القدم ، ومبسم
ينتظر نكهة له
غائبة. إنّه إسناد
الأرجل لفراغ ذى
خواء ، مثلما
هجسَ طاهر فى
إحدى نوبات
أحدوثاته.
لكن والحال على
هذا النحو، هل
ثمة تطابق مثلاً

تقبل عليه وتقول له أن طارق على التليفون .

مضطراً يقوم من فوق السرير ، وبحركة متكاسلة يبحث عن الشبشب أسفله فلا يجده ، فيعبر حافياً حجرة السفرة ، ويسأل أمه التى يجدها فى مواجهته مُقبلة من المطبخ عن طبخ اليوم ، فتخبره أنه كوسة باللحمة .
يمسك السماعة ويكلم طارق، فيما هو يشدّ السلك ويجلس على المقعد المجاور .

يسأله طارق عن أخبار وجع كليته. وهل ذهب إلى الدكتور؟ فيجيبه أنه لم يذهب بعد . فيقول له أن الدّم فى البول لا يجب السكوت عليه ، فيردّ أنّ الجميع فى البيت يقول له هذا الكلام. تشير له أمه وهى خارجة من الحجرة أن يخفض صوته ، حتى لا يسمعه الجيران . فيكمل بصوت خفيض أنّه ليس مُهَيّأ الآن ولا مستعدّاً نفسياً . وأنه سبق وأن قام بعمل ، كثير من التحاليل

بين ما يحتاجني
الآن كهَبُو ، وبين
ما يتمظهر هكذا
بقوة لخدني الذى
ها هو يمعن في
استراقه مخترقا
مستوطنة
بساجوت ،
والدّبابات
تصطفّ في
أعاليه .

يقولون : ويكأنّه
ياعد بين نواصيه
تنفيذا لأوامر
الكولونيل جال
هيرس .
كل شيء يسوق
إلى الاعتقاد أنّها
رموزٌ تفضح
ما يفترضونه جائزا
لانطباعات أخر .
وعندما أُحِين في

والإشاعات ودفع مصاريف كبيرة
بلا نتيجة . فيسأله هل قام بتحليل
وظائف كلي ؟ فيجيبه بالنفي . فيقول
له أن هذا هو أهم شيء كان يجب
عمله ليطمئن على سلامة كليته .
وأخيراً وقبل أن يغلق السّماعه
يخبره أن أسماء تسأل عنه .
وتستفسر منه لماذا لم تعد تراه .
فيقول له : " سيبك منها هي عارفة
كويس إنني مش حقدّر أتقدّم خطوة ، أتقدّم
إزاي وأنا ما يشتغلش " ، ثم يخبره
أنها ليست هي " النوع اللي في
دماغى " .

- : " يعنى أقولها كده " .

- : " آه ، فى إيه ياطارق ، مالك
أنهارد " .

ثم بعد السلام يغلق السّماعه ،
ويبقى جالساً على المقعد مكانه حيث
يشرد للحظات .

بين الحين والآخر كانت شيماء
ترفع بصرها ، متطلعة إلى السماء

محلى لا ميالياً ،
يُهيأ لي أن كم
مايرتادني عابراً ، لا
يُخلف سوى انقباضة
ظل لا يتسنّى لها إلا
أن تبقى عالقة .
عجيج يمرق لوهلة
بين ساكني ، ثم
يُخفت باحثاً عمّن
يقوده لمقرّ .
أقول : أمّن
يُجاهر بملصقاته
ينشرها مُرجئاً
تضخمات ذاته
إلى اقتراع الثامن
عشر ، كمن هو
يُخطو الخطوة غير
عاليء بأفاعيل
يعتبرها من قبيل
الهلك .

علينا أن ننظر
لكليهما نظرة

يجب عليها أن تنتهى بسرعة ، حتّى
تقوم بكنس حجرة الصالون بالمكنسة
الكهربائية قبل مجيئ خطيب ريم
وأهله . إلّا أنها لا تجد فى نفسها
مقدرة على ذلك ، فتستمر فى جلستها
مستسلمة لهبو ملل يطفو من داخلها .
ترفع يدها من أسفل ذقنها ، ثم
تعدل بها الإشارب الذى تضعه فوق
رأسها . ناظرة للمتر وهيب وهو
يهبط من عربته ، ويلتف من حولها
ويفتح شنطتها ، ويخرج كيسين بهما
ربما بعض الخضار والفاكهة .
لأشياء يبدو عليه من عريكة هذا
الصباح ، إلا قليل من توتر فى
حركة يده وهو يغلق الشنطة .
نظارته ذات العدسات السوداء تخفى
كثير من ملامحه . يتطلّع إلى شرفته
فلا يجد أحداً سوى الحاج عبده
السّاكن فى الشقة المجاورة له .
وكما لو كان لم يره يتراجع بنظراته
خفيضاً باتجاه خطوه ، ثم يسير
صوب المدخل .

وهى جالسة على
مقعدها فى الجبّ
جامدة لا تتحرّك
منذ أكثر من ثلاثين
عاماً لمدعاة لإثارة
ما تمنحني دلالة
لرزوحى . أجوسُ
مُتّكئاً على صلابيّة
تجد فى امتدادى
مُتّسعاً لثقل . ثم
إبّان انزلاق الشمس
فى الأفق ، أشعُ بما
تعكسه هنالك من
ومض شأن سُرّج
تدّخرها لى
العمائر . فإذا ما
تيسّر حالئذ أن
أُهيّء من ذلك لمعة
تضوئى فى عيون من
يتبختر كعاشق .
ازدهيت فى تهيّئ .
إنّى مُقيّر ومُسود

ثُمَّ عَرَبِيَّةً بُوَكْسَ تَقِفُ أَمَامَ فَنَدَقٍ
صُوفِيًّا قَرِيبًا مِنْ مَدْخَلِ عِمَارَةٍ
عُوفٍ، يَنْزِلُ مِنْهَا رَجُلٌ شَرْطَةٌ
بِمَلَابِسِهِ الْبَيْضَاءِ وَجِهَازِ الْإِرْسَالِ فِي
يَدِهِ . ثُمَّ يَتَّبِعُهُ بَعْضُ الْعَسْكَرِ يَهْبِطُونَ
مِنَ الْخُلْفِيَّةِ . تَنْتَبِهُ شَيْمَاءُ فَتَسْتَقِرُّ
بِبَصَرِهَا عَلَى مَا يَحْدُثُ . يُشِيرُ رَجُلُ
الشَّرْطَةِ لِلْعَسْكَرِ أَنْ يَسْرِعُوا أَمَامَهُ
نَحْوَ الْمَدْخَلِ ثُمَّ يَسِيرُ خَلْفَهُمْ ، تَارِكًا
أَحَدَهُمْ بِجَانِبِ الْبَابِ . تَنْهَضُ شَيْمَاءُ
وَتَقِفُ مَزِيحَةً الْكَرْسَى لِلوَرَاءِ ، حَيْثُ
يَأْخُذُهَا الْفُضُولُ لِمَعْرِفَةِ الشَّقَةِ الَّتِي
جَاءُوا إِلَيْهَا . لَا تَنْتَبِهُ لِدُخُولِ رَيْمٍ ،
وَأَخْذِهَا لِبَعْضِ رُؤُوسِ الثُّومِ مِنْ
السَّبَبِ الْمَعْلُوقِ عَلَى مَقْبِضِ حَدِيدٍ
فِي الْخَارِجِ . إِلَّا أَنَّهَا عِنْدَمَا تَرَاهَا
تَخْبِرُهَا بِعَرَبِيَّةِ الْبُوَكْسِ الَّتِي تَقِفُ هُنَاكَ
أَمَامَ الْفَنَدَقِ ، فَتَلْتَفَتِ بِاتِّجَاهِ إِشَارَةِ
شَيْمَاءَ وَتَرَى الْعَرَبِيَّةَ . وَلِأَنَّهَا تَرِيدُ أَنْ
تَكْمَلَ تَنْقِيَةَ الْأُرْزِ وَغَسْلَهُ ، حَتَّى
تَضَعَهُ أَمَامَهَا عَلَى النَّارِ ، فَإِنَّهَا تَسْرِعُ
بِالْخُرُوجِ مِنَ الشَّرْفَةِ ، وَلَا تُجِيلُ

وَتَعْتَوِرُنِي بَعْضُ
الْحُفَرِ . وَكُونِي لِأَسْتَوْفِزِ اسْتِثَارَةً
بِفَعْلٍ مَا يَعْبُرُنِي مِنْ
سَيِّقَانِ غَادِيَةٍ ،
فَذَلِكَ لِكَثْرَةِ مَا
رَأَيْتُ مِنْ أَسَافِلِهِنَّ
الْبُضَّةَ دُونَمَا
حَجَبٍ . إِذْ وَمِنْ
أَوَّلِ وَهْلَةٍ يُمْكِنُنِي
التَّفْرِيقُ بَيْنَ مَنْ
يَنْوَعُنَ بِحِيضِهِنَّ ،
وَمَنْ يَدْفَعُنَ سَيِّقَانَهُنَّ
فِي خِيَلَاءٍ مِثْلِ
أُولَئِكَ .
هِيَ تَمْظَهَرَاتُ
يَطِيبُ لِي اسْتِكْنَاهُ
مَرْدُودَهَا الدَّاحِلِي .
وَكَأَيِّ فَعْلٍ قَابِلٍ
لِأَنَّهُ يَتِمَّرَأَى ظَاهِرًا
أَكُونُ لَهُ الْقَابِضُ
عَلَى الْأَثَرِ .

رزوحى الساكن
الذى ليس له حدٌ
يموضّعها كأفعال
حميمة . وبمثل ما
لكينونتي من هدأة ،
أتشبّع من ضجّة
أفتقدّها غالبا -
وتلك من تحوُّلات
حالاتي - فى
أوقات بعينها .
جواد حسنى وديب
أقدامه الفزع بأنّجاه
نادى بورفؤاد
الرياضى ما زال
يُخايلنى كلما
وطئت أقدام
إبراهيم المصرى
فساحتى . نفس
إيقاع حركاته
المحسوبة وثقلها
علىّ . وحده الذى
يخامرني بعبيره

بصرها سوى لثوان .
تستمرّ شيماء فى الوقوف
منتظرة أن ترى ما الذى ستسفر عنه
هذه الحملة ، لكنها لا تجد شيئا
فتعاود جلوسها على الكرسي
مواصلة النظر صوب العربية . ثم
تتذكر كونها لن تستطيع اليوم أن
تعطى الدرس لابنة خالتها نهى ،
وبعض زميلاتنا فى المدرسة ، وأنها
يجب أن تبادر بإخبارها تليفونيا
بذلك ، كى يمكنها بالتالى إبلاغ
الباقين . لكنها ما إن تكاد تهمّ
بالنهوض لتدخل الحجرة ، حتى ترى
الأستاذة عزّة من بعيد تندفع إلى
شرفتها ، مُتفادية إحدى المخذّات
التي تسقط بالشارع ، إذ يبدو أنه قد
قذفها بها أحد من الدّاخل . تتبيّن فيما
بعد أنه زوجها . حيث تراه وهو
يدخل خلفها ، ويجذبها بعنف من
يدها ، ثم يغلق ضلقتى الشيش
عليهما .
فى الأسفل ، ترى شعبان ، أحد

العاملين بمحلّ عصامكو يخرج ثم
ينظر إلى أعلى ، ويظل واقفا
للحظات ، وعندما لا يجد مَنْ يُنزل
له السَّبَبَ أو يهبط لأخذها ، يلتقط
المخدّة ويعود بها إلى الداخل .

أما هي فقد ظلت ودون أن تتابع
شيئاً بعينه ، تجول ببصرها يمنة
ويسرة ، ملاحظة الهدوء الذي يُخيم
على الشارع ، وحركة السير التي
يقل عددها كلما امتدّت بعينها ناحية
بنك القاهرة وحديقة المنتزه .

تسمع رنين جرس التليفون
بالداخل ، فلا تهتم ، متيقّنة أنه لا
يخصّها . وحينما يُخيّل لها أنها قد
سمعت صراخا مكلوما يأتيها من
جهة مقهى الحبال ، تنتبه منصّته
باهتمام لعدة دقائق، ثم ترجّح أن هذه
الصرّخة ربّما لبنت زوبة الفحلة
المتخلّفة عقلياً ، والتي دائماً ما
تفرّغهم بصرخاتها المدويّة تلك .

تنهض من على مقعدها ، وتأخذ
جردل المسح ، وتضع في تدويرته

القدم ، وإليه
أعزو نسائم من
أصائل فائتة .
فما من شيء
أجدر بالاستكناه
من حيوات موصولة
بأزمة تتجلى في
صبوة عبقها .
حديقة للتاريخ ؛
وتراسينا واسعة تطل
على السفينة أكيلي
لاورو ، ثم احتفاء
بالذين سبقوهم من
الجند المصطفين
لاستقبال الملك .

فهل ينبغي
أن أفترش
بالرياحين
حتى تجول
بين جوانحك
أنفاس بتاح
البعيدة ، وهو

البلاستيك ذات الثقوب المستطيلة
مُقدّمة المنشفة . لكنها عندما ترى
بعض آثار الماء ، وبعض الأتربة
مختلطة ببعض الخيوط المفتولة ،
والمكتلة في الجوانب ، تعود لتدخلها
في ماء الجرّدل ، ثم تمر بها عليها
واصلّة إلى المزانق . وقبل أن تنتهي ،
وفي إحدى إطلاّلاتها على الشارع
تلمح أباهم مُقبلاً من ناصية ١٥
سبتمبر ، حاملاً كيساً من الجوافة ،
وفي يده على ما يبدو إحدى الجرائد .
فتسرع بأخذ الجرّدل والمنشفة ،
وتهرول خارجة من الشرفة .

*

يسير في موكبه
على
تراتيل من
التائم نحو بلاد
خارو التي
تلبس الكتّان .
هذه أشياء
انتشائي التي
تخصّ حفدة من
قاطني .
ودون غيرهم
لتكن القلة
من الأسراب
التي يمكن تصور
ميلها للتخليق
على أثر

روائحهم ، استحساناً نفسّر به التماذي في استنطاقى لعتاقه
مُرتجاة . وبذا أكون متّكاً آخر لمشائنا الذي يحدثنا في مقاطعه
ذات الوجّارة ، عن القينة التي بحّ صوتها جرّاء مقذوفات أباتشى .
أو بالأحرى حائك رواميزه الذي يتقبّل ضووعات شأى المساء
بأريحية مستنيمة ، وقدر من الشّطح ، فيما التّعالي لصيحاتهم
الجهيرة .مُحاذاة الشّطّ .

بيد أنه يهَيَّأ لى أن يجر التَّوافذ ، وبعض دُخُن تنبعث من محلات
 أبى يوسف وماكس بورجر وكذا حلوانى ملفاى ، لا تجد غضاضة
 فى التشكل أمامى على هيئة انبعاثات شفيفة تُحفز كثيراً من
 المناخر لالتقاط ما أسعى جاهداً لتخبئته ، حيث أنه خاص بأناس
 أُخر . وفيه أظن ، كشفٌ لعورة . وعلى ذلك يحتاج استرعائى
 للانتباه ، ووجوب التأقلم مع الأنفاس التى يومياً تحتضر. رغم أنها
 حين تكون ممتلئة بذائقته ، تتعجب من كونها سائرة إلى زوال .
 وتظل تتقبل هذا كفكرة مدهشة ، وأحياناً كمرثية حزنها يرتعد .
 فأما أن يا أناسى اللاندين بصخبهم الداخلى ، أن لا تجحدوا
 ضيراً فى الإفصاح عما يتخذ أشكالا من الهذيان لديكم . وإذا ما
 دعتكم الرِّبة منكبت إلى أوقات حميمة تكون مبعثاً لمسرة دائمة ،
 طرحتم أثقالكم جانباً ، ثم انطلقتم إليها كشاهرى شبق .
 ما أكثر ما تمثيت أن تبصروا كم الجنّيات اللواتي يطلعن من
 بحر كم المتاحم . وفى الليل يصطففن على جانبي الطرق يقذفن
 نساءكم الغاديات بقليل من الرياحين والبرد ، ويدفعن عن
 بعضهن من العائلات بمحلات بورسعيد وحوانيتها مقولة البيى
 تيس فى أعراضهن ، وما يستكنه طاهر وهيب فى نصه ذاك .
 يالها من قلوب تكتنز بالمرارة . وغير مُفسحة لأجساد تاكلها
 غُلمة عكفت على إرجائها طويلاً . ثم لم يلح لها تبديد أى عثم .
 معصوبو عين أنعت به كل من يتأبط لحظة له أفلة ، غير
 مأخوذ بمراء سيفوئها عن قرب .
 صباحات تلو صباحات . والخارجون لبغياتهم يضيئون قلوبهم

بالوَحْشَة . فهل أَطَنَّبَ المساءَ فيما تجيش به الصدور ، جرَّاء
مقدوفات أباتشى .

لا يُفترض الإيغال فى التَّخمينات التى تتوسَّد عجزكم . ولا
شئ يُحترزُ منه بمزيد من ولائم النَميمة . هكذا يقول إبراهيم
المصرى ، ثم يذهب إلى حال سبيله فى زيارة لابن العمِّ فى
مستشفى بوفؤاد العام .

إنَّ المشهد هنا يتشكَّل كما لو أنَّ القيلولة تنعى أمواتاً لا
نعرفهم ، وفى أفضل الظروف مسكونة بنواح يهلُّ من أمكنة
متاخمة ، فلا عجب أن تحسَّ بالحمل رازح كوطاة .

كلُّها إقاماتٌ بأسماء مستعارة تتقنَّ بها لفترة وجيزة ، ثم ترتحل
مُخليةً فضاءها لمن حان مُكثُّه الموعود . ذلك يبدو مُتوقَّعاً من
الوجل الذى تلمحه كامناً فى النفوس ، ولا يتَّضح جلياً إلا عندما
يلوح نعرٌ قريب .

إنَّنى مفتون بالصمت الذى يدبُّ على استحياء لكنَّه يضحُّ .
وأحتفى بكم .

*

{5}
هَذَا مِنْ وَطْأَةِ أَيَّامٍ تُهْظُ ، وَلَيْسَ كَمَا يَدْعُونَ
تَحْلِيًّا عَنْ وَاجِبٍ ❦

يضع الحاج مراد قدمه خارج المعديَّة محاذراً أن لا تفلت .

البشر حوله يتدافعون ، والعربات تطلق سريناتها بقوة .
يتجه إلى اليمين ليتلافى عربة تريد أن تمرّ، ثم يتابع سيره .
يطلع رصيف المرسى، وعندما يجد نفسه أمام عربة الجوافة
الواقفة على الجانب ، يهبط وهو ينظر للوحة الثمن .
يأخذ في التنقية، ووضع ثمرات الجوافة فى صاجة
الميزان، ثم يناولها للبائع ملقطة واحدة اكتشف عطنها : " اثنين
كيلو " . يقوم البائع بإلقاء بعضها فى العربة ، ثم حساب وزنها
مُضيفاً واحدة صغيرة .
يأخذ الحاج مراد كيس الجوافة ويسير فى طريقه ، إلاّ أنه
يتذكر تركه لجريدة الأهرام المسائى على العربة ، فيعود ثانيةً
لالتقاطها .

استعجلت يا مراد ، كان لازم تقولهم أنّك حتتحمل فستان الخطوبة .
وأما تيجى ريم تقولك هات متين جنبه عشان تجيبه ، تقولها مفيش إلاّ
ميت جنبه ، وإنّ عارف كويس ، إن مافيش فستان دلوقتى بالتمن
ده . ولا حتى بالميتين جنبه . طب عملت جدع ليه ، وقلت إنك إنت اللى
حتجيبه . كنت سيبه هو يجيبه .
آه يا مراد .

وصلت بك الدّرجة، إنّك لا تستطيع شراء فستان خطوبة أول
بنت تزوجها . وأنت الذى زوجت أخواتك الثلاثه ، وعينت
أخاك فى التوكيلات الملاحية . أخوك اللى جوز ولاده الإنتين ،
فيما أنت عاجز عن تزويج ولو واحدة من بناتك ، وتشغيل ابنك
الوحيد .

همك كبير يا مراد . إزّاي تبص بس فى عين مراتك ، وإنْتَ بكل
هذا العجز . اتصرّف .
لازم تتصرّف .

يعبر الممرّات ، التى تفصلها قضبان الحديد ذات السّلاسل
المدّلاه ، حيث يسير فوق الرّصيف المجاور لسور نادى
التّجديف . وعينه مضمّوبة باتجاه عمارته التى تختبئ تدريجياً ،
كلّما توغل فى طريقه خلف عمارة الجبّاس . يسير ، ويمكن لأى
رائٍ لطريقة مشيته ، وحركة كتفيه المحنية قليلاً للأمام ، أن
يرجّح أنه مهموم ولا بدّ بشىء ما .

أه . أخوك يشتري لأولاده شمس وهشام ، شقة فى برج
الخليج ، ويحولها لمكتب استيراد ، ولا يسأل حتّى بالتليفون
على أحوالك ، وأحوال ابنك اللى عارف كويس إنه لسة ماشغلش .
نسى كل ما فعلته معه وكأنه لم يكن .

لا يهم أخوه الذى عينه ، وياما وقف معاه فى مواقف ، ومشاكل
كثيرة .

من أين يأتى كل هذا الجحود يا ربّى .
عيننا ولا عيب الزّمن اللى إحنا عايشين فيه .
أردّ أقول إيه بس لابنى ، لمّا يقولى : " ما إنت ما عملتيش حاجة
يا بابا . لا عارف تجيبلى واسطة تشغلنى ، ولا سبتلى حاجة فى البنك
كفاية أنا ساكت ، وما بتكلّمشى . ما تجيش تلمنى إنت بقى " .
كلامك صح يا ابنى . أبوك عاجز عن تقديم أىّ شىء ، سواء
لك أو لأخواتك البنات .

ينحرف يميناَ باتجاه كشك ميلك شو . ثم يهبط الرّصيف الذى صار فى نهايته . وعندما يُواجه برتل العربات الذى يندفع من الاتجاه المعاكس ، يسير بخطوات مسرعة مُتخذاً من تربية الحشائش المواجهة موطئاً لقدميه . أقول له : " ابقى مر على أمك الوحيدة المريضة ، ولو لخمس دقائق " . يقول لى : " ما انت وأختك فيكم البركة " .

حتى أمه مش راضى يسأل عليها ، وبيتحجج إنه مشغول .
مين الأولى يا ربى ، أنا المخنوق بكل هذه الضغوط ، أم هو
اللى أموره مستريحة .

ما بحسدوش والله . ربنا يزيد . لكن ...

انسى يا مراد ، ليس هناك فائدة .
واطمئن . أنت لم تقصر فى شىء .

رعبت ربك فيهم . ولم ترتش ، أو تطعمهم أى لقمة حرام .
كنت ترى أفاعيل زملائك ، وأنت صابر لا تفعل مثلهم .

يرى عربة إمام تدور بجانبه من حول سور الميدان باتجاه
المعدية . فيُظهر أنه لا يراه ، ويستمر فى طريقه ، عابراً
بوتيك هالة ، ومنشغلاً بالنظر إلى اللوحة الصغيرة الصّفراء
المعلقة على عمود النور المواجه لمقهى الأوبرج ، والمكتوب
عليها بالخط الأسود : نظارات إمبابى . شارع صلاح سالم .
بجوار مسجد الرحمة . ت ٢٣٥٤٢٦ .

يراه الأستاذ فيّاض وهو جالس على المقهى ، فينتظر حتى
يقترّب أكثر ، ثم يقوم يستوقفه ، ويحدثه عن ابنه حمدى الذى

كَلَّمْ لَهُ الْحَاجَّ زَغْبَى صَاحِبَ مَكْتَبَةِ الْمَصْرَى . فَوَافَقَ ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَأْتِيَهُ غَدًا صَبَاحًا لِيَعْمَلَ مَعَهُ فِي فَرْعِ الْمَكْتَبَةِ الْجَدِيدِ فِي شَارِعِ كَسْرَى . وَيَسْتَطِرِدُ أَنَّهُ سَأَلَهُ عَنْ أَمَانَتِهِ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ مِنْ عَائِلَةِ كَرِيمَةٍ جَدًّا وَمَحْتَرَمَةٍ ، خِلَافًا أَنَّهُ مَعَهُ بِكَالُورِيُوسِ تِجَارَةً . يَبِشُ وَجْهَ الْحَاجِّ مَرَادَ ، وَيَشْكُرُهُ بِبَعْضِ عِبَارَاتٍ قَلِيلَةٍ ، دُونَ أَنْ يَطِيلَ كَعَادَتِهِ . ثُمَّ يَوَاصِلُ سِيرَهُ ، مُتَجَاوِزًا مَحْمَصَةَ الْحِمَزَاوَى ، فَصِيدَلِيَّةَ بَوْرَفُودِ الْكُبْرَى ، الَّتِي كَادَ أَنْ يَعُودَ إِلَيْهَا لِیَأْتِيَ لِأَمْرَاتِهِ سَامِيَةَ بِدَوَاءٍ لِيَجَالُونَ الْخَاصَّ بِكَسْلِ الْكَبِدِ . لَكِنَّهُ يَتَذَكَّرُ أَنَّهُ أَحْضَرَهُ لَهَا أَمْسَ ، فَيَصْعَدُ الرَّصِيفَ بِبَطْءٍ نَاضِرًا لِشُرْفَةِ شَقَّتِهِ مُتَأَمِّلًا مَنَظَرَهَا ، حَيْثُ يَكْدِرُهُ كَلَاحَةُ جَدْرَانِهَا ، وَطَلَاؤُهَا الَّتِي بَدَأَ فِي التَّقَشُّرِ ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَقُمْ مُطْلَقًا بِطَلَائِهَا الْعَامَ الْمَاضِي .

يَسْتَمِرُّ فِي سِيرِهِ .
وَبَعْدَ عِدَّةٍ خُطَوَاتٍ ، يَلُوحُ لَهُ ذِرَاعُ إِحْدَى بَنَاتِهِ ، وَقَدْ اتَّكَأَ عَلَى سُورِ الشَّرْفَةِ . فَيُخَمِّنُ أَنَّهُ لَرِيمٌ ؛ فَهِيَ الَّتِي غَالِبًا مَا تَجْلِسُ فِي مِثْلِ هَذِهِ السَّاعَةِ ، إِلَّا أَنَّهُ عِنْدَمَا يَقْتَرِبُ ، يَتَأَكَّدُ أَنَّهُ لِابْنَتِهِ شِيْمَاءُ .

أَيُّوهُ هُوَ لَشِيْمَاءُ .

حَزَنُهَا يُقْلِقُهُ .

جَاءَهَا أَرْبَعَةُ عَرَسَانٍ . حَقِيقِي إِمْكَانِيَاتِهِمْ بَسِيطَةٌ ، إِلَّا أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ عَائِلَاتٍ مَحْتَرَمَةٍ . وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ تَرَفُضُ .
أَتَتَنْتَظِرُ أَحَدًا لَا نَعْرِفُهُ .

السَّنْ بِيكْبِر يا شيماء . والعمر بيضيع . وكل بنات خالتك اللي
من سنك اتجوزوا .

حتكررى قصة عمك منيرة اللي ماتجوزتشى ، ومن شدة إحساسها
بالقهر ماتت فى الأربعين .

ياالله ماذا فعلت فى حياتى يغضبك .
ألا توجد فرحة واحدة أؤسند عليها .
ألن تمنحنى بلة ريق أستر بها بنتى قبل أن تجىء ساعتى .
لم يتبق لى إلا عام واحد ، وأطلع على المعاش .
ماذا تخبىء لى يا ربى .

يلمح الحاج عباس الجبرونى على يمينه جالساً بمفرده على
مقهى وادى النيل، وأمامه كوب من الشاي ، فيلوح له بالسَّلام .
يُهيئ له أن ابنته شيماء قد أبصرته ، فيما هو يتجه منحرفاً
فى خط مائل ناحية التقاطع الآخر من شارع الجمهورية ،
عابراً لوحة المركز التخصصى لتنظيم الأسرة المنصوبة فى
واجهة رصيف التقاطع .

يُلقي نظرة على مدخل كافيتيريا الطيران ، فلا يجد أحداً .
ولا حتى قاسم. يطلع الرصيف ويخطو من أسفل سقف البنايات،
وكُلما ينتهى من رصيف يهبط ببطء وحذر، مُعاوداً سيره
المتهمِّل . وبالرغم من تجاوزه لميعاد عودته، إلا أنه يعلم تماماً
أنهم لن يتناولوا طعام الغداء قبل حضوره ، وأنهم سيظلون
ينظرونه حتى يأتى؛ لذا لم ينس أن يتجه لمطعم فول الفردوس
المجاور لبنك القاهرة ، كى يأتى بكيس الطرشى ، الذى طلبته

منه ريم .

وبالفعل يذهب ، ويحضره ، ثم يعود من نفس المكان
وبنفس الخطوات باتجاه مدخل عمارته . وفجأة يُخَيَّلُ إليه أنه
سمع صرخة ملّاعة تدوّى خلفه . يلتفت وراءه ، فلا يجد شيئاً .
يصن قليلاً ، فلا يسمع تكراراً للصرخة . لكنه ، وما إن يكد
يعيد رأسه للأمام ، حتى يبصر عند مدخل عمارة عوف ،
مجموعة من العسكر يمسون بزوجة فهيم بكر ، وابنتيهما
الإثنتين ، و يجرونهنّ بملابس النوم ليدخلونهن في غرفة
البوكس . وورائهنّ يظهر فهيم مُطأطئ الرأس ، وإثنين من
الرجّال وهم يزعمون ، ويشوّحون بالأيدى ، فيما هم يُدفعون
دفعاً إلى الشارع . منهم من يُكمل ارتداء قميصه . ومنهم من
يغلق سوستة بنطلونه على عجل .

يتعجّب لمرآهم هكذا ، ويفهم الأمر ، ويندهش لكونه لم
يسمع من قبل أن مسّ أحدٌ سمعتهم : " إزاي ؟!! " .
لا يستبعد أن يكون قد حدث خطأ ما ، ووقية من أناس
يكرهونهم : " إزاي برده ؟! بول أهم نازلين عريتين " .

يظل واقفاً مكانه ، مُتطلّعاً ، لا يفكر في التقدّم ناحيتهم ، أو
يسأل أحداً ممن يعرفه . فقط يقف وعيناه عليهما . إلا أنه وفي
نفس الوقت ، يلمح الأستاذ على وابنه عادل ، يقبلان من ناصية
شارع ١٥ سبتمبر ، وهما يهرولان من أمام البرج ، باتجاه بيت
الحاجة سوسن ، الكائن بجوار مكتبة بورفؤاد الحديثة ، ثم
يسمع صرخة تتعالى ، وتكرّر من إحدى العمارات في الخلف .

وعندها يُرَجِّح أنها ربّما آتية من بيت الحاجة سوسن . وبالتأكيد لها علاقة بهرولتهما .
لا يُلاحظ أنهما قد رأياه ، فيتقدّم في طريقه مُجتازاً مدخل عمارته ، وهو يُحوّل ، ويتمم بكلام غير مفهوم .

تخرج الست سامية من المطبخ عابرة الصالة إلى حجرة نومها . تفتح الكوميدينو ، وتأخذ منه إحدى الفوط وتلقبها على السرير ، وتفردّها بيدها ، ثم تضعها على كتفها متجهة إلى الشيش الجانبي للشرفة ، وتقوم بالنقاط الفوطة الأخرى من فوق أكرته ، وتتجه ثانية إلى الحمام دون أن تقول شيئاً لشيما ، حيث تضع واحدة على مسمار بابيه من الخلف ، وأخرى على المشجب الخشبي المُعدّ خصيصاً لذلك بحوض الوش ، ثم تعود إلى المطبخ .

تدخل عليها ريم لتأخذ كنكة الشعير الذى غلى ماؤه ، وكوب زجاجى كانت قد أحضرته هى لها ، ووضعتّه فوق المائدة الموضوعّة بالمطبخ، وتتجه إلى حجرة السفرة. بينما تتسمّر هى واقفة وسط المطبخ ؛ إذ تلمح غباراً خفيفاً يتساقط من أعلى .

تفتح ضلفة النافذة المواربة على الآخر ، ثم تنظر منها لترى من أين يأتى مثل هذا الغبار ، تجد أن الصّغير ميدو يُنزل قطعة من الحديد بدوارة طويلة، ويخبطها فى الجدار الأسمنتي البائشة قشرته من نقع الماء. تنادى عليه بصوت عالٍ: " ميدو ،

بلاش كده يا ميدو ، بلاش كده يا حبيبي ، الأكل حييوظ " . فتجده
يُدخل رأسه ولا ينطق بكلمة من المفاجأة ، على الفور تأتي
بقطعة من القماش المبللة والموجودة على الحاجز الرُخامى
بجانب الحوض ، ثم تمسح بها إفريز النافذة وتغلقه .

وما إن تفعل ذلك ، حتى ترى سُحبا من البخار تخرج من
مقلاة اللحمة المدقوقة والمخلوطة بالبصل والتوابل ، حيث فوراً
ترفع غطاءها الألمونيا بلا تمهل ، فيلهب يدها بسخونته الشديدة ،
ويفلت من بين أصابعها ساقطاً على البوتاجاز ، وخالقاً ضجّة
مزعجة . لا تنتظر . تقبض على ذراع المقلاة المؤطر
بالبلاستيك الأسود ، ثم تضع فوهتها أسفل الحنفيّة ، منزلة
عليها بعضاً من الماء ، وتعود لتضعها على العين الكبيرة
وتشرع فى تقليبها بالملعقة ، وحكّ بعض القطيعات وطرحها
على الجهة الأخرى ، ثم تعود لتغطية فوهتها ثانية بغطائها
الألمونيا ، حتى لا تتناثر فقاعات الزيت على واجهة البوتاجاز
أكثر ممّا هو حادث .

يرن جرس التليفون ، وتسمع خطوات ريم المسرعة تتجّه
إليه وتردّ .

تعلم أنه لحمدى ، وتتساءل بينها وبين نفسها عمّا أخر
الحاج مراد اليوم .

تخطو إلى حجرة السفرة ، لأخذ الخلّاط من درج البوفيه .
وعلى العتبة ، تكاد تصطدم بحمدى ، الذى تجده أمامها حافياً ،
يسألها عن طيبخ اليوم ، تخبره أنه كوسة باللحمة .

تحاول فتح درج البوفيه ، فيحتك بالكرسى الجالسة عليه ريم، ولا تتمكن من فتحه . تطلب منها أن تزح الكرسى للجهة الأخرى ، فتبدأ بالفعل فى تنفيذ ما أرادت . تقف مائلة بجزعها إلى الأمام ، و ترفع الكرسى بكلتا يديها وتزيحه يساراً . يفتح الدرج ، فتأخذ ماكينة الخلاط من الرف العلوى وهى تسمع ردود حمدى على طارق . وتسرع ثانية إلى المطبخ ، فيما تشير لحمدى بإصبعها المضمومة وحركة يدها الرأسية أن يخفض من صوته حتى لا يسمعه الجيران ، فيوافقها بحركة من رأسه .

فى المطبخ . تَنَبَّتْ شَفَقُ الخَلاطِ المقطَّعة فيه ثمار الطماطم داخل فوهة ماكينته . وتضع فيشتها فى مكانها من الحائط ، فيتعالى صوتها هادراً. ثوان وتغلقها ، وتفتح نافذة المطبخ ، وتتنظر منها ، ثم تعود لتواربها كما كانت . تضع فيشة الشفاط، وتبدأ فى صبّ الطماطم فى حلة الكوسة الموضوعة على عين البوتاجاز الصغرى ، حيث تصلها من النافذة التى تعلو الحاجز الرخامى كحّة الحاج مراد ذات الحشرة المعروفة على السُّلَم ، ثم حديثه مع أحد الجيران . تحاول أن تعرف مَنْ يكون لكنها لا تستطيع تحديد الصوت. يدخل عليها حمدى بخطوات بطيئة، ويمسك بغطاء المقلاة، فتزعق فيه : " استنى ، إيك حتتحرق " . يبعد يده ، فتخبره أن يذهب لحجرتة الآن ، وهى بعد قليل ستأتى له بطبق به قطعة صغيرة : " يالله امشى دلوقتى ، باباك أهوع السُّلَم وأنا لسة

مخلصتش " .

يسمع جرس الباب برنته الممتدة ، فيتجه إليه ليفتح لأبيه .

*

{6}

برقية رقم ٥١ بورسعيد سنترول ٨٦/٨٣ ١٢/١٠/٢٠٠٠ / ٢٢..

السيد / مدير عام المديرية .

أحملكم (المدير العام - مدير الشؤون القانونية - رئاسة شئون العاملين) مسئوليّة عدم التّورّع في تجاوز جميع الأعراف القانونيّة ، إذ أنّكم في أوراق التحقيق رقم ٢٠١ لسنة ٢٠٠٠ م- والذي استسهلتم عدم استدعائي إليه كعادتكم دائماً التي مارستموها أيضاً في التّحقيق رقم ١٧ لسنة ٢٠٠٠ م- قد قمتم باخفاء وحجب المذكرة التي طلبت تحويلها للتّحقيق في وقائعها بخطاب مسجلّ بعلم الوصول ، تمّ تسلّمه من قبلكم بتاريخ ١٣/٥/٢٠٠٠ م (والموضّحة تفصيلاً وبالأسانيد تعسّفات الإدارة نحوى) ثمّ تصوّرتم أنّه بوضعكم بديلاً عنها ، فقط أحد التلغرافات التي كنت قد بعثتها شاكياً من هذا الأمر ، دون الأسانيد المرفقة ، ستكونون بمنأى عن أيّ مخالفة قد تطالكم ، مُدّعين أنّكم تنفذون بذلك ما طلبته منكم النّياحة الإداريّة بالتّحقيق في مذكرتي/شكواي هذه ، بعد شكايتي لها من ذلك بالمذكرة المورّخة بـ ٢٠/٩/٢٠٠٠ م .

أحذركم هذه الأفاعيل ، البالغة الاستسهال ، والتّعسف ، مع

حفظ كافة حقوقى القانونية .

طاهر وهيب . ب- ش / ٣٨٥٠٥٥ الشرق بورسعيد .

لا تنكسر الرقعة

جورج أسطافنوس

الأرض مدّ ، والبحر حدّ ،

مهداة إلى طاهر وهيب

لا تنكسر الرقعة

بورفؤاد فى ٥/٦/٩٩م

أنشودة للتوحد ، قدّاس للأزاهير الصّولة فوق نجمات التّشرد
والسيف حُلِمَ بقبضتك نوافذُ للمواء . السيف حُلِمَ بقبضتك
نوافذُ للماء . نوافذُ للولوج فى ركاب الانشواء . أخراش الليل
حجروا بنفاسك ، وصخر منزلق فى المدارات الفرائجة . جنون
للمعو . جنون

للصحو ،

والنّيل

لا يشرب فوق

الغراب .

مناقيد

الاشارة لمعى

باليباب ،

ورحيق الأقول

أسراب آهات

{ شىء ما يحاك فى صدرى }

أرى نفسى متّجهاً بمفردى نحو فساحة
واسعة ، أرضيتها من بلاط رخامى مائل إلى
البياض ، فيما عدا بعض الرقوش الدّقيقة
المزهرة الألوان ، قدّ فى روعى أننى فى
حديقة عمى المطلة على شارع عبد السلام
عارف ، رغم أنه لا يظهر من هذا المكان ،
غير الفساحة الشّاسعة واتّجاه البناء .
أناسٌ بثياب سوداء ، هناك على أقاصى

التَّخُومَ يَدَّأُونَ فِي الظُّهُورِ تَبَاعاً . صَامَتُونَ
 لَا تَصْدُرُ مِنْهُمْ نَافَاةٌ . وَاقِفُونَ كَطَيْفٍ لَا
 يَحْطُونَ عَلَى الْأَرْضِ بِالرَّغْمِ مِنْ اقْتِرَاجِهِمْ
 الشَّدِيدِ مِنْهَا .
 خَشِيتُ مِنْ جَوِّ الْمَكَانِ ، وَفَكَّرْتُ فِي
 التَّرَاجُعِ نَائِياً بِنَفْسِي . وَكَمَا يَنْبَغِي لِمَازُومِ
 يَوْمِ الْحَرْبِ التَّفَتِ مَحَاوِلَا السَّيْرِ بِاتِّجَاهِ الْبَوَابِ
 الَّتِي أُتِيَتْ مِنْهَا ، فَلَمْ أُسْتَطِعْ . أَشْعُرُ لِقَلْبِي
 وَجِيباً شَدِيداً ، ثُمَّ مَا إِنَّ أَقْنَعَ نَفْسِي بِأَنَّ هَذَا
 الَّذِي يَحْدُثُ لِي يَحْدُثُ نَهَاراً ، حَتَّى أَفَاجَأُ
 بِأَنَّ الظَّلَامَ حَالِكٌ لَا بَيَاضَ فِيهِ ، وَأَنَّ ذَوِي
 الْمَلَابِسِ السُّودَاءِ ، أَوْلَيْكَ الْمَجْلَلُونَ بِصِمَتِهِمْ
 تُضْيِفُهُمْ قَنَادِيلَ مَعْلُوقَةٍ بِأَيْدِيهِمْ ، فَيُشَخِّصُونَ
 كَهَيْكَلِ عَظْمِيَّةٍ بِلَا لَحْمٍ . أَصْرَخَ بِمَا تَبَقَّى
 لِي مِنْ تَمَاسِكٍ فَلَا يُخْرِجُ لَصْرَاحِي صَوْتٌ .
 وَاحِداً لَهُ مَظْهَرُ جَدِّي الْمَتَوَفَى بِلَحِيَّةِ
 بَيَاضٍ طَوِيلَةٍ يَقْتَرِبُ مِنِّي ببطءٍ . عَيْنَاهُ
 تَحْضُظُ بِمَقْتٍ شَدِيدٍ لِي . يَلْتَفِتُ بِوَجْهِهِ
 نَاحِيَةَ الْبِنَاءِ ، وَيُعْطِيْنِي جَانِبَهُ .
 فَجَاءَهُ يُرْفَعُ أَمَامَهُ قَبْرٌ بِشَاهِدِهِ لَمْ يَكُنْ
 مَوْجُوداً . صَوْتُ نَانَا الَّذِي يَبْدُو أَنَّهُ لَيْسَ
 غَرِيباً عَلَيَّ ، يَنَادِينِي مِنْ جِهَةٍ ، لَا أُسْتَطِيعُ

تَدْنُو
 ،
 أُسْرَاجُهُ أَهَاتٍ
 تَدْنُو
 ،
 وَفَوَاجِعُ صَمْتِهِ
 .
 وَابْقَائِي
 مُنْعَدِرٍ
 نَحْوِ
 الْمَدَنِ الْمَوْتِ
 .
 نَحْوِ
 الْمَدَنِ الْمَوْتِ
 .
 رَفْصٌ مُنْعَسِرٌ
 لِلْفَرَاقَةِ
 الْمُكْتَبِلَةِ
 بِنَارِ
 الطُّرُقَاتِ
 .

تحديدها . هناك جوٌّ ما من فجیعة لا أستطیع لمس مظاهره ، لكنني أشعر به داخلي .

الآن ماعدت في مكاني كما كنت . أنا مقعٌ في جوف قبر متربٍّ تملأه روائح عفنة عتيقة ، أكل بنهم من لحم امرأة متوفاة قريباً . أعلم أنّها والدّة زوج عمّي . لكن فيما يخصني لا أشعر بأى تقزُّز ، وأستغرب منّي ذلك .

بإصرار يُزيح الجدّ فوقى اللوح الرُّخامى ليغلق الكوّة الوحيدة للقبر من أعلى . ولأوّل مرّة تختلط علىّ ملامح وجهه بملامح وجه أبى . وكم هو قانع بما يحدث له لا أحاول التّشبّث بالكوّة للاندفاع قافراً . خشيت من حلّة الظّلام المُحدق ، وضيق القبر ، لا تجعلني أدع ما أنا مُقبل عليه بنهم . كل ما هنالك أنّى أرى نفسى بعين أخرى ، وكأنّما استكنت لشيءٍ لا مفرّ منه كان لا بدّ أن يحدث .

هذه العين التي تراقب المشهد هي التي يُداخلها فرغٌ مُروّع . أمّا أنا فأظنني مُفرّغٌ تماماً من أى وعى يُشعرني بحالتي التي استحلت إليها . ودون أن يكون هناك ودق مطر ، أو حتّى غيمة واحدة بالسّماء ، أسمع هزيمًا يهزُّ اللوح الرُّخامى . وإذا بالجدّ يضع رأسه بين اللوح والحافة ، ثم يدفعه بقوة فيُسمع صوت اصطكاك له خفيف ، ويسقط رأسه على مقربة بجاني دون أن أعيرها اهتماماً . فهل ظللت على هذا الحال ، حتّى بوغت بجسدى وقد غطّاه الحصى ، وفمى وقد اكتظّ بكمّ هائل من تراب مُندى بصنان له رائحة البول . فيما الفراغ حولى ، لا يكفى لزفرة هواء

واحدة أطلقها ، جرّاء هذه الخفافيش التي راحت بسرعة مخيفة
تصطفّ حولي بعضها في إثر بعض ، وهي مُدلاة من أرجلها
بُخيوطٍ غير مرئية .
الغريب أنّه يكاد يكون مرآى لها مألوفاً بالدرجة التي أفرغتني .

*

{7}
﴿ أفينا أنفسنا هكذا ، ونخرج من الافتراض ،
والترجيح ، والتثبت ، نستعين على اللحظة
الراهنة ﴾

لهنيهة يلبث إمام جالساً على الكنبه الكبيرة . بجوار المدخل .
لا يسمع صوتاً لنجوى . ولكن تصل إلى أنفه رائحة السلق
المحمّر بالثوم والزبد .

من صوت الرّاديو المفتوح خفيضاً على البرنامج العام ،
يُرجّح أن نجوى واقفة في المطبخ ، وأنه سيّراها الآن تقبل
عليه . يطول انتظاره ولا تجيء . يهبط واقفاً ويتجه إلى المطبخ .
وعندما لا يجدها ولا يجد النور مضاء . وحلة الأرز وحلة
القلقاس مازالا على البوتاجاز ، والنار مفتوحة عليهما ، يغلق
النور ، ويتجه إلى حجرة نومهما . يلاحظ أن الباب موارب
على غير عادتها . يذق دقتين فلا يأتيه جوابٌ . ينزعج ، فيدفع
الباب ويدخل . إلا أن نجوى تطمئننه بصوتها المتهدّج ، وهي

مكومة على السرير بفرستان البيت ، ثانية ركبتيا بشدة إلى
بطنها ، وبيديها الإثنتين قابضة على جانبها الأيمن : "مفیش
حاجة يا إمام ، بينها الزائدة تعبانى شوية " .

يندفع إليها ، ويجلس بجانبها مُحسَّساً بيده مكان الألم
: " هنا ؟ " .

- : " لأ " .

- : " هنا ؟ " .

- : " تحت شوية ، آه " .

- : " لازم تنزلى معايا دلوقتى " .

- : " استنى شوية ، يمكن يروح زى المرة اللي فاتت " .

- : " بقالك أد إيه " .

- : " مفیش ، عشر دقائق " .

يخرج من الحجرة ويتجه إلى المطبخ ، ويغلق عيني
البوتاجاز على الحلتين ، ثم يدفع باب الحمام بقدمه . يُنزل
سوستة بنظونه سريعاً ويتبول . إلا أنه عندما يفتح الشطافة
ويجدها لا تأتي بماء ، يتذكر أنه يجب عليه إصلاحها . يفتح
حنفية الخلط التي بجانبه ، ويقوم بغسل عضوه بكف يده . ثم
يغلق السوستة ويخرج مسرعاً باتجاه حجرة نجوى . يعاود
الجلوس بجانبها ، ويسألها عما إذا كان الوجد قد خف أم لا ،
فتخبره أنه يزيد . يُصرُّ أن يأخذها بالعربة إلى المستشفى ،
وبالفعل يُحاول حملها من فوق السرير : " يا الله عشان تلحق
نركب المعدية قبل ما تتعبى أكثر ، ومتقدرش تتحركى " . ترجوه أن

ينتظر فترة أخيرة . يُطرق للحظات ثم ينهض من جانبها .
يفتح شيش الغرفة ، ويدخل ليقف فى الشرفة الصغيرة
المطلّة على شارع ١٥ سبتمبر . يُخرج علبة سجائره
المارلبورو من جيب قميصه ويأخذ سيجارة ويشعلها .
يسمع جارتة نوسة أعلاه تتكلم مع صفاء المطلّة من الشرفة
المجاورة ، عن حالة الحاجّة اعتماد الحرجة . وعن أنها
مازلت فى العناية المركّزة . وأن بنت عمها إيمان قد أخبرتها
حالاً من مستشفى آل سليمان ، أن الدكاترة يقولون أن جانبها
الأيمن قد انشَل تماماً .

ينتبه لكلامها باهتمام ، محاولاً أن يسمع أكثر . لكنّه ما إن
يسمع تأوّه نجوى المفاجيء وبصوت عالٍ ، حتى يندفع فزعاً
داخلاً الحجرة صوب سريرها .

يقف بإحدى ركبتيه على مقدمته ، وفوراً يحاول أن يحملها
بين يديه . بينما هى تتأوّه وتقول له : " استنى يا إمام أمّا ألبس
حاجة " . وهو يقول لها أن ملابسها مناسبة ، وأنه فى العربية
لن يراها أحد .

- : " طب كَلّم ماما الأول تيجى معانا " .

- : " حقولها بالمحمول و إحنّا فى العربية " .

- : " آآه ، إمام ، حموت يا إمام " .

ُ يندفع بها إلى باب الشقة . إحدى يديه تمسك كتفها ، والأخرى
تحوّل ظهرها .

عند مرورهما أسفل البناية بجانب كافيتيريا الطيران، يلاحظ قاسم ، تساند نجوى على كتف إمام، واعياها الواضح ، فيبادر بالقول فيما هو جالس على أحد الكراسي بالدّاخل : " **اتفضّل يا أستاذ إمام ، مش عاوز أى خدمة ؟!** "

- : " **شكراً يا قاسم .** "

- : " **بجد والله أى خدمة ؟** " .

- : " **ربنا يكرمك** " .

وفى طريقه إلى عربته المركونة أمام محل جيد إبراهيم ينتبه لنظرات بعض من يعرفهم ، من الجالسين هناك على المقهى، فيتلافها . ثم يفتح بابها بالمفتاح ، ويدخل دافعاً الباب الآخر المواجه ، والذي ترك نجوى تتركن إليه .

وبينما هو يبدأ فى الطلوع راجعاً إلى الخلف قليلاً ، كى يتفادى العربة التى أمامه ، كاد أن يصطدم بطارق المندفع هو الآخر باتجاه العمارة .

يتراجع طارق بجانبه الأيسر إلى الخلف رافعاً قدمه ، وبالقدم اليمنى يقفز إلى الأمام .

يشير إمام لطارق بيده ، من شبّاك العربة ، وهو يخرج رأسه معتذراً ، فيبتسم له طارق ، ويرفع هو الآخر يده ، متمتماً : " **ولايهمك** " .

يتقدّم فى طريقه ، ويلتفت من حول مساحة الحشائش الطولية التى تقسم شارع ١٥ سبتمبر نصفين ، ويتجه صوب المعدية .

تتابع السّت شكر إمام وهو يتجاوز مكتبة بيبى ميادة ،
ويتجه بعربته صوب المعديّة ، مجزّمة أن امرأته نجوى ليست
فى حالتها الطّبيعية . وأنه ربما يكون قد حدث لها مكروه .

وبالرّغم من قرب نافذة شقتها من الرّصيف . هذا القرب
الذى كان يمكنها من سؤالهما وهما يمرّان أسفلها، إلّا أن تردّدها
خجلاً من إمام حال دون ذلك .

فيما بعد ، وهى تتأمّل حركة الشّارع يخطر على بالها أن
ضغط نجوى المتوالى على جانبها الأيمن ، ربّما سببه على
الأرجح معانيتها من غص كلوى ذاهبة لأخذ حقنة له . وعندما
يتناهى إليها صوت أم وفاء وهى تلقى السّلامات على السّت
دميانة زوجة العمّ لوقا ، تتذكر موعدها معها للذهاب إلى
الحاجة اعتماد . لكنها لا تذكر هل الموعد الذى اتّفقتا عليه كان
السّاعة السّابعة مساء أم السّادسة . فتقرّر أن تطلبها بعد قليل
للتأكّد .

كان الهدوء يطوّق المبانى ، وكافتيريا الطّيران لا يجلس
عليها أحد .

على البعيد تلمح الأستاذة ألفت تنزل هى وبناتها الأربع من
عربتهن الرّيجاتا الحمراء، أمام محل الدّاودى سنتر المجاور
لمكتبة مارى ، ويدخلن .

تلقى نظرة أخيرة على المنطقة وشوارعها . وتبلغ ببصرها
حتّى كشك ميلك شو فى نهاية امتداد شارع الجمهورية . إلّا
أنه عندما لا يسترعى انتباهها شيئاً ، تجذب ضلفتى الشيش ، ثم

تتركهما على هيئتهما السَّابِقة المواربة .

{ حراك الطَّلّال }

النوافذ مازالت على مكوئها الرّازح . تعزو هداؤها إلى قاطنيها الذين استسلموا لأريحية منتصف اليوم ، وتنفث على مهل بما علّق بحفافها من بخر أطعمة طُهِيت بمزاج شرقي مُحْتَف به . لوافح الهواء البارد تعلن حضورها بملاسيتها التي تحسُّ فور اختراق الجسد لفضاء المنور . وكلما أطلَّ أحدٌ يرى أكياس البلاستيك المملوءة بالفضلات، وبعض الأوراق ، وفأرين أو ثلاثة يمرقون من حين لآخر . إلا أن نشع الماء من بعض المواسير التي مع مرور الوقت كسيت بركم الخضار الزَّلَق يُعْطِي انطبعا بتآكل الأبنية من الدّاخل ، وقرب تهاويها . فإذا أطلّت السّت شكر من نافذة مطبخها كما تفعل الآن ، طالعا منظر المنور الذي كان قد كنس ، ونظف على حساب ساكنيه منذ يومين ، فنتمت في سرّها : " ناس همج " .

تلتفت وراءها ، فتجد القهوة على وشك أن تطفو فائرة . تشرئب أكثر لترى من أي شقّة تنتشع ، فلا تبلغ بعينيها مكان النشوع . لكنها تلاحظ أن الجدار الذي يقع فوق حمّام أم وفاء هو أكثر المناطق نشوعا . تدخل رأسها ، وتتجه لعين البوتجاز فتطفئها بسرعة منقذة وش القهوة من الانسيال على سطح الكنكة ، ثم تعود لتعلق نافذة المطبخ ذى المقبض العالي .

*

{8} بأصح حُجَّةٍ وبأثوَمَ ذاته، أُروِّج لكوائن هذه بذاهاتها في التعيش

قال الحاج غانم أن الدَّور جاء على
أحمد ، وأنهم يجب أن يفكروا في زواجه
الآن . وأن عليها أن تبحث له عن عروسة
مناسبة يكتب كتابه عليها في زيارته
الصَّيفِية القادمة ، حتى يتفرَّغوا لمحمود
الذي يجب أن يزوَّجوه بسرعة : " قبل أمَّا
عياره **يقلت** " .

هكذا قال لها ، ثم فتح الجريدة على
الصَّفحة التَّالية ، وانحنى على جانبه
الأيسر ، وحوَّل مؤشر الرَّاديو على
إذاعة الشرق الأوسط ، ثم استقرَّ أخيراً
على إذاعة مونت كارلو، حيث أخذ يرشف
عدَّة رشقات من فنجان القهوة الموضوع
بجانبه على الكوميدينو . فيما السَّت شكر
مشغولة بإخاطة عراوى بنطلونه الرَّمادي
تسمع ولا ترد .

ثم فجأة تقول له ، أن السَّت وداد
قريبة الحاجة اعتماد ، لم تذهب معها إلى

لم نعد ننتظر .
قال : ما
الذي
ستكونه
النهاية ؟
جاءت
الموجات
وانحطَّت على
الصَّمْت * .
قلت : في
الظَّهيرة ،
والأرض
تُضيئها
ألسنة
الذهب ،
يطلق
صرصار الليل

المستشفى ، وأن زوجة الحاج صالح هي
 التي راحت معهم فى الإسعاف . إلا أن
 الحاج غانم يبدو على وجه أنه لا يصغى
 لكلامها ، بقدر ما يصغى لما تذيعه مونت
 كارلو فى موجزها الإخبارى ، عن قصف
 مقرّ الرئيس عرفات بطائرات الأباتشى .
 لفترة تطول قليلاً يظل صامتا ، ثم
 ينهض من فوق الفراش ، وينظر لما
 تحيكة من عراوى بنطلونه ، ويقول لها ألا
 تنسى إخطاة الزرار الخلفى . ثم يخرج من
 الحجرة متجهاً إلى التليفون ، ويبدأ فى
 إدخال إصبعه فى القرص ، وضرب الرّمق
 تلو الآخر بهدوء واضح .

عاليا
 - كقذيفة -
 غناء ه
 بحركة من
 عينيه * أمّا
 عندما تحفل
 الشمس ،
 ويصيرُها الوقت
 مُهيّأة لانزياح
 قريب ، رُبّ
 رجفة خليقة
 بفوران
 مصطنع، أن
 تعيد لي
 تشبُّثي بما تبقى

*

من طابور
 البواخر . ومن فرط تأثرى أُحرّر مويجاتى باتجاه المقدّمة .
 الباخرة النرويجية " فلدى كندوفيم " تخرج من أسر سبعين يوماً
 كاملة . وبعينين لصيقة تتقبّل مغادرة السير هيوستكويل ، وما
 تشظّى من التمثال على الماعون الكبير .

قال : لكن . فى ذات الوقت . لا يتعيّن علىّ أبداً ، بل ومن
 المحال فيما أظن أن أتفهّم ، أو أتعاطى مع هذا الهوس الذى يتغيّى

من جانبك ، تلك المربيّات التي تترى . ولم تعد تُحرّك في ساكناء .
فخلا ما يتّمه الحراك الذى يتمثل أسفلى ، وعلى الامتداد ، لا
أخالنى أبالى أوأهتهم . هى مصفوفات ضوء ، أنثرها ليلاً من عل
على الجانبين ، ثم لا ينقص ذلك من صحة أنى قد فقدت ، وعن
يقين من جانبى ، أى أهلية فى المكوث هكذا ديدبان ، لهراءات
يطويها زمن موغل إلى صمت ، حتّى ولو على افتراض أنى مُتثبّت
من صواب ما يدعون .

قلت : لعلنى ، وبأصح حُجّة ، يأخذنى خفق الأجنحة ، إلى
الاحتفاء باستنامة بات يغالبها التدفق الذى تسيّره الموجات . وهذا
بالضبط ما يجعلنى أستمريء هذه الدغدغة التى تقرّ ، دون أن
يتنfy تأثيرها . وعليه فإن الطابع الذى يهيئنى كى أكون محل نظر ،
وكذا موطن للترويح عن الأنفس ، بمنحنى أفقا يتجلّى فيه الامتداد
حينئذ يمكننى مغالبتك ، وأن أدعى بجواز أن تتمطى مربيّات لى
سابقة ، ونتاج تخيل مازلت أطلق له العنان . أفلا حاجة لى ، أن
يتبدّى لدىّ كل داع لكآبة قد يصعّدها السُّحق منى ، بحيث إذا
قيل أن ما تطلّقه البواخر من عادمها ، يكسبك جهامة ما
يعكسه القاع فيك ، كان ردّى : بنّية النّصاعة ، أفود مويجاتى إلى
مساع قد يكون لى فيها غبطة . ويكفى الكائن منّا ، أن يلمح
نظرة مثل نظرة الحاج مراد يسكن بها صواخبه ، حتّى تفلت منه
آهة احتفاء لكونه محطاً لهذا .

فإليكم وحدكم عابريّ الطّيين ، أوجّه رطابتي ، غير غافلة عن
بعض زفر يحمله البخر منى ، وبودّى لو تجاوزت عنكم أى دخنٍ

تطلقها بوابيرى . وفى نطاق امتدادى رؤيتى ، ما من شىء يمنحنى
بمجة أكثر من التقاء مياهى بالمياهين . حتّى أنه وفى حال ما إذا
نضح ذلك علىّ ، فبدوت أشدُّ ألقة وصفاء ، فلا عجب أن تتضمن
السّماء معى ، معلنة للشيخ شافعى أن ابتهالاته المحمومة ستتنجى
زوجته .

فمنذ ما يقرب من مائة وثلاثين عام ، ودون كبير مشقّة ،
وفى الموضع ذاته الذى يمرّ به الآن ، تمكّن عمّالنا الأشداء، من
انقاذ السّفينة التى خلص الخديوى اسماعيل إلى وجوب نفسها .
فقبل افتتاحى بيوم واحد ، لم تتمكن السّفينة من مواصلة
إبحارها . تعطلّت . وكتّصحيح وضعية حقيقى ، لا مفر منه ،
كان الأمر الذى عمل عمّالنا ضدّ تنفيذه . إلّا أنى ومن وقتها ،
كُتب علىّ أن أظلّ نهباً لهذا الكمّ الهائل من السّفن والبواخر التى
تجتازنى ، بشكل أصبح لا يليق معه أن أسترسل فى قهويماتى تلك
المخاتلة ، والتّحاكم إلى غير ما أحصده فقط من دولارات .
فبهذا وحده ، وكما يدّعون - مقابل أخذائى الآخرين - تتحدّد
قيمتى، أو مدى علو شأنى .

فهل بإسم سيلان استرساب جرمى ، أم بإسم ميعة لا تدّخر
إلّا قليلاً من رغيها اللصوق ، يدّعى ماخرّبى أنى أستدرجهم على
وسادات ناعمة ، وأسهب فى ترطيبهم كيما أدفعهم لمواصلة
ارتحالاتهم لمناهاة أخر . حسبى منهم دواكن فى قد أينعت ،
ووشيش حفافى المرتطم بنازحيهم ، هذا الذى يصبغنى طواعية
بعجيجٍ ربما يستكن لبعض وقت ، لكن أبداً لا ينقطع .

غلقٌ من دونه غلق ، وليس بتاتاً ما يتصوره أولئك الذين يطلقون على نظرة عابرة .

إنها مسيرتي التي تدعوني دوماً إلى بدء .

فالأجل مزيد من العصف الذي يهدأ ، أنزاح تدريجياً في كلا الاتجاهين ، وأكثر ث إذا ما وجدتني أكرّر ما كنته سالفاً . أرسل موجاتي إلى حيث يتقَطَّر أثرى الحميم * . وطيلة الوقت أحداثٌ مدينتي التي تنال نصيبها من الماء ، وتجلس على الحافتين * .

بيد أن الذي يتسرّب هناك بالضرورة ، ويختلط بأسرع ممّا يلزم ، يُزيل ما كنتُ أطوى عليه من حُبور مُحجّج ، ويُولجني في حُمياً من ترقب لمفاجآت تلك الآبتشي التي تقصف . أعني تُخايلني الآن مرثيات ما عايشته بالضبط في العقدتين السّتين والسبعين . كفى بها من سنوات أدمت أحشائي ، ومن العسير تصوّر أن أسقط ثانية بين دفتيّ رحاها .

جميل أن يدعوا لها مُسوّغا من عندياتهم ، إلّا أن ما سُمّي خطأ بالاستتراف - وهذا شأنهم - هو من قبيل الترويج لجسر متصل من الجثث . بل والتمهيد - بمحجّة مشتهاه - لميتات قادمة . فإذا كان يجوز اعتباطاً لكلا الطرفين كل هذا الفقد الذي أراه بلا داع ، ونتاج توهمات وعي مازال أسير بداءته ، فمن المحال أن يسوّقوني للتغنّي معهم بتلك الأغلوطات المدّعاة ، في حين أنا من ناحيتي مكنوزة بلوعة لا توصف . الحاصل أنني مغرمة بالفساحات المهيّأة لمزيد من زخم البهجة ، وبالتالي لا أتجاسر على

مواجهة هذه الترهعات بمخيلة راضية .

لابد إذن من الرثاء لكوائن هذه بداهاها في التّعيش . وحَتَّى إشعار آخر يمكن تقصّي ذلك طواعية . فثَمّة الكثير من التجارب الخبرائِية التي يجب عليهم مجاوزتها . وبالتمهل الذي قد نوليه اعتباراً خاصاً ، وفي نطاق رؤيتي ، يمكنني أن ألمح أفقاً آخر لعصور تبدو لدى أكثر وضاعة في محجّتها . فلا مرء مثلاً من أنني كنت أتتبع هذا مذ سُميت متخاصرة بين ضيفتين . غير أن ما يلاحقنا من هذه اللامبالاة ، التي تجيز افتراضاً جسارة غير مبررة لفعيلائهم تلك ، محال أن تستنهض فينا أيّ مشاعر لائقة . وما هو بالشطط أن نسمّي الأشياء بمسمياتها ، وأن نجفل كثيراً لأى توقعك قد يعتري أياً من بشرنا المسلمين . وإذا ما تلفتنا حوالينا عن عمد ، أبداً لا نستحي من أن نزرّف دمعة رثاء على منظر الشيخة نوال ، وهى في جلبابها الأسود تنكّىء على حفيدها تيسير . أو على العم شوكت الرياضى القديم ، وهو يجرّ ساقيه بصعوبة بالغة من بوابة المعدية . إنها بطولاته في ممر ميتلا شاهدة على مجد أيامه الأوائل . أم قطف ، والشيخ زويّد ، والعريش ست كئائب تبدأ في سحب قواها ، بعد ثمانية وأربعين ساعة فقط من مواجهتها للخطّة قادش .

كان تكتيكاً محسوباً ذاك الذى عزّز به الجنرال ناصر جيشه ضد الإنزال على مشارف أطرافى ، فيما شوكت ، والبورسعيدى عبود السحت لم يزلّا متمركزان وسط اخواتهما بالموقع سدر ، لم يصابا بأى خدش .

غارة من بعدها غارة ويا حبّذا لو تأملنا بؤبؤ عينيها الجياشين

بالصَّوْبة ، والتحفُّز .

لن يُوفى قدر ما أحسَّاه ، واستطال من قامتهما ، توَّ إعلانه
الجهير .

ولن يكفي كلُّ ما يُقال عمَّا تخلَّق داخلهما ، لحظة أن صُدِّما
بانسحاب الفرقة الرَّابعة .

إنني لا أتجاسر على توصيف ذلك الحراك الذى ينمو حثيثاً بين
جوانح بشرنا ، فى أوقات بعينها ، ثم فجأة ينضج بالطريقة التى لم
نكن لنألفها . بل ويكاد يكون عادياً جداً ، أن أشهد بنفسى
تحولات كم هى بالفعل مُبدهة ، فى أفعال من لم نعتد منهم ذلك.
إلى هذا الحد ، مازلت أشغف بتسمُّع كل ما يقودنى إلى
مساع بكر طازجة. وكلما استمرأت ما أقوله ، يُردُّ علىَّ صداى:
أَيُّهَا الغسق كم أنت جميل ورقيق . أَيُّهَا الليل
أَيَّتْهَا الظلمات المنعشة إِنَّكَ بالنسبة لى علامة
على عيدٍ داخلى . الومضات الوردية التى
تنسحب على الأفق كاحتضار النهار* ، تترع إلى
تخليصى ممَّا استحلَّنى من عكارة لساعات طوال . العميد الشريينى
والأستاذة آمال ، وفادية الحسين ، بمنطق من يستعيز بسعيه عن
شروخ متوالية ، يولون وجوههم صوب أفاق قد تعد . أمَّا ما
أخاله يترسم على وجوه بعضهم جرَّاء اللافئات ، فهذا ممَّا لا يجوز
التوقُّف عنده ، أو التَّمادى فى اعتباره مُفارقاً. السيد صبح، وقوطه
والبدري والمصرى وقمصان ، وجوه لا يرون هم بأساً فى مطالعة
سمتها ، دون أن يكون هذا ، دليلاً على شىء ، أو رهاناً يتحاجز

استثنائياً عند أحد .

سواء عندهم إن هم انتووا فعل شيئاً أم لم ينتووا .

تلك هى الحال التى تُبدد فيها الكائنات أيامها .

وقد يُظهر طائر البينو تألقاً مفاجئاً كعادته ، أو ربما ييزغ كقوس قرح على أطراف سمائى . فلا الآماد تشينى عن اجترار شجو خامرنى فى مواقيت لها صدى ، ولا البوح بقادر على أن يملأنى استطابة . فهل مغتمة أنا من ذلك الفتور الذى علا وجوه من اعتدت أن أطلعهم ؟

أتشوف لمرآكم جميعاً أنتم أيها الخارجون بغلالة من ذهب الشفق الشفيف .

صُعدُ لمدارجكم أنفاسُ منا تحيا للبهجة ، وتنكشف سمواتكم واحدة تلو الأخرى ، مأخوذة بطلاوة طلعتكم ذات الحضور السابغ . فلمن أهدى منكم نخب الخطافى بضع زفرات تضوى بألق بحرى الذى يرتعد ؟ لكن منذ متى وأنا لست مغرمة هكذا ، وعلى نحو كامل بتحلياتكم تلك ؟
لكأن كل ما خلا احتشادى لتلقى أطيافاً بى تعبر ، يتبدد غير مأسوف عليه .

ليس استعادة الشئ كعاشته .

أيان . أو أين هذا الذى كنت يا أنت تُخايلنى به ، وبصخب أنواره ؟! وإذا ما قالوا أنه لكازينوا بلانير - يا ضوه - وصاحبه سيمونينى ، هيأت مويجاتك لابتعاث جديد ، واحتفاء بسويغات تكون فيها الظلمة غير راسية ، أو مكتثرة بسوادٍ يُناجز .

أعلى أن أدعى دوماً أنني غير مُتحفزة بتاتاً ، ونهائياً إلا
لمشاهدات كهذه ؟!

إن ما عمدتُ إلى استرعاء انتباهكم إليه هو أنني - وفيما دون
ذلك - لا أصرف سويعاتي بسخاء هكذا ، حتى ولو تيسرت لي
فترات إراحة تستكن فيها حركتي ، خلافاً لما هو عاد .

ففيما مضى كنتُ لا أملُ ممَّا يقصُّونه عليَّ مجاوريني ، عن
فيخاؤبن بتاه متيك الأول ، وكنتُ أسترسل معهم في تصوُّراتهم .
وأظن أنَّه كيف أنه لولا نبوءة هذا الكاهن ، لكتبتُ لي حيواتٌ
سابقة ، وكمَّ ما كنتُ سأترع به من تخيُّلات . إذ ما أهمية أن
أكون معبراً بين نوعيَّات زحمة من الحياة ، دون أن أتورط في
تمثلها، وإعادة إنتاجها بالقدر الذي يمكنني من استنطاق الحيِّ فيها،
وأيضاً كل ما هو غير ذلك .

نحن كائناتٌ ما إن تستتمُّ اللحظة ، حتى نودعها إلى حديقة
من حدائق الفناء . ثم غداة ما يتلوها نُفاجأ بانشطارتنا ، ولا نكفُّ
جوايين نبتحت عمَّا يكون قد تبقى .

صاحب الجلالة الملك فؤاد ، وصاحب العزة عدلى يكن باشا،
والمسيو جونار ، يتوسَّطون هاهم أصلان يوسف قطاوى،
واسماعيل رمزي باشا ، والكونت دى سريون ، والبارون لوى
دى بنوا ، حيث تبدأ الألعاب النَّارية في إطلاق قذائفها ، والنوافير
تصطبخ مع صيحات الحشود. وفي تمام السَّاعة الخامسة
والنصف هاهم يعودون مع أفراد حاشيتهم إلى يَختِ المحروسة ،
فيما أياديهم مشغولة بالتلويح للجماهير الغفيرة المطلة من شرفات

المنازل ، والمحتشدة على الضفتين . الكل اخترق قلبي
الفارغ ، كل الأشياء : وطأة البيوت ، بساطة
الدارابزينات ، ومقرعات الأبواب ، وربما
آمال طفلة على الشرفات . الكل اخترق قلبي
الفارغ ، مع شقوق دمعته . آوَاه لو تمنح تلك
الهنية من المساء حنوما للشارع * .

*

{9} ﴿بوغت . ولم يبقَ منك إلاَّ أحزان﴾

يشير الضابط لزوج العسكر أن يتخذا مكانهما على جانبي
الباب ، ويقف هو بحرص في المواجهة يتسمّع لأى صوت
يصدر من الشقة .

ولأنه لا يصل إلى شيء ، يدق جرس الباب .
لا يسمع صوت أقدام تأتي لفتحه . لكن يُخَيِّل إليه أن هناك جلبة
ما بالداخل .

يُفتح الباب ، ويظهر فهم منحنياً بجزعه ، ومخرجاً كيسين
من البلاستيك مملوءين بالزبالة . يتطلع لأعلى فيواجه بالضابط
وزوج العسكر .

يدفعه الضابط جانباً ، ويدخل سريعاً معطياً أوامره بتفتيش
الشقة ، فيندفع الذين كانوا واقفين على السلم فى وضع استعداد ،

ويدفعون باب الحجرتين المُطْلَتَيْنِ على الصَّالَةِ . وقَبْلُ أَنْ يَسْأَلَ فَهِيْمَ الضَّابِطِ عَنْ إِذْنِ التَّفْتِيْشِ ، أَوْ تَظْهَرُ مِنْهُ أَىْ بَادِرَةِ تَمَاسِكِ أَمَامِهِ ، كَانَ أَحَدُ الْعَسْكَرِ يَخْرُجُ مِنَ الْحَجَرَةِ قَابِضاً عَلَى ذِرَاعِ ابْنَةِ زَوْجَةِ فَهِيْمٍ وَهِيَ بِالْكُلُوتِ فَقَطْ . فَيَمَّا عَسْكَرَى آخِرَ يُطَوِّقُ أَحَدَ الرِّجَالِ - يَبْدُو فِي الْأَرْبَعِينَ مِنْ عَمْرِهِ - وَيُدْفَعُهُ إِلَى الْأَمَامِ . ثُمَّ يَجْرُهُ إِلَى الصَّالَةِ ، وَهُوَ يَسْتَرُ جِسْدَهُ الْعَارَى بِالْمَلَاءَةِ الْمُقْلَمَةِ ذَاتِ التَّرْبِيعَاتِ الصَّغِيرَةِ الزَّرْقَاءِ . وَفَهِيْمٌ وَقَفَ مَسْنُودٌ عَلَى كَنْبَةِ الصَّالَةِ مُطَاطِئٌ الرُّأْسِ فِي فَرْعٍ وَخُضُوعٌ ، حَيْثُ صَوْتُ صِرَاحِ الْإِبْنَةِ الْآخَرَى لِلزَّوْجَةِ يَتَعَالَى ، وَأَحَدُ الْعَسْكَرِ يَجْرُهَا مِنْ الْمَلَاءَةِ الَّتِي تَحَاوُلُ أَنْ تَتَمَسَّكَ بِهَا حَتَّى لَا تَتَعَرَّى ، وَبِيَدِهِ الْآخَرَى يَقْبِضُ عَلَى زَوْجَتِهِ الْمُسْتَسْلِمَةِ لَهُ ، فَقَطْ يَنْدُ عَنْهَا بَعْضَ حَرَكَاتٍ بِالْكَتْفِ وَالْيَدِ تَدْفَعُهُ بِهَا عَنْهَا . يُصْدِرُ الضَّابِطُ أَوَامِرَهُ لِلْعَسْكَرِ ،

إِذْ وَأَنْتِ فِي يَفَاعَتِكَ تَلُكِ تُرْجِيْنَ مِثْلَ الْكَثِيرِينَ مِنْ أُنْبَاءِ جَيْلِكَ ، إِلَى فِضَاءِ بَلَا مَرَسَى . تَذَرَعِينَ حَجَرَتَا بَيْنِ الشُّرْفَةِ وَالْبَابِ . وَتَلُوْذِينَ بِالشُّعْلَةِ الَّتِي حَبَّتْ ، وَبَقِيَّةٍ مِنْ طُمُوحِ . خَمْسَةَ أَعْوَامِ تَسَرَّبَتْ كَغَابَةٍ مِنْ عَتَمٍ . تَوَلَّيْنَ اعْتِبَارًا لِمَا يَنْبَغِيْ ، فَيَنْكُصُ وَلَا يَكُونُ . وَكَلِمَا حَكَتْ لَكَ أُمُّكَ بِصَوْتٍ مُتَهَدِّجٍ عَنْ أُخْيَلِكِ الَّذِي هَذِهِ الْمَرْضُ ، تَتَذَكَّرِينَ عَفْوِيَّتَهُ وَهُوَ يُحَاكِي

بانزالهم جميعاً إلى عربة البوكس
المنتظرة في الأسفل .

وعندما يُغادرون جميعاً ، يُغلق
الباب وراءهم ، ثم يسير سريعاً بجوار
الذرازين ، حيث يتقدمهم .

طلب منى أن أطلع لها . وأعطيتها
علبة الأسبريه . ظننت أول الأمر ، أنه
يفعل ذلك إكراماً للجيرة . ترددت في
أخذه لغلو ثمنه ، فحاول أن يظهر لها
في صورة الرجل الشهم . اتضح فيما
بعد خطئي . المسألة لم تكن مثلما
تصورت . علاقته بالنساء لا يمكن أن
تكون بلا غرض . حبه لهن يتغلب
علي أي أخلاق عنده . يبدو للناس
مُهذباً ورقيقاً . وأنا فقط الذي أعرفه ،
وأعرف ما يدور في صدره توّ أن
يرى امرأة جميلة .

أحسّ بجاذبيته عندها ، ورأى في
عينها نداء تحاول أن تكتمه ، فظنّ
أنها من عينة نسوان المحلّ . يخضعن ،
ويتقبلن بسهولة أن يدخل بهن الحجرة

لك بجسده
الممشوق كيفية
أسره لإبراهيم
جالو ، وائتماره
بأمره في
الانبطاح على
الأرض . و غضبة
عينيه ، ثم استكاته
عندما كبّل يديه من
خلف ظهره .
إنّها سنوات
صوتك يا أخي ،
والغضارة التي تتعيش
عليها . ثم تصير إلى
حتف لا يشفع لك
فيه شيء من هذا
العنفوان .
نفس اليوم الذي
تغرب فيه شمسُ
أمّك ، يكون
تسلّمك لوسام
الجمهورية .

الدَّاخلية ويفرّسهن .

رفضت الأسبريه بلباقة ولطف ،
وقالت لى : " قول له ان الأستاذ شوقى
جابهولها انبارح " .

فشلت الخطّة ، واضطراً أن يفكر
فى مدخل آخر . صحيح طول العشرة
جعلتني أحبه كثيراً . عطفه على أى
شحات ، أو أى شخص يطلب
المساعدة ، لا أستطيع أن أنكرها .
يأتى رمضان فيتوافد عليه العشرات
الذين تعودوا أن يعطيهم ممّا أعطاه
ربه . فى الغالب وكما أعرف الشيوخ
فقط وكبار السن هم الذين يكثرون
الصدقات بهذا الشكل . لكن عصام
أيضاً ، ورغم شبابه يفعل كما يفعل
الشيوخ . أربكنى هذا ، وأدهشنى فى
بداية اشتغالى عنده .

كنت أراه يعطى الصدقه من هنا ،
ويوزعنى من المحل عندما تدخل
امراً جميلة ، بل أحياناً أى امرأة
كبيرة كانت أم صغيرة . وبدأت
أعرف السبب، وأخلق بمفردى ودون

أى سعادة
منقوصة تضنُّ بها
عليك الحياة ؟ وأى
حافز يجعل شفتيك
لا يبرحها
الابتسام ؟! بلى
إنك أنت يا هدهد
التي تنضحين
بمرارة تُجاهدين فى
إخفاها ، بوفرة من
الضحكات ،
وبحيوية لا تنتهى .
افتحى الدش ،
وإثى بقناة **vox**
التي تستهويك
برامجها . أنتِ
بمفردكِ ، والوقت لا
تنقضى ساعاته .
وهاهى أمامك
مشاهد من مجتمعات
الكانا البدائية التي
تعيش فى جزر

أن يقول لي حجة أخرج بها . ولمّا
عرف أنى عرفت ، لم يتنرفز أو
يظهر غضباً . كان يعرف أنى لابد
وأن أعرف . بل وجد أن هذه ميزة ،
يمكنه الاستفادة منها . وبسرعة جعلنى
أقف خارج المحلّ . شغلتنى أن أراقب
له الموقف ، وأجيب أى أحد يسأل
عنه بأنه فى مشوار . أمّا الأهم هو أن
أشغل أى زبونة تأتى ، وأتحدّج لها
بأى حجة ، خاصة إذا أرادت أن تقيس
فستان بحجرة القياس الدّاخلية . لكنى،
ورغم كل هذا ، وطوال تلك الفترة
الطويلة ، لم أتورط معه فى أى شىء
مما يفعله .

كنت أرجع البيت ، وأشعر بالذنب
كلّما نظرت فى عيني أمى ؛ فقط
لمشاركتنى معه ووقوفى له حرساً على
الباب . أمى كثيرة الصّلاة ، وتقول
لى أن ربنا فقط هو الذى معنا ، وأنه
يقف بجانبنا : " خاف منه ياشعبان " .
أمى ست بسيطة ، ولا تعرف فى
الحياة ، سوى الفاترينة الصّغيرة التى

ميلانيز بار . حيث
لك ييقى تساؤلنا :
لماذا مذ هذا الصّباح
بالذات وأنت
تردّدين هذا الاسم
على لسانك : هشام
سعد عبد السيّد
الذى نشرت صوت
الأمة قصّته ؟!
بآخر خمسة
جنيهاً يمتلكها قرّر
أن يشتري عبوة
بترين ، بعد فشله
فى الحصول على
فرصة عمل لمّدة
أربعة أعوام . سكب
العبوة على
جسده وملابسه ،
وأشعل النّيران فى
نفسه . تفحّمت
جثته ، ووصل
مستشفى الخازندار

تبيع فيها بعض أنواع البسكويت ،
والشكولاته التى أصبحت تغرق
السُّوق ، وتبيعها الآن معظم المحلات
والأكشاك . أمّا الأكلات الشعبية التى
تتقنها ، فأحياناً تعملها عندما تجد فى
نفسها القدرة ، وتبيعها لشباب الحى ،
وبعض سكانه الذين يلحّون فى طلبها
منها بالذات .

فى أحد المرّات عدت . خطوت
عدّة خطوات داخل المحل . كل شيء
كان هادئاً . سكون يبدو معه ، وكأنه
لا يوجد أحد بالمحل . خطوت أكثر ،
لم أسمع شيئاً . دخلت الممرّ الصّغير
الذى لا يتعدّى عدة أشبار ، وببطء
غاية فى الحذر ، رحت أزيح الستّارة،
أبصّ بعينى من ورائها .

كان المنظر شديد الإثارة بالنسبة
لى . وقفت متسمّراً . ولم أستطع أن
أترّحزح . ولم أستطع فعل أى شيء
آخر ، سوى الاستمرار فى تصوّيب
نظرى إليهما . أخرجت عضوى ،
وظللت أدعه بشدّة ، وأنا أنفّرج عليه

بحروق من
الدّرجة الثالثة .
زيغ عينيك .
وشفتاك التى تتفوّه
بكلمات غير
مفهومة ، ثم
ما يبدو على
حرّكات بدنك من
توجّهات منقوصة ،
وغير مكتملة ،
يوحى لنا بحالة
الترّقّب التى أنت
كائنة عليها .
كم تحتاجين أمك
هذا اليوم .
يا ليتك ذهبت
معهما فى هذه السّفرة
السّريّة ؛ فربّما
تكون آخر مرّة ترين
فيها أخيك قبل أن
يلتهمه المرض .
اذهبي إلى نوسة

وهو طارحها على المائدة المستطيلة ،
ومنتصب بجانبها ، يعصر فى ثدييها
بإحدى يديه ، وبساقه اليمنى يسند
وركيها المرفوعين إلى أعلى . ركبة
ساقه مسنودة على طرف المائدة ،
وإصبع يده الأخرى كانت تدخل
وتخرج من فرجها . تتلوّى هى وتتأوّه
بطريقة أنثوية مثيرة ، وتحاول كتم
صوتها بكف يدها . لم أكن أتصوّر أن
يصل معهن إلى هذا الحدّ . مرات
أخرى يبيل إصبعه بريقه ، ويدخله
ببطء فى فتحة شرجها . فينطلق
صوتها ملسوعاً ، ولا تستطيع كتمه،
وأروح أنا أدعك عضوى بسرعة ،
وجسدى ينتفض ، ينتفض بشدّة .
وجبينى يعرق .

فخذها ضخمان . أبيضان ، بل
شاهقا البياض . وهناك بعض التكتلات
فى الأسفل . جسمها كله قطعة
رجراجة من القشطة . وتمنيت أن
أكون مكانه . أنا وهى فقط . لوحدنا .
أفعل مثلما يفعل هو معها . فعلاً يبدو

خدتك المفضّلة ، أو
حدّثيها بالتليفون .
فبإسم الاعترافات
التي أفضت لك بها
ليلة أمس ، احكى
لها عن الشُّجون
الحزينة التي
استيقظتِ وصدركِ
ممتلئ بها . فإن
يكون تمالككِ
لنفسكِ أمامها
جديراً بشخصيتكِ
المصرّة ، فبكائكِ
جرأء الكابوس
الذى لازم نومكِ
البارحة ، لن يُقلل
أبداً ممّا لاحظناه
عندكِ من جسارة .
كل شيء يجري
كما لو أنّكم أطيفاً
تعبّر . لا تمكثون
على حال قط ،

خبيراً . وأبدو أنا ساذجاً . قلة خبرتي
بالجنس كبيرة .

وسألت نفسي ، لماذا لم تأت كل
هذه التَّصوُّرات من قبل في أحلامي .
كانت إثارتى مهولة . وكانت هي
فاجرة . والله وحده يعلم كم كنت
أحترم هذه السيِّدة التي تكبره بعشرة
أعوام . ولم أتخيلها أبداً في مثل هذا
الوضع ، حتى مع زوجها . يبدو أنني
قليل الخبرة بالناس . صحيح . خالي
كان يقول لنا ذلك أنا وأخي : " إزاي يا
خالي ، طب أنا لسة صغِير ، بس أخويا
كبير !! " ، لكن خالي في كل زيارة
كان يُعيد ما قاله ويؤكدّه .

أخي رحل إلى العراق من عشرة
أعوام . وتركنى أنا وأمي نتذوّق مرّة
الوحدة . كان يرأسنا . وبعد غزو
الكويت انقطعت أخباره . أُمي تقول
أنه سوف يعود ، وأنه مازال حيّاً .
وأنا متأكّد أنه مات . شكوت للمتر
وهيب ، ورجوته أن يدلنا على حل .
المتر وهيب الذي مرّ الآن من أمام

حتّى ولو تعاضمت
أتراحكم .
تفتحين باب
الشُّرفة ، ثم تدخلين
لتطلين على حجرة
نوسة التي على
مقربة ، فلا تجدين
شيئها مفتوحاً ولا
موارباً . تتيقنين من
عدم وجودها
بالشُّقة ، تعودين إلى
حجرة السُّفرة ، ثم
تقفين أمام شاشة
التلفزيون لا تدرين
ماذا تفعلين .
و حين تتملّكك
الرَّغبة في التَّبوُّل ،
رغم أنّك قد فعلتها
منذ لحظات ،
تعاودين الذهاب
إلى الحمّام وأنت
تشدّين على مثانتك

المحل ، ولم يشر إلى كعادته " ما
يهْمش " ، يظهر أنه متضابق من
خناقة الصُّبح . أمي تقول أنه له
علاقات واسعة ، وأنه واصل . غاب
فترة ، ثم دخل على المحل وقال لى
: " مالوش أى أثر ! " . سألته إذا كان
قد سأل فى السفارة . قال نعم ، بل وسأل
فى وزارة الخارجية أيضاً ، أما الأمل
الكبير الذى كان يعقده على صديقه
نسيم قويلة الذى كان يرأسله قبل
الحرب ، فخاب ، ولم يردّ على رسالته .
سكت ، وبلعت حزنى . وقلت فى
نفسى انغلق آخر باب للأمل . يبدو
يا شعبان أنك ستشق طريق حياتك
بطولك . وحيد . معزول . وبلا سند .
نعم يا أمى أنا الآن كل شىء فى
حياتك . لم يبق لك غيرى ، لكن لا
يهمك " بكره حتشوفى ابنك حيقى إيه ،
لازم أعوضك كل الشئقى ، والتَّعب اللى
دوقتیه فى حياتك ، وأما يبقى لى محل زى
سى عصام كده ، مش حمل اللى بيعمله ،
وحتصدق ، وحرضى ربنا ، وحمل الخير ،

بيدك اليسرى ،
متفكرة فى هذا
التكرار . وهل هو
لخروجك إلى
الشُّرفة باكراً فور
هوضك من الفراش
لتوديع أمك
وخالتك ؟ أم هو
لسبب آخر . ربّما
كان نتاج هذا القلق
والتَّوتر الذى أنتِ
عليه الآن .
تنتهين بسرعة ،
ثم تأتين لتجلسى
على المقعد المواجه
للتليفزيون ،
فتفاجئكِ السيِّدة
العجوز التى تدعك
ثديها ، وتطلق
فحّات شبة متقنة
التَّمثيل . تتصوَّرين لو
كانت أمكِ قد رأت

هذا المشهد ، فيما
أنت قد أجزمت لها
مؤكدة أن الذي قام
بتركيب الدش ، قد
ألغى جميع القنوات
التي بها أى درجة
من الإباحية .
تقرر إنّه يجب
عليك أن لا تأتي
بالقمر الأوربي
هائياً ، ولا حتّى في
الصباح طالما أمك
بالبيت . ثم تقلين
على قناة الجزيرة
مُشمّزة من
حركات العجوز
الشمطاء الإشعة .
يرن جرس
التليفون ، ثم ما إن
تنهضى متّجهة لرفع
السّماء حتّى
يتوقّف . تُفكرين أنّه

وحجج وخليكى تحجّى ، وف أول كل
رمضان خذك نعمل عمرة ، زى الحاج
حسن ، وأبو أحمد ، والحاج الجبرونى .
صدّقينى يا أمى حيحصل والله حيحصل " .

وهاهى عشرة أعوام تمر ، ولم
أحقّق شيئاً . ولم يحدث أى تقدّم .
اقتربت من الثلاثين ، وأنا كما أنا
مجرّد صفر فى الحياة . لا يعيرنى
أحد اهتماماً ، ولا أمثل شيئاً فى حياة
إنسان . اللهم إلا بعض المشاوير
التي أفضيها لهم . أهميتى من أهمية
هذه المشاوير . من أهمية العيش
والخضار والسّوق . بماذا يسمّون من
يؤدّى هذه الأعمال . قلها يا شعبان .
انطقها . خدام . " أيوه خدام " . مجرّد
خادم عندهم ، يَمَنون عليه ببعض
القروش نظير قضاء حاجياتهم .

اسمع . " الحاج عثمان بينه أهو
بينادى عليك " . لا تتزحزح من مكانك
" سيبه يهاتى " . مرة من نفسك لا
تطيع أمراً . هو مكتوب عليك أن تكون
عبد وهم أسياد . صحيح ماذا أنقص

ربّما يكون الحاج
بركات جوز خالتك
يسأل عليك ، أو
يدعوك
للغداء معهم .
لكن لماذا توقّف ،
ولم يتّصل ثانية ؟!
كل الاحتمالات
جائزة .
تجذّين الجريدة
التي تُغطّي صفّي
العيش الموضوع في
أقصى المائدة ،
متأمّلة صورة معالي
زايد بجوها الجلديّ
المحبوك ، وقصّة
شعرها المرسلة على
جبينها العريض .
تقليين عدّة
صفحات ، وتقرئين
بعض العناوين :
فيلم سنمائي عن

عنهم ؟! ما شغلة الحاج عثمان هذا .
سبّاك . سبّاك كبير صح . " بس برده
سبّاك " . " طرّ " . ثم أنهم ناس لا تقدّر .
سأظل مُمدّداً هكذا على الكرسي .
وقدِمَيّ الإثنتين مرفوعتين على
الطريزة ، والتسجيل مفتوح بجانبني
" محدّش له عندي حاجة ، خُليّه يهاتى " .
ربّما يكون ينادى عليك ليعطيك طبق
المحشى الذى وعدك به . " طرّ ، طبق
محشى إيه وبتاع إيه " . لو كنت
سافرت للسعودية مثل ابنه مسعد ،
كانت حالى أصبحت غير الحال .
لابد من حل يا شعبان . الأيّام
بتجرى ، وأنت واقف محلك سر .
أخذ بنت عيوشة ، وأسافر إلى أى
بلد خليجى . لكن كيف ؟! " أعمل
زى الواد كنتك اللي أخذ تأشيرة عمرة ،
ومارجعشى " . " ماهور حلوه تانى بعد
ما بهدلوه ، ومسحوا بيه الأرض " . ألم
تصمّم على ترك بنت عيوشة " بيّنى
مش حقدر " . لكنها متزوّجة ! متزوّجة
متزوّجة . " بتحبّنى وبحبها ، واحتطلب

حياة الطفل
الفلسطيني محمد
الدرة .
دور المرأة
الفلسطينية على
القناة الرابعة .
ضبط ٣ شركات
للمضاربة في الدولار
بالخارج .
ضبط الشاب
الثرى قاتل الراقصة
المغربية .
تعزيز إسرائيل
لحشودها العسكرية،
وتهديد بإعادة
احتلال الضفة
وغزة .
يُخَيَّل إليك أنك
قد سمعتِ اصطكاك
شكل شيش شرفة
نوسة وهو يُفتح .
وتتأكدين عندما

الطلاق من جوزها " . أتترك زوجها من
أجلك أنت يا شعبان !! أتترك السَّوَّاق،
وتتزوَّج صبي محل . " خدام زى ما
انفقتنا " . هى التى قالت . " ما حدَّش
غصبها " . وصدَّقتها ؟ نعم صدَّقتها .
" وحتجَّب ليه " . هل الخيانة شىء
بسيط . هى قالت أنه لا يحبها .
وتشكو من مغامراته مع بنات حى
الزُّهور الذى يمر به . وكم من
مرة حكّت لى ما حكاه هو بنفسه لها
" بعنظة " ، وبلا مبالاة : " عاوز
يبينلى إنه مقطع السمكة وديها " .

- : " يمكن بيقولك كده عشان
شايك ما بتحبهوش " .

- : " لأ هو كده حقيقى . ظبطته
مرّة بيبوس بنت زوبة الفحلة فى
بئر السّلم " .

- : " خلاص قوليله يطلّك " .
- : " هو حيطلقنى من غير أمّا
أقوله . بيعايرنى بأمى ، وبيقولّى إنى
جرّسته ، وجبتله الفضيحة قدام
أصحابه وأهله " .

- : " هي أمك لسة محجوزة على
نمّة القضية؟! " .

- : " آه ، وبينها مش حتطلع .
السّرقة لبساها لبساها " .

- : " هي سرقت حقي؟! " .

- : " " .

- : " طب قوليله يطلقك ، وأنا والله
تاني يوم حتجوزك " .

ومن يومها ، وأنا لم أرها . ثلاثة
أيّام مرّت ، وهي غير موجودة بالبيت .
أين ذهبت لا أعرف . أين باتت لياليها
الثلاث . لا أعرف . ربّما لم تتحمّل
نظرات الناس ، وراحت عند خالتها
في السّلام الجديد . يجوز . كل شيء
ممكّن ومتوقّع : " بس حتجوز واحدة
خانت جوزها معاك؟! " . " وإيه يعني .
هو إيه اللي حصل بيني وبينها غير حبة
بوس . وبعدين حيحصلّ إيه أكثر م اللي
حصلّ ، وخسر إيه أكثر م اللي أنا
خاسره " . " حقّ أكثر " مما أنا قليل .
يا شعبان أنت لا تساوى شيئا . لا
فلوس ، ولا عيلة ، ولا مركز ، ولا

يأتى لك صوّتها
وهي تتكلّم مع
جارة لم تستطعي
تمييزها .
تغلّقين التليفزيون
والدّش ، حيث
تهرعين إلى الشّرفة .
وعندما تعودين بعد
لحظات ليست
بالقليلة ، تُسرعين
ثانية إلى الحّمّام ،
فيما تُخايلك صورة
السّت اعتماد
ونصفها قد انشلت .
تتماسّ يدك مع
فخذيك وأنت
ترفعين الكلوت ،
فترجُفك نعومة
جلدهما . تكملين
هنّدمة
الكومبيليزون ،
وفستان البيت في

أى شىء على الإطلاق . " ياريت بس
هى ترضى بيك " . " ده اللي بتقوله
دلوقتى ، بس بعد كده حتلعن اليوم اللي
اتجوزتها فيه " . " طرّ " . أستمتع بها
سنة سنتين فى الحلال ، وأطلقها . " مش
أحسن ما أنا قاعد زنهارة كده " . ستطلب
منك مؤخر كبير . لا لن تطلب . وإذا
طلبت ؟ سأشترط عليها أن لا تطلب ،
" ولو حبكتها ، مؤخر قليل جداً " .
صدّقنى لن تقبل . بالعقل ما الذى
يجبرها على قبول اشتراطاتك هذه .
يا أخى لا تسبق الأحداث . لماذا
تفترض دائماً السوء . " خلاص "
ناويت تطبيقها قبل أن تتزوجها . ثم
أنه يوجد ألف حل يجعلك تنفد بجلدك .
قل لى : " شداك ولا مش شداك ؟ " .
" شدانى " . جداً ؟ جداً . " وأكثر من
أى واحدة تعاملت معاها فى المحل ، وكنت
ممكن توقعها ؟ " . " لأ طبعاً . اللي كان
ممكن أوقعهم ، فيهم ستات كتير شذونى .
وقعدت أحلم بيهم " . لكن طبعاً الحلال
أحسن . الحلال راحة . ضميرك يصبح

غمرة من أحاسيس
شبكة .
تنوّجهين إلى
حجرة نومك . ثم
تستلقين على
الفرش ، وتبدئين فى
رفع الفستان حتّى
أعلى فخذيكِ .
ثمّلسين بيدك اليمنى
على فخذك الأيمن
فى سحب إلى
أعلى ، وتحسّسين
موضع عضوك بخفة
وحساب بالغ . ثم
تُدخلين يدكِ من
أسفل حافظه .
تدعكينه بشدّة ،
وتولجين إصبعك بين
شفرتيه قليلاً ، ومن
خارج فى حركة
متوالية بطيئة مع آهة
تصدر منك .

تنصتين مستسلمة
لتأوهات جسدك ،
وتسرعين بإنزال
الكلوت ، وتخليص
قدميك منه ، حيث
تجلسين على
جانبك المعاكس
لمرآة التَّسْرِيجَة
المجاورة للسريـر ،
ناظرة برأسك من
الخلف إلى تدويرة
مؤخرتك المقيّبة
الباذخة ،
وانحناءات حقويك
ذى السَّحْبَة
الأنثوية ، معيدة
تحسُّسهما بشغفٍ
مشبوب وأنت
مستمرة مازلت في
إيلاج أصبعك بحذر
في عضوك .
تُنْهَكُكِ تَكَرَّار

مستريح . لكن لا تتكر أنها " مَرَّة " حلوة . معتقة صحيح " آه " . تخيل ستمتلك واحده كهذه . فى أى وقت تطلبها . وفى أى وقت تعمل فيها " الى إنت عايزه " .

عضوى وقف . عضوى وقف بسرعة . " إيه ده ، مالك يا شعبان أنهارده ؟! " . " مش عارف " . صليت الظهر ؟ " . " بقالى يومين ما صلتش " . " طب قوم صلى . قوم صلى دلوقتى ، وابقى فُكَّر بعد كده براحتك " . " مش قادر " . " سندس راجعه أهى متأخر من الشغل " . " وإنت مالك بسندس دلوقتى ؟! حترجع تانى تفكر فيها " . الوحيدة التى تمنيت أن تنام معها . صح ؟ رغم أنها ليست جميلة ؟ أو ليست جميلة بالقدر الذى يجعلك تتشغل بها ؟ " . " أيوه " . " بس فيها حاجة كده بتشدنى قوى ليها " .

إذن لماذا لم تحاول معها ؟! أنا أحاول معها !! وعصام بجلالة قدره ، حاول معها ولم ينجح . كيف ؟! ظن أن واحدة فى مثل سنّها ، من

السَّهْلُ أَنْ تَضَعِفَ أَمَامَهُ بِسُرْعَةٍ .
وَأَنَّهَا مِنْ الْمَوْكَدِ عَطْشَانَهُ جَنْسٌ . لَكِنْ
خَابَ تَوَقُّعُهُ . أَوَّلُ مَا أَتَتْ لَتَرَى إِحْدَى
الْفَسَاتِينَ الَّتِي أُعْجِبْتُهَا فِي الْفَاتَرِيْنَةِ ،
حَاوَلَ أَنْ يَتَضَاكَحَ مَعَهَا . فَقَطَّ
يَتَضَاكَحُ مَعَهَا . لَكِنَّهَا صَدَّتْهُ .
اسْتَمَرَّتْ فِي اسْتَفْسَارَاتِهَا عَنِ الْأَسْعَارِ ،
وَلَمْ تَتَجَاوَبْ مَعَهُ . ظَهَرَ عَلَى وَجْهِهَا
وَجُومٌ شَدِيدٌ ، وَتَجَهَّمتْ لَهُ . يَبْدُو أَنَّهَا
سَمِعَتْ ، أَوْ لَاحَظَتْ مِنَ الْبَلَكُونَةِ شَيْئاً
مِمَّا يَفْعَلُهُ . يَجُوزُ . حَيْثُ أَنْ يَعْضُضْنَ
يَدْخُلْنَ عِنْدَهُ ، وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا بَعْدَ
وَقْتٍ طَوِيلٍ . وَفَعَلًا ، أَحْسَنَ عَصَامٌ
بِهَذَا ، فَتَرَاجَعَ عَنْ قَفْشَاتِهِ ، وَعَامَلَهَا
بِنَفْسِ الْجَهَامَةِ . " طَبِّ اشْمَعْنِي دِي
يَاشَعْبَانِ الَّتِي عَاوَزْتَ حَاوَلَ مَعَاها ؟ مَشْ
إِنْتَ مَصْمَمٌ إِنَّكَ مَا تَمْشِي فِي الطَّرِيقِ
دِه ؟ ! " . " مَشْ عَارِفٌ . كُلَّ مَرَّةٍ أَقُولُ أَنَّهَا
الْوَحِيدَةُ الَّتِي تَسْتَاهِلُ الذَّنْبَ الَّتِي حَمَلَهُ
مَعَاها " . " أُبَيِّعُ نَصَّ عَمْرِي ، وَأُنَامُ
مَعَاها " . بَلْ أُبَيِّعُ عَمْرِي كُلَّهُ .
إِذَنْ أَنْتِ تَحِبُّ الْكِبَارَ أَيْضًا ، مِثْلَ

الإيلاجات ، وتظهر
حببيات العرق على
أماكن متفرقة من
جسدك . تتأملين
ملامح وجهك ،
ونظرة عينيك في
هذا الوضع ،
مندهشة من كون
صورتك التي في
المرآة ليست مألوفة
لديك ، وكأنها لا
تمتُّ لكِّ بصلة .
الأشعة المنبعثة من
نافذة الحجرة
المفتوح إحدى
ضلفها ، تنسكب
على سطح فخذكِ
المكتنِّز بلحمه .
وكأثة منحوتة
رخامية متقنة
التكوين . تستملحين
منظره ، وتتسحَّبين

ببصركِ عليه حتى
أصابع قدميك ، ثم
تُعاودين تأمُّله
في المرأة .
منظر ساقيكِ من
الخلف وهما
موضوعان أعلى
بعضهما ، ومطويان
في ميل نحو بطنك ،
حيث كمشى
السَّمانتين ،
ووهداث الرُّكبتين
بانثناءهما التي لا
تبدو للعين في
تصاعدها إلى
أعلى ، يُيدهكِ
بجمالٍ حقيقى تحجبه
دائماً ما تردينه من
ملابس . ولولا
الحشية من لغط
النَّاس ، لما استطعتِ
وقف تيار رغبتكِ

عصام؟! " لا ، دى بسّ " . " مش عارف
تأثيرها على كبير ليه ؟! " . " يمكن عشان
جسمها مألوظ وضخم " . " طب ما كتير
كده " . آه لو تخضع لك يا شعبان وتنام
تحتك .

لازم أحاول معها بأسلوب آخر .
أسلوب جديد . أسلوب مختلف . مثلاً
أدخل فيها شمال على طول . بطريقة
تفاجئها ، " تخليها تستغرب " ، وتحسّ
بفحولتى . " آه زى الفيلم اللي شففته
زمان عند الثَّابعى " . صح . " أجرى
وراهما ع السَّلم ، وأحاول أكلهما فى أى
حاجة ، وأما ترد على أزنقها فى الحيطه ،
وأروح بايسها " . " على طول كده ؟! " .
" آه على طول كده " . " بلاش هبل . لو
حد شافك بتعمل كده حتبقى فضيحتك
بجلال ، ومش بعيد يحجزوك فى القسم ،
وتلبس قضية " . " أمال إزاي ؟ " ،
" وفين ؟ " . هنا فى المحل ؟ لم تعد
تأتى . " طب فين ؟ " . فكر يا شعبان .
" مالك كده ! إنت مش حتجوز بنت
عيوشة !! " . " حموت لو ما نمتش

الجارف في فتح
ضلفتى الغرفة على
مصراعيها ، أمام
جميع العيون
ليشاهدوا جمال
عريك .
ترفعين ساقك
اليسرى مبتعدة بها
عن اليمنى الملاصقة
للسرير ، ثم تُحرّكين
مؤخرتك باتجاه
المرأة في وضع
مُواجه ، وعينيكِ
موجهة على
انعكاس صورتك
داخلها . تجذبين
المخدّة الصّغيرة التي
تسندين بها رأسك ،
وتضعينها أسفل
عُجْرك فيزداد
بزوغاً . تكملين
رفع ساقيكِ ،

معاها " . " خلاص روحها دلوقتى ، أهى
خارجة من مكتبة بورفؤاد ، روحها ،
واتحجج بأى سبب وكلّمها " . " أقول لها
إيه بس ؟! " . فكر بسرعة " خلاص
حتدخل العمارة " . " مش حينفع . مش
حينفع " . " إيه ده ، عربية البوكس حتقف
هنا ليه . لمين ! " . " إف . بينها جاية لحد
هنا فى عمارتنا " . سندس . " إنسى
دلوقت سندس ، وشوف العربيّة دى جاية
لمين " .

" أروح أسأل " . " لأ . خليك مكانك ،
مالكش دعوة " . أفق على الباب ،
وبمجرد وقوفى سأعرف .
" العساكر دول أعرفهم . عساكر قسم
بورفؤاد اللي جنبنا هنا " .

" أيوه همّ ، الصول عطية أهو
والعسكرى عبد الله " . أتذكر ما حدث لك
العام الماضى مع الأسطى على كرامة
وحجزك فى القسم ؟ " ما تفكرنيش
والنبي دا كان يوم أسود " .

يبدو أن بيت فهم هو المقصود .
سمعت الضابط بيبرطم بإسمه . كنت

عارف أن هذه هي نهايته ، ونهايتهم .
أنا أوّل مَنْ انتبه للرجال الكثيرين
الذين كانوا يأتون إلى بيته في عز
النهار . وأيضاً في الليل : " قوام
عرفت أنهم جائيين له عشان كده " . أنا
متأكد ، بل أبصم بالعشرة أنهم يعملون
لهم الآن كميناً ليضبطوهم متلبسين .
لاحظ لم يأتوا بعربتهم المزعجة ،
ويعملون كل شيء بهدوء . يطوقون
المدخل بهدوء . ويعطى الضابط
أوامره لبعض عساكره بالطلوع من
المدخل بالإشارة فقط من يده . صحيح
حرصاً واضحاً أن لا يشعر بهم أحد
وفعلاً ، حتى الآن لم يشعر بهم أحد .
نفرٌ قليلون هم الذين انتبهوا لوقوف
العربة أمام العمارة . ونفرٌ أقل هم
الذين يهتمون بمتابعة ما يحدث من
أصحاب محلات الواجة . والسّاكنين
في هذا الحي وتصادف سيرهم الآن .
الحاج عبد الشافي ، وعبّاس الجبروني ،
ويوسف الأقطش ، والعميد الشريبي
الواقف هناك ، بجانب عربته ، والست

وتضغطينهما نحو
بطنك ، فترتجفين
من وقع المنظر .
يأتيك جرس
التليفون عالياً ، فلا
تلقي له بالاً .
مأخوذة بتحسّس
تضاريس مؤخرتك
بانحناءاتها الناعمة ،
وزغها الوحف عند
العانة . إلا أنه عندما
يُعاود الرنين ، لا
تجدى بداً من أن
تلملمى شعث
جسدك ناهضة على
عجل كي تلحقى
برفع السمّاعة .
نقول : وأثم لا
غضاضة في أننا
مازلنا نتبعك بكل
هذا الشّعف ، فمن
الجائر لنا وبحكم

دولت التي انتبهت بعد أن كانت مستغرقة في نشر غسيلها . وشيما بنت الأستاذ مراد الجالسة في بلكونتها . " شفت يا عصام كلامي إزاي طلع مطبوط " . أول ما يأتي سافاجئه بما حدث . وسأطلع إلى وجهه لأرى تأثير الخبر عليه . راهنته على أنهم يديرون شفتهم للدعارة . وهاهو كلامي يصدق . لن أدعه يفلت برهانه معي . سأصرّ على أخذ علبه AXE الكبيرة التي راهنته عليها .

يا فضيحتك يا فهم وسط الناس . " حتعيش إزاي بعد كده " . " يا ربى إيه اللي يخلي راجل يعرض بناته ومراته للفضيحة دى . إيه اللي يخليه يعمل فيهم كده " . الفلوس ؟! من وقت ما وعيت عليهم ، وهم على هذا الحال . لا اشتروا عريّة ، ولا حتّى بيّضوا الشفة . " طب إيه ؟! " . ليس له دخل ؟ أبداً شغال في الهيئة . مرتبه محدود ، وغير قادر على تغطية مصاريفهم ؟ الذى أعلمه أن الهيئة مرتباتها كبيرة .

وضعيّتنا هكذا ، أن نصير من أولئك الذين لا يؤخذ عليهم ما يتكشف لهم من وراء . على أن أحدا لا يمكنه أن يستشعر وجلاً ما جرّاء انتصابتنا على هذا النحو . بل ربّما كان فينا - وحسبنا هذا - شىء من صلاة تجعلكم تلمسون عندنا بعض حماية اكتسبناها من كرّ أيام نحن ميّالون إليها . وأبدا لا يمكنكم أن تثنوا كمّ ما يعترينا من شجو ، وليس أى شىء آخر ، من

كثرة ما يتوالى
علينا من مغايرات
نتلمس وقع
صيرورتها فيكم .
أو حتى ما يتعلق
بطول إطلالنا
عليكم كعين
مفتوحة دائماً
ترصد أدق
خلجاتكم في
تراكم لحظي
لأنهاى .

وحتى لو مرتبه صغير ، يشتغل أى
حاجة بعد الظهر . سواق مثلاً . يفتح
كشك ويقعد فيه . " بس ما يعملش كده
فى بناته " . " دول مش بناته " . لكن
فى حكم بناته " طالما فضل فتره
يرببهم ، يبقى فى حكم بناته " . " تفرق " .
ربما لم يكن يعلم . " إزاي؟! " . " أنا
كنت بشوفه يطلع الأول ، وبعديه بشوية ،
يطلع الكام راجل اللي جاييهم معاه " .
حقيقى يا فضيحتك يا فهيم أنت
وعزيزة وبناتكم .
" فضيحتكم بقت بجلجل ، بقت رسميه " .
" يمكن حكاية قمار ، ولأ مخدرات ولأ أى
حاجة تانية . خلاص خلتهما آداب
بسرعة " . طبعاً . يوم ما حكى لى ابن
الحاج سلامة " السنة اللي فاتت " عن
حكايته مع صفية بنتهم . وزوجته
عزيزة لم أصدق . لكن بعدها أكدت
لى الأيأم كل ما قاله . كل الأشياء
التي رحت ألاحظها وأنتبه إليها أكدت
كلامه . " حاجة واضحة زى الشمس " .
" براقويا فالج . روح بقى هات المخذة "

اللى وقعت من فوق دى " .

" فى صريخ ، صح ؟ " . " يمكن متهياك " . أو ربّما بنت زوبة الفحلة المتخلّفة عقلياً . " أمّا أبص فوق كده " . لا يوجد أحد يطل من البلكونة .

" بتاعة مين المخدّة دى ؟ " . أدخل بها المحل ، وأى واحد " حينزل " يدورّ عليها أكيد " حيسألنى " . " خلاص يا شعبان وديها دلوقتى " . رائحتها معطرة . عطر نسوان . " يا خسارة اتوسخت . أدخلها جوّه أحسن " .

الواحد جاع . طوّل بالك . باقى ساعة ، ويأتى عصام ، ويستلم مكانك . " افتكر تروح تاخذ السمك المشوى ، وتطلع على أمك على طول " . " الواحد نفسه فى فرخة كده يمزرها ، ويزلظ وركها . ماجيبش فراخ ليه ؟ مش انبارح عصام إذاك ثلاثين جنيه كده فوق المرتّب . آه . فرح انه باع كذا كرتونة إشارات جملة ، ومرة واحدة . فادّانى بس ثلاثين جنيه . كان مفروض يدينى أكثر . هو عارف ظروفى . أنا أولى من اللى بيقتوا عليه ويساعدهم . صحيح الزمن مايبديش محتاس ولا حد قلع اللباس . بتنكت يا شعبان .

فى هيصّة برة . بيئى منزلهم أهم من الشّقة . فى حدّ بيعيط فيهم أهو . أمّا أروح أشوف .

يخربيتك يا عزيزة . كده عملتى فى بناتك كده . عجبك منظرهم دلوقتى .

أنتى يا شهد . إنت اللى كنتى أمّا بتشوفينى واقف على باب المحل بتبقى مكسوفة . وبالعافية ، تقولى السّلام عليكم ، وتبقى مش قادرة

تنطقى الكلمة . أبعد شيء كنت أتصوّره . يا خساره يا شهد يا خسارة
يا صفية . أمكم ضيّعتكم . أه يافهيم يا ملعون تستحق كل اللي بيحصلك .
تستحق الضرب بالجزم . وتجّر كده زى الكلب الأجرى . وإنتم يا خناشير
يا أولاد الكلب دول زى بناتكم .
لأ . المرّة دى الصرخة قوية بينها جاية من العمارة اللي هناك دى .
عادل أهو وأبوه بيجروا . رايعين لنفس العمارة . يبقى حاجة حصلت
عند الحاجّة سوسن . أكيد حاجة حصلت .
سيب يا شعبان المحل مفتوح . مايجراش حاجه . واجرى بسرعة
شوف إيه اللي حصل .

*

{10}

✽ ما قد عرفنا بالتّحديد اللحظة الّتي
ستنجو فيها حياتنا ، لأنّ القمر غسل بالمياه
حروق الجياد* ✽

بتوصيف غاية ، نقول ، ويجب أن نُشدّد . من شأننا أن نتعرقل
في مساءٍ مظلمة . نحن الذين تُبزع الكامن في وهمج
الضوء . المالكين لرباط جأشنا ، نجىء ونذهب
لحدود السماء* . ودون ماعدا أخيوالات سديدة ، نحن لسنا
مأذونين باستعطاف ، ولا نتخذ من السيّاح شرفة . نصطفّ في
مساحات لنا متساوية ، ونرغب لو ظلّت نهارات كهذه ، مكنوزة

بغيمها الشَّفيف ، لوقت أطول من الزَّمن .
 بيد أنَّه وفيما تلا مكث عمّ لوقا المنتظر ، في وحدانيته المنصّنة
 مع شأى العَصيرات ، لمنوط بنا أن نزاُمِلهما هو وامرأته في بعض
 أحاديثهما الرَّحيمة ، وربّما نجد من الدَّواعى ما هو مُبرّر لأن
 نتبعهما لآخر الشُّرفة . حيث قد يتَّخذ أحدنا ، وبناء على تقدير
 دماغ من جهته ، موطنه المقرَّب ، أسفل أصص الصَّبَّار ، على
 أريكته التى صنعها من خشب الموجنة اللامع . إلاَّ أنَّه ، وكما
 ينبغى لأفق قد جُنَّح لشدّ أزر ، لايجب علينا بالضرّورة إلاَّ أن
 نتماهى مع إضاءاته التى انفجرت تُحلّق فى شاهر ، وتطرح بقواها
 الذاتيّة ، كل مامن شأنه أن يُلجِّمها أو يُحيلها إلى الرّحف أرضاً .
 إذ لاضير بالقطع - وليس هذا زهوة بواجب - من أن تُنعت
 بواهى الامتدادات ، أو أن نصير مُتّكاً لكثير من معوزينا طالاب
 البهجة ، أولئك الذين تحتقن بها أيّامهم ، ورغم ظرفيّتهم التى
 يغطّطهم عليها السّابقون ، لايجدون مرتعا خصبا لتحقيقها ، حين
 يُضرب عليهم الخواء سورا .

لكن ومع ذلك ، ولتقدير منّا نجد له حُججه الدّافعة ، علينا أن
 لا نغبط لكون الأصابع التى مافتتنا ندّخر لها صفحات مكنوزة بما
 لأبعد من عوالم تبتغى كائناتها، لم تقترب يوماً من العدد الذى نظن
 فيه بعض احتفاء . ولا يُقلل ذلك - حتّى على افتراض بقاء
 الوضعية على ما هو كائن - من كوننا على يقين بممكّناتنا
 المركّزة فى عمق . والتّى لا تنتظر سوى مستصغر شرر لدى مَنْ
 نعتّه بصنوّ ريح، حتّى تنطلق قعقة زلزالها الذى يُقوّض، ويُشيد .

أما إذا حقّ لنا أن نتساءل عن أولئك الذين يتخذون منا محلاً
تداولياً لحراكهم من وقت لآخر ، قلنا هم تقريباً ثلاثة فقط على
الأرجح ، رابعهم طاهر . فأخبرنا يامن تحبّه دفتينا أين
ترعى ، أين تربض عند الظّهيرة . مياه كثيرة
لاستطيع أن تطفئ المحبّة والسيول لا تغمرها* .
وسواء رُمقنا ببعض عوز ، ربّما كان من شأنه أن يُعرقلي ، أو
أحتفئ بنا باحتذاءات تبغى قداسة ، أو تثبتيًا لسّمات يظنّها
الرّاؤون هناك ثاوية ، فهذا ولا ريبٍ مجتمعنا الذى تتعارك فيه
طواحيننا المُعذّبة بمجازاتها ، والّتي تُحلّق كويثناها عند كل مفرق :
المفارق المنطقى المتخالف ، والعنف الرّمزى ، والسّمطقة ،
وشبكات السّلطة ، والبرادوكس ، والسّرديّات الكبرى ،
والباتافيزيكا البعدية ، واللامركزية ، والهولوجرام ، وأساطير
الوعى ، والشّعنة ، والتّيموس ، والتّفكير فى التّسبي . بما هو نسبي
وليس بما هو مطلق ، والأغلوطات المعيارية ، والدّجماطيقيون ،
والأمان الوجودى ، والسيّاقات الظّرفية ، والمنهج الجينالوجي ،
والنّسيج البوليفوني ، وعموم اللفظ وخصوص السّبب ، والخطاب
المعلق ، والكرونولوجية ، ومعهود العرب ، وجراثيم الأيديولوجيا ،
والدّفاع عن التّسق الذى نستمد منه التّعظيم والتّبجيل ، والمؤقّية ،
والكروتوب ، والجملة الثقافيّة ، وعبدة النّصوص ،
والكوزموبوليتانيّة ، والفلسفة فى الجسد ، والمكّد ، والتّأويل
التّفعى ، والمجتمع التّداولي ، والجراماتولوجيا ، والمضمر التّسقي ،
والاختلاف المرجأ ، والبناء المونوليثيكي ، واتّجاه حركة النّص ،

والدازين .. إلخ إلخ ، كلّها مناظير رؤية تجد تسويغها المحكم لدى عدسات عين ، ما إن يرتديها أولئك الذين يعكفون بكبير كدح على اقتناص الشُّهب الطليقة ، بوصفهم قراصنة مجبولين ، حتّى يُرهصوا بصياغات آخر لطافات تسوق إلى مأجوزها ، في حومة مسيرة ملتاعة ، محال أن تعرف مقرّ لحطها عند مطلع أيّ شمس . إلاّ أنّه ، وخلافاً لما يستنطقه العمّ لوقا بالطريقة الأكثر سوغاً له ، وإزاء الأرق الذي يُشرق يومياً على طاهر ، نُحاجج شأننا بتدابير لها مصداقية ندّعيها في الفحص . ونضع في حُسابنا كافة العناصر التي ويجواز تباين طرائقها الحتمى ، تعمل على أن تكون هباً لخرائط من ذائقة التلقى . فهلاًّ أقبلت أيُّها المشاء المخال تنشدنا بعضاً من أسجوعاتك ، حين تتحرّى جلسة لك فيها مع العمّ لوقا وُدّ صخب .

لاشئ أكثر فتنة من إسناد جزءاً إلى الحائط ، وقليل من نكهة البنّ التي يُختصّ بها ساعة العصارى . ثمّ وبموجب شهوة الجنوح إلى تواريخ لها في الذاكرة ثقل ، لامراء من حكاو تتعلل أكثر خطاويها زهوة . وبانعطاف لأيقدر ميله تنطلق ما بين خمسينات القاهرة ، وستيناتها . حيث الفندق مونتانا الذي كان يُديره العمّ لوقا بنجومه الأربع ، واللوكندة العمومية بمطعمها المتشّش الذي كان يُخادّن فيه مقعده مقعد عبد المطلب . ثمّ الوجاهة التي كان يُصادفها دوماً في سمت فريد شوقي عند عودته ليلاً . إذ وبأكثر ممّا يتطلّبه الموقف من مشاعر ، يروح يتأمّله ، وهو واقف مع نفر من أصدقائه أسفل مكتبه في عمارة الجندول ،

وضحكاته التي تُجلجل ، وتذرع في صخب شارع فؤاد . وتجعل
 المخيلة تتفجر بآمال يظنها قد صارت مأذونة بإمكان .
 نعم هو الحنين إلى أجواء تتمرأى وقائعها بالصورة التي لا تفتن
 أحداً غيره ، أو ربّما فرادى قليلين . حيث طوال الليلة
 المقدسة تُسبح الوحدة نجومها التي تتناثر* ،
 ويُعاود طائر البينو إطلاق صيدحاته بقدر مالدى العمّ لوقا من
 غوامض تنده : انهضوا أنتم ياسيرفانتوس . يا
 بوريس ليونيدوفيتش . يابرامنتى . انهضوا .
 الذكرى الأبدية . أين أميرك أيتها العجوز* . بل
 وأين قوارب الضو التي لا تُهسهس ، إلا بلغة الأيام الزواهر لرأس
 يتجاوز حتفه . لك المسرة ، أو لك العدول النهائي عن مواطن
 شرك . ولك ما تُغالب به وفرة من الملجّات ، فإذا بالفيض
 يفتح مساراته ، ويسترسيل دون أن يتمترس في وجهه ، أو تُخلّق
 له الحرايين . أمّا إذا أنفأ سوّغت للمسيرة خطاؤ حددت مواقعها ،
 بحسابها مُرتكز ، ثم وبغير المرغوب فيه أورثت لسانك جدلاً يجد
 تموقفه عند محط ، ومع طاهر لأيعاود سجّاله إلا على استحياء ،
 فأنت على مانعقد من الناظوريين الذين لا يقطعون الشوط إلى
 آخره . وشأنك ممّن يُلاقى الصّد هونا .
 عمّ لوقا . قل لنا . بحصافة لا ينقصك منها شيء ، وبعموديّة
 قطعت بعدها أشواطاً طويلة في جحد الشيطان ، أنبت قد
 استنمت إلى إهاب تُخاصم فيه الجسارة منازلها ، أم أن الممكنات
 صارت من ثم تُلجّنك إلى التقيّد ، بما أصبح يُزامل لديك سنّى عمرٍ

أشرفت؟!

عموماً أنت مُحْتَفَىُّ بك ، وجدير بالميل دوماً إلى سكن يُبدد
فيك دواعي شطط . وهذا الذى ما فتئت تصنعه لك بمهارة امرأة
ما زال يُعزى لها كثيرٌ من ودّ ، ونجاح فى تفرّغ غضبات فيك
كظيمة . ثم أبداً ، ورغم بعد الشُّقة لم تكن يوماً إلاّ سَمَاعَةً
لأحاديثك العصيّة . وتولها تارك بمراء لا يزيدها فيك طاهر إلاّ
جموحاً . فهل أنت تمتدح الونس بالانصات إلى مُقرّرين يقضى
عليهم الواجب بأن يودّوا ، فى نفس الوقت الذى لاشئ يمنعك
من التّباهى بصخب يسفحونه عندك بين فواصل رتيبة ؟
على نحو يدعو للتأمل ، لم تكن أماسيك مع طاهر ، أو
الأستاذ رزق ، أو جيرانك الحميمين إلاّ تخلّياً عن ترسبات تروح
فى البال بغشم عرف .

ثم فقط إنّه طاهر الذى يُضىء أفقاً وراء أفق ، ويقذف بك فى
سنك السبعيني فى أتون التّساؤل . وعند ذرى بعينها ليس هناك
من بدّ سوى الاسترواح بالذى عادة ماتنى تقصّه ، وبين شفّتيك
تمنحه الحضور بغوامر فائضة . أم كلثوم حين اكتسبت استحساناً
رائعاً ، واحتشد لها الآلاف فى حديقة المنتزه ، وعبد الوهاب الذى
أحيا حفل زفاف نجل لطفى باشا شبارة بجارة القمر . أمّا المحامى
حلمى الدّمياطى فكان لفريد الأطرش معه لعلعات وتطريب ،
وصبوات شاهقة ظلّ يتحدث عنها الناس بعد ذلك طويلاً .
فلمن تهب كل هذه الاستيهامات التى تمتح من بواكير نبضك
الأول ؟ وفى أىّ غور فى الرّوح تُخبئها هكذا ، إذا لم تكن مُهيّأً

لِلإمكانية الوحيدة لضرب سأم؟
نحن نستمسك باللحظات التي تُستقصى من شواغل هذا
وطيسها ، ودون إفراط ندفع بها إلى الأقصى . ولِلإنصاف أنت
مجبور على الكمون في العزلة التي تتخذ منها واجب ، وإذا أُرهِقَ
بك الجسد ، شددت الخطاوى إلى أنصوبة صيد على مرسى
المعدّيات ، دون ونس . وفي كل الأحوال تبقى دوّما الخلو الذي
يسعى إليه البال . والافتتان الذي لا ترى فيه بأساً بالتعاضد في
المساحات الشاغرة ، حيث الثمارين التي بالشَّغف ذاته تُطْنب في
ممارستها بإسهاب . وحيث الهدأة صنو للتعجيل بعوالم راحة .
عوالم لا تنحو نحو الكنه الذي قد يمضي إلى ركود ، بالقدر الذي
تولى وجهها في ارتحالات تُعلن الثَّبت في المغامرة .
أجل فلكوننا من مُحركى أطياف تعبر لحدّ الادهاش بين أثر
وأثر ، يحق على من يستكن بين دفتينا أن يدعو الرّغبة إلى أن تهبَّ
نحو ما يرتى ، وهذه شريعتنا مذ ابتدأنا في الكائنية . وبالضبط لا
يُنظر لنا من قبل الآخر إلا بقدر مالدیه من تلوينات عدسة ،
ومرتكز له باع طويل في الانطلاق . صخّ : الأيونيين مراراً تهنّز
بها الشَّفتان ، وتُعلك بالانتساب لحُمياً تتراح بك مؤخراً ، إلى
ما يمكن أن نسّميه بالتَّغوير وراء كل أصل . كان هذا ما حدث ،
وللّآلم يكن هناك مَنء يلتفت إلى الوراء ، فقد
استطاعت السماء أن تتعرّى* . هكذا ردّدت بهسيس
أرجفك ، ثم انطلقت عارجاً بلا ترجيح أو رجوع مع سكتوس
امبيريقوس ، إلى أن حطّطت أخيراً ، وبتفنيده تُحسد عليه ، عند

أدموند بيرك ، وكيرك ، وريتشارد فيجيري ، أولئك الذين دفع بهم إليك مشأوك . فغفوا أنت يجوز لك التشبث بالقنن التي تبرز وامضة حبال العتم ، نعم ، أو تو تنازع أطراف . لكن مامن شيء سيذكر لك قدر ذكر أياديك البيضاء على كنيسة مار جرجس الأرثوذكسية القريبة ، حين توسيعها . وما توجت به من قداس إلهي حبري كبير أقامه نيافة البابا احتفاءً بالمنازعات التي حلت . حيث القمص يوسف زكي ، والمهندس حنا نسيم ، والدكتور سمير حنا ، والشماس زكي بخيت علامات بازغة على حقبة مازالت تُضوى . فأنتي لك ، ثم أنتي لك الزعم بأن ما أنفقته من حياة مديدة هو قبض الريح الذي يُحيلك إليه طاهر مكرراً !

يوماً تعود إلى الصومعة التي دشنتها إجبارياً ، وإزاء ما أوجلتك منه دميانة ، وبرغمها ، وخلافاً لما كانت تُزعم على فعله ، قاومت ، وعلى السجادة العجمي التي ورثتك فوعات آباء كانوا محل نظر تروح تستعيد أحداث كان لها من القلب انخفاة . يا طاهر أحبك ، وبالقدر الذي لا أحسبه جائزاً . ولا يمكنني إلا الشطح وراء مرائك الموغلة في العدم . وحين تبرز كلماتك كومض ، أقول : هذا فتى لا يحق له إلا أن يكون شاهداً وشهيداً . تلتقط أحداً ، ومنهمكاً تظل تقرأ ، وسرعان ماتمضى مخيلتك مُغلّسة خلف ماصكه لك المشاء في حديثه . وتتعجب كيف له كل هذه القدرة على السير ، وصقله بما لا تستطيع معه الأذن إلا أن تميل .

هو في القلب منك نعرف . وكما ينبغي لعازف بيانو مُسهب
في ترانيمه ، ومتنقلاً بين معارج صِبوّة يَخْصُّها ببعض ترخيم ،
تروح تُسهل في التَّجلى ، جاذباً أغنوجات ركزه الخفى ، إلى
نطاق أصابعك التي تُثَبِّت وقعاً كان له إصانة . إنّه بيانو أبيض
القديم الذى تُجَنِّح عليه الأيام الفاتنة ، ويتعاضم عقبها سريانا في
الدَّم بحبور يسم لحظاته ، ولا يُجلِّلها إلا كسرَّ مُقدَّس يأخذ نكهته
من زيت الميرون المشفوع بالأطايب .

تَدْرَع بإهاب تظلّ تستحضره في غمرة مُكابدة بها تلتدّ ، ومع
الفعل المضاد للحضور ، تُولج في غياهب من أطياف تُحوِّم .
العتبة الأولى ، فالعتبة الثانية ، ثم سكرات الصِّبوّة التي تأتى بعروج
مايُفتأ يشدُّك إلى غيابه . فيما على البعيد امرأتك دميانة ترمقك
بعين مَنْ يحنو على وليد ياحبذا لو اشتدَّ عوده الخليق باعاشة لها
أثر . عزيزى لقد قدَّت من الحنان ، وتبين عن قوّتها
رغماً عن ذلك . عزيزى لماذا يكون الإفراط في
القوّة ضعفاً*؟ دميانة آيتها العارفة ذو الجذر النَّابض المحترز
بنبل النوايا ، أكملى مسيرتك بسرٍّ مَنْ يعشق . وابزلى لرفيق
دربك ماتنازل عنه طواعية ، عرفانا بما لم يستطع أن يمنحك إيّاه
غيره . ويومذاك عندما تشرفين على راحة متّصلة ، وتُلجئك الغفوة
التي تمتدّ إلى أن ترمقين أيّاما كان لك فيها صولات نفس ، فلن
يكون لك غير السَّحابة الفخمة التي تتوسَّدُ فيها من ضِووعات
الأزاهر ، تلك التي ماتني تنمو كإسباغ يُباركه كارويم الملك .
فهلّا تمثلت الآن ، على ما يَخْصُّك من شفّتين ، ودّ الابتسامة التي

تَفْهَمُ بوضعية صادقة ، علة استقطاب عين زوجها من طالع جارتها الرُّونق ، متماهية في ذلك مع أقنوم للرضى ، يُكَلِّل في وحدانيته بسرّ الأفخارستا الذى تتحاجرّ دونه أىّ غضاضة .

مازلنا نقول : من الطّبعي لنا نحن الذين يسوقنا الإصغاء دوماً ، إلى سحق الرّجفة الهيّابة على يدّ كلّ مَنْ يُقارب ، أن نعزو أىّ ارتياب قد يُوحى به إلى أحد من إيّاهم يظلّ منتصباً أمامنا في تطلع ، إلى تلك الأواصر التي لاتجد لها سوابق سيرة في ماضيه . لكن ، وبمثل ما في الحميمية من دفء ، قد يمنحها إيّانا أولئك الذين يُفترض فيهم أنّهم مازالو في أوج بداياتهم المتطلعة إلى جديد ، نعمل على التّحلى بكلّ مامن شأنه ، أن يدفع الشّأو فينا إلى الكمون المتربّص لميقات انطلاق ، يكون فيه الاستكناه واجبا ، أو حتم لامناص منه .

فعمّ يدلّ ذلك ؟

أو بمعنى أدقّ ما الذى يتعيّن علينا أن نُكرّس له ، حين نجد العمّ لوقا فرضاً في استثناء يُباغت به زوجته ، قد أتى بالكثيرين من أخذان أولاد البشوتي المصاقبين له ، ثم بدأ في العرض عليهم بشرح مُسهب يتولاه طاهر ، أحد أفلام جان لوك جودار ، أو بيير بأولوبازولينى ، أو أجويرا - غضب الرّب ، لفيرنر هير تسوج الذى أدخله منذ يومين على آلهة القديمة ؟ هل نُكرّس في هذه الحالة لتمثيلات تستعير من تلك الأجواء ما يكفي لفساحة تمنح صوتاً لكلّ مَنْ هو جدير بإظهار تحرّراً ؟ أم ننضام في إهابنا مدّعين بسخاء مَنْ يُعوّض نقصا ، أن لكلّ محرق تأبير يُصنّف كأخيولة

تمتدّ ، علاماته التي هيّ من صنو جنسه ؟
على أيّ نحو ، إن الموقف الاستبدهي الذي يتمتّرس عادة
خلف جاهزيته ، سواء العمّ رزق أو غيره من أولئك الذين يُعزى
إليهم الوفاة كونسٍ ينشر ظله ، ليس بذى الأهميّة التي عليك أن
تُعاود مساجلتها كلما همو بأيّ إفصاح ، مثلما أسررت بذلك
لطاهر ونوّهت في أمسيّات فائتة .

إذ وبحسبان كون الذي ينتمون لسياق بعينه اسراء فساخات
تُنتجها آليات العنّى من مجازات تُتوهم ، عليك أن تكون مُتقبلاً
مُشروطيّة منك تُرتضى ، أطروحة التّحصّن بالترسيمات التي
تمنحهم جداراً آمناً . وكان من الممكن ، وقبيل العرّكة التي
كادت أن تنشب بين مشائك المبتسّس ، والأستاذ غالى ، أن تُلمح
بشدّة - وكما ينبغي لخالق أواصر - إذا ماعمد الأخير إلى نزع
بعض عباراته من سياقها ، والاستشّاطة بها غضباً ، إلى ضرورة أن
تُخصّص لطاهر أمسيّة هادئة ، يطرح فيها ماهو غائب تماماً عن
مُجالسيه ، بل ولا يُتصوّر وجوده أبداً داخل مشهدهم . وهذا
كان كفيلاً وحده وبكلّ يسر ، أن يجعل الجلسة لا تنتهى أبداً إلى
تلك القفلة الدراماتيكيّة التي انتهت إليها ، حيث يقسم الأستاذ
غالى وبموجب أغلظ أيمانه ، على أن قدمه لن تتخطى بعد اليوم
مطلقاً عتبة بيتك .

انظر : إنّنا نُلمح هانها ، ونفرط ربّما بنفس السّخاء ذاته الذي
تجرّع به بوتشيلي Botticeli ألمه ، والثغر عليه ابتسامة ميّنة ،
أن أمثال سافونا رولا Savonarola وجوستيان البيزنطى ، وكل

أولئك الذين لا يدحرون وسعاً في استجلاب جرائم استعاراتهم المقبورة ، لتظل تنهش في جثماننا الذى لا يتهيج إلا بالثُمو ، لجديرون بأنواع خاصة من عنابر الاستشفاء ، ولأمد طويلة . وإليهم نحن نعزو نكوصاً تألق بالعتيمات التى تراكم غشمها ، حين فضت لهم الأزمان دون شريطة . ثم أيضاً نُطلقها صريحة هم أول من يفترض تحملهم لأوزار ذاك الغيب الذى مازالت تتجلى فيه تلك الرقعة من بطيحتنا ذات الجذب . ودوماً لانستند إلا إلى كنهنا المكتر بما لم نُحط به رؤية . وياليت يُفسح له ببعض اجراءات تُشدّد على تفعيل من دون نفى ، أو إقصاء من قبل أولئك الذين دائماً يُنصبون ذواتهم معياراً لقيمة .

أيا عمّ لوقا المتكىء بعينه على أحدنا ، دونما استنطاق لما تُصوّب ، ألب الآن إلى حجرتك الدّاخليّة ، وبدّد ماتستشعره فيك من وطأة ملل كاد مسّه أن يُجرّعك التّهازم .

ارتدى سترتك التى علاها غضن الشّيوخوخة ، ثمّ ادّخر فى باربيها الذى ابتعته من الفتى السّودانى بعض حوادثك عن أيام قضيتها هناك ، حيث عمارة الطرايشى التى كان يقطن بدورها الثّانى الدّينجوان عماد حمدي ، وحيث مكتبك الذى كنت تعمل به صباحاً خلفها . لكن إيّاك أن تنسى أن تُشنّف آذان خاصّتك المقرّين ، بما أفاض لك به ذاك الفتى الواقف أسفلها عن جميل زخم أسرارها .

ثم لاضير أبداً من أن تسوق حديثك بعد ذلك إلى حيث عمارة غمرة ، والبرنس أنور وجدى، وعربته الكاديلك كابورليه،

ثم عمارة إلهامى حسين ، حيث فريد شوقى وعروسه هدى سلطان .

بيد أن الوله الذى تكته لحكاوى الدفاع المدنى لن تُوقفك إلا عند مقهى اللوفر والبرنسات، وشارع صلاح سالم ، والعمارة التى حدث فيها ماحدث ، وظلت تقصه لأكثر من ثلاثين عاما متصلة .

وبهذا وحده يتم لك التسويغ لأيام عشتها ، وأنت تدأب ، وبمنطق التشبع على أن تعب كل دقيقة من قبل أن تفوتك. مُعتبراً أن القيمة التى تسكن حى اللحظة ، هى الدافع الأبقى لأيام آخر لا تجد مايكسبها نكهة الاستطابة . حيث الهشاشة التى تحسها دامعة لكل ماينقضى ، هى التى تُعلن فى وجهك تعاضم افتقارك لهذا الذى يخلفك .

فيكون السؤال أحياناً عن جدوى الاستغناء الذى كابدته ، وعن وقع أحرف شاقك أن تسمع خفق النبض فيها ، حين تتجلى بين شفتين فيها منك شبه . هكذا الأوقات لما تُلجئك إلى فواصل نقاهة ، تشغلها بإجالة العين صوب الدواخل ، ثم لايسعك منها أى إفصاح .

*

{11}
﴿ عفواً . إني أتهاوى ، وبكفينى عزاء
بعض الذى يخضنى من شغف ﴾

فإذا ما	بعد نصف ساعة قضتها مع ابنها فى
أكلتنى	حجرته آخر الشقة ،
الغلمة ،	هاهى مدام رحاب ترتدى طرحتها البيضاء
سميتُ ،	وتتجه إلى الشرفة . تفتح شيشها ، وتدخل
وكان	بتمهل .
إطنابى	الجو عصرى هادىء ، لكنه غائم قليلاً
فى	بفعل بعض السحب التى تسرب ضوء الشمس
أوضاعه	على استحياء .
:	تضع يديها على سور الشرفة ، وتطل
جاثم	برأسها ناضرة باتجاه مقهى وادى النيل .
طأطأ.	مرة أخرى نهار هذا اليوم يطالعهما الرئيس
المنابرى .	رجب بجسده المفتول، وملامحه المنحوتة بحدّة،
دق	وهو يقف بموتوسيكله الأحمر الضخم ، أمام
الطحان .	محل أسماك البرج ، يشير عدّة إشارات لجعفر
حلّ الإزار .	المطل برأسه ، ثم يغلق موتوسيكله ، ويذهب
مزاح	ليجلس على ناصية كافيتيريا الطيران ، فى
العافية .	سكون بادٍ وترصد .
المرجوحة	هى تعرفه جيداً ، وتعتاد حركاته الهادئة
النّيروزى .	الواقفة ، وعينيّه المتمترنين ، وما أكثر ما
شفاتير	أخذت تتابعه من شرفتها هذه بتحريض من
الجمال .	زوجها رسمى. وذلك بعد حكايته الغريبة معه ،
قلع الخيار.	والتي جعلته ، لأكثر من ثلاثة أشهر متواصلة،

يظل طوال الليل ساهراً مؤرقاً ، لا يغمض له
جفن .

تخرج ساعتها ذات الميناء الدائري الصَّغير
من جيب روبها السادة البمبي ، وما إن تنتظر
فيها باهتمام ، حتى تعيدها ثانيةً إلى مكانها .

لم يبق سوى خمسة دقائق ، وتجيء نهلة .
موعيدها سليمة ومنضبطة ، ولا تخالفها
غالباً . وماهى إلا عدّة لفات من رأسها ،
وتلمحها آتية من خلف دوران المقهى .

اليوم ستستعيد معها سعادتها القديمة ،
ولحظاتها التي تغمرها فيها النشوة . كم تشاق
حقيقةً إلى خضوعها الأنثوى المغرى ،
واستسلامها الكامل . أمّا ملمس جسدها البضّ
الناعم ، وتدويراته المنسابة في فوران ، فهو
مافتىء يُخايلها من توّ أن أغلقت السّاعة ملبية
طلبها . حتى رائحة برفانها العبق اللّازع ،
هاهى تشتم الآن فوعاته نافذة في أنفها .

لو لم تعد ، وكانت قد وجدت عقداً مع
زوجها في السعودية ، لما صارت مقابلاتهما
التي ستتعدّد بالتّأكيد من الآن ، وصاعداً ، شيئاً
حقيقياً . هكذا تقول لنفسها ، وتشكر الحظ الذي
أرجعها لها ثانية ، بعد أن كان قد داخلها اليأس

دخول
النّعام فى

وكره.

الرّاجيحى.

لف

الخيزران .

التّسويك.

سلخ

النّعام .

قصة

رصاص .

خرد

الرّخام .

طرّد

عويجة .

تماماً وفقدت الأمل نهائياً ، خاصةً في شهرها هذا الأخير .
لكن لماذا تشعر بكل هذا التوتر والقلق ، بل وموجات
الحزن الغالبة عليها هذه المرة ، رغم أنه من المفروض أن
يحدث عكس ذلك ، وتتلقّى عودتها بنفس راضية ، ومقبلة ؟!
لماذا تشعر بوطأة نفسية ثقيلة ، وضغط بادٍ على أعصابها ،
وليس بصفاء فرح لا تشوبه إلا بعض الأحاسيس المفهومة
والمبررة لها جيداً ، مثلما كانت عليها مقابلتهما العديدة في
السَّابِق .

نعم هي تعرف تماماً ، وبشكل لا لبس فيه ، هذا الاحساس
بالإثم المُعَكَّر للفرحة ، بل وتخبره جيداً ، وما أكثر ما أزداتها
به نهلة تذكيراً . لكن ماتشعر به اليوم ، ليس هو أبداً هذا
الشعور الذي كانت قد اعتادت عليه . هنا تطرق برأسها ،
وتصن قليلاً ، وما تلبث أن تلتفت يميناً ويساراً ، ثم ترجع ذلك
إلى حالتها المزاجية التي أفسدتها بعض المواقف الرَّعَاء ، في
أول النهار مع زوجها ، وعلى الفور تطرحها جانباً ، متذكِّرة
وجه نهلة الصَّبُوح الثَّرَّ ، الذي لم تره منذ أكثر من أربعة
أشهر ، وفي الحال تستعيد كثيراً من إقبالها الذي كادت أن
تفقدته . تعاود النَّظْرَ ثَانِيَةً إلى ساعتها ، وتلاحظ تأخر نهلة
عن موعدها بعشرة دقائق . تتملل ، وتأخذ في الطَّوَّافِ
بعينيهما هنا وهناك بين شقق العماائر التي أمامها ، وواجهات
المحلات ، وامتدادات شارع ١٥ سبتمبر ، وشارع الجمهورية
الذي يتوقَّف بصرها فيه حتى محل ماى توى لهدايا الأطفال .

تُرَكِّزُ بصرها عند دوران المقهى ، وتأمل بين لحظة وأخرى ، أن تطالعها نهلة مقبلة . وحين تفقد الأمل ، وتدير رأسها يميناً إلى الجهة الأخرى من الشارع ، تلمح زياد ابن الحاجة محضية يتعارك مع زميل له على رصيف محل نيوسفنكس . يلقيان بشنط الدراسة على الأرض ، ويمسكان في بعضهما بالأيدي ، ويتضاربان بقبضات اليد . ثم لا يلبث زياد أن يطيح بطاقيه زميله الآخر بعيداً ، ويركله بقدمه ، ويكاد أن يوقعه على بلاط الرصيف ، لولا تدخل أحد الشباب الذى يسير قريباً منهما، حيث يخلصه بسرعة منه .

ثم على إثر صوت جهورى ينطلق من كشك الجرائد المواجه ، وينتبهما هما له متوجسين ، يلتقط كل منهما شنطته ، ويسير عكس اتجاه الآخر .

تشد طرفى طرحتها البيضاء بيديها الإثنتين ، فى تدارك قبل أن ينكشف رأسها بكامله ، بتأثير تيارات الهواء التى أطاحت بالطرحة إلى الخلف ، ثم تعقددهما جيداً ، تاركة أحد الاطراف لينسدل على كتفها ، فى حين الآخر الفضفاض تتركه يغطى صدرها. تفعل ذلك فيما هى تتابع زميلتها السابقة نجوى، وهى تتساند على كتف زوجها إمام بشكل لم تعهده منها قبلاً ، متذكرة فتور العلاقة التى بدأت تدب بينهما ، من يوم رحلة القاهرة التى جمعتهما معاً ، فى العام السابق للتخرج ، حيث الشك الذى ضرب علاقتهما فى مقتل ، والسر الذى كاد أن يفتضح أمرها بسببه، إذ برغم تيقنها من تدين نجوى الحقيقى

بل وترمتها الذى كانت تراه فى كثير من مواقفها تجاه الشباب ، وسلوكياتها عامّة فى تلك الآونة ، إلا أنها لم تستطع أن تمنع نفسها ، وهى نائمة بجانبها فى دفئها ، من أن تسرب يدها مابين فخذيهما ، ليكون انتفاضها على الفور ، وقفزها من فوق السرير ، هو ردّ الفعل الطبيعى والسريع الذى اتخذته نجوى تجاهها ، ثم ما تّلاه من نظرات مدققة فاحصة ، لم تستطع هى نحوها إلا أن تظهر استغراقها الكامل فى النوم . لكن يبدو أنّ هذا الموقف بالذات ، مع لفات أخرى كانت قد لمحتها نجوى فى عينيها ، أكدوا لها بما لا يدع مجالاً لريبة ، مايعتمل داخلها من رغائب شاذة .

تمرّ كل هذه المشاهد برأسها ، وكأنّها لم تغب لحظة عن بالها ، وتكاد تراها رأى عين . وما إن يطّلع إمام ، ويستدير من شارع الجمهورية ، باتجاه المعدية ، حتّى تختفى نهائياً ، وتتبدّد وتتلاشى ، وكأنّها لم تكن شيئاً . تفكر أن تتصل بنهلة فى البيت ، لكنها تؤكّد لنفسها أنه أبداً لا داع ؛ إذ قد تزعج أمها وأخواتها ، فيما هى ربما تكون قد شارفت بالفعل على الوصول ، ومن المحتمل أن لا تمرّ سوى دقيقة أو دقيقتين ، وتجدها تقبل بكعب حذائها العالى ، وخطواتها المتبخّرة الرشيقة .

السّاعة قد قاربت على الخامسة بالضبط ، وهى لم تأت بعد . فات الموعد بأكثر من نصف السّاعة تقريباً . أو تكون قد غيرت رأيها ، أو أجّلته إلى يوم قادم ؟!

هكذا تسأل نفسها ، فيما عينيها ، تتطلّع إلى الشرفات التى

أمامها ، وإلى الشمس التي بدأت في سحب أذرعتها ، وترك
فضاءاتها للسحب التي عجلت بالانتشار .

المغرب . نصف ساعة ويهبط بجحافل ظلامه .

وعلى البعيد عندما تلمح الأستاذة أمل في شرفتها بالبرج
المجاور لكنيسة ماري ، لاتستطيع إلا أن تتابعها ، لكن كلما
كادت عيني الأولى ، ورغم بعد المساحة أن تجيء في عينيها ،
هبطت بهما إلى حيث كافثيريا الطيران ، والعم لوقا الذي يستند
بظهره إلى حائطها ذى البروزات، بجاكت بدلته الزرقاء
القائمة، وبرييه الأسود ، الذي يذكرها بجدها صُبح الذي تراه
في صور والدتها القديمة. فيتقلص وجهها ، وتحججه بنظراتها ،
وتطيل ، منتبهة إلى أن الكافثيريا خال تماماً إلا منه ، ومن
الرئيس رجب والحاج عبد الناصر الطحّان الذي يجلس على
الطرف الآخر مع الأستاذ وفائي حجازى جارها بالشقة المقابلة،
وقليل من نفر بالداخل .

الهدوء يلف الشوارع ، ويفرض أجواءه على ناصية كل
متجر ، ويجعلها تتنفس فوعة ساعات الصّباح الأولى .

وبعد أن كادت تفقد الأمل نهائياً فى مجيء نهلة ، بل فقدته
هى بالفعل . هاهى تفاجئها مقبلة من ناصية مقهى وادى النيل ،
بخطواتها الرشيقة ، وملامحها العذبة .

تنفرج أساريرها ، ويتهلل وجهها بالبشر ، وتدخل لتكون
فى استقبالها حين تجيء .

لأوّل وهلة بدت نهلة وكأنها قد زادت عدّة أعوام عن ذى قبل . تثيرها الموف ، وستايل تحبيبها ، ثم طريقة مسكها لشنطة يدها ، بل وأسلوب كلامها ، وإيماءاتها . كلها علامات تُوحى بأنّ هناك نقلة ما قد حدثت في حياتها .

إنها أصبحت أكثر هدوءاً ، وتعلّلاً ، ورونقاً عمّا كانته سابقاً . وهذا بالضبط ما جعل رحاب لاتستطيع أن تخفى من عينها بريق النهم ، والرغبة الولهة تجاهها .

ساعة تقريبا جلست تحكى لها فى حجرة الصّالون عن حياتها هناك ، وحسن معاملة زوجها التى لم تكن تتصوّرها منه ، وكذا تهذيبه وتعلّقه الملحوظ بها . ومن حين إلى حين كانت تشفعها ببعض المواقف المحرجة والمضحكة فى آن ، تلك التى تعرضت لها فى أول أيّامها معه . فيفتّر ثغر نهلة ، وتتجلجل ضحكات رحاب فى أرجاء الحجرة ، إلا أنها فى كل مرة تنتبه فتشد على فمها بيدها مُحاذرة أن لا يستيقظ ابنها أشرف .

لكن ، وفيما دُون ذلك ، كانت تشتكى من الأخ الأكبر لزوجها ، وتؤكد أنه يكاد يكون مسيطراً على أخيه تيسير ، بقوة شخصيته ، وببعض تحكماته التى يمرّرها لزوجها بلباقة وذكاء شديدين ، فيستجيب لها بلا تذمّر . ثم تسرد لها كيف أفسد لهما كثيرًا من الليّلات الهانئة الحلوة ، وتركهما مُحقّقين بغضبهما كل فى اتجاه . وعندما تسألها عن سبب تأخرها عن مواعدها ، تخبرها بأنّ أخاها سيف وامراته ، قد طبّأ عليهم فجأة من القاهرة ، وأنهما قد جاءا خصيصاً للتسليم عليها ، وتقديم واجب

التَّحِيَّةَ ، ممَّا اضطرَّها بالطَّبع لأن تستقبلهما ، وتجلس معهما لبعض الوقت ، إلى أن طرأت لها فكرة الاستئذان منهما بحجَّة زيارة صديقتها المريضة في المستشفى ، مع التأكيد على أن هذا لن يستمر سوى ساعة تقريباً ، أو أكثر قليلاً أو أقل ، تعود بعدها لتشرب معهما الشاي ، وتكمل حكاويها . وعليه فإنها في كل الأحوال ، يجب أن لا تتأخَّر أبداً عن السَّاعة الثامنة مساءً. هكذا تؤكد لها ، ثم تقول أنها ظلت تطلبها بالتليفون لأكثر من نصف السَّاعة ، إلا أنها كانت تسمع رنينه دون أن يبادرها أحدُ برْدٍ . فتقاطعها رحاب على الفور مُعلِّلة ذلك بكونها على الأرجح كانت أثناءها تنتظرها في الشرفة ، فلم تسمعه .

تنهض رحاب، وتغادرها ، ذاهبة إلى المطبخ لعمل فنجانين من الشاي . غير أنه ما إن تمرّ بضع دقائق قليلة ، حتى تتبعتها نهلة ، وتساعدُها في غسل الأكواب ، وإرفاق الشاي - بعد اصرار رحاب - بقليل من قطع البسكويت التي تقوم برصّها بنفسها في الطبق ، وهي تثني على هذا النوع الذي يصنعه ملفاي في علب صغيرة بيضاء . وتلفت نظرها رحاب إلى أنها تستسهل ، وتنزل السَّبْت لجمعة الذي يعمل في محل الشيماء أسفلها ، كي يحضره لها من السُّوبر ماركت الذي يقع في الشارع الخلفي للعمارة .

ثم هاهي الآن تخرج من المطبخ حاملة صينية الشاي بطبق البسكويت ، وبدلاً من أن تتجه إلى حجرة الصَّالون ، تتجه إلى حجرة نومها ، منادية على نهلة ، بصوت خافت أن

تتبعها ، مخبراها حينما تسألها عن ابنها أشرف ، وأين هو ، ولماذا لا تسمع صوته ؟ بأنها قد قامت بتحميته من ساعة ونصف قبل أن تأتي ، وتشريه كوب من اللبن الدافئ ، ثم جلست بجانبه على السرير ، وهى تتفرّج معه على التلفزيون الأبيض والأسود ، حتى غفا ، واستغرق تماماً فى النوم .

تزوغ عينا نهلة ، وتتردّد فى الدُخول إلى حجرة النوم ، وتلاحظ عليها رحاب ذلك ، إلا أنها لاتبدى أى علامة لملاحظتها تلك . تجرّ كرسى التسريحة عدّة أشبار باتجاه السرير ، وتضع عليه صينية الشاى ، وتجلس على طرف السرير المواجه ، ثم تشير لنهلة بالجلوس بجانبها على نفس الحافة . ونظراً لعدم وجود أى مكان آخر ؛ تستجيب نهلة مضطرة ، فى حرص أن لا تظهر لها شيئاً ، إلا أن رحاب تحسّ بكل الذى يعتمل داخلها ، دون أن تكاشفها ، أو أن تجعل هذا يبدو عليها .

وما إن يبدأ كل منهما فى النقاط كوبها ، ورشف منه عدة رشفات ، حتى تشعر بشيء ما له وطأة ينتشر فى المكان ، ويفرد أذرعهُ مكبلاً لها فاهها ، وجاعلها أبداً لا تستطيع أن تتكلّم . أو أن تتفوه بأى شيء من هذا الكلام العادى الذى من الممكن قوله فى تلك الحالات .

تعيد كل منهما فحجان الشاى إلى الصينية دون أن تأخذ أى منهما قطعة من البسكويت ، ويستمر الصمت .

ورغم إصرار رحاب أن تتكلّم ، وأن تمهّد الأجواء بشيء

يوصلها إلى بغيتها وبالفعل تحاول أن تأتي بشيءٍ لتقوله، وتكدح ذهنها هنا وهناك عليها تمسك بشيء ، إلا أنها لا تجد .

صفحة بيضاء صار كل ماكان يجول بخاطرهما ، بل وتستطيع أن تستشف وتؤكد جازمة أن نفس الشيء يحدث الآن مع نهلة . لكنها لحظات وتستجمع على الفور شجاعتهما ، وبصوت متهدج خفيض يأتي منها مبوحاً نقول : " وحشتينى قوى يا نهلة " . وتضع يدها على جوبها الموف ، فتشعر بلمس حان ناعم جميل . وعندما لا تجد منها رد فعل ، تتمادى فى تحريك يدها ببطء حتى ركبتهما . عندئذ تشعر بسخونة واضحة تنبعث من أسفل قماش الجوب . وتلمح بطرف عينيها وجه نهلة وقد تضرج بالدماء ، وتسمع دقات قلبها تنبض بسرعة .

تتجراً مستجمعة إرادتها ، ثم تدير رأسها ، وإلى عينيها تنظر مصوبة . فتختلج عيني نهلة فى الحال ، وتخرج منها أنفاس حارة تحس بها على وجهها . وبدلاً من أن تنبس بكلمة ، تجدها تقفز منتفضة من جانبها ، حيث تقف ، وتستدير بظهرها وهى تقول لها بصوت متهدج : " معلش يا رحاب ، حضطر أمشى دلوقتى عشان أخويا ومراته " .

- : " تمشى . أخويا ومراته ؟! دا أنا ماصدقت لقيتك يا نهلة " .

هكذا تتمم ، ثم تجد يدها ودون تفكير منها قد اندفعت ، وأمسكت بيدها اليمنى القريبة منها ، وجذبتهما إليها ، دون أن تسعفا الكلمات بشيء . وما إن تفعل ذلك حتى تنهار نهلة بجانبها ، وتقول لها وهى تنتفض ، ويمتقع وجهها بشدة : " أنا

متجوزة دلوقتى يا رحاب ، وماعتش ينفع اللي كنا بنعمله قبل كده " .
فترد عليها رحاب وكأنها قد تجاوزت حاجز هائل بينهما
: " وإيه يعنى؟! طب ما أنا برده متجوزة؟! " .
- : " بس ده حرام يارحاب ، حرام قوى ، وأنا بعده بروح البيت
تعبانه جداً " .

تجد رحاب نفسها تقول بهدوء ، وبصوت خفيض حذر ،
و كأنها تفكر بصوت مسموع فى موضوع سبق لها أن فكرت
فيه كثيراً ، ولم تقتنع بإجابة : " بس القرآن ماجاش فيه أن
الممارسة دى حرام . وجه بس فى رجالة قوم لوط " .
تضحك نهلة مضطربة فى سخرية : " لأ ، إزاي بقى ، فى آية
مش عارفه ألفاظها بالتحديد ، بس معناها إن اللي بتعمل الفعل ده ،
عقابها الحبس فى البيت لغاية أمّا تموت " ثم تستطرد " وبعدين ،
ماهو ده زى ده " .

- : " لأ مش زيه ، لو الرجالة مامرسوش مع الستات ، واكتفوا
بنفسهم ، مش حيخلفوا وتعمّر الأرض " .
ترد نهلة بثقة : " ويرده لو الستات عملوا كده النتيجة واحدة " .
- : " لأ الرجالة حيمارسوا مع الستات غصب عنهم ، لكن الستات
مايقدروش يفرضوا إرادتهم على الرجالة " .
تندesh نهلة لهذا المنطق الغريب ، وتقول : " إنتى مصدقة
اللى إنتى بتقوليه ده " .

تطرق رحاب لبرهة ، ثم ترفع رأسها ، وتمسك كتف نهلة
بحنان ، وتتنظر فى عينيها وقد اشتد تولهاها قوة ، وتقول لها وكأن

كل ماتقوله لا يعنيتها ، ولا تقصده ، وأنها قررت وانتهى الأمر
: " الحرام درجات ، والزنا ما يبقا ش زنا إلا أما يدخل للأخر " .

ثم تقترب منها ، وقد اربدَّ وجهها بالشهوة ، وتميل عليها ،
وتقول بغنج وهى تطبع على وجهها قبلة : " طب المرأة دى وبس ،
أوعدك آخر مرة " . ثم تكمل : " والنبي يا نهلة ، عشان خاطرى " .
تهمس بذلك ، وهى بالفعل كانت قد بدأت فى فتح أزرار جاكيت
تبيرها من أعلى ، وإدخال يدها من حافته ، والتمليس على أحد
ثدييها ، بينما نهلة تردد : " لا يارحاب ، بلاش يارحاب ، انتى
بتتعيبنى كده " . فى نفس الوقت الذى هى فيه مستسلمة لها
تماماً ، وفى حالة أشبه بالمخدرة ، لا تبعدها ، ولا تشيح بوجهها
عنها ، بل ولا يصدر منها أى فعل يبين أنها فعلاً جادة فيما
تقوله .

لذا فقد تمادت رحاب فيما تفعله ، حيث لم تجد أى عائق
منها أو صدأ فأكملت فتح الأزرّة ، وطرح الجاكيت للخلف ،
وإخراج ذراعيها منه ، ثم الانحناء إلى الأمام ، وتقبيل ثدييها
النافرين ، بأنفاس حارة ، وشففتين رقيقتين مسكونين بالنهم .
على حين نهلة تغيب بعينيها أكثر ، وكأنها تتاجى أطيافاً بعيدة ،
ويزداد جسدها مطاوعة ، واستسلاماً عن ذى قبل . وكلمما
امتلاّت رحاب بهذا الاحساس الخاضع المستكين من ناحيتها ،
انفجرت الشهوة فى أعضائها ، وفوجئت بنفسها تفعل مالا
تستطيع فعله فى حالتها الطبيعية ، حيث تروح تعلق رقبتها فى
مسيرة هابطة إلى أسفل ، حتى تصل إلى ثدييها ، ومنها إلى

أعلى ثانيةً ، ثم تعود لتلحق حلمة الثدي الأيمن ، وهنا يصدر من نهلة آهة مكتومة ، وتطرح رأسها إلى الوراء ، وتفتح فمها فى توله وشبق .

وبمجرد أن تشعر رحاب بأن نهلة قد صارت مهيأة تماماً لما هو أكثر من ذلك ، حتى تشرع فى فك طرحتها بسرعة ، وتخليص ثدييها من فردتي سوتيانها الأسود الذى فكت مشدّه من الخلف . ووضعهما معاً على طرف السرير ، ثم تبدأ فى فتح سوستة جوبها الموف . لكن عندما يصعب عليها ذلك وهى جالسة ، تبادر نهلة وتنهض من على السرير واقفة ، وتساعدّها فى فتح السوستة ، بل وبجراحة راحت تصبغ حركاتها أخيراً ، هاهى تهّم بشدّ روب رحاب ، ومساعدتها فى خلعة ، وخلع قميصها السّتان الأزرق ، فيما رحاب كانت قد انتهت من تخليص ساقبيها من الجوب ، وبدأ بياض ساقبيها المتألّئىء النّاصع ، يُثير فيها شبقاً يزداد موره ، ونضوحه على هيئة قشعريرة تسرى فى جسدها ، بل ويظهر تأثيره على عين نهلة نفسها .

وإزاء تبدّى نهلة على هذه الفتنة الغصّة الصّباح ، التى تمرأت عارية هكذا ، وسط عقب برفانها الفوّاح الذى اكتتزت به الحجرة ، وضافت ، لاتملك رحاب إلا أن تندفع إليها وتطرحها برفق على السرير . وتأخذ فى تقبيل أجزاء جسدها بحنان وحنكة متمرّسة ، تبلغهما معاً عنان السّماء .

*

{12}

﴿ مَا كُنْتُ أَوْدَّ قَوْلَهُ آتِئاً ، هُوَ بَعْضُ تَرْثُثٍ ، وَمَنْزِيدٍ
مِنْ فُطْنَةٍ تَحْتَذِي ﴾

ما إن بلغت سندس عمارة زميلتها نجاة على ناصية شارع الصَّاعِ مصطفى كامل الصَّيَّاد وشجيرة الدُّرِّ ، وكادت بالفعل أن تفتح باب الأسانسير وتلج إليه ، حتى تردَّدت متراجعة لتقف عدَّة ثوانٍ ، قبل أن تتسحب خارجة من مدخل العمارة الواسع ، ذى البسطة الرُّخامية اللامعة ، والدَّرَجَاتِ المغسولة التى لايتجاوز عددها الأربع .

لكنها فى المواجهة ، وأمام فيلاً نبيل صادق عادت ثانية لتُبطِّئ من خطوها ، وفكرت هل ترجع وتنفذ ما قدَّرته أمس ؟ أم تواصل سيرها؟ ورغم أنها لم تستمرَّ على هذه الحالة كثيراً ، إذ أزاحت هذه الفكرة جانباً ، وتقدَّمت فى طريقها ، عكس اتجاه المعدِّيَّة ، بين فيلل الهيئة بأسطحها القوطيَّة ، وأشجارها الخضراء الكثَّة ذات الرَّائحة المتضوِّعة بالريِّحان ، إلا أنَّ الأمر بات يُعاودها ، وبيزغ فى رأسها بين الحين والآخر ، فقرَّرت أن ترجئه إلى وقتٍ آخر ربَّما تكون فيه أكثر تهيؤاً لأخذ القرار الصَّائب .

قال : فى دواخلى غرام مستعر نحو هاتيك الصَّبيَّة ، وذات الأربعين ربَّعاً ترمقى ولا أريد أن أفقدها (1) عمَّالُ الهيئة

يطالبون بـ ١٣ مليون جنيه تعويضات من إدارة القناة (2) ازدحام انتخابي أمام المساجد بعد صلاة الجمعة (3) ثم إنَّ نَظْمَ منطقة الخليج الذي يُقدَّر بحوالي ٥٨٥ مليار برميل تقريباً سوف يستمرّ بالتدفق في حالة جفاف منابع النُّفْط في جميع أنحاء العالم ، لسنوات طويلة ، وأن معظم دول العالم سوف تستمرّ بالاستيراد من الخليج لأكثر من ١٠٠ سنة من الآن (4) وحيث أنَّه قد أُسْدِلَ السُّتَار على ملحمة جراف سيبى ، فربَّما لا يمكنني استخدام السُّرْد المتسائل ، أو المتناسخ ، أو المزجى بالشَّكل الذى أريده (5) أقول لرئيس اليمن الذى يطالب بقطعة أرض على الحدود مع إسرائيل لخربتها ، تفضَّل ورينا شطارتك ، كفى مواقف عنترية واستجداء لتصفيق الجماهير (6) وعندما سألتني هل ستكون عاتياً على نفسك إذ كنت جفلت ، ولم تسترسل في إخبارها بنوسه هذه التى تُخايل أحلامك ، قلت له رغم أنَّني في هذه اللحظات بالذَّات لم أكن ميالاً للحديث: أبدا أنا أخبرتها في سياق اعترافات متبادلة ، ثم استطردتُ : دعك من كل هذا وحاول أن تلعب معي لعبة تجميع هذه القصاصات التى أعطها لى إبراهيم المصرى ، وبعدها حدثني بماذا أحسست (7) شركة أباتشى الأمريكية تشتري حقول ريسول الأسبانية في مصر (8) تقدَّر مجلة فوربس أنَّ ثروة ساويرس إيرادها السَّوى في البورصة بأكثر من مليار دولار سنوياً (9) الفتاة البورسعيدية تلعب الجُوكِر ، وتشرب الشَّيشة على المقاهى ، وكافيتريا طرح البحر (10) السَّفير الأمريكى يرفض مقابلة المحتجِّين على مساندة بلاده للعدوان الإسرائيلى ، وهراوات الأمن المركزى لم

تفرّق بين المتظاهرين والفنّانين ، والجنود ألقوا بحسنة توفيق على الأرض (11) شكوى مقدّمة من الإتحاد الأوربيّ إلى المنظمة العالمية للتجارة ، لما يقوم به مجلس المبيعات الخارجيّة FSC الأمريكي ، بتقديم مميزات ضريبية يستفيد منها عدد من الشركات الأمريكيّة ، مثل مايكروسفت وبوينج وفورد وموتورولا وغيرها من الشركات التي تمثّل صادراً نحو نصف الصّادرات الأمريكيّة ، مقدّماً دعماً تجاريّاً يقدر بـ مليارات دولار سنوياً ، مما يضرّ بالفرص التنافسيّة مع الشركات الأوربيّة (12) يقول جورج باتاى إن أعضاءك التناسلية هي أقدم وأدمى نقطة في جسدك ، ولهذا يجب عليك أن تستمع إلى ذلك الصّوت المتوحّش المتحشرج الآتي من أعماق أحشائك (13) على علم من صاحب كشك في أحد تقاطعات شارع الجمهورية ببورسعيد ، يقوم بعض الشّباب في ساعة متأخّرة من الليل بالتّجمّع لشرب البانجو ، لدرجة أنّك إذا مررت من هذا المكان تستنشق رائحة البانجو (14) بدأت واشنطن تُسخر أجهزتها المختلفة من أجل التّجسس على دول العالم ، ويؤكد ذلك الإعلان عن رصد الولايات المتّحدة الأمريكيّة وإسرائيل ، عن مكالمات تليفونيّة بين الرّئيس السّوري بشار الأسد وأمين عام حزب الله اللبناني الشّيخ حسن نصر الله ، هنّاه الأسد خلالها بأسر ثلاثة جنود إسرائيليين في أكتوبر الحالي (15) إنّ ثلاثة أرباع أحداث التاريخ الكبرى ، منذ أن كانت هناك دول كبرى ودول صغرى هي مؤامرات (16) شابان يستندرجان فتاة ١٦ سنة ، ويغتصبها داخل إحدى المدارس الإعداديّة ببورسعيد (17) استناداً إلى فتاوى ابن تيمية ارتأى محمد عبد السّلام فرج في كتابه الفريضة الغائبة ، والذي تمّ على أساسه اغتيال السّادات ،

إن حكام اليوم يُشبهون تثار الأُمس لذلك وجب الخروج عليهم
(18) مرشح لا يريد ذكر اسمه يقول سيكون أول طلب إحاطة أقدمه
لجلس الشعب لو نجحت ، هو بخصوص خطأ أسلوب معالجة التّفايات
المشعة المدفونة ببورفؤاد منذ ١٨ سنة (19) من محدّدات التّصوّر
الصّيني إقامة حزام للاستقرار الأُمنى على طول الحدود الصّينيّة ، وانجاز
هذه العمليّة عبر عودة هونغ كونج ، ثم ماكاو ، واستعادة تايوان في
مرحلة لاحقة (20) فالطّامة الكبرى ، أو قل هي الخطيئة أن تُلجئنا
الظّرفيّة الأدبيّة يوماً ، لأنّ نتحصّن بالترسيمات لما هو نموذج معيارى لدينا
وفق مواصفات مفهوميّة تمنحها كل امتيازات القيمة ، ونكسيها سلطة ما
تتسيّد بها فترة من وقت - آل الأفويقيّة .محمد الطناحي (21)
كيسنجر هو الذى وضع القاعدة الخرسانيّة للتحالف الأمريكى
الإسرائيلى فى عهد ريتشارد نكسون ، والذى بدأ بصفقة بملايين
الدولارات من السّلاح ، بعد أن كان كلّ القادة من قبله يحاولون الحفاظ
على التّوازن بين العرب وإسرائيل (22) على رأس فلاسفة الإباحية يأتى
المستمنون وديوجين والكليبيون (23) الكثيرون لا يعرفون أنّ جمال عبد
النّاصر كان أوّل وزير داخلية فى مصر ، فى الفترة من ١٨ يونيو سنة
١٩٥٣ وحتى ٧ أكتوبر (24) أبراج سوبر كلاس فى مصر مُجهّزة
بأسانسير للسيارات ، ومهبط للطائرات وحمامات سباحة ودوائر
تليفزيونيّة (25) أكبر خديعة يمارسها الإسلاميون والحدّاثيون ، أن
يظنّون أن هناك نموذجاً لنظرية مثلى تجعل العالم أفضل (26) ثمة عبارة
قديمة للزعيم الصّيني دينج شياو بنج ، وضعت فى الصّادرة لتبرير البرنامج
التّوى الصّينى ، حيث قال " قد نكون من دونه ، مضطهدين ، ويقضى

علينا أصحاب نزعة الهيمنة " (27) تؤكد إحصائيات وزارة الداخلية أن شرطة مكافحة الآداب تقوم بضبط ١٢ ألف قضية سنوياً (28) احتلت مصر المرتبة الأولى رسمياً عام ١٩٩٤ في استيراد المرسيدس ، في الوقت الذي كانت الدولة رقم ١٧ في استيراد هذه السيارة عام ١٩٨٣ (29) إن الموقف الاستبداهي العميق التَّجذَّر في منظومة نسيجنا الإدراكي بالإصرار على إحالة كل شيء في حياتنا إلى معنى ، حان الوقت لأن نُعيد مساءلته من جديد ونحاول استقصاء لائحته المركزة في سكونيته الثبوتية -آل الأفاويقية . محمد الطناحي (30) كانت العاهرات اليهوديات يتغلبن على مشكلة العذرية بطريقة معروفة لدى بيوت الدعارة والبغاء ، وهي تعبئة كيس مطاطي رقيق بدم طائر ، ويُدسّ في عضو الأنوثة وينفجر أثناء الملامسة فيُشبع عند الرجل إحساساً بأنّه فضّ بكارة عذراء (31) أشارت المصادر أن الهند قدمت خدمات كبيرة جداً للمشروع النووي الإسرائيلي بمادة الثوريوم واليورانيوم التي توجد باحتياطيات كبيرة في الهند ، مقابل تزويد إسرائيل الهند بالتكنولوجيا النووية الحديثة والخبرات النووية ، كما تؤكد ، أن تجربتين من التجارب الخمس التي أجروها الهند في ١٩٩٨م كان لحساب إسرائيل (32) في ٣٠ يناير سنة ١٩٨٠ أعلن الرئيس كارتر في رسالة موجّه للشعب الأمريكي ، أن أيّ محاولة من جانب أيّ قوّة أجنبية للسيطرة على منطقة الخليج ، سوف تُعتبر بمثابة عدوان على المصالح الحيويّة للولايات المتحدة الأمريكية ، ولسوف يقابل مثل هذا العدوان بكافة الوسائل الصّروية بما في ذلك القوّة العسكرية (33) كانت المجلّرا وفرنسا قد عقدتا ، ما أطلق عليه ، الاتّفاق الودّي عام ١٩٠٤م ، وبمقتضاه اتّفقت

الإمبراطوريتان الاستعماريّتان على اقتسام العالم العربي ، فتطلق إنجلترا يد فرنسا في المغرب ، وتطلق فرنسا يد إنجلترا في مصر (34) إيل جال يكسب سنوياً من تجارة الجنس والدّعارة ٧٠٠ مليون دولار منها ٦٠٠ مليون دولار من جيوب العرب (35) مؤسّسة خوردار الإيرانية ماتزال تعرض مكافأة مجزيّة قدرها 2,8 مليون دولار أمريكي لمن يقتل سلمان رشدي (36) عدد حالات الزواج في مصر بلغت سنة ٢٠٠٠م ٧٩٥٠ حالة ، أما حالات الطلاق فقد بلغت ٢٣٨٢ حالة (37) إيران قامت في إبريل ١٩٩١م بجلد ٨٠٠ امرأة ٧٤ جلدة لكل منهنّ ، لعدم إرتداء الحجاب ، ولايزال الكاتب ماريام فيروز البالغ من العمر ٨٠ عاماً سجيناً بها (38) الأنبا كيرلس الخامس بايع أحمد عرابي ، وسعد زغلول ، ولم يُباع غالي باشا ، فأبعده إلى الدّير ستة أشهر عاد بعدها من الفاتحين ، إذ تمّ استقباله في موكب شعبي جليل من المسلمين قبل المسيحيّين (39) في صيف عام ١٩٨٢ اجتاح الإسرائيليّون لبنان على مرأى ومسمع من العالم كلّهُ ، فلم يجد الشاعر البناني خليل حاوي ما يحتجّ به على هذا الانحطاط إلّا أن يطلق الرّصاص على رأسه (40) في دراسة للمجلس الأعلى للثقافة والمجلس القوميّة والمتخصّصة تقول أنّ في مصر كان في السّبعينات سبع شركات كاسيت ، والآن في الثّسعينات أصبح فيها ألف ومائتي شركة كاسيت (41) القذافي وبشار يزوران السّعوديّة ليحثّ الأوضاع الرّاهنة (42) كانت جماعة الإخوان المسلمين قد تلقت عند نشأتها الأولى ، تبرّعاً من الشّركة العالمية لقناة السّويس مقداره خمسمائة جنيهه (43) يربط فريدمان في نظريّة الهامبورجر ، بين ماكدونالدز وبين الديمقراطيّة ، عندما

يُشير إلى أن دخول تلك السلسلة إلى دولة ما إشارة إلى إقدامها على الاندماج في الاقتصاد العالمي ، فاتحة أبوابها أمام الاستثمارات الأجنبية (44) عندما قال الإنجليز إننا هنا لحماية الأقليات قال القمص سرجيوس : إذا احتاجت مصر إلى دماء مليون قبطي لتتال حريتها ، فإننا مستعدون للتضحية بهذا المليون من أجل مصر ، وإخرجوا من بلادنا (45) ١٩٦ قطعة أرض جديدة بمنطقة صناعية جنوب بورسعيد (46) إنَّ الموساد مسئول عن خطف ومحكمة وإعدام الجنرال إخمّان المسئول الأول عن الهولوكوست الذي تعرّض له اليهود (47) في مصر ٤٠٠٠ مطعم للأثرياء فقط (48) يُشكّل صعود عثمان أحمد عثمان واحتلاله لمقعد نقيب المهندسين عام ١٩٧٩ نقطة تحوّل ، فقد لعب دوراً هاماً في إبرام الصلح بين السادات وكل من عمر التلميساني المرشد العام والشيخ سيد سابق ، بل إن عثمان نقل شبكة تحالفاته مع الإخوان إلى النقابة كجزء من التوجّه العام للنظام السّياسي في تلك الفترة نحو التحالف مع الإخوان لضرب قوى اليسار (49) كانت أول سيدة مصرية تقوم برفع دعوى خلع من زوجها فتاة من طنطا اسمها وفاء جبر ، في العقد الثالث من عمرها قامت برفع الدعوى في ١٢ مارس ٢٠٠٠م أمام محكمة طنطا للأحوال الشخصية ، واستطاعت أن تكون هي أول امرأة مصرية تقف أمام القضاء المصري تطلب خلع زوجها ، فور موافقة الحكومة المصرية على التقاضى بقانون الخلع ومنح الزوجة الحق بخلع زوجها إذا استحالَت الحياة بينهما (50) دكتور مصطفى كامل محافظ بورسعيد : مشروعات شرق بورسعيد ، والغاز الطّبيعي ، و ٢٣٠ ألف فدان أراضى للاستصلاح شرق القناة وغربها ستغيّر وجه الحياة (51)

سعد الدين إبراهيم : الظروف لاتسمح بمراقبة الانتخابات (52) أوّل
جامعة اسلامية فى روسيا (53) انتقدت إدارة الرئيس بيل كلينتون
مشروع أقرّه مجلس النواب الأمريكى يقضى بقطع معظم المعونات عن
الفلسطينيين ، إذا أعلنوا دولة مستقلة من جانب واحد (54) كان
فى مصر سبع معاهد أزهرية فقط عند قيام ثورة يوليو ، والآن أصبح
عددها ينيف على ستة آلاف معهد ، مع عدم تبعيّة هذه المعاهد للوزارة
ونظمها على الإطلاق ، وتخرج جامعات الأزهر ١٢% من نسبة خريجي
التّعليم فى مصر (55) صندوقان لدعم انتفاضة الأقصى ، ومساندة
القدس برأسمال ١٠٠٠ مليون دولار على أجندة القمة العربيّة (56)
فى التّاسع والعشرين من يوليو ١٩٩٩ قرّرت السّلطات الأمريكيّة زيادة
رسوم جمركيّة مفاجئة بنسبة ١٠٠% على بعض المنتجات الغذائيّة
الأوربيّة ، الأمر الذى ضاعف من أسعارها فى السّوق الأمريكيّة ، وجاء
ذلك بسبب رفض بروكسل رفع الحظر على استيراد لحوم الأبقار
الأمريكيّة والكنديّة الحقونة بهرمونات التّمّو (57) اكتشاف أقدم
مراكب ملكيّة فى أبيدوس بسوهاج ، المراكب صنعها المصرى القديم عام
٢٠٠٠ قبل الميلاد (58) متابعة حظر إحراق قشّ الأرز ، وقروض
لتحويله لأعلاف (59) العنوسة تُهدّد ٤٣% من فتيات بورسعيد
(60) الكساد يعمّ بورسعيد ، والتّجار يصرخون (61) كشفت
تحليل معامل مديريّة الصّحّة عن ارتفاع نسبة التّشادر وأكسيد النيتروز
وثانى أكسيد الكبريت بالعينات المأخوذة من مجرى ترعة بورسعيد ،
وأرجع التّقرير أسباب ذلك إلى القاء صرف زراعى وحيوانى وصرف
صحّى بمجرى الترعة (62) د . زغلول التّجار : مركز عالمى للإعجاز

العلمى فى القرآن الكرىم ، التقد والهجوم لن ىنعانى عن الاستمرار فى التفسىر (63) إىنه النص الذى لا ىدعى معرفته بالعالم ، ولا ىطمح لمعرفة زائفة تظن امتلاكها للعالم ، خالعة رؤاها عله فى قوالب سلطوىة مؤدلجة ، فهو قد طرح المشكلة الكوزمولوجىة بمعناها المزىف المتواضع عله جانباً . آل الأفابوىة . محمد الطناحى (64) نقرأ فى بعض الكتب الدىنىة المسىحىة ، أن أحد علماء اليهود المتفلسفین ، وإسمه الأصلى شاول كان من ألد خصوم السىد المسىح عله السّلام ، ومن أقسامهم على أتباعه ، لكىنه مالبت أنا اهتدى وصار من أكبر أقطاب الدعوة المسىحىة ، خاصة فى العالم الوثنى اليونانى الرّومانى خارج المجتمع اليهودى بفلسطین ، وقد سمى ولقب بسبب نشاطه التبشیرى العظىم هذا بـ " بولس الرسول " وىقول بعض مؤرخو الفكر المسىحى إنه أول من قام بالتوفىق بین العقيدة التى بشر بها السىد المسىح التى تقول یاله واحد ، و بین الأفلاطونىة المحدثة التى تقول بضرورة الوسىط بین الله والعالم ، معتمداً فى ذلك على فكرة " التثلیث " و قد حدث ذلك حوالى عام أربعین للمیلاد (65) الدّول العربیة تدفع ٢% من التبرعات الّتى تصل إلى منظمة غوث الاجئین الفلستینیین " الأونروا " (66) حزب الله یأسر ٣ جنود إسرائیلیین ومواجهات عنیفة بطول الحدود اللبنانىة الإسرائیلیة -7-10-2000 (67) حرب الثّقاب والمیکروجیب فى الجامعة الأمريکیة (68) جیانج زیمین : لو اتبعنا الثّمط الغربى للدمقراطیة اللبرالیة لما وجد ١و٢ ملیار صینى ما یأکلونه (69) بریطانىا تُصنّف ایران كسوق استراتیجیة لشركاتها (70) عام ١٩٢٨ فى جمیع الأحوال سیظل نقطة بارزة بظهور الإخوان المسلمین (71) الاتّفاقات التى سادت بین أجهزة الأمن وقادة

جماعات العنف في عصر محمد عبد الحليم موسى ، بلغت حدّ إحلال قادة هذه الجماعات محلّ أجهزة الشرطة في تنفيذ القانون ، وعقاب الخارجين عليه من وجهة نظر هذه الجماعات ، ووصل الأمر أن يؤشّر مأمور ديروط على شكوى جاء بها إليه أحد المواطنين من قرية صنبو " الشّيخ عرفة للتصريف " والشّيخ عرفة لم يكن سوى أمير الجماعات الاسلاميّة بصنبو (72) في عام ١٩٧٤ صدرت قوانين الانفتاح الأولى ، وقالت الصحّافة الغربيّة التي جعلت من الرئيس المصري نجماً لأغلقتها " القاهرة تُطلق وحوش الغابة " ، وفي نفس هذا العام انطلقت الجماعة المسّمّاه بالتكفير والهجرة إلى احتطاف الشّيخ الذهبي وقتله (73) كان بتروول الشّرق الأوسط أولاً في أيدي إنجلترا ، وفرنسا ، ثم شاركتها بعدئذ الولايات المتحدة في اتّفاق صاغته اتّفاقية الخطّ الأحمر عام ١٩٢٨ ، وبعد الحرب العالميّة الثّانية أبعادت فرنسا باستخدام حيل قانونيّة وتسوّمت الولايات المتحدة الدّور السيّادي (74) في عام ١٩٢٥ نشر الشّيخ على عبد الرّازق كتابه "الإسلام وأصول الحكم " أثار فيه سؤالاً هاماً : هل الخلافة ضرورة ؟ بيد أن هذا السّؤال ينطوى على سؤال أهم : هل ثمة حكم إسلامي في تاريخ العالم الإسلامي ؟ وكان جواب الشّيخ أن ليس ثمة حكومة إسلاميّة في هذا التّاريخ (75) حين كانت جماعة كوبنهاجن للسلام تعقد مؤتمرها بفندق الماريوت ، في أوائل يوليو ١٩٩٩ كان عددهم لايزيد على المائتين وخمسين فرداً ، وعلى بعد أمتار قليلة في فندق شبرد كان يجتمع أكثر من ثلاثة آلاف مثقّف وباحث وعالم وفئان لمواجهة مؤتمرهم (76) هيئة الأمم تُقرّر تقسيم فلسطين باتّفاق ٣٣ صوتاً ضد ١٣ وامتناع ١٠ عن الاقتراع وترفض اقتراحاً تقدّم به العرب

في آخر لحظة لتأليف حكومة فيدرالية - جريدة الأهرام . الأحد ٣٠ نوفمبر ١٩٤٧ (77) تعتبر ثورة ١٩١٩ نقطة فاصلة في تاريخ مصر الطويل ، فقد انتهى بها تاريخ مصر الإسلامية الذي استمر أربعة عشر قرناً ، وبدأ بها تاريخ مصر القومية ، بكل ما ترتب على ذلك من تحولات سياسية وأيديولوجية واجتماعية واقتصادية (78) عام ٢٠٠٠ م أكثر من ١٦٠ ألف حالة طلاق بين الأقباط أمام المحاكم (79) أرثر جولدبرج سفير الولايات المتحدة الشهير الذي كان سفيراً لدى الأمم المتحدة، هو الذي صاغ قرار ٢٤٢ الشهر سنة ١٩٦٧ وحذف منه حرفي "ال" قبل كلمة الأراضي لتصبح : أن تنسحب إسرائيل من أراضٍ احتلتها في حرب الأيام الستة بدلاً من الأراضي (80) في مؤتمر بتسارخ ١٢ سبتمبر ١٩٩١ قال بوش : " إنني أقف أمام قوى سياسية قوية تريد أن تُغيّر من سياسة الولايات المتحدة ، وأن تُلغى إرادته بالقوة " إشارة إلى الطلب الذي تقدمت به حكومة شامير في الأسبوع السابق على المؤتمر بضمان بقرض قيمته ١٠ مليارات دولار لتوطين اليهود السوفيت الذين هاجروا إلى إسرائيل ، ورفضه بوش (81) وصل عدد الشيوخ الأزاهرة في مصر إلى خمسمائة ألف شيخ ينتشرون في ١٩٠٠ و ١٩٠٠ مسجد وزاوية حسب إحصاء عام ١٩٩٢ ، إضافة إلى ١٢٠ و ١٢٠ أزهرى يقومون بالتدريس في مدارس الأزهر قبل الجامعية ، إضافة إلى خريجي الكليات الأخرى ذات العلوم الدينية التابعة للأزهر (82) بعد معاوية أفتى الفقهاء لولده يزيد بأنه " ماعلى الخلفاء حساب ولا عذاب - " السيوطي . تاريخ الخلفاء . ص ٢٢٩ (83) غيلان الدمشقي المصري كان يقول بالقدر والإمامة لكل الناس ، وغير قاصرة على قريش ، فتم

صلبه وتقطيع أوصاله وهو حي بفتوى من الفقيه الأشهر الأوزاعي -
الشهرستاني . الملل والنحل ٢٧٧ (84) إن وكالة المخابرات الأمريكية
قد مولت في عام ١٩٨٧ وحده أكثر من ١٢٠ ندوة علمية عن الصحوة
الاسلامية (85) ما بين عامي ١٩١٩ و ١٩٥٢ تشكّلت في مصر نواة
لطبقة برجوازية أفرزت ليبرالية وليدة ، وفي ذلك الزمان تراجع دور
الشيخ تراجعا كبيرا (86) " لاجل إلا بالاشتراكية " ، "الإسلام هو
الحل" ، " المجتمع المدني هو الحل " ، الديمقراطية هي الحل " هذه شعارات
كلها مدمر ، حتى الديمقراطية ، لأن أى شعار يتم التعامل معه تعاملا
أحاديًا مطلقا سيفشل ، ولو كان العقل ، فالذين قدسوا العقل وقعوا
ضحيتة (87) إن أحدا لا يمكن إلا أن يفهم كون ذاك الوعي المكنوز
بالكون الواحد ، والحقيقة الواحدة ، قد انتفى ، ليحل محله وعى الأكوان
العدة ، والحقائق التي لاتنتهى ، حيث المؤقتة شريطة كل حقيقة وكل
كون . آل الأفاويقية . محمد الطناحي (88) القنصل العام الملقب بـ "
التربيون " هو ممثل الجماهير في روما الوثنية ، وكان وحده من يملك حقًا
عرفه التاريخ بعد ذلك باسم حق الفيتو ، أى الاعتراض باسم الجماهير
ضد أى قرار ، وكان يعنى " أنا أحرم veto " وكان بيته وما حوله
مقدسا قديسة مدنية حصينا باتفاق الشعب كله على حمايته (89)
عرفات وأولبرت يلتقيان بالرئيس مبارك في مصر ، وباراك يرفض
الحضور ، ومصرع ثلاثة فلسطينيين في الأراضي المحتلة ، ومجلس الأمن
يصدر قرار يدين استخدام إسرائيل للقوة المفرطة ضد الفلسطينيين وباراك
يهدّد إمّا إنهاء الانتفاضة أو اعتبار عملية السلام منتهية 5-10-2000
(90) ألمانيا تمنح اللجوء السياسى ، لقياديين في الجماعة الإسلامية

(91) عام ٢٠٠٠ ، أسوأ عام في تاريخ البورصة المصرية
(92) مصادر إسرائيلية : الحدود الجديدة مع سوريا يجب أن تضمن
أمن إسرائيل (92) قطاع البترول يوقّر ٦٧ مليار جنيه في العام
المقبل-جريدة الأهرام (93) عام ٢٠٠٠ هو عام التأمين الصحي في
مصر (94) ١٥ ملف مصادرة أموال أمام محكمة النقض (95)
مليار جنيه قيمة التهرب الضريبي (96) ممّ بين الهند وإيران وروسيا
يهدد قناة السويس (97) تمتلك الولايات المتحدة الأمريكية حالياً
برنامجاً نوعياً للتجسس الفضائي ، فمع حرب الخليج عرف حلفاء
الولايات المتحدة بوجود نظام " إيشلون " الذي يراقب أنواع الاتصالات
كافة في العالم ، ووجود مكتب الاعتراض الوطني، والمقصود اعتراض
الاتصالات والتنصت على كل همس إلكتروني على الأرض ، ويتولّى
هذا المكتب تنسيق أعمال ١٢ قمراً صناعياً مزوداً بكاميرات رقمية
متطورة وكمبيوترات متقدمة ولواقط إلكترونية (98) أصبحت الهند
تمتلك في الوقت الحالي شريحة واسعة من المبرمجين والفنيين ، الذين
يتركّزون في عدد من المؤسسات ، مثل وادي البنغال للسيليكون ،
ومعهد الهند للعلوم ، ووكالة الفضاء الهندية (99) بيريز يؤكّد
إسرائيل الصديق الوحيد لفلسطين ، وتل أبيب قدّمت لفلسطين أكثر من
العرب (100) في انتخابات ٨ إبريل ١٩٩٩ فشل حزب الشعب
الجمهوري العريق الذي أسّسه كمال أتاتورك في تجاوز نسبة ١٠%
المطلوبة لدخول البرلمان (101) نفق سرّى أسفل السفارة الروسية
بأمريكا ، حفرته المخابرات الأمريكية وكشفه الجاسوس هانس
(102) في آخر تقرير دولي ، أصدرته منظمة الأغذية والزراعة التابعة

للأمم المتحدة ، أشار إلى أن ٥٢٪ من المصريين يقعون تحت خط الفقر بمفهوم متوسط استهلاك البروتين الحيواني الذي يقل عن ٣٣ جراماً يومياً ، بالمقارنة مع المتوسط العالمي وهو ٣٩ جراماً يومياً (103) في القرن الثاني عشر أشير على فردريك الثاني بتكوين مجموعة من الباحثين لترجمة مؤلفات ابن رشد ، لتكون سنداً له في توجيه صراعه مع السلطة الدينية (104) إن تكوين العقل العربي قد وُضعت أسسه الأولى والنهائية المستمرة إلى الآن في عصر التدوين ، حيث تم وضع علم النحو ، وما تبعه من علوم اللغة ، والصرف ، والبلاغة ، ثم علوم العروض ، مما أدى إلى أن أصبح الإعرابي البدوي هو المؤسس والمرجع للإدابة الرئيسية للعقل العربي ، وللعواء الوحيد للجهاز الإدراكي لهذا العقل ، أي اللغة بقواعد نحوها ، وتصريفها ، وأساليب التعبير ، والتفكير بها ، هذه القواعد التي اكتملت تماماً ، ثم أغلقت نهائياً في عصر التدوين نفسه ، دون مراجعة تقريباً حتى الآن ، فتجمّد العقل الذي يستخدمها (105) أحمد بهجت ، حسن راتب ، محمود العربي ، محمد المنوف ، طلعت مصطفى ، سعيد الطويل ، إبراهيم كامل ، رامي لكح ، عمرو النشترى ، محمد رجب ، والعديد من رجال الأعمال هم رموز المرحلة في مصر (106) لاهياء في العلم لاهياء في الدين ، لاهياء في الفن - طاهر وهيب (107) بينما كان موكب محمد أبو عبدالله آخر سلاطين غرناطة ، ينصرفون عن المدينة بعد أن سلّمها لفرناند وإيزابيل ملكي كاستيل المنتصرين ، لاحت منه نظرة أخيرة على عاصمة مُلكه ، من ربوة صخرية عالية ، ويطلق عليها الأسبان " التمو سيرو دل مورو " وترجمتها زفرة العربي الأخيرة (108) .

من ألعيب جورج اسطافنوس الأخيرة

تكملة لما بدأه إبراهيم المصرى من تجميع
لأهم ما قرآه عام ٢٠٠٠م

ساعة الصَّالة تدق الثَّامنة مساءً .

ونهلة تخرج مسرعة من حجرة نوم رحاب ، وهى تتحنى
بجزعها ، وبإصبعها تكمل قسراً إدخال كعب قدمها فى حذاءها
الأسود ، ثم على عجل تعدل هندامها فى مرآة الطريقة الأفقية .
- : " مش للدرجة دى يا نهلة ، مالك كده ؟! " .

تبادرها رحاب ، وهى تتبعها بقدميها الحافيتين ، وروبها
الذى تلبسه على اللحم .
ترد نهلة ، وهى فى طريقها إلى باب الشَّقة : " أصلى إنتى
ماتعرفيش مرات أخويا ، تلقىها دلوقتى كبرت الموضوع ، وبتقول إننى
طفشت منهم " .

- : " سببها تقول اللى تقوله " . ثم تنتبه : " استنى . استنى ،
نسيتى الشَّنطه " .

وبسرعة تذهب عائدة إلى حجرة نومها ، إلا أنها فى
عجلتها تلك ، تكاد تتعرقل فى ابنها أشرف الذى يُفاجئها طالعا
من حجرة نومه . تدعه يسير ورائها ، وتدخل حجرة نومها
تلتقط الشَّنطه ، وتهول لتناولها لنهلة التى تقف منتظرة على
باب الشَّقة ، تتأكد من تغطية طرحتها لكامل شعرها .

يرن جرس التليفون فى حجرة النوم ، ورغم سماعها له
لا تبالى به . تأخذ نهلة بالحضن ، والقبل ، وهى تكرر عليها

أن لا تنساها ، وأنها ستنتظرها لتقضى معها ، كما وعدتها يوماً من الصَّبَّاح .

تفتح باب الشَّقة ، وتودَّعها بصوت خفيض . ثم ما إن تغلق الباب، وتتجه لتردَّ على التليفون، حتى تجد أنَّ رنينه قد توقف . تجلج بصرها هنا وهناك ، باحثة عن أشرف ، إلى أن تجده جالساً على فوتيه الأنتريه فى صمت . تذهب إليه ، وتبرك أمامه ، وتمسك كنفه بكلتا يديها ، وتقول له : " **أجيبك كويّاية عسير** " . فيشير لها بإمالة من رأسه بالموافقة ، دون أن يتكلم . تمضى إلى المطبخ ، وقبل اجتيازها لبابه بعدة خطوات ، يعود التليفون إلى الرنين . تسرع إلى حجرة نومها ، وترفع السَّماعة ، وبعد السَّلَامات تخبرها بنت الست نظمية أنَّ أبا جيهان صديقتها القديمة قد توفى ظهر اليوم فى المحكمة ، وأن العزاء سيقام الليلة فى شقتهم .

تستقبل رحاب الخبر ببرودٍ بادٍ ، وقبل أن تبادر سارة بأى استفسار، تخبرها سارة بأنَّ جيهان أخذوها من المحكمة للقسم ، وإنهم منتظرين أن يحولوها الليلة للنيابة ، لأن أباهما كان يردّد اسمها وهو يبطّل فى الرُّوح ، فشكوا أنها هى اللى قتلتها ، وإن أمها لما أبلغتهم غادة بذلك ، كلّمت لها المستشار سامح الجندى ابن عمها ، ليجد لها حلا عن طريق معارفه ، حتى لا تتبهدل . تنتبه رحاب ، وتسلّأها عن سبب ذهاب أبوها للمحكمة ، فتجيبها أنه كان يستعد لحضور الجلسة التى قام برفعها ضد البنهاوى ، صاحب محلات السَّراميك ، الكائنة فى آخر شارع

الجزائر ، لأنه باع له محل صغير ، اتضح فيما بعد ، أنه سبق وأن باعه لشخص آخر قبله يدعى منصور عزّ . وبصفتها محامية مبتدئة تسترسل في هذه النقطة ، موضحة لها بأن هذه الدّعى تسمّى في القانون ، بدعى إبطال عقد بيع ملك الغير ، فتقول لها رحاب باهتمام : " اسمها إيه ؟ " . فتكرّر اسمها : " دعوى إبطال عقد بيع ملك الغير " .

- : " آه " .

تطلب رحاب من سارة أن تمر عليها ، ليذهبا معاً إلى العزاء ، فتبدى سارة اندهاشها : " هو انتى ماتعرفيش " .

- : " معرفشى إيه ؟! " .

- : " محدش قالك من زميلنا " .

باستغراب : " لا " .

- : " دا أنا رجلى مكسورة ومتجبسة بقالى شهر ، ولسة خمستاشر يوم وأفگها " .

تتعاطف رحاب مع سارة قائلة : " يا حبيبتي يا سارة ، والله ما أعرف " .

تستطرد سارة ، وتحكى لها حكاية وقوعها من على السلم ، وساقها التى أعيد فكها ، وتجبيسها للمرّة الثانية فى أقل من عشرة أيّام ، وقلقها المتزايد من أن يؤثر هذا على طريقة سيرها ، أو ما قد يؤدى إليه إعادة تجبيسها هذا من عرج ، ربما يصيب ساقها . ثمّ حكايتها ، مع الأستاذ بركات المحامى الذى كانت تعمل عنده ، والذى قام بالاستغناء عنها ، ولم يفهم

ظروفها ، وأيضاً موقف خطيبها عمر الغريب ، والغير متوقَّع
منها بعد الحادثة ، وغيره الكثير ممَّا أخذت تسترسل هي فيه
لأكثر من ساعة تقريباً، إلى أن بلغت السَّاعة التاسعة ، فاتَّخذت
رحاب من ذهابها للعزاء حِجَّة تعللت بها ، وودعتها ، مغلقة
التليفون ، وهي تمسك رأسها من الصُّداع الذى اعتراها .

*

ب د ه س ا ل ع ا ب ر ح ي ن (د)

الخميس 12 أكتوبر 2000م 14 رجب 1421هـ

{1} Ebra.Z .

You are in "Cat Chat:29" (Meow, chat, meow-meow. [Notification: We are currently recording IP addresses of all Yahoo! Chat users.])

saoyny_2661: اخر ستوس انستى

morad_bo2006: joined the room

almgro7_almdmr55: ممكن بنوته او مدام للجنس على الخاص ؟

kk_mm_55: هاي

aaaaaa71089: مطلوب صديقة جذابة الشخصية

kk_ff_zzzzzz-3: مطلوب قحبة أو مؤخرة سالب

almgro7_almdmr55: اية مفيش بنات ولا اية

rame29663: مين يحب يشوف الكعبة المشرفة من الداخل

kk_mm_55 : انا

el_afret8t: ممكن اكلم بنت او ولد يكون دارس قانون او بيدرس
القانون وياريت يكون من جامعه بنها
darkemad5006: شباب اسمعو دى
kk_mm_55: ياريت نشوفها
morad_bo2006 : joined the room
sendbad715: مهمتنا ارشاد الانسانية كلها الي تعاليم الاسلام اللي من
غيرها مش حتسعد الانسانيه
darkemad5600: واحد كهربائى اتجوز اربعة جيلهم مشترك
kk_mm_55: هههههىىىى
kk_ff_zzzzzz-3: طيز أمك دمك ثقيل
aaaaaa71089 : ممكن مصريه محترمة جدا فوق ال٣٥
darkemad5006: مين
darkemad5006: انا
walid_eta_love : left the room
darkemad5006 : الله يسمحك
kk_ff_zzzzzz-3: ايوة انت يا ابن اللبوة
dodedode_200977: هاى ممكن اتعرف على شاب رومانسي وامور
afaf_afaf147881: ممكن اية بنت من اسكندرية حلوة وحشة مش مهم
amnyai : انت مين
aoad_aoad2006: |||||مممكن بنت لبنت شرط كمير
morad_bo2006 : joined the room
almgro7_almdmr55: ممكن اتعرف عل مدام او انسة عوزة كمره
تيجي شرط كمره او مايك

merry.jone: هاى انا ميرى من اسكندرية ممكن انهاردة الخميس..... عيد ميلاد ابليس؟
 el_afret859: ميرى ممكن
 almgro7_almdmr55: ممكن احول رصيد الان من تليفونى لاي بنت او مدام بس بشرط:
 espike_lovesamar77: left the room.
 mido2009960 : آه يا فلسطين
 ahmed_magdy7850: بطل ياعرفات
 kk_mm_55: وبطل ياصدام
 kk_ff_zzzzzz-3: بس يا واد إنت وهوه يا واد
 ahmed_magdy7850 : الموت لبوش وشارون
 himaalex_2010: ممكن حد يدلنى على موقع سكس
 kk_ff_zzzzzz-3: Live Sex - Hot Live Sex Shows!... LiveJasmin.
 almgro7_almdmr55 : ٢٥: اللى عايزة افلام سكس او تشحن الموبيل
 تكلمنى على الخاص شرط كاميرا للتأكد
 aaaaaa71089 : انا اريد الزواج من امرأة عربي تعيش معي بالسويد

*

{2}

يٰٓاَنجُومُ مَدَنًا
 خَلَّيْنَا ضَوْكَ مَرَايَاتٍ عَيُونًا
 صَمِّمْنَا صَوْرَتَكَ عَلَى نَارِ شَجُونًا
 لَفَيْنَ حَتْرَسَى خَطَاوِينَا فَيَكِي
 وَقُلُوبَنَا لَسَّهُ مَسْكُونَةٌ بِيَكِي
 الْحَلْمُ جَوَّهُ مَخْنُوقٌ مَارَاح

وتعبتنا هو الذى سيكن البراح
دورنا عنا فى دروب مداينك
مالاقينا إلا أحزان حبايبك
إكمن إحنا بنعيش فى مَرِّكَ
مش ممكن أبداً حنداوى جُرِّكَ
ياللى إنت كنتِ مهمومة بينا
ابتدينا نحس إن اتنسينا
والدنيا بعدت أوى عن عَيْنينا
وبكره أصبح ماهوَّاش قريب
فى وش بَشْرِكَ حُزن غريب
وفى فجر صُبْحِكَ سواد كئيب
مين اللى خَلَّى قَرَجِكَ يغيب
ويئسى يومك على طول علينا .

جورج اسطافنوس ١٢/١٠/٢٠٠٠م

الدَّش مفتوح على قناة
Sct ، والمشاهد الجنسية
المعروضة ببطء معهود بين
ثلاثة من النساء يمارسن
اللعق لفرَّوجهن بالتبادل ،
وهنَّ متحلقات فى شبه دائرة
على بساط شرقى ، تستولى

الحجرة غارقة فى
سكونها ، إلا من بعض
أصوات مختلطة على البعيد.
ضوء الإباحورة الناعم الذى
يتسرَّب فى خفوت يكسبه
سطح الدُّولاب ذى اللعة ،
ألقة ذهبية ، حين الانعكاس

عليه .

عايدة منطرحة على
جانبيها الأيمن ، ومائلة
برأسها على حاجز السرير
الخشبي . مستغرقة في
تهذيب أظافرها بالقصّافة
المتدلية من سلسلة مفاتيحها .
ولأن طريقة رقدها قد تمنح
انطباعاً ما يوحي بسكينة
تتجلى فيها ، إلا أن شرود
عينها وحركة يدها ، وهى
تمدها لأخذ سماعة التليفون
المعلّق بجوارها أعلى
الكوميدينو ، ينبىء بغير
ذلك .

طرز الغرفة ، واللمسات
التي تحيط بالأثاث ، وبعض
الأيقونات القليلة المعلقة على
الحائط ، تمنحها ذوقاً
كلاسيكياً خاصاً .

تبدأ في ضرب الرّم
الأوّل ، ثم الثّاني ببطء متردّد

على اهتمامها بالكامل .

تجلس رحاب على
الفوتيه المواجه للسرير ،
وتتظر بشيق فيما تلتفت
من حين لآخر جهة ابنها
أشرف الرّاقد على الفراش ،
ومغطّى بإثنين من
البطاطين ، محاذرة أن
يستيقظ فجأة ، ويُشاهد ما
يُعرض على التليفزيون .

تنهض مقتربة من
الشّاشة ، وتقف مشدوّهة
تتأمّل شفّتي المرأة المأخوذ
لهما صورة عن قرب بحجم
الشّاشة ، وهما يلعبان بظر
الأخرى في نهم . حيث
تدخل هى لسانها داخله ،
وتأخذ فى المصّ ، غير
عابئة بما تحوّلت له الأخيرة
من دعك في نهديها .

يرن جرس التليفون ،
فتتجه إلى الشفّير الموضوع

أَوَّل الأمر ، ثم تكمل الباقي .
تضايقها سلسلة المفاتيح التي
مازالت ممسكة بها فى
قبضتها ، فتركها بجانبها
على حافة الكوفرتة .
: " إزايك يا رحاب " .
: " مين ، آه ، أهلاً عايدته
ما بسمعشى صوتك
ليه ؟ " .
: " لا . أبداً " .
: " لسه بتفتكرى يا عايدته ،
ما خلاص الموضوع
انتهى " .
: " قالت ، دا عنده تلت
ولاد . حروح
أخدمهم ! " .
: " بتقول مش مهم ، يعنى
أتجوز واجيب لنفسى
هذة بعد طول صبرى
، لأ أفضل فى بيت
أبويا أحسن " .

: " صحيتك م النوم " .
: " سألتك عليه " .

: " إزاي ؟ ! " .

: " لازم برده تاخذ بالها
من سنّها . مش
حيجيلها إلا التوعية
دى " .

: " أختك دى زى تعب
نفسها " . ثم تتذكر :

"وإِزَّى أَخوكى صبرى ؟
خرج من المستشفى ؟ "

- : " لَأَ، لَسَّه . بكره الصَّبَح
إنشاء الله " تسمع
جرس الباب ،
فتستدرك: " معلش
أسبيك دلوقتى يا عايدته ،
أحسن بينه رسمى
هو ده اللي بيخبط
على الباب . تلاقيه
جاي تعبان من السَّفر .
سلام يا عايدته " .

تغلق سَمَّاعة التَّليفون ،
وتسرع بالذهاب إلى الصَّالة
لفتح الباب . تتذكر أن الدَّش
ما زال مفتوحاً على قناة sct ،
فتعود وتحولّه علي قناة
مصر الفضائيّة ، وتتجه لفتح
الباب . فيواجهها رسمى
بقامته الفارعة ، وشنطته
الجلد التى يمسكها ببسراه .
تبتسم فى وجهه، وتأخذ
منه الشنطة ، وتضعها على

- : " يا الله مع السَّلامة " .
تغلق السَمَّاعة ، ثم تنزل
بجسمها إلى أسفل ، وتشدّ
الكوفرتة فوقها بيد ، وبالييد
الأخرى تضغط على مفتاح
الأباجورة ، فتغلقها .
تغرق الغرفة فى الظَّلام
والهدوء التَّام ، ولا يُرى
غير ضوءٍ خافت ينبعث من
لمبة الصَّالة الصَّغيرة التى
تصرُّ العمّة على إضاءتها

ليلاً .

يرن جرس التليفون
،بصوته المزعج فى سكون
الغرفة . بسرعة تمّد عايده
يدها إلى السّماء ، وتلتقطها
وهى تهّم من رقدتها .

- : " أيوه "

- : " أيوه يا عايده "

- : " مين "

- : " أنا يسر "

- : " أهلاً يسر . صوتك

واطى ليه ؟ "

- : " أصلى بكلمك من

أوضتى ومش عايذه حد

يسمع . شفتى يا عايده ،

لقيت السّاعة والعقد لما

دخلت الأوضة دلوقتى ،

ولقيت العلبتين الللى كانوا

ناقصين من الكرتونة .

معناه إيه ده يا عايده ،

معناه إنه زى ماقولتك

هى الللى بتسرق .

الفوتيه الموجود فى زاوية
الصّالة ، جهة الحجرة . ثم
تضىء النّجفة الصّغيرة .
وتجلس بعد أن كان هو قد
جلس قبلها ، بادياً عليه كثير
من الغضب والإرهاق
: " مفيش فايده ، حوّلونى
للمحكمة التّأديبية "

- : " وعزت كمان ؟ "

- : " وعزت ومحسن

والمدير العام "

- : " ما تشلش هم ،

عملت الللى عليك "

- : " الللى غايظنى ، إن

كل ده من غباء عزت .

كلنا قلنالاه ما يكتبهاش .

كان ممكن نلم

الموضوع "

- : " قدّر الله وماشاء

فعل "

يغرقان فى الصّمت

لحظات ، ثم تنهض رحاب

- " إنتى رجعتى داخله المطبخ ، حيث يُسمع
بيتك؟! " .
: " آه " .
يُفتح .

- : "كويس . مبروك .

يبقى زىّ ما اتّفقنا طلّعى

الدّهب والحاجات الغالية ، وشليهم عند أبوكى " .

- : " طب والكراتين ، حطّلع الكراتين برده " .

- : " خلاص سيبى الكراتين بس " .

- : " عارفه انبارح بعد أمّا سيبتك حصل إيه " .

- : " إيه ؟ " .

- : " لقينته قاعد فى البيت مع أبويا ، وقعد يقولّى شريانى ولأ

مش شريانى " .

- : " والله " .

- : " وقعدت أدعى على نفسى ، وعلى ولادى الللى خلّونى

أعيش معاه . قعد يقولّى إنسى بقى كل الللى فات ، وتعالى نبتدى

صفحة جديده . إديته وقولتله إذا كان علىّ أنا كرهتك ، ولو كرهى

زاد عن كده يا حقتك يا حقتلنى . ولازم تعرف ، إذا جيت معاك

مش عوزاك تلمسنى . إنت فى أوضه وأنا فى أوضه . قعد

يترجّانى ، ويبوس إيدى زى الكلب " .

- : " آه " .

- : " وحكيتله عن أخته إنها قدّامه بتقعد مستهونه . وبعد أمّا

بينزل بتعمل الللى ما يعمل ، وقلّتله إنت عارف هى ماشيه إزّاى .

أنا شفتها وأنا فى العربيه . اسألها بتجيب الفلوس دى كلها منين. قالى
أنا ماليش دعوة بيها . وقولتله خد أبويا ، وروح معاه للمأذون واحكيله
كل حاجه ، وشوف حيقولك إيه . أنا مليش دعوة " .

- : " آه . صح " .

- : " وقولتله . بصّ ، أختك دى عايزه تكرّك فى أبويا ، أنا
سمعتها وهى بتقولك إنه بيشخ ع السرير ، فى حد يقول الكلام
ده. مخّلتوش ، آه . هو كان دبحلى حمامة ، ومعرّقى بدمّها " .
- : " آه " .

- : " مالك يا عايد ، إنت عايزه تنامى " .

- : " لأ ، أصلى معدتى تعبانه النهارده ، وعندى مغص شويّه " .
- : " خدى أنتوسيد ، أو أى مطهر ، وإننى تخفى على طول " .
ثم تستطرد: " طب يا عايد ، حسيبك دلوقتى ، واشوفك بكره " .
- : " خلاص ماشى نتقابل بكره . مع السّلامه " .

تغلق عايد السّماعة ، وتعاود غلق الأباجورة . وقبل أن
تنزلق تحت الغطاء ، مستسلمة لغفوة بدأت تطالها . تدخل عليها
أمّها : " إيه يا عايد ، مين اللى كان بيّصل بيكى دلوقتى . مارضتش
أدخل عليكى وإننى بتتكلمى " .

تنظر لها نظرة مأكرة تنفى بها أى شبهة لما تظن: " ياماما " .
ثم تخبرها أنها يُسرّ زميلتها فى العمل .

- : " طب يا عايد ، نامى عشان تقدرى تصحى بكره بدرى " .
هكذا تقول ، وتخرج ، تاركة الغرفة لسكونها المُخيم .

*

{3}

هل هو نذير شؤم خشية المعالنة؟! ❁

اصطكاك السكين بالطبق ، جرّاء تقطيع منال لقطعة من الجبن ، هو الصوّت الذى لا يُسمع غيره فى الحجرة .
الوجوم بادٍ على وجه خالد ، فيما هو لا يلتفت برأسه فى أى اتجاه ، وكأن شيئاً ما قاهر يمنعه من ذلك . أمّا السّت أصيلة ، فتتخذ من هدوئها الغريب على غير عاداتها حاجزاً يحول بينها وبين الثرثرة بحواديتها المعتادة .
منال ترمقها بجانب عينيها فى استرابة من أن يكون قد حدث بينهما مشادة لا تعلمها .
تهض السّت أصيلة من فوق مقعدها ، حاملة الطبق الفخّار الذى به بعض لُقيمات من الخبز مقضومة ، ثم تنسل من الحجرة باتجاه المطبخ .
دقائق . وتعود لتمر أمامهما فى الصّالة المقابلة ، حيث تقوم بفتح التليفزون ، وتجلس على الكنبّة الكبيرة فى حرص أن تشد روبها على كامل ساقبيها وهى تضمُّهما ، لتتحدّد انثناءاتهما ، مفصحة عن جمال أنثوى باذخ ، يزيده صندل البيت ذو الكعب العالى بريفاً .

يُخرج خالد من الشُرْفَة الرّئيسية المطلة على حجرة نومه ، غالقاً الشيش ببطء ، وحابساً الشنكل فى مكانه .

عندئذ تريح منال الغطاء قليلاً إلى أسفل ،
بعد ان كانت قد جذبته حتى صدرها ، تفادياً
لتيّار الهواء البارد .

وفى طريقه لخلع روبه البنيّ ، وتعليقه
على مشجب الباب الرئيسي ، يتعرقل فى
سجادة الحجرة النائئة ، و المطوية حافظها .
إلا أنه يتماسك ، ويذهب لوضع الرُّوب أعلى
المشجب ، ثم يخرج إلى الصّالة . يضىء
مصابيحها النيون ، وبخطوات مسرعة يقصد
الحمام .

وعندما يخرج تُواجهه السّت أصيلة
متصنعة الدُخول إليه . حيث تهامسه قائلة
: " خلى بالك . منال بتبص علينا جامد ، بينها
شّكه فى حاجة " .

ثم تردف : " مالك كده ، خليك طبيعى " .
ينظر لها ولا يتكلّم ، سائراً فى طريقه
نحو حجرة النوم . فيما تتابعه هى
بنظراتها ، ثم تدخل الحمام .

غير أنك لا توعز قضمها على شفتها السفلى إلى حكة حادة ،
ذرت صداها بين حفاف أسنانها . بل أوعزه وبقليل من الحنكة إلى

اعلم أن هذا
الصّوت نتاج
ما أدخرته
لك
مفصلات
ضلفتيك من
رطوبة غرفتها
البحريّة
الواطئة . لذا
اقتنص
الفرصة وشّف
مسامعها ،
مُتوغلاً بما لك
من تصييت
إلى أذنيها
اللذين صاروا
موضعا
لاستمراء
ركّزك الخفىّ .

تقوميات مُخَيَّلة تتداعى بقوة ما بثته فيها التّصاویر الفاتئة من أبخرة، بحيث يمكن تصوّر ما يتمرّأ الآن ناهضاً أمام مقتلعتها التّهمتين. فإذا ما خلعت سرواها الدّاخلي ببطء ، مستنيمه للدّغدغة التي يطلقها نسيجه بملاسة بشرة فخذيها ، ثم جلست على السّرير المقابل مباعدة بينهما ، غالبت شعوراً يبتاحك بالضّم . حيث مزيج من البهجة تروح تتابع استلقائها ، ورفعها للكمبليزون قليلاً عن ساقها اليمنى التي ثنتها في موضع منتصب ، بينما شدّت على الأخرى البطانيّة ، والملاءة المشجّرة .

لكن وعلى الرّغم من أنفاسها التي تتلاحق ، منتظرة إقباله من الباب المقابل ، إلا أنّها على ما يبدو تأنف من ذاك الوضع الذي دائماً ما يرغبه ، ولا يمنحها - كما أخبرته بذلك أكثر من مرّة - أيّما استشارة جديرة بالاستحلاب . فما من شيء أكثر إثارة لها من فتحه لساقها عن آخرهما ، ودفعهما ناحية بطنها ، ثم الولوج إلى متاهات الوجد .

ومن محلّها ها هنا ، يُمكنها ، وبهذا القدر الذي تُشهره من عرى فخذاها ، أن تراهن على استقطابه لمواقعتها ، رغم عدم تهيّئه الذي بيديه في ظروفه تلك . فهل عندما يدخل هو هكذا مثلما يفعل الآن ، ببيجامته كاملة ، إلا من سترته العلويّة التي مازال يزعج بيده في أحد أكمامها ، ستنظر له نظرتها تلك الشّبهة ؟ أم ستأوّه له في خضوع ، متذكّرة قول معاوية ، إلى فخته بنت قرظة : خير كنّ الشّخّارات التّخّارات ؟

حسنٌ . لا بأس . جسّدك مشربّ بالحمرة التي تعكسها لمبتق

الأباجورتين المطليتين بالأحمر، والمعلقتين على جانبي السرير ،
ويشعُ صهيذاً يلامسني من الأمام . وكلما اقترب بخطواته الثقيلة
نحوكِ ، صار واضحاً ما استبان لي من اهتزازات عينيك المرتعشة
في توجُّس .

أمّا ما استعدتيه مليّاً من أفاعيل مراهمتك مع الخدنة شوشو ،
فأبداً لن يكون مدعاةً للتقليل من حدّة نزوعكِ إليه كما تظنين .
فرجل هذا شأنه في ضخامة الجرم الذي يُبديه ، كفيلٌ باستدراجكِ
إلى قصيِّ قيعان النشوة . غير أنه يُخيّل إلى ، وبجرمته اللامبالية
التي صدرت منه توّاً ، وهو يجلس أسفل قدميك عند مؤخّرة
الفراش . دون أيّ بادرة تتجلى في عينيه ، أنه سيزيحك بلطف
مثلما ها هو يفعل ، ثم يرقد مُشيحاً بوجهه بالاتّجاه الآخر . إذ
بالمقابل وفي أمر كهذا يتسنّى لك أن تعمدي إلى رفع ساقكِ
اليسرى أعلى وركيه ، واصله ربما إلى خنقة عضوه في اصرارٍ بلا
شك سيدرّكه ، منتظره منه المزيد .

على أنه مرة أخرى بمسكٍ بسمانة ساقكِ يتحسّسها
ويدغدغها بجنوّ ، ثم يزيحها بعيداً عنه . لتوقني من استحالة بُغيتكِ
اليوم . وأن الاستمرار في تحايلاتك تلك لها مغبّة ستُزيقك ألماً
تأنّفين منه .

هنا ، تمدّين يدكِ إلى عضوه ، وتعتصرينه بقوة ، ثم تقفزين ها
أنْتِ فوقه غير عابئة بأيّ تذرُّم .

*

{4}

أيةُ وضاءةٍ كانت ستكتسبها
خُضيراتى ، لو لم أَميل أنا جهة تيك
السُّرُج المُدلاة أسفلى، فيما يصير
لزماً على ذاك الذى استباحته
كيبوتزات تاركوفسكى المُحتشدة
كدوّمات هائلة، فى المسافة مابين
أخدانى المُنتصبين فى شارع
الجمهورية ، وأصص صبار العم
لوقا ، أن يتقبل كون كابسولات
Epirazole التى يتعاطاها يومياً
لن تستطيع أبداً جعل مائة
وعشرين ضابطاً عراقياً ، صاروا
سماداً لإست البطريك أن يُسفِّدوا
فى ليلة العام الواحد والتسعين ،
عُجيزاتٍ ، ياطالما أُنْتهم تئن فى
بياضها كاشفةً عن لَبُوناتها الفارحة.
نعم ربّما كان من السَّهل تشبيهها
بكائنات آل الأفريقيّة ، التى مازالت
هاهى ترتحل مابين عينى الفتى
المنعوت من قبلهم فى عدد يناير
من أخبار الأدب ٩٩/٩/٩م بالإرهابى

المتحفِّز ، جزاء أكثر من إثنا عشر
عاماً يُفجّر فى بنيات اللغة . لكن
هل يمكن تصديقه ، أو أن نُصيّت
معه حين يقول : من
ذلك الذى هو

إنكى : جَعَلْتُ
أجيشُ
بطيئاً . أنظر : إنّ هذا هو الدرّهوكُ
يَصِيءُ بجانب خُرْتِ سَجِيحِ حَقْوِ
يَطْلُعُ مِنْ دُبْرِ الأَيْك .

وراح طاهر يُطمئن العمّ لوقا ، ويقول له أنه لن يعطيهم
الفرصة للنيل منه ، أو لفعل ذلك ثانية : " خلاص اتعلّما " .

- : " أوّل ما تحسّ بحاجة امشى على طول " .
- : " طبعاً " .

ثم يردف : " قولى بس ، مش محتاج إنت أى حاجة أجيبهاك " .
- : " ابقى قوت ، ما تبقاش كده تطوّل " .

يبادره ، وهو يمسك بيده ذقنه الكثّة بالشعر الأبيض : " يا راجل
يا طيّب لسة ما عرفتش مقدارك عندى " . ثم يخرج من باب الشقة
وهو يؤكّد له أنه سيمر عليه كثيراً ، إلى أن يزهرق هو منه ،
ويقول له : " كفايه كده قرفتتى " .

هنا يظهر الأستاذ رزق وهو يتبع طاهر من الخلف ، ويده

فى يد العم لوقا يشدُّ عليها ، يبدو أنه كان واقفاً بجانب العم لوقا
خلف الباب ، أوربما على الأرجح اتجه للحمام سريعاً للتبول ،
وقبل أن ينفلت مغادراً يحثه العم على أن يدع ابنه وليد وشأنه ،
ولا يفرض عليه مواعيد حضوره ليلاً بهذا الشكل الذى اشتكى
له منه : " دول جيل الانترنت يا رزق " .

- : " دول جيل التعب " .

ثم يضيف وهو يهبط الدرجات ، بصوتٍ فيه شحنة غضب
:" ابقى اسأله بيقعد فين بالليل " .

بسلاماته المعهودة يودعهما العم لوقا وهو يغلق الباب
ببطء ، ثم يتذكر فيفتح لهم نور السلم .

يسرع الأستاذ رزق فى هبوطه ، إلى أن يقرب من طاهر
فيهديء من خطواته . وفى صمت يتلقان هما الإثنان لفحات
الهواء البارد ، بغلق ستراتهم فى احتراز .

دائماً ما	من أمام المدخل يمر مصطفى متسانداً
كانوا	بعكازه ، وحاملاً كيساً به على ما يبدو
يُسهسون	متطلبات العشاء . يلقى التحيات على الأستاذ
ليلاً عند	رزق وطاهر الواقفان يتحدثان ، ويسير فى
مفترق	طريقه .
الشارعين ،	الأستاذ رزق ينادى عليه وهو يتجه له .
بما يكفى	يلتفت مصطفى ، ثم يقف . فيما يظل طاهر
لأن نلتقط	منتظراً مكانه .

وعندما يعود رزق يتجهان للدخول إلى
كافيتيريا الطيران ، حيث يران الحاج صالح
والست فتحية ، وهما يهبطان من التاكسى ،
فيفضلاً أن يبتعدا عنهما .

ولأن طاهر يعلم بموت ابنة الأستاذ فاروق
غرقة في رأس البر ؛ يسأل رزق عنها ،
فيخبره بأن أسرتها جميعها هناك ولم يأتوا بعد
وأن مصطفى قال له الآن أنهم سيحضرونها
غداً ليشيّعوها على صلاة الظهر . وأن أمها
انهارت تماماً ، وأدخلوها المستشفى هناك .

ومع إصغاء طاهر متأثراً لبعض التفاصيل
التي لم يكن يعرفها ، يلتقط أحد المقاعد ،
ويضعه في الركن بجوار البوفيه ، ويجلس
طالباً من قاسم فنجانيين من القهوة المحوَّجة له ،
وللأستاذ رزق الذى يأخذ مكانه عن يمينه .

ينتهى الأستاذ رزق ، ثم يطرق برهة .
ولمّا كان يريد أن يعرف من طاهر قصة
حجزه الغريبة بالقسم اليومين الفاتتين ، فقد
راح طاهر يقصُّ عليه ببطء ، وبصوتٍ
هادئٍ حروفه ممدودة ماحدث له بالتفصيل .
وكيف أنّهم أتوا وأخذوه من مكتبه وسط ذهول
الموظفين ، وخشيتهم من التدخل . وكيف حاول

بقايا
لغط
حديث
الفلستينى
الأعرج ،
أحد
أحفاد
فدائيّ
بيت
ساحور ،
بُعيد عودته
سالمًا
من
هناك
مع
قافلة
النّازحين
.

نائب المأمور أن يُحجّم من أقواله ، ولا يُسجّلها . وكيف تم وضع الحديد في يده ، وتففيشه وجرّه إلى النيابة العامّة ، ثمّ الشّعبة ، ثمّ مباحث أمن الدّولة . وشكله المهين وهو سائر أمام الناس في الشارع ، والعسكري بجواره ، ويده مكبّلة مع يد أحد الصّبيّة الذين يتّاجرون في الحشيش . وشعوره المؤلم وهو ملقّى في الحجز لا يستطيع النوم طوال الليل . وضيق المكان الذي يفتشون بلاطه البارد ، وقذارته وامتلائه بالروائح الكريهة التي تفوح من المرحاض المفتوح عليهم ، والصّئنان الذي ينشع به البلاط . ثمّ مناوشاته لبعض الصّبيّة الذين يدخنون البنجو ، وألّا عيبتهم التي أخذ يتأمّلها وهم يتحايلون بها ؛ كي لا يحسّ أحد بما يفعلون . والقصص الغريبة التي استغرق في سماعها ، رغم أنه مشحون بمرارة لا حدّ لها ، وغيظ مكتوم . وإخباره بأنّ هذا الحجز ليس الأوّل له . فقد ادّعى عليه المدير العام قبل ذلك - منذ ما يقرب من شهرين - أنه قام بسبّه في مكتبه ، مستغلاً اتّصالاته ، ووضع الوظيفي في إبلاغ القسم ، وتشديد التّوصية عليه . ثمّ ماتلا هذا من استغرابه لاستجوابه من قبل أحد مفتشى مباحث أمن الدّولة ، فيما لا داعٍ أبداً منه ، حتّى ولو كانت هذه مؤسّسة دينية . ثمّ جرّه وتدويره في نفس اللّفة التي قاموا بفعلها اليوميّن الفائتين .

وعندما يسأله الأستاذ رزق : " طبّ السّبب كان إيه المرّة دى ؟! " يخبره بأنّ إحدى الموظّفات التي كان بينها وبينه عداوة سابقة لا يعرف سببها ، قامت بالادّعاء عليه بأنّه سبّها ،

وأن ذلك كان بأمر وتخطيط المدير العام ، حتى يضعه فى صورة الموظف الباطجى والمشاغب ، بعد أن علم بشكايته لدى جهات أعلى فى الوزارة .

أمّا ما علمه بعد ذلك من أن مدير الشؤون القانونية حاول إفهام المأمور ونائبه أنه مجنون ، ومصاب بخلل عقلى ، بل وعمل على تحويله لمستشفى النصر لإيداعه أحد العنابر ، لولا عدم إقتناع المأمور بذلك ، فهذا الذى جعله يتأكد بكل يقين من أنهم قد بلغوا المدى ، ليس فقط فى سعيهم المصير والحقيقى وبكافة الطرق ، ودون رادع من أى شىء للتخلص منه ، بل بلغوا المدى فى سعيهم للقضاء على حياته تماماً ووأده حياً .

وعندما يصمت طاهر ، ويصن رافعاً رأسه فى شرود ، يطلب منه الأستاذ رزق أن يُحاول نسيان ما فعلوه معه ، مع استمراره فى الشكوى لأعلى الجهات فى الدولة ؛ لأن هذه ليست هى القنوات الشرعية لمحاسبة الموظف ، ثم يُضيف متسائلاً : " لكن ليه مباحث أمن الدولة بتراقبك دلوقتى ؟! "

- : " مش عارف " .

يصمت الإثنان ، ثم يقول طاهر : " يمكن عشان هدّدت بقتل المدير العام فى القسم ، لو عملتى تقرير ضعيف السنّة دى كمان " .

- : " فى حدّ يعمل كده يا طاهر ، إيه ده " يضرب كف بكف

" وفى الظروف دى . إنت ناسى حكاية العربى " .

فجأة يجدان العم لوقا أمامهما بروبه المعهود ، وشبشب البيت

فى قدميه . يندهشان أول الأمر من نزوله هكذا . إلا أنه يبادر
طاهر قائلاً : " أبوك تعبان قوى يا طاهر . بينها أزمة قلبية ، ونقلوه
المستشفى " .

يندفع طاهر واقفاً : " أبويا ؟! عرفت منين ؟! " -
: " أخوك كان بيسأل عنك ، وبلغنى بالتليفون " .

يُرَكِّزُ العم لوقا للحظات نظره عليه ، والحزن ينفطر من
عينيه ؛ فيجفل طاهر أكثر ، ويُخَمِّنُ أن الموضوع أكبر من ذلك
بكثير . ثم يتجه خارجا من المدخل ، يتبعه الأستاذ رزق . أمّا
العم لوقا فيخبرهما أنه سيطلع لارتداء ملابسه ، وسيتبعهما
فوراً .

*

{5}

سنديانة من فضاء اللازورد تركع
لأقواسها أشجار السيدة الأولى ، وتهمس لزجاجها
الصَّقِيلُ قُمْصَانُ خَاصِرَتِهَا .
الأَرْضُ تَلْمَعُ ، وَالشَّمْسُ تَسْتَجِمُّ
فِي ظِلِّ مَنْ ضَوْءٍ وَلَّى .
تَتَّبِعُ زُمَرَدَهَا ،
وَتَتَّحِدُ لَخَطَاها الْمُكْتَحِلَةَ
بِالدَّمِّ ، وَتَسْتَحْضِرُ
كَفَنًا مُهَشَّمًا بِحَجْمِ الوَسْعِ

فى الدَّهْشَةِ ، والرَّعْدَةِ فى الصَّحْوِ ،
وتُدْرُهُ بتريعاتها من وراء رِيح سَمُومٍ مُرْمَزَةٍ
بَنَهارٍ مُعْتَصِرٍ بِالْإِثْمِ .

حديقة من أصلابها يخرج الواحد الذَّكْرَ ، ويرسُمُ فى
قِراغِها دائرةَ الزَّهْرَةِ . يصيْحُ صَيَحَتَهُ

الأولى ، ويُسَدِّلُ على خَلائها
سَتائرَ الزَّنْكِ ، ويُحَصِّنُها بالأجراسِ النُّحاسِيَّةِ ،
وتَفْعِيلاتِ الأَسْمَاءِ المُشْتَبِكَةِ ، وإشاراتِ الثُّبُوتِ فى المَعَارِجِ القَمَرِ .
هى السَّيِّدَةُ الأولى
وهو الواحدُ الذَّكْرُ .

يَصْنَعُ من جَبْهَتِهِ نَدًّا تَشْرُقُ فِيهِ الوَرْدَاتُ المُذَهَّبَةُ ، والمُدُنُ
الفَسِيحَةُ ، والألوانُ بَفِيضاناتٍ طَيِّفِها ، وأُحادِيثِها المُقَرَّبَةُ لَوَتَرِيَّاتِ
النَّائِى الفَائِرِ فى الشَّرَرِ ، والمُغْتَسِلِ بالإِيماءِ الرِّهْفَةِ ، والمُعْشَبِ
بأزهارِ الخُروجِ من أَصْفادِ السَّلالاتِ ، والقَاماتِ الصِّدَأِ ، بأعْمِدَتِها
ورُخامِها ، وصلَّاتِها العائِيَةِ ، وضَوْنِها المُشْرِئِ فوقَ الخِيُولِ ،
وأقمارِها المُتواطِئَةِ مع الجِجَارَةِ فى رَمادٍ من غُبارِ دائِمٍ ، وسَنائِلِ لا
تَطْرَحُ إِلَّا الكائِناتِ العَفُورِ ، وأَكِلاتِ الرِّجِيقِ فى أَلْواحٍ من خَشَبِ
جَنائِزِ دَابِلٍ ، يَجىءُ من مِشارِقِ الرِّخاوَةِ ، ومِغاربِ من صَحارى مَطَرٍ
جاقَةٍ تَرَجُمُها الجِهاَتُ المُشْتَعِلَةُ ، والمِساخاتُ القِيامَةُ فى كُلِّ إقامَةٍ
مَرَّتَيْنِ فلا تُفارِها عن يَمِينٍ أو شِمالي دُؤَاباتِ الحِمَى المَوْبُوءَةِ بِاتِّشاحاتِ
الحَصَى الأَحْمَرِ ، ولَوَاقِحِ النُّطْفِ الأَثِيمَةِ المُسْتوحَاشَةِ .

*

حَافِرٌ فِى آفَافِكَ أَهْلَةً بَلَوْنَ عَصْفِكَ ، وَفِى أَشْكَالِكَ الْمُؤَجَّجَةِ بِجَمْرِكَ ،
وَالْمَشْطُورَةِ فِى كُلِّ نَامَةٍ مَرَّتَيْنِ ، وَالْمُهَيَّأَةِ لَطْفُسِكَ ، تَمَائِمَ يَرْقَاتِكَ
الْحَبِيسَةِ ، الْمُلْجِفَةِ بِسَرَاوِيلِهَا الْمَرَايَا ، وَقُبْعَاتِهَا الزَّلْزَلَةَ الْمَفْتُوحَةَ
عَلَى أَقْوَاسِهَا الْبُرُوقِ .

صَهْدٌ مِنَ الشَّمْسِ يَأْتِى وَلَا تَأْتِى الْحُرُوقُ .
تَأْتِى شَجَرَاتُ الدَّمِّ ، وَعَلَامَاتُ التَّقَلُّبِ عَلَى إِيقَاعَاتِ الْخُضْرَةِ
الطَّازِجَةِ ، وَشَطَايَا الْمُشَاهَدَةِ الْمُتَمَتِّعَةِ بِالْمَخَاضِ .
طَلِيقَةٌ هِىَ فِى اسْتِحْضَارِ الْهَرَوَلَةِ ، وَالْأَمْتِلَاءِ بِالْحُلْمِ ، وَافْتِرَاشِهَا
سَجَادَةَ بَلَوْنَ أَعْشَائِهَا الْمُتَفَجِّرَةِ فِى الْمَسَافَةِ بَيْنَ جَسَدِ إِيقَاعِهَا ،
وَذَاكِرَةِ بَيَاضِهَا الْمَجْدُولِ نَافِذَةً فِى تَخْلُوقِ الْفُصُولِ .

امْتِدَادُ النَّهْرِ لَا تَجْتَازُهُ قَافِلَةٌ
الْخَارِجِينَ مِنْ سَحَابَاتِ الْأَنْجَذَابِ
لِلْعَصَاةِ الْمُسْتَضِيئَةِ
يَلْبَسُونَ قِمَمَآئِهِمْ شَهْوَةً لِسَنَابِلِ
الدَّمِّ وَالْأَفْحْوَانِ
وَبُرَاقِصُونَ الْبَحْرَ رِبْحَاءً فِى
صَوَّوَةِ الشَّكْلِ الْقُنْبُلَةِ
وَالْقَضَاءِ الْمَكَانِ .

هَلْ اخْضِرَّارُكَ مِنْ اخْضِرَارِ الشَّمْسِ ، أَمْ مِنْ خِلَآلِهَا أُشْرَعَتِ الْمَرَايَا ،
وَأَنْشُوطَاتِ الصَّخَوِ فِى جَنَائِنِ أَشْجَارِكَ اللَّهَبِ ، وَأَبْطُلِكَ الْمُخَضَّبِ
بِالْقَزَحِ الْأَفْقِ ، وَالرُّوْيَةِ الْقِيَامِ ؟
هِيَ نَعْمَةٌ صَاعِدَةٌ فِى مَمَالِكِ الصَّلَاحَةِ ، وَفَسْفُورِيَّاتِ الطُّفُوسِ .

عَسَقُ التَّارِيخِ يَهْوِي
شَهْوَةً لِفَاكِهَةِ الْجَسَدِ ، وَيَلَامِسُ ظِلَّ الْأَفُولِ ،
فِيَأْفُلُ وَيَسْتَكِينُ قِرَاءَةً لَا يَسْتَنِينُ إِيقَاعَهَا ،
لَا يَسْتَنِيرُ بِيَاضُهَا ، يَسْتَعْبِرُ
مِسَاحَةً جَاقَةً فِي قَاعِ الْفَرَاغِ ، وَيَتَّشِيحُ سَوَاداً .
فَتَكْشِفِينَ شَجَرَكِ الْمُعْطَرِّ ، وَمَخْمَلِكِ الْمُصَفَّى خَمراً ذَاكِيّاً ، وَزَنْجَبِيلاً ،
وَسَفَرَجَلاً ، وَتُبَارِكِينَ قِرَاهَةَ الْأَشْيَاءِ ، وَاسْتِضَاءَةَ الرَّحَابَةِ ، وَانْفِلَاقَ
الْغِبْطَةِ ، وَتَشْكَلِينَ بَوْقاً مُتَّسِعاً لِلوَافِدِينَ مِنَ الْبَدْءِ ، وَتَصْهَلِينَ .
تَبْدُئِينَ مَعْرِزُوفَتِكَ الْكُونِيَّةَ وَتَدْخُلِينَ : جَسَدَهُ يَفْرِشُهُ الْمَاءُ . نِصْفُهُ
الْأَعْلَى شَمْسٌ ، وَمَنْبَنُهُ قِيَامَةٌ .
مَبْخَرُوكَ تَتَكَوَّرُ فِيهَا الرُّوْيَةُ ،
وَتَخْرُجُ
مِنْ شُرَفَاتِ أَعْضَائِكَ أَغْصَانُ الدَّمِّ ، وَيَذُورُ السَّرْوُ الْحَمَرَاءَ ، وَمِسَاحَاتُ
مَصْفُوفَةٍ عَلَى هَيْئَةِ عِلَامَاتِ الشَّجَرَةِ ، وَكَائِنَاتٌ يَتَرَجَّلُ فِيهَا الْأَخْضَرُ
وَالْيَابِسُ ، مَحْلُولَةٌ ضَفَائِرُهَا ، وَمَسْكُونَةٌ بِخُطَاهَا الْوَهْنُ . هَلْ أَنْتِ
تَتَهَيَّئِينَ لَهُ ؟ أَمْ هُوَ يَتَهَيَّأُ لَكَ ؟ وَيَفْرِشُ مَدَاخِلَهُ ضَوْءاً مُتَّسِعاً لِفُصُوصِ
التَّأْوِيلِ وَاللَّهْشَةِ ، وَنَخْلَ الْمَاءِ وَالْجَمْرِ ؟
قَلْبِي جِهَاتِكَ ،
فَهُوَ يُقَلِّبُ جِهَتَهُ ، وَقَمَرُهُ يَرْكُضُ فِي وَقْدِهِ مِنْ سُهُولِ التَّفَاصِيلِ ،
وَشَقَائِقِ مِنْ قَطِيفَةِ ضَارِبَةٍ فِي أَلْوَاكِ الْمَسْرَةِ الطَّافِيَةِ ، وَمُفْتَرِشَةِ
سُحْبًا مِنْ رِيَشٍ مُفَضَّضٍ ، وَكَرْمَاتٍ مِنْ وَهَجِ بَهْيٍّ ، تَنْفَرُطُ لَوَافِحُهُ مِنْ
صَهَارِيحِ نَارِ خَبِيئَةٍ .

هِيَ تَارُهُ ،
وهي تَارِكُ ، واشْتِهَاؤُهُ ، واشْتِهَاؤُكَ ، فتشكِّلِي فِي صَوَاقِ الْأَهْلَةِ
ناقوساً ، وذَاكِرَةً ، ومنتهى للخارجين من موارِيثِ الجَسَدِ ، وَيَوَاقِيتِ
الرَّعَافِ .
وتوضاً أَنْتَ بَوَهْجِ أَرْبِجِهَا الْمُشَيِّعِ ، وَعُشْبِهَا الْمَطِيرِ ، وَقَضَّيْهَا الذَّائِبَةِ ،
وَأَقْطُفْ مِنْ حَدَائِقِهَا الْمُزْهَرَةَ بِالْبِلَادُونَا ، وَالِدَّاتُورَةَ ، وَالْبَيْتُونِيَا يِمَارَهَا
الشَّهِيَّةِ ، وَمَا تَقَرَّبَهُ يَدَاكَ ، وَاذْعَكَ بِهِ أَشْيَاءَكَ الذَّائِلَةَ ،
وَانْتَظِرِ الْبُشْرَى ، وَالصَّلَاصَلَاتِ . عِنْدَمَا تَأْخُذُهَا الرَّجْفَةُ ، وَتَمْلِكُهَا
الرَّاجِفَةُ ، فَتَشْرُعْ
فِي

النَّارِ . تَجْتَازُ الْمَسَافَةَ بَيْنَ الصَّدَى ، وَالصَّمْتِ ،
وترتفع قائمةً بالعاصفة . فتفرُّ الْجِبَالُ إِلَى قَرَاغٍ لَيْسَ بِمَسْكُونٍ ،
وَأَرْضٌ لَيْسَ بِكَائِنَةٍ ، بَرَاخُهَا صَهِيلٌ ، وَسَدِيمُهَا غَيْمٌ ، مُبَارَكَةٌ سَمَاؤُهَا
لَا تَفْتَحُ أَبْوَابَهَا إِلَّا لِلضِّيَاءِ ، وَلَا يَنْكَشِفُ أَدِيمُهَا إِلَّا عَنْ وَرَقِ الدُّقْلَى ،
وَأَنْهَارِ الزُّنْبُقِ .

حَتَّى إِذَا تَنَامَى إِبْقَاعُ الْجَسَدِ ، وَتَوَهَّجَتْ أَطْرَافُهُ عَنْ سُلَالَاتٍ مِنْ
حَشَرَجَاتٍ شَبَقِيَّةٍ ، وَكُرَاتٍ يَتَرَكِّزُ فِيهَا جَمْرُ الْعَالَمِ ، وَتَنْبُتُ فِيهِ خَلَايَا
الْعُشْبِ الْمَرْوُوعَةِ فِي خَمَرِ الْأَزَلِ الْمَسْكُورِ ، وَعِنَاصِرِهِ الْمُثْمِرَةِ تَفَاحاً
مَنْثُوراً عَلَى أَيْبُضِهَا الْغُفْلِ ، وَالتَّفَفَّتْ أَنْتَ بِبَرَاعِمِ وَرْدِكَ الْمَائِيَّ ،
وَقَرْحِيَّاتِهِ الْبَارِقَةِ فِي مَهْرَجَانَاتٍ مِنَ النَّدى وَالزَّنَاقِ ، وَتَدَاخَلَاتٍ مِنَ
الدَّوَائِرِ وَالْأَشْكَالِ الْمُوشَّاةِ بَرْنِينَ الْإِضَاءَةِ ، وَصَحَبَ الْحَوَاسِ ،
وَلَمَعَةِ الصَّدَى الْمَمْدُودَةِ فِي فُقَاعَاتٍ مَصْبُوعَةٍ بِالْأَفْقِ الْوَسِيعِ ، فَاتْرُكْ

أَنْشُوطَاتِكَ تَصَاعَدَ إِلَى ظَمَى الْأَقَاصِي ، وَاسْتَدْرَجَ شُمُوسَكَ لَتَرْقُدَ فِي
 مِسَاحَاتِ ظِلِّكَ ، وَأَنْزَلَ مُهْجَتَهَا لَتَسْتَدْفِيَءَ بِشُجَيْرَاتِهَا الْوَارِفَةَ ،
 وَقُطْنِهَا النَّدَى اللَّدَن . ثُمَّ انْشَقَّ ، وَارْعَدَ ، وَاحْمَرَّ ، وَارْتَدَى انْعِتَاقَ
 صَهْدِكَ ، وَحَطَبَ جِيَادِكَ النَّافِرَةَ ، وَامْرُقَ مِنْ بَابِ تَمَرٍّ مِنْهُ الْخُطُوبُ ،
 وَخَلَّخَ الْمَحَنَ الْمُعْلَقَةَ عَلَى تَقَاطِيعِ الزَّمَانِ ، وَالْمُخَضَّبَةَ بِأَسَاطِيرِ
 الْارْتَوَاءِ ، وَامْضَى ، لَا تَعْبَأُ بِظِلِّكَ ، أَوْ خَيَالَاتِكَ السَّارِيَةِ إِلَى الْقَاعِ ،
 فَالْقَاعُ مُزِيدٌ بِالْفَحْمِ وَالْجَارَةِ لِانْعَتْلِيهِ مَوَاسِمُ النَّصَارَةِ ، أَوْ وِضَاءُهُ
 التَّيْجَانِ ، وَاسْتَيْقَ جُمُوحُكَ ، وَأَقْطَابُكَ الْوَاصِلَةَ بَيْنَ الظَّمَى وَقَانُونِهِ ،
 وَاللَّهَبِ وَصَهْدِهِ ، حَتَّى إِذَا اكْتَمَلَتْ شُمُوسُكَ ، وَهَمَمْتُ بِالرَّحِيلِ إِلَى
 قِمَمٍ تَأْدُنُ فِيهَا الْفَسْحَةَ بِالْمَدِّ ، وَالْقِرَاءَةَ بِالسَّقْفِ ، حَيْثُ الرِّيحُ كُمُوتٌ
 مُزَلْزَلٌ ، وَاسْتِقْرَاءٌ مُسْتَفِيزٌ لِلْأَمْشَاجِ ، وَحَدِيقَةٌ لِلْهَيُولَى ، يَتَجَلَّى
 فِيهَا أَلْقُ الْحُقُولِ ، وَالزَّغَبُ الْمُلتَفُّ بِالْقَوَارِيرِ الْمَجَازِ ، وَالرِّيَاحِينَ
 الْمُتَمَاوِجَةَ سَعْفًا وَكُسْتَنَاءَ ، تُسَمِّيْهَا هِيَ بِالرَّجَمِ الْجَمْعِ ، أَوْ بِالوَاحِدِ
 الْإِبْتِدَاءِ ، فَتَخْلَصُ مِنْ هَوَاجِسِكَ الْأُولَى ، وَلَوْحٍ لِلْمَوْجَةِ الْقَادِمَةِ فِي
 رَكْضٍ عَظِيمٍ ، ثُمَّ اعْطَفَهَا عَلَى أَضْدَادِكَ ، وَاشْرَعَ بِهَا إِلَى رُخَامِكَ
 الثَّقِيلِ ، حَيْثُ تَسْتَضِيءُ بَبَوَابِكَ الْمُقْنَعَةَ بِالصَّبِّ ، وَالْمُشَبَّعَةَ بِأَجْرَانِ
 الدُّودِ ، وَالْمُسَمَّرَةَ فِي غَابَاتِ الْقَارِ فَتَمَرُّ مِنْهَا وَلَا تَقْرَبُهَا بِأَحْجَبَتِكَ أَوْ
 صُلْبَانِكَ ، ثُمَّ تَسْتَبْدِلُ وَجْهَكَ بِوَجْهِ الْمَاءِ ، وَطَقْسِكَ بِطَقْسِ النِّجْمِ أَوْ
 الْبَدْءِ الْقِيَامَةِ ، وَتُطْلِقُ عَصَافِيرَكَ الطَّوَافِ عَنْ يَمِينِكَ ، وَعَنْ شِمَالِكَ ،
 وَتُوَاخِي أَعْرَاسَ الْمَرَايَا ، حِينَ الْمَزَامِيرُ تَعْلُو ،
 وَتُعْلِنُ الرِّوَاغِدُ الدُّخُولَ
 وَتُعْلِنُ الرِّوَاغِدُ الْخُرُوجَ

فَتَنكُشْ هِيَ وَبَرَهَا ، وَتَسْتَجِمُّ بِأَنْهَارِهَا الْمُصَفَّاةَ بِرَقُوقاً وَمِسْكَ ،
وَتَعْجِنُ قُطُوفَهَا بِاللَّهَبِ السَّقَايَةِ ، ، ثُمَّ تَزْقَرُ زَقَرَةً هَائِلَةً ، يَمُورُ فِيهَا
جَسَدُهَا وَبِنَعَصَنَ ، وَتَفْتَحُ كُوَّةَ تَخْرُجُ مِنْهَا نَافُورَةٌ مِنْ زَرْعٍ حَامِضٍ ،
وَفُطْرَ نَتْنٍ ، مَعْقُودٍ فِي جَمَاجِمِ حَلْقِيَّةٍ مُسَوَّدَةٍ بِالثَّرَابِ ، وَمُتَنَاطِرَةٌ
آيَةً ، يَسْطَعُ فِيهَا دُخَانٌ مِنْ رَعْوٍ ، وَرَمَادٌ لَهُ نَكْهَةُ الشَّيْبِ ، وَعَبِيرُ
النُّعَاسِ ، وَتَرْمِكُ بِهَا .

فَلَا تَحْزَنُ ، وَلَا تَخْتَشِرُ دَمَكُ ، فَهَذَا نَخْلُهَا الْمُحْتَرَقُ ، وَتَمَرُّهَا الَّذِي لَمْ
تَعْلُكِهِ الرِّيحُ ، وَلَمْ تَنْفُخْ فِيهِ بُورَةَ نَجْمٍ .

فَادْفَعِهِ عَنْكَ وَاسْتَتِرِ ،
حَتَّى يَأْخُذَ لَوْنُهَا ابْتِهَاجَ السُّنْبُلَةِ ، وَأَلْقِ الْوَرْدَ ، وَخَصِرَهَا شَكْلَ
الشَّجَرَةِ الْوَارِفَةِ ،

فَتَهْرَعِ لَهَا
إِذْ تَهْرَعُ لَكَ ،
تُلَيْسُ أَعَاصِيرُهَا وَرَقَ الْمَحَبَّةِ ،
وَعَقْدُ الْمَشِينَةِ ،

وَتَحْلُبُ هِيَ ضَرْعَهَا وَتَسْقِيكَ ،
وَتُلْفُ حَمَحَمَاتُ مَوْجِكَ الْمُسْتَبِقِ لِلْوَصَالِ
بِرُوضَتِهَا الْبَايَعَةِ ، وَأَدِيمِهَا الْمَزْرُوعِ مَرْجَاناً وَنَبِقَ ،

حَيْثُ تَمِيلُ عُودَهَا ، وَتَتَنَى رَدْفَهَا ، وَتَفْرُشُ جَمْرَهَا سُلَّمًا بِحِجَمِ
شَمْسِكَ ، وَعَمَقِ مَنِيَّتِكَ ، وَأَتْسَاعِ وَهْجِكَ ، وَتُرْكِيكَ خَصْرَهَا ، عَارِجَةً
بَكَ إِلَى مُدُنٍ لَيْسَتْ بِضَفَّةٍ ، وَلَيْسَ بِهَدْبٍ ، وَلَيْسَ فِيهَا مَا يُقَاسِمُ
الضِّيَاءَ مَنَبَعَهُ ، وَلَا مَا يُخَاصِمُ الْجَنِّيَّاتِ ، وَيُلْقِيهَا بِالْحَجَارَةِ الْمُدْبَةِ ،

والحصى الرَّجِيم ، ليس فيها مَنْ يزرعُ للغراشَاتِ فى كلِّ أَقْى زَوْبَة .
فيها فراغُ الرُّسوم ، واستقامَة البياض ونُصُوع المَـسَافَة فى مواضِع
اللُّهات بين الوَسع وظُلّه . فيها الحُلُمُ غِطَاءٌ يتفجّر فيه الطَّيْفُ ثُرْبَاتٍ
من قَناديلَ مُؤجَّجَة ، وشُرُفاتٍ بَصيرَة تفرحُ لها الكائناتُ المُذابَة فى
حضرة التَّكوين الهَيُولى ،
والجَسَد الأثير .
هى السيِّدة الأولى ،
وأنت مُكوْنُها ،
فادخل جَسَدَها - استرح - وباركها .

طاهر وهيب

(الباتافيزيقي / الوعى المُغاير)

بورسعيد فى 28-2-1988

أَلقيتها بنادى أدب بورسعيد لمرة واحدة ، ولم أعد لتذكُّرها رغم قربها من نفسى ، لكونها
تمتَح من منطقة مينا فيزيقية ، أعمل منذ سنوات ضدها . طاهر وهيب . أكتوبر - 2000 م

يُهرول طاهر ورزق ، علَّهما يلحقان بالمعدِّيَة التى ابتدأت
حالاَ طلوعها . وعندما يحاول طاهر القفز على مقدمتها
الحديدية ذات المفصَّلات ، والتى ارتفعت عن الأرض ، يجد
الأستاذ رزق قد توقَّف ، ويناديه الانتظار ، ريثما تأتى المعدِّيَة
الأخرى المتجهة ناحية المرسى المجاور .
يتراجع طاهر ، ويقف مكانه ، ثم يسير ليسْتند على حديد
المرسى . وفى مُضَى الأستاذ رزق نحوه ، يحثه بصوتٍ حانى

النبرات أن لا يقلق وأن يظل متماسكاً مثلما اعتاده دائماً : " خير انشاء الله يا طاهر " .

ثم وهو يستند بجانبه يهمس لنفسه : " خير انشاء الله " .
تقبل المعدية شبه فارغة إلا من عربتين أو ثلاث ، وبعض الأفراد . فيتمتع طاهر : " حَقَّعْدَ مَدَّةَ عَشَانِ تَطْلَع " .
- : " لَسَةِ السَّاعَةِ مَا جَتَشْ وَاحِدَةً يَا طَاهِر " .

هكذا يقول الأستاذ رزق ، وهو ينظر لساعته .
ترسى المعدية بصوت مفضلاتها المزعج ، فاتحة مقدمتها لركابها المغادرين . ومن نافذة عربته التي تخرج بجوارهما ، يلقى المتر وهيب التحية على الأستاذ رزق ، فيرد عليه بالمثل .
يدخل طاهر مسرعاً ، ورزق خلفه .

*

{6}

هل كان عصام حابك يُدرك أن المرأة التي زود بها حجرة القياس مؤخرًا ، سوف تُخرج تلك السيدة ، بكل هذه البساطة ، عن وقار اعتاد منها عليه ، حين تتراءى لها انحناءات فخذها الضخمين في مكان آخر غير محل نومها ؟!!
لكن لماذا حين اقترب الفتى الفيتشزمي من محلّه ، في توجهه واضح إليه ، لم يصعد فوق الطوار ، بل سار

بمحاذاته مُبتعداً رغم أنَّ التوقيت هو مواعدهما ، ليبدأن معاً
 في غلق المحلّ غلقاً كاملاً، نظراً كما هو العادة لمغادرة
 الصَّبى شعبان له كلَّ خميس قبل الثَّامنة مساءً؟!
 لأنَّه رأى المحلّ مُغلقاً ، فرجَّح أن عصام فعل ذلك
 مبكراً هذا اليوم ، لعلمه أنه ليس بالإمكان أن يأتي
 هو في مواعده ، بعد الخناقة الَّتِي دَبَّت بينه وبين والده ،
 جرَّاء المجلَّات الخليفة ذات الصُّور الفاضحة ، الَّتِي اكتشفها
 مؤخراً في درج مكتبه ؟
 على كلِّ كلِّها ترحيحات جائزة .

*

❁ لا أعدوا أن أكون رقعةً لممارسة
 صحافاتهم الماكرة ❁

نداء إلى وزير الداخلية	حالة السجون في مصر .
.	يضغط إثنين عليك على العنوان ، فتبدأ
أنا عبد الباقي	الصَّفحة ببطءٍ شديد ، وبشكل تدريجي ، في
محمد الباهي	إظهار سطحها المملوء بالعناوين والجداول .
* ١٣ شارع	يتوقف عند عنوان " تطوُّر أعمال العنف
الحزائر والنصر	السياسي في مصر منذ العام ١٩٩١ " ،
* بورفؤاد	ويقرأه بتمعُّن ، ثم يطلع بالموس إلى مقدِّمة
* بورسعيد	الصَّفحة ، حيث عنوان " صرخة إلى
.	السيد اللواء وزير الدَّاخِلِيَّة " بالبنط الأسود

أنا رجل مسنّ
أقرب من
الثمانين ،
شاء الله أن
يبتليني في
أحد أبنائي
الذى فقدته
في حادث
سيارة ، فمات
وهو فى زهرة
الشباب وأنا
أحوج ما أكون
إليه ، فحمدت
الله ورضيت
بقضائه وقدره ،
وقبل أن
تندمل الجراح
تم اعتقال
ابنى الآخرين
عام ١٩٩٤
بتهمة
الانضمام

الثَّقِيل .

وحيثما يتأكّد من أن هذا الموضوع هام
جداً بالنسبة لمقالته التى يعمل بها هذه
الأيّام، يضغظ على خانة " ملف " المكتوبة
بخط صغير أعلى الصّفحة ، وتوّ أن تفتح
يضغظ على " حفظ بإسم " ليقوم بحفظها .
وما هى إلاّ عشرة دقائق ، يفتح فيها
كثيراً من الصّفات التى تتلوها دون أن
يقرأها ، حتّى ينهض جاذباً وصلة الإنترنت
المتصلة بجهازه من الخلف ، ويشرع فى
حفظ الصّفات الواحدة تلو الأخرى .
يغلق أيقونة الاتصال بالإنترنت، فتظهر
جميع الصّفات التى قام بحفظها على هيئة
ملفات، على سطح المكتب . يأخذ فى
تحويلها بالموس إلى مجلد المستندات ، ثم
يدعها بلا تبويب . إلاّ أنه يفاجأ بكثرة
عددها ، وظهور الرّسالة التى تفتح على
واجهة الشاشة ، معلنة انخفاض مساحة
القرص " D " ، ووجوب إزالة بعض
الملفات عنه ، فيقوم بحذف كثير من
صفحات مجلة الرّقيب ، وبعض مسودّات
الإطار الاستراتيجى لمنظمة الأغذية ،

للجماعات
الإسلامية
وبعد خمس
سنوات تقريباً.
توفي أحدهما
بعد إصابته
بمرض السلّ
اللعين
وأكملت عليه
الحمي
الشوكية
فلقي ربه
مخلفاً وراءه
زوجة
وطفتين في

والزراعة ، ثم يغلق الكمبيوتر .
يتجه إلى الحمام . وبعد خروجه إلى
الصّالة يبدأ في ارتداء الشّراب والجزمة ،
ناظراً إلى أمّه المقتعدة فراشها ، تقرأ في
القرآن على ما رجّح . حيث من مكانها ،
وقبل أن يفتح باب الشّقة ويخرج ، تقول
له: " ماتنساس السُّكّر " . فيجيبها بأنّه : " مش
ناسي " . وبالفعل يهّم بالخروج ، على أنه
يتذكّر عدم وجود المحفظة معه، ووجودها
في الجاكت الآخر الرّمادي .
يذهب إلى حجرة نومه ، ويفتح
الدُّولاب، ويأخذها هي وكارت النّيل الذي
يجده معها، ويضعهما في جيب بنطلونه
الخلفي، مع كارت ميناثل ، ويتجه مغادراً .

سن
الزهور ، وابني الآخر يوسف عبد الباقي ما زال معتقلاً
بسجن الوادي الجديد منذ ١١ عاماً ومصاب بالسلّ أيضاً
وتليف في جزء من الرئة ، وأخشي أن يلقي نفس مصير
شقيقه داخل السجن ، ونحن ما عدنا نقوي عليّ تحمل
مصائب أخرى فقد أصيبت أمه من الحزن عليه وعلي
أشقائه الإثنين بجلطة في القلب . وأصبت أنا بشلل نصفي

ولا أستطيع الحركة ، ألتمس من اللواء حبيب العادلي الإفراج عن ابني خاصة أنه لم يشترك في أي أعمال عنف واعتقل وعمره ١٦ سنة .

عبر شارع الجيش ، يتجه ليسير فوق رصيف جامع النور . وما إن يلفت نظره ، نعيّ فوق جدار مدخل عمارة (٢) حتى يتوقف مقترباً ، فيفاجأ بأنه لزوجة الحاج منتصر . يعدل نظارته السميكة ، ويميل بشدة ناحيته ، ثم يتمهل في قراءته . وعلى ضوء مصابيح الشارع القويّة ، يعلم أن تلقى العزاء سيكون غداً بدار مناسبات المسجد العباسي ، فيستغرب لعدم إقامته في دار في بورفؤاد . ويتساءل وهو يسير ملتفاً من حول ناصية بوتيك هالة ، عن متى وكيف ماتت ، وهي التي رآها أمس وسألها عن الحاج منتصر ، فيما كانت واقفة في شرفتها تنزل السبت لابنها علاء .

يسرع في طريقه ، خاطياً باتجاه عربية ماكس بورجر ، وتوَّ أن يواجه بياسر وأكرم اللذين يقبلان من شارع التأميم ، ويسلمان عليه ، يستفسر منهما عن وقت خروجهما . فيخبراه أنهما قد خرجا لتوَّهما . فيسألهما هل فعلوا معهما شيء . فيجيباه بأنهم فقط احتجزوهما ليلة أمس ، وعملوا لهم فيش وتشبيه ، ثم تركوهم لحالهم .

: " يعنى مجرد تحرّيات " .

- " آه " .

يُودّعهما ويسير في طريقه ، حيث أبخرة اللحم المشوية
والكوفته يزداد تصاعدها من العربة، كلما اقترب ، ناشرة
حولها مجالاً يسيل له اللعاب .

يتضحك قليلاً مع شمس وعبد ، ثم يأخذ طلباته ، ويهمّ
بعبور الطرف الآخر من شارع التأميم . حيث ينحو صوب
المعدية .

يظل سائراً ، ورغم إطراره برأسه إلا أنه يلمح طاهر ورزق
وهما يجتازانه من الجهة الأخرى ،
ويهرولان في نفس اتجاهه، دون أن
يلتفتا له .

بطء يطلع متمهلاً رصيف المرسى
المجاور لسور نايدى التجديف ، ثم
يتوقف منحرفاً باتجاه إحدى السيدات
المتخلفات عقلياً ، والتي تفتش ركن
الرصيف . يقترب منها ، ثم يخرج من
الكيس الذى يحمله ساندوتشين ، ويمدّ
يده بهما لها . فتجفل أول الأمر مبتعدة.
لكنه ما إن يميل عليها ويقول لها
مُكرراً : " خدى ، خدى .دا ساندوتش " .
تمدّ يدها وتأخذها منه ، وهى تنبسم ،
ثم تضحك ضحكة قوية ، غير مُتحكم
فيها .

فبذات القصّة ،
وبسخاء الذى
يدّخر دهشاته
للمولعين
باستجلاب
الفرص ، أعزو
مروقهم ،
للمسكوت عنه .
وأستمرىء كوني
آخر مَحَطٍّ لمسراهم
العصية ، وإذا ما
تحاشى سعد
مُناجزته التى توعّد
بها ، أعتبر ذلك

يبتعد إبراهيم عنها باتجاه ميدان
المسلة . وهو يلتفت برأسه من حين
لآخر ، متأملها وهي تقضم من
السَّاندوتش في نهم . وتضحك ، مطلقاً
بعض صرخاتها العفوية المزعجة .

نعم . ويتملكني

منذ البدء بُغية أن

أكون موضعاً لإسهاب الذين يحترزون مُحجَّتهم . أولئك الميالون لما
يُسمَّى بالملازمة الرَّاجحة . أو بمعنى أدقَّ الجيَّاشون بأن يتجاوزوا
أخداهم . ولو في شيء واحدٍ قد يحوِّسقطاتهم الأخرى .

حدث أن تهامسوا أمامي بتلك القول . فهل يمكنني الاستغناء
عن إحاطتهم القابضة ، وهم في غمرة سجالهم ييكون الكمائن .
إن المسرة هنا تتجلى في ألفة أعينهم ساعة المنتهى . وبالمقابل
يتسنى لأى مارق من مشاهداتهم لشرائط البورنو التي أتوا بها
خلصة ، أن يفرط في أدواره تلك دون إحساس بفقد . فليس
أثخن مثلاً لأولهم الفطن من أن يصير محلَّ ظنٍّ . وهو الذى ودَّع
كل شيء من أجل فقط تحقيق ما أتوجَّه به من المعية . فما بال
لو خرجَ عطا تَوْاً من الشُّرفة ، يتضاحك على نقلةٍ أصرَّ أن يجعلها
مبعث نكوص له .

وخلال ما مقداره ساعة ، يكون قد أُستثير جرأء المرئيات التي
كان فيها نكءٌ لألمه المزمّن ، والتي تجعله وبلا مبالاة مفرطة يدخل
بمفرده المرحاض يعرك عضوه بشدَّة ، مُتزلاً حيامينه كبقع من قطنٍ

مندوفٍ لزوج ، يتبعه خلدنه الآخر نور عبد الله . وعلى الرغم من ترمُّهم من شلة البيبي تيس أن تحضر ، فإنهم يحرسون على أن يتركوهم لشأنهم يمارسون عادة المصافقة ، شريطة أن لا يُدخنوا صراصيرهم تلك .

لكن وفي اللحظة التي من شأنها أن تجعل الفطن له الغلبة على البيبي تيس ، بنقلة RC4 ، يحدث ما سيكون له فيما بعد تبعاته المؤكدة .

يرفض الأخير لمس الأوّل للحصان دون أن يُحرّكه . وفي الحال يتفوّه بكلمة خرنج ، فيبادره الأوّل : " إتلّم وأقعد بأدبك " .
ينتفض البيبي ، ويهبُّ واقفاً ضارباً القطع بيده .
يزعق فيه الفطن : " أخرج برّه " .

يقول له البيبي بلسانه الثقيل : " دى مش شقتك " .
ينهض الفطن دافعه بيده خارج الحجرة : " لأ شقتى " . ثم يستطرد : " يا لله بهدوء كده اطلع " . محاذراً أن يزيد من انفعاله خشية من ردّ فعل البيبي المعروف بعصبيّته الزائدة ، وأفعاله التي تأخذ أشكال تهورها المفاجيء في أوضاع كهذه . إلا أن البيبي يتجّه بالفعل مُغادراً الشقّة ، وهو يشير لأفراد شلته أن يهملوا معه ، بحزمٍ يوحى بتأكده اليقيني من موافقتهم له .

وبالفعل يدع حامد وأنور مشاهدة فيلم الفيديو ، ويهملوا وراءه . ثم قبل أن يخرج من باب الشقّة ، يلتفت برأسه : " إنت موافق على كده يا عصام " . يرّد عصام : " ملش أتهارده يا تابعى " .
لأتساءل أنا معهم ، ماذا بمقدور البيبي أن يُقدّم عليه جرّاء إهانته

هذه ؟!

أنسى اصطياذه العام الماضى هو وشلته لجعفر الحلاق ،
وضربه حتى أغمى عليه ، ثم خشية الأخير من الشكاية ضدهم فى
القسم وتسأول الجميع عن سر هذه الخشية .
كل شىء يصحُّ توَّ أن يعود المكان لهدوئه . وحيث يكون
استغراق الفطن فى ملاعبة لدوده ، فترة إراحة مُرجأة لانفعالاتٍ
منه قد تنضح .

إنَّها التوجُّسات يقيناً التى ترحم بالهم . أمّا ما ألاحظه من
حركات منفعة للفطن فى نقله لقطعي المنحولة الخواف ، فهذا أمرٌ
مُتصوّر منه ومقبول ، وبنىء بتوابع آخر .

وكوئى أتلقى ماشاء لى أن يلوح فهذا من دواعى غبطنى
الباهظة . إلّا أنه من المحال قطعاً أن أدع للتخمينات مساحة أكبر
مما يُفترض وقوعه . ثم هاأنذا لا أملك فى نفس الوقت إلّا أن
أشهرٍ شذرى من تعاطيهم المكرر معى . ويكون ضحكى الوله
حقيقة إزاء ما ينفلت فجاءة من أفواههم . حيث أدعوهم على
الفور ، وعكس ما هم يتصوِّرون بأسياذ الوحشة الكروب .

ودون أدنى إحساس بالغبن للفطن ، يمكننى أن أنعته باللامبالى
الصُّعلوك . وذلك حين يلقي بإحدى قطعي الأمامية ، فى لحظة
تأزُّمه الخاصّة من نافذة الغرفة المواربة ، ليكون علّة أولى فيما
يعترينى من اختناق .

أهكذا يكون جزاء من يهب المتعة الخالصة ؟!
أجيزُ لنفسى ، أن أتمادى فى لعنكم . أنتم يا مَنْ تستمرئون

اغتيابي ، وتقولون : لعبةٌ مضیعة . ومن فرط خوائكم القانع المهذب تعزون كل انتكاسة على رقعتي لظروف طارئة .
إنه هذيان ولغوٌ لا يُصدّق . ذاك الذى لا يمنحنى الخصوصية .
محض هراءات تحتضر ، حتى ولو أشعلتم حنكتكم بنسب كل فاعليّة لدىّ إلى سُلالة المفقودات .

ضحلون ، حتّى وأنتم تسترعون انتباهى . وهذا هو الأهم بما لا تُفاس حُجّته . أمّا كون هبوطكم الاضطرابى إلى أسفل للابتحاث عن قطعى الضّاعة ضرورة بالغة لكم ، فهذا من دواعى امتنانى المحسوب .

تُحبّدون الفرجة على شرائط الفيديو ، هذا صحيح ، ولا ضير فى ذلك . لكن الذى أؤاخذكم عليه هو أنكم وتو أن قرّرتم القلب على قناة الدّش ، رغم زعم أحدكم أنّها غير جدیرة بالمتابعة طالما لا تملكون كروت التّشفير ، يتّخذ الفطن من إلقائه لقطعى الأمامية المهاجمة ، ودون سبب وجیه يمكننى استعابه ، منفذا لإخراج حومة مايموج داخله من غليان ، ثم ينتفضي غاضبا .
على أنه ومع محاولات عصام أن لا يجعله يُغادر الشّقة ، يكون انسلاله للحمام ، الذى لا يلبس فيه إلا برهة . يخرج بعدها ليجلس مُطرقاً فى الصّالة ، حيث يَجْئه صوت أحمد منصور من قناة الجزيرة ، مُعلقاً على مشاهد ضرب مقرّ الرئيس عرفات .
يُخيل إلى أن هذا قد استوقف بعضكم أثناء ابتحاثكم عن قنوات البورنو .

على كل هذا تمّ ، وما هى إلّا دقائق معدودات ، حتّى يخرج

هو من باب الشَّقَّةِ مغادراً ، تتبعونه أنتم بنفس الخطو ، لكن
لُبْعِيَّةٍ أُخْرَى تصرُّون على إتمامها .

*

{7}

يبدو أنه ربَّما لن تستطيع أن تغفو يا إبراهيم هذه
الليلة اغفاءتك المتقطَّعة على موسيقى موزار ، التي
يبيِّثها تسجيلك بإصرار قاصد ، ضدَّ ما أفتى به شيخنا
الجليل فى إحدى فيوضاته الأسبوعية ، من أن من
ينامون على هذا النوع من الموسيقى لا يعرفون الله ❁

يُخرج المفتاح من جيب بنطلونه ، ثم يفتح باب الشَّقَّةِ ،
وهو يحمل فى يده الأخرى كيس السندوتشات ، وكيلو السكر .
يعبر الصَّالَةَ ، ويدخل حجرة السُّفرة ، واضعاً ما يحمله ،
على مائدتها الكبيرة ذى المفرش الجلدى المزخرف بأشكال
فرعونية مذهبة . وفيما هو يسحب ورقة السَّنَدوتشات ، ينادى
أمّه أن تأتى ، وتعمل لهما الشاي .

تقبل عليه أمّه من حجرة نومها بطرحة الصَّلَاة البيضاء ،
وتقول له : " تلت دقائى حدخل الحمام ، وأروح أعمله " ، يتجّه
إلى المطبخ ، ويحضر طبق ويضع فيه الطرشى ، ثم يذهب
ليغسله . وعندما يعود يقوم بتوصيل أفياش الكومبيوتر
بالكهرباء ، حيث يضغط زرّه ، ثم يتجّه ثانيةً إلى المطبخ ، ويعود

بكوبين وملققة .

يتذكر دورية وجهات نظر ، ومقالة إدوارد سعيد التي خطرت على باله وهو بالخارج ، فيُسرع لحجرة نومه ، وعبثاً يظل يبحث عنها بين الكتب ، والمجلات الملقاة على المائدة الصَّغيرة المركونة بجوار السرير . غير أنه يجدها أخيراً محشورة أسفل الكتب التي رصَّها أمس خلف الدُّولاب . ولكي ينفِض عنها التراب يضربها ضربتين بطرف المائدة ، ثم يفتحها ويُقلب صفحاتها وهو في طريقه إلى حجرة السُّفرة .

يرن جرس التليفون فيتركها على المائدة بجوار الكومبيوتر ، ثم يعبر إلى الصَّالة .

يرفع السَّماعة ، فيجد حلمى على الطَّرَف الآخر .

بعد السَّلَامات ، يخبره حلمى بمجىء صديقهم رَأفت عثمان من القاهرة ، وسؤاله الكثير عنه . ثم يؤكد له أنه سيتَّصل به غداً ، ليراه قبل سفرته الأخيرة إلى لندن . وعندما يقول له : "ليه ؟!" يُذكره برسالة الدكتوراة التي يشغل عليها منذ أكثر من أربعة أعوام ، وأنه رايح هذه المرَّة للانتهاء منها . ثم يسأله إن كان يجد عنده كتاب : "ماذا حدث للمصريين" لجلال أمين ، فيجيبه بأنه عنده . فيطلب منه أن يحضره معه في مقابلتهم غداً مع رَأفت . ثم يحكى له عن الملازم الذى رأياه أمس هو ورَأفت وهما يتعشيان فى مطعم جلال يخرج من سينما ريو مع ثلاث فتيات وشابٍ ، يزعم ويتوعَّد إدارة السيِّما بأنه سيغلقها لهم ويشمّعها بالشمع الأحمر . وعلمه بعد ذهابه للاستفسار من

الواقفين على المدخل ، بأن الملازم كان هو والشاب يقبلان
الفتيات الثلاثة ، ويدخلون أياديهم في مناطق حساسة من
أجسادهم . وأن أحدهم رأى الملازم في الركن القصي من
البلكونة ، وهو يخلع عن واحدةٍ منهن الكلوت ، ويجلسها على
فخده .

فيسأله إبراهيم : " كان لابس البذلة الميرى ؟ "

- : " آه وكان معاه جهاز لاسلكى " .

يُسمع صراخ واضح فى الشقة التى تعلو شقة إبراهيم .

- : " عندكم الصوت ده ؟! "

- : " إنت سامعه ؟ "

- : " آه ، جدّاً " .

تُقبل الأم من المطبخ ، وتقف على مدخل الصّالة تتسمّع .

- : " دى ناهد اللي حكتك قبل كده عنها " .

وقبل أن ينهى المكالمة ، يطلب منه حلمى أن يحضر له مع
كتاب جلال أمين عدد سطور الأخير ، فيخبره إبراهيم أنه لم
يشتره . ثم يردف : " طب بقولك إيه ، والنّبي يا حلمى عاوزك
ضرورى وبأى طريقة ، تجيبلى التّقرير الاستراتيجى العربى بتاع العام
اللى فات ، اللى بيصدره مركز الأهرام " .

- : " ما عنديش والله يا إبراهيم " .

- : " لازم يا حلمى " .

- : " صدّقنى ما عنديش " . ثم مقاطعه : " الصّريخ على

قوى . اطلع شوف إيه الحكاية دى ، بايّى جوزها حيقتلها

التهاردة " .

- " خَلَيْكَ معَايا يا حَلْمى ، ضرورى بقولك . حاول " .

- : " خلاص ، سيبلى الموضوع ده يومين كده ، ويأذن الله
حتلاقيه عندك " .

- : " أكيد " .

- : " إنشاء الله " .

- : " طب يا رأفت معادنا بكره " .

يغلق السَّمَاعَة ، ثم ينظر لأمه
الواقفة على باب الشَّقَّة ، فتبادره وهى
تشير بيدها لأعلى : " بيئى هى وهو لوحدهم
أحسن يموتها " .

يسير نحوها ، وبمجرد أن يفتح الباب
يصله صوت الاصطفاق الشديد لباب
الشَّقَّة العلوية ، ثم نزول ناهد تجرى
على السلم بقميص النوم ، وشنطة
صغيرة تحملها ، وهى تبرطم ببعض
الشتائم ، لا تلتفت إليهما ، قافزة فى
طريقها إلى الشارع .

عام ٢٠٠٠م ،

وهو يرصد

ويقيم أهم التطورات الإيجابية والسلبية التى طرأت على
أوضاع السجون وأحوال السجناء والمعتقلين خلال العام .

وقد رصد المركز قيام وزارة الداخلية بالإفراج عن عدة مئات من المعتقلين من أعضاء الجماعات الإسلامية المتطرفة ضمن سياسة الإفراج عن " التائبين " . فقد بلغ عدد من أفرج عنهم خلال عام ٢٠٠٠م ١٣٤٠ معتقل ، بالإضافة إلى ١١٠٠ سجين ممن قضوا نصف المدة المحكوم عليهم بها ، وثبت حسن سلوكهم ، وسوف يفرج عنهم بمناسبة عيد الفطر المبارك فى نهاية عام ٢٠٠٠م .

وكان من بين من أفرج عنهم مجدي أحمد حسين الكاتب الصحفي بجريدة الشعب الموقوفة ، ورغم ذلك مازالت السلطات الأمنية تعتقل عدة آلاف آخرين من أعضاء تلك الجماعات .

كما يرصد المركز استمرار أوجه القصور في الإطار التشريعي المنظم لحقوق السجناء وغيرهم من المحتجزين .

حيث تنطوي القوانين المنظمة لحقوق السجناء وغيرهم من المحتجزين ، وفي مقدمتها القانون رقم ٣٩٦ لسنة ١٩٥٦ في شأن تنظيم السجون ، على العديد من النصوص القانونية التي تتعارض مع المعايير الدولية لحقوق الإنسان التي تلزم الدول بضرورة كفالة الحق في الكرامة الإنسانية للسجناء وغيرهم من المعتقلين ، وما يتفرع عن هذا الحق من حقوق لصيقة أخرى تعتبر من " القواعد الآمرة " التي لا يجوز للدول مخالفتها .

وفي مقدمة النصوص القانونية التي ينبغي تعديل
نصوصها ، المواد ١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٩ و ٢٨٢ من قانون العقوبات ،
وهي النصوص الخاصة بجرائم التعذيب والإكراه التي
يرتكبها رجال السلطة العامة ضد السّجناء وغيرهم من
المحتجزين ، حيث تعجز تلك النصوص عن إسدال الحماية
الكافية ضد مخاطر ممارسة التعذيب داخل السجون .

﴿ هي مُمارساتٌ تَذَمُّعُونَ
بها حيناً ، وحيناً تفجّوهم
الضربة
القاصمة ﴾

بالقطع	بخبرة يتفادى أحد المارة الذين يعبرون
لقد	عرض الشارع دون انتباه . ثم تستمرّ في
صار من	طريقها ، متجاوزة الممرّ الطويل الضيّق
المستبعد	المخصّص للسيارات . إلا أنها ما إن تقرّر
بعد الهبة	الوقوف على ناصية رصيف حلوانى ملغى ؛
الشتائية	لتستري لترين من ألبان السّلام كما هي معتادة
المُفاجئة	يومياً حتى تراه مغلقاً فتستسلم للدوران من
هذا	حول ميدان المسلة ، باتجاه شارع ١٥ سبتمبر .
اليوم ، أن	من الخلف ، ترى صبرى السّحت يمرّ
يقوم بجّاج	بمفرده على رصيف صيدلية بورفؤاد . وعندما

تنتبه لعينيه فى مرآة عربتها اليسرى ، تتأكد
من كونه ينظر لها باهتمام ، وبكثير من الضيق
كما توقعت ، لرفضها الأتعاب القليلة التى
عرضها عليها فى قضيته .
تواصل سيرها ، وتتفكر فى ما إذا كانوا
فى حاجة إلى أى شىء من البقالة ؛ لتحضره
" بالمرّة " من محل الحمزاوى .
لا يخطر على بالها شىء .
تخرج من شارع ١٥ سبتمبر ، مؤجلة
شراء أى شىء إلى الغد ، ومعوّلة على مريم
التي سترسلها غدا ، قبل صلاة الجمعة ، لشراء
حاجيات البيت ، التي تواظب على شرائها
مرتين كل أسبوع .
فى مرورها من أمام محل كلوديا ، تندبش
لكون شوقى مازال فاتحه ، وجالسا فيه حتى
الآن . وترجّح من جلسته أن هناك شيئا ما
يضايقه . تفتح راديو العربية على موجز
الواحدة ، إلا أنها تغلقه تو أن تتأكد من فوت
موعده . ثم مرّة أخرى تفاجأ بهرولة ناهد
نسبية أولاد عمها ، وجارتها فى الشارع
المقابل ، بقميص نومها ، وشنطة صغيرة
تحملها . حدث مثل هذا ، قبل أربعة أيام . لا

العربة
الليموزين
بفتح جميع
نوافذ حجرة
نومه الشبه
مظلمة
ثم خلع
ملابسه
كاملة
مُدّعياً ،
أمام أولاد
الحاج آدم
الذين
سبق وأن
اشتكوه
فى
القسم ،
عدم قدرته
على تحمّل
كل هذه
الرطوبة ،
مُشيراً

تلتفت لها ناهد بالرغم من قربها الشديد من
العربة ، وتستمر في هرولتها على الرصيف
الموازي للداوودي سنتر ، باتجاه شارع
الجمهورية. أمّا هي فتتابع سيرها ببطء بجانب
النافورة ، حيث تتجاوزها ، وهي تتهادى في
الشارع الأقل اتساعاً ، الممتد من ١٥ سبتمبر ،
ثم وفي منتصفه تقريباً تقف أمام باب عمارتها
رقم (٥) .

لهم على
جهاز
تكييفه
الراقد في
عُطيه
منذ
فترة.

تلمح من الزجاج الأمامي ، فيما هي تبدأ
في غلق المتور ، ورفع زجاج الباب الأيسر
الملاصق ، اللواء يوسف البنهاوى ، يقبل من
الامتداد المواجه بعربته الفيات الكالحة .

تنزل من العربة ، وتغلق الباب بقوة
وراءها، منتبه لعمدان سرادق الحاج مهدى
التي يعمل العمال على ركنها فوق الرصيف
وتربيطها . وبعد أن تخطو عدّة خطوات باتجاه
باب العمارة ، تحاذر أن تنتظر خلفها ، حيث
كاد اللواء أن ينتهى من ركن عربته بحرص ،
في الحيز الفارغ بين عربتها ، وعربة الحاج
لطفى الليموزين ، التي اشتراها حديثاً ، عوضاً
عن عربته الهوندا ، التي أعطاه لابنه
حافظ ، وذلك كيلا يظن ، أنها تحاول جعل هذه

المصادفة حجةً، لتسأله عن إيجار الشقة ، الذى لم يدفعه - ربّما عن سهو - منذ عدّة أشهر . فهي تقدّر ظروفه جيّداً ، وتعلم ما هو فيه من محنة مرض بنته مروة .
وما إن تلج من المدخل ، وتبدأ فى صعود السلم الواطيء ، حتّى تحس خطواته تسرع خلفها . ثم تسمعه ، وهو ينادى عليها . لا تبالى أول الأمر ، ولا تلتفت ، إلا أنّه عندما يكرّر النداء ، تقف فى مكانها مضطّرةً ، وهى تنظر إلى الخلف ، فيما هو يقبل باتجاهها .

منى الجالسة على سجادة الصّالة وسط الجرائد ، تنادى على أختها هدى بصوت عالٍ .
لا يأتيها ردّ . تعاود النداء بلا فائدة .
لا تنهض ، وتظل جالسة على السجادة الدّاكنة اللون والباهتة عند الأطراف . كتب أحمد قزامل بأغلفتها الورقية البسيطة أول ما تلمحه العين تحت أقدامها .
تنتشل بإبهامها وسبّابتها السّيجارية من طرف فمها ، وتبعدها قليلاً ، تلافياً للأدخنة المتصاعدة باتجاه عينيها اليمنى . ثوانٍ . وتضعها ثانيةً ، وهى تنقل عينيها بين منة الجالسة على الكنيّة الكبيرة تتابع التلفزيون باهتمام ، ومشاهد الفيلم . يبدو أن منة قد لاحظت ذلك بطرف عينيها ، فتقول لمنى وهى تشير بيدها : " شايعة يا منى منظر الثّوابيت فى الفجر عامل إزّاي " .
تنتبه منى بلا اهتمام حقيقى ، وتتنظر معها .

تأخذ منة الرّموت من فوق المائدة بجانبها ، وتقول وهى
توجّهه للتليفزيون : " لوحات فنية مذهشة " .

توافقها منى بلا مبالاة : " آه " ، وتعود لكتابة ما كانت
تنقله من كتاب قزامل .

ترفع منة ساقها وتمددها على الكنبه الكبيره ، وتقول: "
دور صغير لأحمد خيرى ، بس جميل فيه قوى " .

تضحك منى ، وبطريقة متفهمة : " ما أنا عارفة " .

- : " يا بنتى الفيلم كله مدهش " .

- : " والله !! إنت تحبى فيلم زى الموميا ؟! " .

- : " وما حبّوش ليه ؟! " .

- : " يا بنتى ده مش للى زيّك . دا أنا نفسى ما بطقشنى
أشوفه " .

- : " عبيطة . دا كفاية المناظر اللى فيه . تستنترد وهى

تشير بيدها للتليفزيون : " شوفى ، روعة يا بنتى روعة " .

- : " ماشى . طب قومى بقى هاتيلى الجرنان من هدى " .

- : " أجيبك إيه دلوقتى ! سببى . ده خلاص حيخلص " .

من حجرة السفرة المقابلة يأتيها صوت مى . حيث يبدو
أنها منشغلة تماماً بالكومبيوتر : " أهو ع الكرسي جنبى . قومى
خديه " .

- : " والنّبي يا مى ، إعملى فى معروف وهاتهولى " .

- : " تعالى خديه إنت " .

- : " والنّبي يا مى " .

- : " لا " .
- : " عشان الورق ما يتلخبثش " .
- : " " .
- : " طب ناديلي هدى تجيبهولى " .
- : " هدى نامت من زمان " .
على مضض ، تنهض منى باتجاه حجرة السفرة ، وهى
تركُّ على ساقها التى نَمَلَتْ : " إنتِ كده طول عمرك ماتخديمش
حد " .

يرن جرس الباب .
تندفع منة لفتحه ، وهى تلتفت وراءها متتبعَةً تتر الفيلم الذى
بدأ ينزل على النهاية . بسرعة تفتحه ، ثم تتركه عائدة لمكانها .
حيث بملاح متجهمة تدخل الأستاذة ألفت . ثم تغلق الباب .
تنظر الأستاذة ألفت لمنى نظرة متفحّصة ، وهى مقبلة
بالجرنان من حجرة السفرة .
تلاحظ أعقاب السجائر الملقاة فى المطفأة الموضوعة على
السجّادة ، غير أنها لا تتكلم .
تلقى بالشنطة على الفوتيه الأمامى ، ثم تتجّه إلى الحمام
على عجل ، وهى تقول : " إيه الأصوات العالية دى ، الناس كلها
نايمة وأنتولسة صاحيين " .
تشير خلفها لمنة : " وطى التلفزيون العالى ده " .

لم تسترسل فيما يتوارد على ذهنها وتحاول أن تبعد الذكرى .

ولأن الدموع تكاد تتفرق في عينيها ، فقد راحت تُحرّك رأسها أفقياً بلا وعى . وتخطو باتجاه التسريحة . تخلع سوارها الذهب ، بحركة عصبية من أصابعها ، ثم ترفع يديها الإثنيتين نحو أذنها اليسرى ، وتنتشل إحدى فردتى الحلق . وبالمثل وبنفس حركتها الرتبية ، تفعل الشيء ذاته مع الفردة الأخرى . يأتيها رنين التليفون خافتاً من الصالة . فلا تلقى إليه بالاً .

وحين تشعر بقشعريرة برد مفاجئة تلفح جسدها ، تدور من حول ظهر السرير ، وتأخذ رובהا المُشَبَّح بألوان دأكنة، من فوق الشماعة المجاورة للدولاب ، وتبدأ في ارتدائه .

تسمع وقع خطوات على الباب ، ثم تراه يُفتح ، وتدخل منه منةً ، وهي حاملة عدّة التليفون ، حيث تخبرها أن أبلة سلوى تريد أن تكلمها . فتتذمّر وتتنظر إليها بغضب ، وتشير لها بيدها وبزمنّة من فمها ، بما يعنى لماذا قلت لها أننى موجودة ؟

تصن قليلاً ، ثم لا تجد منه بدءاً ، فتأخذ السماعة مضطرة ، وعلى مضض ترفعها لأذنها ، فيما تخرج منه من الغرفة ، تاركة الباب مفتوحاً : " أهلاً ، إزّيك يا سلوى " .

- : " إزّيك إنتى يا أبلة ألفت " .

- : " فينك ما بنسمعشى صوتك من زمان ليه ؟ " .

- : " أهو مشاغل يا أبلة " .

- : " وإزّى شوقى " .

- : " أهو كويس " .

- : " هو مش عندك . صح " .

-
- : أيوه . لسه ما جاش " .
- : " ما أنا شيفاه ، وأنا جاية ، لسه فاتح المحل " .
- تثبّت السّماعَة بين أذنيها ورقبتها ، وتمدّ يدها اليمنى لتزيح فستان الخروج من فوق السرير ، إلى الجهة الأخرى ، ثم تجلس عليه وهي تردف : " مش عوايده يعنى " .
- : " أصلى فاتحته انهارده فى الموضوع اللي إنتى عارفاه " .
- : " فاتحته!! مش قولنا خلاص حنسى الموضوع ده بقى يا سلوى " .
- : " مش قادرة يا أبلة ألفت " .
- تصمت برهة ثم تكمل : " قررت ، والصبح قلتهاله فى وشّه ، طلقنى يا شوقى " .
- : " كده فجأة " .
- : " مش حينفع إلّا كده يا أبلة ألفت " .
- : " وعمل إيه ؟ " .
- : " ما عملشى " .
- ثم تستطرد : " بقولك إيه يا أبلة ألفت . سبينا والنبي م الموضوع ده دلوقتى ، أمّا أجيك حبقى أقولك بالتفصيل " . تستطرد : " أنا كنت عايزاك فى موضوع تانى " .
- : " خير " .
- : " سؤال قانونى كده " .
- : " قولى يا سلوى " .
- : " ابن أخويا ساب نيفين خطيبته ، ومش عايزه تدليه

الشبكة".

- : " هو اللي ساب ؟ " .

- : " يعنى عملت موقف كده خلّيته يسيبها " .

ترى صرصار يطير فى الحجرة ، ثم يقف على الدُّولاب ،
فتهمّ لضربه : " موقف إيه " .

- : " قفلت السَّكَّة فى وشّه وما اعتذرتشى " .

تضع السَّمّاعة فى يدها اليسرى ، وتترك العدّة على السرير ،
وتلتقط شبيبها من على الأرض ، وتضرب الصّرصار فتقتله .
تلاحظ سلوى تأخرها فى الرّد فتبادرها : " فى حاجة يا أبه
ألفت " .

- : " لأ . صرصار كبير بس كنت بضربه " .

- : " آه دى الصّراصير مالية البيت عندى السّنة دى ، مش
عارفة ليه " .

تتناول الأستاذة ألفت العدّة ، وتسأل سلوى ، وهى تزيج
الصرصار بقدمها باتجاه عتبة الباب : " هى الشبكة عبارة عن
إيه ؟ " .

- : " إسورتين ، وخاتم ، ومحبس " .

- : " تمنهم كام ؟ " .

- : " حوالى ثلاثة ونص " .

تسألها ، وهى تغادر عتبة الحجرة ، مازالت تزيج
الصرصار بقدمها باتجاه مدخل الصّالة : " فيه فاتورة ؟ " .
- : " آه . عامل فاتورة بإسمه " . ثم تكمل : " شوفى من عبطه

رجعها كل الهدايا اللى جبتها له " .

- : " فيه شهود على كده ؟ " .

- : " لأ ، ولا شاهد . كلهم من أهلها " .

- : " ممكن تشهدى إنتى . بس لازم برده رجالة " .

ثم تستدرك ، وهى تجلس على كنبه الصّالة الكبيرة : " بس المضمون شويّة هو اللى بفاتورة " .

- : " يعنى فى حاجة قانونية تتعمل ؟ " .

- : " طبعا . دعوة ردّ شبكة فى محكمة الأسرة " .

تشير إلى منى أن توطى صوت التليفزيون ، وتكمل : " بصّى ، خليه يجيلى فى المكتب بكرة بليل ، وابقى تعالى برده معاه أشوفك " .

- : " حشوف يا أبله ألفت " .

- : " سلوى . ماتنسيش ، خليه يعملّى توكيل قضايا باسمى فى الشهر العقارى " .

- : " ماشى يا أبله ألفت ، أسيبك دلوقتى . ماعطلكيش " .

- : " طيب يا سلوى ، مع السّلامة " .

تضع الأستاذة ألفت سمّاعة التليفون ، والعدّة على مائدة الأنترية الصّغيرة ، ثمّ تنتظر باتجاه مىّ التى تراها من مكانها مستغرقة أمام الكمبيوتر .

هدوء تام يلف البيت لثوان ، لا يسمع فيه ، إلّا أزرار الـ Keyboard ، وبعض الخرفشات التى تصدر من تصفح منى للجرائد . يبدو أنّ هناك شيئا ما تريد الأستاذة ألفت أن تقوله ،

وتلاحظ منى ذلك . من خبرتها بأمرها تتوقع أن تُفاجئها الآن بشيء ، وتكاد تجزم أنه شيء خاص بها .

تنقل عينيها بشكل هادئ وخفي ، بينها وبين ما تتصفح من جرائد ، وتظل هكذا تروح وتجيء بعينيها دون أن تلاحظ أمها ذلك : " من تو دخولها من الباب ، وهي تنظر لى نظرات أعلمها جيداً " . " معقولة تكون عرفت " . يبدو أنها بهذا تحدّث نفسها .

تتناول الأستاذة ألفت الرّيموت كنترول من جانبها على الكنبه الكبيرة ، وتصوبه باتجاه شاشة التليفزيون ، حيث تفتح الرئيسيفر، وتضغط على رقم الجزيرة ، ثم ترفع صوته ، وتنتبه بالفعل لما تقوله المذيعة لونه الشبل ، عن الإعلان لانعقاد قمة

عربية فى ٢١ أكتوبر الجّارى، وما سرّب من الإزماع على تعديل ميثاق الجماعة العربية لعقد القمة بشكل دورى كل عام ، مع الإشارة إلى حضور وفد من القيادة العراقية بقيادة عزة إبراهيم. وكذا معاودة إيهود باراك لتهديداته بضرب بيروت ، إذا لم تعمل لبنان وسوريا على وقف نشاطات حزب الله والإفراج عن الجنود الإسرائيليين ، ثم لقطات ممّا نقله تليفزيون المستقبل اللبناى عن نصر الله من قوله إن إطلاق سراح هؤلاء المجرمين ، ثمنه تحرير المعتقلين اللبنانيين فى السجون الإسرائيلية ، وتقليله من أهمية

قالت :
لسه
مستغرب؟
وعادت
تأخذ
شفقى
بين
شفتيها،
وتضغط .
كنتُ
هادئاً .

التهديدات. وكذا بعض الأخبار المتفرقة عن
 جدل في مجلس الشيوخ حول خرق الحظر
 الجوي على العراق ، وجدوى الخطوط
 الحمراء ، وما أشار إليه جون وورنر رئيس
 لجنة القوات المسلحة في مجلس الشيوخ ، من
 أن فرنسا وروسيا تخرقان قرارات مجلس
 الأمن في شكل علني ، عبر رحلات جوية
 من دون موافقة المجلس . وانهيار الهدنة بين
 حزب جلال طالباني ، وحزب العمال
 الكردستاني . وتمسك المغرب باقتراحها
 بمفاوضات مباشرة مع " بوليساريو " برعاية
 الوسيط جيمس بيكر . وأخيراً لقطات متفرقة
 عن مظاهرات ضد إسرائيل في استراليا ،
 والسويد ، وفرنسا ، وإحراق للأعلام
 الإسرائيلية . وإلقاء المتظاهرين في العاصمة
 السويدية ستوكهولم الحجارة على السفارتين
 الإسرائيلية والأمريكية ، وهجوم المتظاهرين
 في ألمانيا على معبد يهودي في مدينة ايسن .
 ثم تعليقات رؤساء بعض الدول على صدور
 قرار مجلس الأمن بإدانة الاستخدام المفرط
 للقوة من جانب إسرائيل ضد الفلسطينيين .
 ودعوة منظمة هيومان رايتس ووتش العاملة

فقط أنظر
 بعين
 للسقف .
 كانت
 تنفوه
 بكلمات
 كثيرة عن
 الحب
 والرغبة
 التي
 تملكها
 نحوي .
 وأنا لا
 أتكلم .
 تحوط
 بيديها
 عنقي
 بقوة ،
 ودون
 انتظار
 لكلام ،
 تقبض

فى مجال حقوق الإنسان ، مجلس الأمن
لإجراء تحقيق مستقل فى انتهاكات حقوق
الإنسان خلال الاشتباكات بين الفلسطينيين ،
وقوات الإحتلال الإسرائيلى . كل هذا تتابعه
باهتمام وهى مازالت صامته ، ثم تأتى النشرة
الرأىضية ، فتتظر للساعة المعلقة أمامها على
الحائط ، فتجدها قد تجاوزت الواحدة بعدة
دقائق ، فتعلق التلفزيون ، وتنادى على مئ
أن تريح الكمبيوتر شوية ، وتقوم تحضر معها
العشاء .

فترد عليها مئ بأن كلهن قد أكلن ،
وشربن الشاى ما عدا مئ : " خلى مئى هئ
اللى تقوم بقئ وتعمل " . فتسرع مئ بالقول :
" مش حتعشئ ، مش جابئى نفس ، حنام خفيفة " ،
ثم تستدرك : " ده دورك إنهارده يا مئ قومئ
بيه " .

تسأل الأستاذة ألفت مئى عن مريم ، هل
جاءت باللبن ، فتخبرها بأنها لم تأت به إلا
منذ ساعة فقط ، وأنها وضعتة على مائدة
المطبخ ولم تغليه : " البت دئ بقت فاكده
نفسها حاجة من ساعة ماجوزتوها لعبد الله " .
ترد مئى : " يابنتئ دئ متجوزاه من سنتين ،

على
لسانئ .
إنها المرة
الأولى التى
تصل
معئ إلى
هذا
الحذ .
ومثل طفلة
صغيرة
ترضع
شرعت
فى مصئه .
ياللغربة .
هل كنت
تتصور
أن
يطلع منها
كل هذا
وأنت
تراها
لاول

مالك كده . مش عارفه إنتى بتكرهيهام ليه ؟! " .
 - : " تبقى مين دى عشان أكرهها وحبها " .
 فجأة تخترق الأستاذة ألفت كلام منى
 بصوتٍ مُحدّدٍ وحازم : " إنتِ رحّتِ لسامى فى
 الشُّغل ؟! " .
 تطرق منى لبرهة تكاد تكون محسوسة
 من صدمة المفاجأة ، ثم ترفع رأسها فى تنمُّرٍ
 وغيظٍ باديين : " آه رحلته . دى حياتى وأنا حرّة
 فيها " .
 - : " خليكى ارمى نفسك عليه . بكره
 يشوطك بالجزمة " .
 تنهض وتأخذ فى لمّ الجرائد والكتب : " ده
 خلاص ، شغله وافقله على القرض اللى كان
 مقدّم عليه ، وحييجى يحنّد معاد الحفلة " .
 - : " ابقى قابلىنى " . ثم تؤكّد : " يابنتى
 أفهمى . ده مش عايزك . ده بقاله خمس شهور
 مجاش البيت " .
 - : " بيقولّى عشان بتعملوه وحش " .
 تطوِّح برأسها إلى الخلف ، ثمّ تميل
 بجزعها على ظهر الكنبه : " غلبانة . عبيطة
 مخدوعة فيه . ده مش عايز تيجى منه هو ،
 وتيجى منك إنتى ، عشان تدّيله الشّبكه " . تكمل

مرة .
 أثرتك
 بشخصيتها
 القويّة ،
 ولياقة
 حديثها .
 وتحجّبتها
 الوقور
 المحتشم .
 وطريقة
 حديثها
 التى توحى
 بتدين
 محسوب .
 لماذا كل
 هذه
 الأقنعة
 عندما
 تُمارس
 حياتنا فى
 حالتها
 العادية ؟!

: " وبعدين قرص إيه ده اللي حيليه يجيب فستان
الفرح ، ويحجز النّادى ، ويكمل النّجف ، ويجيب
دولاب المطبخ . خليكى امشى وراه لغاية ما تقعى
على بوزك " .

تردّ وهى تتحنى ، وتمدّ يدها تضع الكتب
فى ضلفة دولاب التليفزيون : " آه ، حمشى
وراه . مش أحسن ما أشمت الناس فى وأقعد كده .
عجباكى قعدة هدى دى ؟! مش إنتى اللّى قعدتى
تكرّهيها فى محسن لغاية ما سبته " .

- : " بقولك إيه ماتقلبش الموضوع . هى

اللّى ماكنتشى طيقاه " .

تُفاجئهم مىّ بصوتٍ مكتوم ولامبالى : " لأ
يا ماما . بابا هو السّبب . بابا اللّى ما كنشى
طابقه . فاكده إزّاي كان بيقرض نفسه علينا
كل يوم فى الغدا ، وما بيكلفش نفسه يجيب
قشّاية " .

- : " طب قومى بقى يا شاطره يا الله إعملى
الشّأى " . توجه الأستاذة ألفت كلامها لِمى ،
ثم تعود لتكمل كلامها مع منى : " ماله أحمد
عشان حيعيش مع أمه يعنى ؟! وماله دى
شقتهم ست إوض ، وفين ، فى أحلى حتة فى
بورسعيد . عند جنينة فريال " .

أفئعة تخفى
وراءها
أشياء
أغرب ممّا
كنا
نتخيّل .
لحظات .
وبعد انتهائنا
من بعض
الأحضان ،
والقبل ،
ودخول
يدى إلى
مناطق
أنوثتها
الجائعة ،
ودهشتى
لإصرارها
على لعقه ،
وأخذة
بكل ما فيه
داخل

تقول وهى مقطبة الجبين وما زالت تطوى
فى بعض الجرائد : " ياماما إقفلى الموضوع ده ،
قولتك أنا مقدرشى أعيش مع حد . أنا عايزه لى
بيت لوحدى " .

- : " عبيطة . دى أمه بس " . بكره
أما تروحي الشقة المقرفة اللى جيبهاك فى
الزهور ، حتعرفى معنى كلامى " .

تمرّ مئ من الصّالة ، وتطلب من مني أن
تبتعد بجسمها قليلاً عن عتبة الممرّ ، حتّى
تذهب لعمل الشّاي . تستجيب منى ، ملتفة
بوسطها وهى تدخل الجرائد فى كيس من
البلاستيك ، فى نفس الوقت الذى تقول فيه
: " مقرفة مقرفة . المهم أسكن لوحدى ، وبعدين
أنا مرتاحة مع سامى أكثر " .

- : " إنتى عارفة إبنى ما كنتش موافقة على
أبوكى . وأبويا هو اللى اختار هولى بالعافية .
عارفه بعد كده لقيت إيه ؟ إن أبويا هو
الصّح . هو اللى عارف مصلحتى أكثر . وإن
فعلاً أبوكى هو أنسب واحد ليّه . وإنّ
اللى كنت خطّاه فى دماغى ، وبعد ما شوفت
طريقة حياته ، تأكّدت إنه أبدا ماكنشى
ينفعنى " .

فمها ،
راحت
تحكى لى
عن
غسلاتها
أم سعد ،
وحكاويها
عن أم
صافي "
السّت الأرملة
دى
اللى فوق
الخمسين اللى
ساكنه فى
البرج اللى
قدامكم " ،
وعمّا
تطلبه
منها
فى نهاية
كل مرّة
تغسل لها

تشرد منى بعينيهما بعيداً ، وتلاحظ
الأستاذة ألفت ذلك ، لكنها تتابع حديثها
: " شوفى أبوكى بقاله قد إيه ميت ، وأنا لسه
زعلانه عليه إزّاي " .

تردّ وهى مازالت فى شرودها : " آه " .

- : " مالك يا منى ؟! فى إيه ؟! من ساعة
أمّا أبوكى مات ، وكلّ أمّا أجيب سيرته
تسرحى كده ، وماتتكلّميش . فى إيه ؟! " .

- : " ما فيش حاجة " .

- : " لأ فى حاجة . ودى مش أوّل مره
ألاحظ " .

- : " زعلانه عليه " .

- : " لأ مش حكاية زعل ، ما إخوانك كلهم
زعلانيين " .

تمرّ مى من الصّالة ، وهى حامله
صينية عليها بعض علب الجبن ، وكيس
زيتون : " ياله بقى ياماما ، ياالله يامنى . عملت
لينا إحنا التلاته شاي . بس روحى جيبينه والنبي
يامنى " .

- : " قولتلك أنا مش حتعشى " . هكذا تندفع
فى وجهها قائلة ، وهى تغلق ضلّفتى دولاب
التليفزيون ، وتخرج من الصّالة باتجاه حجرة

فيها .
وعن
كيف
بدأت
معها
بأن
طلبت
منها أن
تدعك لها
ساقها
ويديها ،
كنوع من
أنواع
المساج
بالظبطزى
ما قال لها
الدكتور " ،
لتحسين
الدّورة
الدّمويّة .
ثم رجاؤها
منها بعد

النوم . ذلك أن
- : " إنت حره ، أنا عملت اللئى على
تُكمل
وجملها ،
وتدعك
صامته ، تتبع منى بنظراتها .
لها
جسمها .

وقيف
قالت لها وهى تقلد طريقتها فى الكلام : " شوف السّت يا ختى ! فى
يوم لقيتها بتطلب منى أن ادخل ايدى فى "تشير بيدها " واللئى كده
يا ختى . أخده بالك إنتى " .

وحدّثنى بأن أم سعد أخبرتها ، بأن الأرملة أصبحت تطلبها فى
أيام ، غير أيام الغسيل . وتحلف بأنها تظل تدعكها فى حجرة النوم
لأكثر من ثلاث ساعات . وكلّما استأذنت لتأخرها على أولادها ،
تلح ، وترجوها أن تمكث معها بضع دقائق أخرى . وعندما
سألتها : " ومعاك كانت بتعمل كده برده ؟ " ، أجابت بصراحتها
المعهودة ، والوقحة فى نفس الوقت . بأن هذا لم يحدث إلا بعد
وفاة أبو منال . وأنها أوقفتها عند التدليك فقط . ولم تجعلها
تتجاوز معها ، إلى ما تفعله مع الأرملة .

ثم أخذت تصارحه بأنها لا تستطيع مقاومة الجنس . وأن
الكثيرات مثلها لا يستطعن مقاومته . كل ما هنالك أن واحدة
منهن متزوجة فتكتفى بزوجها ، وأخرى مطلقة أو أرملة أو
عانس ، ولم تأتأ الفرصة بعد . أو جاءتها ولخشيتها من الفضيحة

تنتنع على مضض . وأن هذا يترك في نفسها جروحاً لا تندمل
: " شوف يا خالد ياما حاولت كتير ومقدرتش . بس كنت باخد بالي من
حاجة واحدة بس . عارف ايه هي ؟ " . وتشاور على عضوها . " شوف
قبلك عملت علاقة باتنين غير جوزي واحد وهو عايش . وواحد بعد
أمّا مات . بتبصلي كده ليه ؟ ما تستغريشي . أنا عارفة إنك ما قبلتش حد
ممکن يكون صريح كده زيي . وأكيد في سرّك بتحتقرني و بتقول عليّ
كلام وحش . بس بعدين يمكن تفهمني ، وتفهم أنا صريحة كده ليه " .
وتضحك وتمسكني من خدّي ، وتقول : " وإذا مافهمتش أنا حبقی
أفهمك " . " عارف أیام ما كان جوزي عايش . خلی بالك جوزي كان
شدید قوی . مش زی ما إنت فاكر . ما علينا . عارف أیام ما كان
جوزي عايش ، وعرفت إن هو عامل علاقة مع كذا ست " . تنظر في
عيني مستدرجة : " ماحدّش بلغني . أنا في الحاجات دي ما بخدشي
بكلام حد . لازم أشوف بنفسی . وأنا اللي شفت . ولحد ما مات فضل فاكر
إنی ما عرفشی . بقولك ، كنت وأنا في حضن الشاب الأوّل . على فكرة
هو كان في سنك كده ومؤدّب . أصلي مابحّش الكبار دول اللي بيبقوا
أخدين في أنفسهم مقلب ، و فاكرين أنفسهم حاجة " . تنهد : " آه . كنت
بحس بلدة غريبة . سحر يا خالد سحر " .

يزداد عليّ فجأة الاندهاش ، فتقول : " ماتستغريشي من
صراحتي قوی كده . حاقولك بعدين " . ثم تكمل : " يظهر ياخالد إن
إحساسی بانی أخون جوزي اللي متشطرّ عليّ ، ومستأسد ، وفاكر نفسه
يا هنا ياما هناك . وخيانتة مع مين مع واحد من دور ولاده . يعني واحد
من دور ولاده هو اللي بيبستكرده مع مراته ، وبيدوس عليه في رجولته .

يظهر هو ده اللي كان بيملانى بالاحساس الغريب ده من اللذة " .
تطرق برأسها قليلاً ، ثم تخبط على فخدَي بيدها ، وتؤكد
: " بس طبعاً زى ما فهمتك . كنت ما بخليهنش يكمل معايا أبداً للنهاية
. ولا مرة " . تشاور بإصبعها ، ثم تضعه على شفتي في وضع رأسى
: " حتى فى النِّزوة اللى حصلت مع ابن أخويا ، ما خلتهنش يقرب .
ومعاك إنت برده حيحصل كده " . وتقبض بيدها على أنفى ،
وتضحك ضحكة ماحنة : " فاهم " .

لا تجد منى أى تعليق ؛ فتخرج علبة سجائرهما المارلبورو من
شنطتها ، وتشعل سيجارة ، وتأخذ منها نفس
طويل ، وتلقى بشنطتها جانباً على الفوتيه . ثم
تقوم من على حجرى ، وتقعده عليه وهى تنهد
وتنظر إلى السقف وتقول : " أكيد إنت مستغرب
جداً من كلامى " . لا أرد . وأحاول . ولا أجد ما
أرد به . ويُخيل إلى اللحظات أنها مريضة نفسياً ،
ثم أشعر بشعور غريب ، بأن روحى مسحوبة
منى ، وأن حجراً كبيراً وثقيلاً يطبق على
صدرى . وأعتقد أنها ربما تكون قد أحسَّت
بذلك ، فيخيم علينا الصمت فترة .

ثم فجأة تقف ، وكأن شيئاً ما قد لسعها ،
وهى تضحك ضحكة طويلة ، وتصفق بيدها
صقفة شديدة ، وتقول : " أكيد أنا مجنونة .
مجنونة " . ثم تنتبه لكون شبَّاك الصَّالة مازال

هل
يمكن تقبل
كون
تيك
السيدة
أسفلنا
بشىء
من
الحيلة
-
داخل
عربتها
-

موارباً ، فتسرع إليه تفتحه ، وتطل برأسها منه ،
وتنظر لأعلى ، متخوفة من أن يكون أحداً قد
رآنا منه. ثم تمسكه بكلتا يديها ، وتغلقه بقوة ،
وتغلق وراءه إحدى ضلف الزُجاج ، تاركة
الأخرى .

ثم تخطو متجاوزة الصَّالة باتجاه الطُّرقة
الصَّغيرة ، حيث أسمع فتحها لباب الحَمَّام ،
ومفتاح الثُّور ، ثم تقيؤها بشكل مُفاجيء
وغريب . تقيؤ مؤلم له جلجلة وصوت حيوان
مدعور .

وعندما تأتي ، وهى تمسح فمها بطرف
كمها ، وتأخذ منديل ورقى من شنطتها ،
تقول لى فى اهتمام ، كأنها قد تذكرت شيئاً
مهمّاً : " أوعى تجيب سيرة لنوال من اللى
انا قولتھولك ده " .

ثم تجلس على الفوتيه بجانبى وتقول : " نوال
بنتى خام قوى ، وما تعرفشى حاجة فى الدُّنيا إلا بيتها
وجوزها . وزى ما إنت شابف كده وعرفتھا ، أورا
الليل والنَّهار ، والسُّنن ، والأنكار على الميَّه عشان
تعالج معدتها " . إلا أنها تقطع كلامها وتتوقف ،
منتظرة منى أى ردّ ، وحينما لا تجد تطيل النَّظر
فى عيني، وهى تعصر فى المنديل بين يديها وتلقيه

اعتادت

أن

تمنح

زوج

بنتها

خالد

رشقات

حنكة

من

فيرس

الانفلونزا ،

فيما

قبضتة

الزَّلقة

تدخل

من

فجوة

جوبها

الطَّويل ،

فى

تقليد

بارع

أمامى فى المطفأة التى على المائدة . ثم فجأة
تنهض واقفة، و تنظر فى وجهى وتخطبنى بجدة،
لا تخلو من نبرة تهديد : " وبعدين إنت عارف
حتخسر أد إيه لو سبتها ، وهى مش حتخسر أى
حاجة ، ألف واحد حيجرى وراها ، وكله كان على
بيك، وشفته بنفسك قبل ما تتجوزها . صح ؟ " .

وتكررها ثانية : "صح ؟ " .
آلاف الدبابير تطن فى أذنى .
وأشعر أنى أحتنق .

فخذيها ، ومبتحثة غالباً عن كنهِ توصم به آليّة شغف مسكونة لدى
بشرنا بكل ماهو ممنوع .

*

لفعلة
الحاحام
فرايد
لاندر ،
مع
صبية
تلك
الطائرة ،
منحسّسة
ربّما
لدفىء

{8}

كأننا مازلنا نتلقّى فيوضاتكم هكذا
ونحن منتصبون كشواهد حيواتٍ
استنفدت ماتبقى لها من صبوة ،
فلا نجد بديلاً عن كوننا ندّاً لا يُستهان
به لفنارات بورسعيد المطلّة فى
ألقّتها على ومضات سفائن سائرة

فى معراجها نحو تخوم ليست بذى
منتهى ، حيث لولا أنّها فى
تجالاتها تزدهى بمواجيد آلاف
البشر ، لما استطعنا نحن - مثلما
ترون - أن نقرّ فى رزوحنا كصيّادى
أروحة ، متطلّعين لقناديل هيبّتنا
الّتى تُخلّق كفراشات ريح فوق
فضاءات شرفاتنا ، ثمّ تنزل حثيثاً
حثيثاً ، وبالرّويد، ودونما وجل من
جموع اتّخذت من صخبها مسوّغاً لا
ارتجاع فيه ، كيما تُثبت وعلى مرأى
من أقمار لأكروس وسيجت المعلّقة
هناك فى الأعالى ، على مبعده
من أذرع تينان ، بأنّ ليس سهلاً أبداً
ولا من المستساغ كون أناس
شوارعنا ، وإزاء مايعتريهم من بلل ،
سوف يتقبّلون بشكل لايمكن نعته
إلاّ بالعادى أو المألوف ، هجرة كثير
من طوائر كائنيتهم المشرّفة
على أصبوحات تغدو قريبة ، لتلك
المصفوفات من الحرايين والمجانق
الّتى مانفكّوا يتصاولون على نصبها

بالكاد أمام مراسى ميدان المسلة ،
متعللين فى ذلك بكونها من ذوات
الصد ، إذ أنه إذا تم لهم ذلك كيف
يمكنهم حالئذ ، وبالذات فى يومهم
هذا الثانى عشر من أكتوبر مجرد
تقبُّل ، أو حتى التعاطى مع
مانكشف عنه بئر برهوت الذى ما كنا
نعتاده إلاّ خاملاً ، فإذا دهانشه تسعى
بيننا بلا وجل قد يبدو منها مضمرّاً ،
متخذة من بالبات ممشى كورنيس
بورسعيد محطّاً أو ملجأ ، ترتجع إليه
كلّما أعياها تجوالٌ ظلت تُمارسه ليلاً
على مدى أكثر من عدّة أسابيع
فائتة ، فلا يستطيع عسكرنا -
أولئك الذين يمكننا نعتهم بقليل من
التّورية بالجاحظين الفياالم - رغم
ماطفقوا يتكبّدونه يومياً من جهد ،
جرّاء تحفّزهم المبالغ فيه بُعيد واقعة
العربى الشهيرة ، من الوقوف أو
التّلصص على مابات تُحيكه هى
بطول شوارعنا من أفاعيل ، نقول
ياليت قاطنى حجاتنا لا يستمرّون

فى تقبُّلها بتيك الأريحية ،
المشفوعة بتقوالاتهم الذائعة
" لامناص من نلك " ، منشغلين بأمر
معايشهم الصغار ، بل يشرعون
وفى الحال فيما يمكن أن يكون فيه
هدأة لمناماتٍ ، كانت قد فارقتهم ،
عساهم حينما لا يرضخون لما
اعتبرته نسوتهم تعطيلاً دون بلوغ
ذروة الإيغاف ، أن يفحموهنَّ قائلين
بأنَّ هذه ليست أبداً بليالى قذف ،
بل على الأرجح يمكن استساغتها
كليالى إشهار ، إن يكن ينتابنا فيها
- وهذا جائز - قليلٌ من إيروتيزم بلا
إسعافٍ ممَّا كنا قد واطبنا على
حشده أعلى إيتينا ، فلا مرء من
أنَّ محلَّات أبى يوسف لطواجن
البكلويز ، وأمَّ الخلول الطالما
استجبنا لتجارب صاحبها ذات
التَّحويجات الغير قابلة لأىَّ دحض ،
سوف تُؤهلنا رغم فلول فزاعاتهم
تلك ، لأين لا تقتصر فيه رغائبنا على
مجرد الترقى فى مواجيد معارج
الكل

فنظّل عاكفين - مثلما نحن الآن -
على إزالة ماتمخّضت عنه اختلاجات
مُكامعتنا من روائح، بمزيلات
مُستحضرة من أزهار اللاوند، ونحن
نردّد: " فَبِمَا اسْتَدْرَاج لَنَا نَكْفُ " بل
ستُلقِنا جميعنا - ولاضير - إلّا مَنْ
نكص ، إلى ممالك سوف نُحدِّثُكَ
فيها حديث المِخْرَز ، غير أنّه عندما
تُخايلنا فوعة شقائق حلوانى ملغى
سنردف: " أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بَعْجِزَات
مُواقِعِهِنَّ مِنْ أَهْزَاج " . ثمّ فليكن لدينا
الاصرار الكافى كى نُبادر
باستمالتهنّ لاختلاس النّظر - فى
مرآة فراشهنّ المصقولة - على
أوضاع لهنّ تبدو غريبة لو دقّقن ،
حتّى إذا ما أوعزت لهنّ إحدى بنات
زوبة الفحلة بالالتكاء على مرفقيهنّ ،
ورفع ساقيهنّ فى المسافة بين
الكتف والعنق حين الانبطاح ،
جاهرناهنّ بأنّ مرآهنّ على هذا
النّحو ، سيجعلنا نُعاملهنّ كسوايب
لايلزمها غير بضع سلاسل كى تُعقّل

- كل بمفردها - أمام مداخل شقق
لنا ، هانحن ما إن كدنا نُعالج ماقد
تسرب إليها من يورانيوم عاصفة
دوائر الأخيرة ، حتّى فاجأتنا غواصات
تكوما ، لفيتان ، دولفين بوابل من
شواظ أحال سمواتنا إلى سروج
كلّما صوّبنا إليها الحاطنا اتعظ منا
الجعظ ، وانسال علينا ما ظللنا
نخشى تأثيراته، حتّى بعد أن
طمأنتنا الهيئة بالألّا تتجاوز المسافة
بيننا وبينه ستة أمتار .

*

{9}

- : " هى دى بقى الطّريقة المحترمة ، اللى
الواحد يطلب بيها واحد بنت ناس " .

- : " " .

- : " طب خاف على سمعتى يا أختى .
سمعة اللى بتفكّر تخطبها " . " يعنى الناس
لمّا يشغوك كده ماشى ورايا متصوّر حيقولوا
إيه ؟! " .

- : " قعدت أخيب ظنّى ، وأقول يمكن

منهيّألى . مش ده الى يعمل كده !! ورجعت
إلى محل عم فرحات ، وانت مابتحسش
ولا عندك دم . مش مكسوف من نفسك يا
أخى ؟!!" .
- : " بصّ من أولها كده ، ومن طريقك دى
بقولك رفضاك " .

كما لو أنّ قبضة رازحة تُثقل صدره ، يغادر البلتاجى أحمد
الحاج عبد الناصر .
يسير بعيداً عنه ، طالعاً الرّصيف ، وتاركه يستعدّ لآنها
يومه ، ويناول مهناً عمود الشيشة ، من جانبه فى الرُّكن بجوار
الحائط .

يجتاز صالة أفراح فندق صوفيا ، ثمّ اللوحة المنصوبة ،
والمكتوب عليها { ثلاجات - غسّالات - ديب فريزر - سليتاك
- الموزع المعتمد معرض الوفاء أمام حديقة سعد زغلول } ،
مستبعداً ، فيما ينظر لساعة يده ، أن يكون ممدوح العربانى ،
أويوسف الأقطش ، قد غادرا فى هذه السّاعة المقهى .
للمرّة المائة . أو ربّما الأكثر يجرى شريط ماحدث على
ذهنه ، دون أن يستطيع إيقافه . يخرج علبة سجائره البوسطن
من جيب بنطلونه ، ويلتقط سيجارة منها ، ثم يقف على رصيف
كوافير لانسكا الذى أغلق أبوابه ، ويبدأ فى إشعالها .
يتذكر قطعة الحشيش التى أعطاه إياه الحاج عبد الناصر ،

ويتساءل هل سيتمكن من شربها الآن مع حجر المعسل ، أم سيؤجلها إلى يوم آخر ؟ ثمّة ألم ما فى جزء غائر من نفسه ، يواصل إدمائه ، بينما هو يستمرّ فى سيره ، أسفل بواكى عمائر الجمهورية التى تبدو أشبه بكائنات عملاقة ، تترصدّ وقع خطاه فى ارتياب . يترحمّ على أيّام عوض البامبو ، والبلاك أند وايت ، وجون ويكر ، والفودكا التى كان يتحفهم بها ، فى الثمانينات من على البواخر ، ويتمنى لو يجدها الآن فجأة أمامه ، ليعبّ منها حتى الصّباح .

الظلام يسمّ الشوارع بهدوءٍ راح يمد أذرعه تدريجياً على كل أنحاء الرقعة المواجهة لضفة القناة . ولولا جنونا قد يحسبه الناس فيه ؛ لراح يجرى فى الحال قافزاً ، ومهرولاً باتجاه مرسى المعدّيات ، حيث يخلع كل مايرتديه من ملابس ، ثم يقفز بلا حساب لأىّ شىء ، فى مياهاها ، عند إىّ من هذه السّقالات البعيدة عن حركة المجرى ، ليعيد أيّاماً كان له فيها نرق فى سنوات صباه الباكر الموفور بالحياة .

ومع أنّ الليلة هى ليلة الجمعة ، فقد لاحظ من محله أسفل بواكى البرج ، خلوّ المقهى على غير العادة من المرتادين . وعلى مايبْدو أنّه أرجع ذلك لزخات المطر التى طالت هذا اليوم ، وذكرت الناس بمقدم الشتاء .

بتمهّل ، وبرأسٍ تطنّ فيها عبارات ماجدة اللاذعة يهبط الرّصيف ، منحرفاً يساراً ، وماضياً نحو مقهى وادى النيل ، وعينيه تجول فى المناطق المكشوفة من المقهى ، باحثة عن

ممدوح العرباني ، ويوسف الأقطش .

❖ قلت : أتابع ، وأفترض جدلاً المزاملة ❖

"مش عارفة ليه أنا حزينه كدة " . من أول الصُّبح ، وقلبي
تعتصره انقباضة لا أرى لها سببا . هل لحالة أم عبده الحرجة ؟
لا أظن . فمن قبل أن تدخل المستشفى ، وأنا على هذه الحالة .
ثقل غريب أحسَّه يطبق على صدرى . ولا يزيحه مرور
الوقت . " يا ترى إيه اللي يحصل . أكيد فى حاجة تحصل " . فكلما

انتابتنى هذه الانقباضة لابد وأن
يحدث شيء . الهدوء هاهو يُخيم
على منطقتنا بشكل غريب .
والعربات التى تفاجئنا بضجيج
عجلاتها ، وصوت الكلاكسات
وهى تمرّ على الأسفلت المبلل ،
تجعلنى أستم رائحة أيّام لا أعرف
لماذا تقتحمنى مرّائىها من أول هذا
اليوم . أزيز الطائرات المرعب
أعلى سقفنا يرجّ حجرتى ، ويوقع
لعبتى الصّغيرة من فوق المائدة .
ثم هروع أمى ، وأخذها لنا فى
فزع حقيقى أنا وأخواتى الصّغار

أنا الموبوء
بُهرء من يُطلق
شطحاته . أكان
لزماً على أن أصيرَ
نهباً لمن يُسمّى ما
يتعاطاه من
سخافات ، بمربّح
أخير لتبديد
الوحشة .
كلّها رطاناتٌ
واهية ، يُقصد بها
إسناد بعضاً من

إلى الحجرة الدّاخلية ، لننكوّم
مختبئين خلف جدار الدُّولاب
الخشبى الكبير فى الرُّكن ، وهى
تُطلق بعض الصّرخات التى تزيدنا
رعباً ، ويتهدّج صيوتها بآيات
قرآنية . وكلما ظننا أن السّماء قد
هدأت ، تصعق أسماعنا إحدى
الطّائرات القريبة ، ونسمع
دوى انفجار هائل كأنه على الجهة
الأخرى من الشّارع . ويهتز مبنى
عمارتنا المتآكل ، والذي يظهر
عالياً شامخاً وسط المباني الواطئة
الأخرى ، رغم أنه لا يتعدّى
الثلاثة أدوار . ونعتقد انه بالفعل
سوف يقع . وتتشهدّ أمانا وتطلب
منا أن نفعل مثلها ، ونكرّر وراءها
ما نقوله . وعندما يهدأ كل شيء
تُحاول أن تسكن من روعنا ، وأن
تبدّد الرُّعب الذى ترسّب داخل
نفوسنا . وتصعد إلى جارتنا أم
أنور التى تسكن فوقنا تماماً ،
وتأتى بها هى ، وبناتها الصّغيرة

الحذق
لمن لا يملك
التّفكّه . فإذا
كان الحصان هو
وطن البدوى ،
فالدُّبابة هى
حاجز الرّيح ،
والحرب ليست
سوى حلم
بندقيّة * . ولن
أزيد أنه ما كان
بمقدوره إلا
بمثل هذا
التّقول ، أن
يتماسّ
مع رسالة ما
ينشده جرمى
ككائن . أنا الذى
مت كمداً
حين أصابتنى من
مريده إبان الغضبة
رمية طائشة . على

محاسن ، لنجلس نشرب الشاي في
الصالة ، أو في حجرة نومنا التي
تطل على محطة القطار من جهة ،
و فرع دمياط بمراكبه الشراعية من
الجهة الأخرى .

كان المنظر منها بديعاً ورائعاً.
نفتح النافذة عن آخرها وقت
العصرية . ونجلس بجانبها
بالساعات أنا وأمي وأخوي الإثنين.
كنت أحاول أن أحصى عدد
المراكب التي تمر أمامي على
النهر . وكان أخي أمين يتتبع
أسراب الحمام في تحليقها ذهاباً
 وإياباً . ولأن أبي كان مستيقى في
بورسعيد ولا يعود سوى يومي
الخميس والجمعة ، ليمكث معنا
يومين أو ثلاثة . كنا دائماً ما
نذهب إلى جدتنا في دمياط لنبيت
عندها عدة أيام .

كان الجو في دمياط مُشبع
برائحة الغراء، والخشب، ودهانات
الموبيليا ، التي أستطيع تمييزها

أني عادةً
واستئناساً لميولي
التي لا تُجاري في
الاحتفاء بالتوحد ،
أصنع كوني من
بصمات من يتناوبون
علي ، ناظراً لمن
ورثوني على نحو
مجيد هذا التاريخ
الطويل ذا الشواهد
العريقة ، بعين
قاعة .
بيد أن من
المُحبذ ذكره ، كوني
جئتُ ابتداءً إثر
فرحة منه غامرة ،
تغفر لقبضته
التي بها التقطني ، ما
يسكنها من نوازع
عدوانية . أبونا
جورج بويانا
بوتوبلوس آن إبحاره

من على بعد . نصل إلى دمياط
عن طريق الكوبرى الرّمادى
الكبير . وما إن نخطو أوّل خطوة
داخلها حتى تهبّ رائحة مصنع
الطرشى المواجه لمدخل الكوبرى،
فنخرج بين الأزقة الحلزونية
الضّيقة . وتبدأ رائحة ورش
الموبيليا في اختراق أنوفنا . رائحة
مازلت أتذكرها حتى الآن ،
وأتلذذ باستعادة تأثيرها على .
وكلّما فعلت ذلك اجتاحتني جميع
الحوادث التى عايشتها فى تلك
الفترة بشخوصها ، وأشياءها
ومواقفها بدقة وتفصيل غريب .
أمّا حينما يتصادف وجود
مطر، وكثرة من طين ورغاوى
فى المساحة الممتدة بين عمارتنا ،
وأوّل الكوبرى ، وتصرّ أمنا على
إركابنا إحدى عربات الحنطور
الواقفة فى الموقف الخلفى ، فهذه
كانت من أروع لحظات حياتى
وقتها . أتسمّع لوقع حوافر

على أرائك الجندول
بمظلاتها المذهبة ، وما
سمحت به سترته
أن يعبّه من هواء
تنزّهه فوق جسر
التنّهات .
فينس أيا عبقى
المحبّب الذى
يتجلّى فى عمائر ك
يا بورفؤاد . كم أحنُّ
إلى هاتيك الأصائل ،
وقت أن كنتُ
شجيرة ناتئة .
حقا إن الرّتابه
والفسولة تصفع
حضورنا بمدهامات ،
لا تقل أبداً عمّا
تسلبه إيّانا المعارك
فى أفضل الظروف .
عموما هم الآن
مازالو بعيدون عنى ،
يبتحنون بحماس

الحصان المنتظمة ، وصوت
جرس العربجي يُطلقه من حين
لآخر ، وأستمع برؤية مناظر
البشر والنيل والمراكب التي تترنح
حولى .

وتوَّ أن أصل وترانى خالتي ،
حتى تأخذنى فى حضنها . وتشدّنى
إلى الشرفة ؛ لترينى زرعة
اللباب التي أطلقت عليها نانا نفس
دلغ إسمى ، وترغمنى بطريقتهما
المحبّبة على عدّ عدد الوريقات
التي نبتت مدة غيابى . خالتي
كانت تتعدّى الخامسة والعشرين ،
ولم تتزوَّج بعد . ضيق صمام
قلبها ، جعل دخولها تجربة الزّواج
مغامرة محفوفة بالموت .

كنت أسمعها تبكى بالليل .
ومرّات كثيرة تبكى فى الحمّام ،
وتهرع إليها نينتى ، وتأخذها على
صدرها ، وتروح تبكى معها .
حتى تأتى أمى ، أو خال من
خيالنى ، ويقوم بتهذئة الموقف ،

مُتبعى أثر لا
تنقصهم الخبرة ، أمام
مداخل فندق
صوفيا . غير
أئنّى هناك وبمعزل
عن تطلعاتهم ذات
الثقة ، التي تُزيّن لهم
أموراَ غيرى كثيرة ،
أَتتبع صولاتهم من
أعلى أفيش كوافير
لانسكا ، وأتمادى
فى إطلاق ضحكاتى
معتمداً على كوفهم
فرجة تمنح البهجة .
فلماذا تُغافلنى فى
هذا الأين بالذات ،
ذكرى طلعات فدائى
٥٦ بالثلاث قنابل
مالر ٣٦ فوق
مصفحة ذوى
الشّوارب
الصّفراء !!؟

إن الذكرى هنا
تنزع لعتقى من
صدّامات رَوْع
لحظة انشطارى
نصفين . فى
نفس الوقت الذى
تحفّزنى فيه للانزياح
بعيدا عن مواطن
الغفلة ، وبالطريقة
التي تُتيح لى
تشخيص عُزلى
بأقرب الفروض
تحققاً . مع تنحّي كل
مايكاد يُقدّمنى
كموضع للتيسّس ، أو
بالأحرى مافيه انتفاء
لمساهمتى فى ما
يُفترض أنّه
عوالم مُتغامضة .
فمنذ استكنتُ
لتشكّلى ونحّتى
بهذه البراعة بالغة

والتسرية عنهما ببعض الكلمات .
كانت رقيقة كالخيال ، وشاحبة
طول الوقت . وعندما تبتسم
يظهر الفراغ الملحوظ بين سنتيها
الأماميتين . علمت فيما بعد أنها
كانت تحب ابن عمّتها رُفّفت .
وكان هو يبادلها نفس الشعور .
وفعللاً اتّفقا على الزّواج ، على
أن يتم ذلك بعد انتهائه من فترة
الجيش . إلّا أنّه عندما
انتهت الحرب ، وعدنا جميعاً
إلى بورسعيد ، لم تتقبّل أمه فكرة
زواج ابنها منها ، رغم شدة
توسّلاته ، وتهديده بالانتحار .
ومناشدته لكثير من كبار العائلة أن
يتدخلوا . وكانت الخصومة بين
العائلتين التي استمرّت حتى بعد
وفاتها فجأة ، وهي فى فرح أحد
الجيران . ولم تتوقّف نينتى عن
البكاء عليها ، حتّى ماتت هي
الأخرى بعدها بعامين . وأصبحت
أمى هي الأم البديلة لأخواتها الذين

الدقة ، على يد
فطنهم الحصيف ،
وأنا أتوافق مع
صورتى هذه ، بل
أشغف ولعاً بما فى
تحدُّراتى من ملاسة ،
مُتملصاً من بعض
صفة ذات
صلة ، حيث الفرح
بمشاركتى فى أحبولة
مناجراتهم .
أماً فيما يتعلق
بتوزُّعهم الآن ،
وتبديد طاقاتهم
فيما لا طائل منه ،
وكونى قد صرتُ
بعيدا جداً عن مرمى
بصرهم ، فهذا يجعلنى
موقنًى بأننى سألتهب
حتماً بنار الوحشة .
ولن يكون لى بعد
الآن مرافق من

يحرصون على زيارتها ، وتلبية
مطالبها واستشارتها فى أى أمر ،
باستثناء خالى بدوى الذى لا يفعل
ذلك ، إلا نادراً ، أوفى المناسبات
فقط . بعد الخناقة التى نشبت بين
زوجته وأمى ، يوم عودتنا جميعاً
معا من التهجير .
أيام تفوت ، وأيام أخرى تأتى ،
وأيضاً بنفس السهولة تمرّ . وكل
ما تمنيت أن يحدث وحلمت به وأنا
صغيرة لا يتحقق ، وإذا تحقق ،
فبالطريقة التى تجعلنى أزهد فيه
توَّ أن يصير ملموساً أعيشه . كمّ
تمنيت مثلاً فى صبايا أن أتزوَّج
رجلاً جنّتلماً ، ممشوق القوام ،
ويهابه الجميع . ربّما يشبه عمر
الشريف ، أو ألفيس بريسلى ، أو
جيمس دين ، كما كنت أذكر ذلك
تحديداً لزميلاتى فى المدرسة . إلاّ
أنه عندما عرفت طاهر مُصادفةً
عن طريق أخته التى كانت زميلتى
فى المعهد . تبدّلت كل هذه الأحلام ،

أُخذاني المَلْزَمين ،
ماضيًّا بالتَّالِي في
مُفترقِ عِزلةٍ ضحل ،
قد يوصمني بالعتة .
فكائن مثلي هذا
شأنه ، لا تَتَّفَق
نزوعاته مع ما أصبح
عليه من حال ،
كفيلٌ بأن يدخل في
أطوار تناهيه ؛ عند
تَجميمه في مقرٍّ نَبذ .
سأقولها بحذر لمن
يعنيه الأمر . أَنَّهُ وفي
السَّاعة التي التَّقَطَّتي
فيها يده . وتحديدا
في الوقت الذي
كنتُ فيه مُصَوِّباً نحو
الجهة الأخرى خارج
الغرفة ، كان
توديعي
من قبل كل ما
لاصقني من

وتمنيته بقوة ، تمنيته ، كما لم
أُتَمَن رجلاً من قبل . تمنيت أن
يكون هو زوجي ورجلي، وأبوي ،
وأخويا ، وابني ، وكل شيء في
حياتي . وكنت كلما رأيته وهو
يتحدَّث بكبريائه المُحَبَّب الذي
ليس فيه تعال ، بقدر ما فيه سموٌ
واعترازٌ وبراءة ، وأيضاً عمق ،
بل وحزن غريب يظهر في كل
حركاته ، وإيماءاته ، وحتى إيقاع
كلماته الممطوط الواهن ، الذي
جعلني أظن أنه لم يعرف الطفولة
أبداً ، وكأنه وُلد هكذا فجأة ناضجاً
ومعذباً بنضجه . وجف قلبي ،
وقلت أنه هو ، وليس أحدٌ غيره ،
يستطيع أن يمنحني مثل هذا
الشعور الذي تملِّك على كل نفسي،
ولا يمكنني مغالبتها . ومع مرور
الوقت تأكد لدى ، أنني لا يمكن
أن أعيش بدونه ، أو بعيدة عنه .
آه

يكفيني ، أنك تعيش، في البلد

الذى أعيش فيه يا طاهر . يكفينى
أنك على قيد الحياة . وتتفس نفس
الهواء الذى أنتفسه ، وترى البشر
الذين أراهم ، وتسير فى الشوارع
التي أسير فيها .
طاهر كم أشعر أننى قريبة جداً
منك ، وأن نبض قلبك يدق فى
قلبي ، وفى عروقي . رغم أننا لم
نتقابل ، ولم نتكلم منذ أعوام . كم
أشعر أننى أعرفك أكثر مما تعرف
نفسك . أنت يا طاهر أجمل وأهم
مما تتصور . وكل ماكنت تقوله
لى فى الأيام الماضية ، ولم أفهمه
وأقدره حينها ، ثبت لى قيمته
وحقيقته ، وبعد نظره . أنت تتجاوز
جميع الأفهام التى تعيش بينها
يا طاهر ، ولو فهموك وقدروك حق
قدرك ، لرأوك مثلى ، وليس كما
يتناقله بعضهم عنك . إننى أشتاق
إليك يا طاهر . حقيقى أشتاق
إليك . مدّ لى يدك وخذنى فى
حضنك ، واغسل بعذاباتك عذاباتى .

صفات ، تيك التى
اكتسبتها وعلى مدى
فترة ليست بالقصيرة
من وجودى فى
زمرتهم . بطريقة
أخرى إننى
أدخر كل ما تبقى
لى من موائز ترجع
لكينونتي - خلا التى
كان فى طمسها
إمكانية - لما يناسب
وضعتي فيما هو
قادم من أيام .
وحسبى أنه كان
خلافاً لما كنت أسعى
إليه من مكانة .
وهاهم ماداموا قد
انفضوا عن بحثهم ،
جرياً وراء الذى
سرق ، وأشعل
الشارع ضجة ، دون
أن يعملوا حساباً

آه . لماذا يا إلهى تجعلنى أحبه
كل هذا الحب وتبعدنى عنه .
وحشنى صوته . ونظراته التى
تمتد دائماً منفلة ممّا تنظر إليه .
وحشنتى ابتسامته الأسيانة ،
ونبرات صوته المتوترة .

ظننت وأنا فى الثانوية العامة
أننى أحب عصام الذى يسكن
بجوار عمارتنا ، فعلاً كنت أفكر
فيه ، وأبات ليلتى أستعيد كل
كلماته . لكن عندما عرفت طاهر ،
تيقنت أن حبيبى لعصام لم يكن أبداً
سوى إعجاب المراهقة ، الذى
توهمت نتيجة ربّما حاجتى الشديدة
وافترقادى للاهتمام ، أنه هو الحب
الذى أراه فى الأفلام ، وأسمع
قصصه من زميلاتى .

سامحنى يا عبد الملك . أرجوك
سامحنى . ليس لأننى لم أستطع أن
أحبك ، فأنا حقيقة لا أكرهك . بل
لأننى لا أرى فى حياتى رجلاً
غير طاهر . إننى مسكونة بطاهر

لاختفائى الذى
أتعبهم ، فقد
تأكد اليقين .
لذا ينبغى إلزام
النفس بالاستكانة ،
بل وربّما فقط لعن
من تسبّب لى
فى هذا الرّسف فى
أطواق العزلة .
غير أننى أوصيكم
أن لا ترفعوا فى
أن تقارنوا
مثلاً بين
حالى تلك ، وحالة
الأستاذة عزّة التى
راحت حالاً تُطلق
صافى ضحكاتها
المكنوزة اغتباطاً ،
فيما هى تتأبّط ذراع
زوجها ، وتدخل
معه من فساحة
الدرج الذى

بجوارى . على
أنكم لا تحاولوا
إقناعى بوجوب
التسليم
بمصرى .
هذا الذى أصبح
يُصادف مجهولا .

يا عبد الملك . طاهر هو رجلي
الذى عرفته قبلك . وهو الذى
أعيش معه حتى الآن . وعندما
يحيرنى أو يشغلنى أمر ، لا أتكلّم
إلا معه ، وأتخيّل ماذا سيكون
ردّه . أمس اتصلت به بالتليفون ،
وسمعت فقط صوته . وتمنيت لو
أتحدّث معه ، ويتحدّث معى . بل
وتمنيت أكثر ، لو يعرف أننى أنا
الذى أتصل به . تمنيت أن أسمع
إيقاع كلماته الهادىء الذى يشيع
الراحة فى قلبى ، ويمنحنى الثقة
فى أن هناك أشياء أخرى يعيش
من أجلها الإنسان . أشياء لا
أفهمها بالضبط ولكننى أحسّها ،
وأستشعرها ، وأراها قريبة . أشياء
تعطى للحياة معنى يا عبد الملك ،
غير مائدور أنت فى فلكه ،
وتتشغل به ليل نهار . بصراحة
أشياء تجعلنى ممثلة بالحياة ،
والرغبة والفعل ، وليس ما أعانيه
معك من خواء ، وملل مميت . ولا

تُفاجأ إذا قلتُ لك أننى لم أُنم معك قطّ ، وأننى لم أُنم إلاّ معه ،
ومن أوّل يوم فى زواجنا . وكل ما تفعله بى لم تفعله أنت ، بل
فعله هو . فضّ عذريّتى لم تكن إلاّ منه . ارتعاشاتى القليلة
وبعض نشوتى ، التى تألّقت عندها عيناك وظننت أنك منحتها
لى ، أنا لست مدينة بها إلاّ له . طلباتى المتكرّرة لك بالتمهّل
والبطء ، لم تكن إلاّ لأزداد إحساساً به . وأتشبّع بلمسات جلده
الحانى ، وتضاريس بدنه .

كنت أغمض عينيّ ، وأظّل أستحضر صورته ، حتّى أراه
حقيقةً ، بل وأشتم رائحة عرقه .

كل صولاتك ، وجولاتك معى فى الفراش ، عندما تتوارد
إلى ذهنى ، لا تتوارد إلاّ وهى مرافقة لصورته . وليس
لصورتك أنت . إننى يا عبد الملك لا أحسّ بك جنسياً على
الإطلاق .

أنت ربما تكون ونسٍ لى فى وحدتى . صديق أأتنس به
أحياناً ، وأنفر منه كثيراً من الأحيان . وكلّما حاولت أن أوصل
لك هذا الإحساس ، تأخذنى عليك الشفقة ، وأيضاً على مصير
أولادى . أولادى الذين أحب أن يتربّوا فى جو طبيعى وسط
أهمهم ، وأبيهم ، ولا يعانون مثلما عانى أولاد خالى بهجت ، بعد
انفصاله عن رغد زوجته .

هو أصرّ ، وهى فضلت شغلها ، وتحقيق طموحاتها عليه .
تركت له نباتها الثلاث فى حضانتها عندما طلب ذلك ، بلا أدنى
مبالاة . ولم تسع لأخذهن بأى شكل . كان فى دماغها شىء

واحد فقط يشغل تفكيرها . ويملاً كل حياتها ، هو أن تصير غنية ومشهورة بأى وسيلة . وها هى قد حققت ما كانت تسعى إليه ، وضحت من أجله . فهل كانت محقة فى فعلتها تلك . وهل هى سعيدة الآن فى حياتها أم نادمة على ما فعلت ؟ أو تساوى شهرتها فى تليفزيون القناة بناتها الثلاث ؟

لا . انتظري قليلاً . لماذا تسألين السؤال بهذه الطريقة المبالغه ؟ فماذا حصل " يعنى " لبناتها ؟! سواء فى حياتهن أو علاقتهن بها . أبداً . لا شىء . إنهن ناجحات ، ومن الأوائل . ثم إنهن أيضاً مازلن يزورنها . بل ويحببنها أكثر من أبيهن . فهى التى تلتى كل طلباتهن التى لا يستطيع هو تحقيقها لهن . وهى التى يفتخرن بها وسط زميلاتهن فى المدرسة ، والآن فى الجامعة أيضاً . لكن " برده " أكيد أنهن كنّ يشعرن بالوحدة . وأكد أن هذه الوحدة خلقت داخلهن مرارات كثيرة لا يعرفها ، ولا يعانيتها إلا هنّ . صحيح . " ممكن " . لكن الأيام تنسى كل شىء . وتأكل كل المرارات . أبداً . ليس بالضبط .

وكون أنها تزوجت ثلاث مرّات وفشلت ، فهذا أمر لا يشينها . ولا يعتبر وصمة . عاشت وجربت ، وهذا من حقها . صح عاشت وجربت وفرحت ببناتها . لم تخسر شيئاً . عاشت بالطول والعرض . " إنتى يا إيمان بس الى مش حاسة بأى طعم للحياة . إنتى واللى زيك . اللى اتجوز زى جوازتك " .

أيام " بتكرّر " بعضها ، بلا أدنى شعور بأى لحظة سعادة . لحظة سعادة واحدة يا إيمان تشعرك ولو بقدر بسيط بالامتلاء .

آآآه . يا إيم — — — — — ان .
"إنّتى غلبانه قوى ،

وفاضيه قوى ،

ومخوخة " جداً . لو شقُّوا روحى الآن لوجدوها فارغة
فراغ الموت .

أنا "مستغربة" من " إنى لسه عايشه كده " . " لسه " قادرة على
تأدية تفاصيل هذه الحياة الرُّوتينية المملّة . المملّة جداً .
ياربى " منيين تجبنى القدرة بس " على المواصلّة والصبر .
عمرو هاهو ينادى على من حجّرتّه . " آه " أسمعّه جيّداً ،
لكن أقدامى لا تستطيع حملى والذهاب إليه .

- : " عاوز إيه يا حبيبى . أنا صاحبة معاك أهو " . ربما يريد
أن أأأوله كوب ماء . أو فزع من حلم مزعج . لا يهم . أتركّه
هو يأتى . " البس الشَّبشب ، وتعالى على مهلك " . صوته " مفهوش
حاجه تقلق " .

يا حبيبى يا ابنى .

هاهو قد فتح باب حجّرتّه المواربة ، وخرج .

- : " تعالى يا عمرو . تعالى يا حبيبى . أنا هنا . مالك فى إيه " .

- : " بابا لسه ماجاش يا ماما ؟ " .

- : " ماتخافشى يا حبيبى ، شويّة وييجى " .

- : " طب أنا عاوز أشرب " .

- : " خذ اشرب من الكوباية دى " .

عشانكم إنتوا يا ولاد أنا عامله فى نفسى كده ومستحيلة .

- : " روح نام بقى يا الله جنب أخوك وماتخافشى " .
 - : " تعالى نامى معايا " .
 - : " بس روح ، وأنا جبالك " .
 - : " لأ . تعالى نامى معايا " .
 - : " مايفعشى كده يا حبيبي ، خليك راجل " .
 - : " لأ ماليش دعوة " .
 - : " طب تعالى نام جنبى هنا بقى يا الله " .
- سميتك عمرو ع الإسم اللي كان طاهر بيقولى حيسمى ابنه بيه لو خلف .

- : " يا الله ادخل ، وشذ البطانية عليك " .

كان بيقولى كل شىء بيفوت يا إيمان ، وبيتبخر ، ومايفضلش منه فى أحسن الأحوال إلا نكرى . ذكرى قد تعلق برأس أناس هم أيضاً يموتون ويفنون . ولا يشفع لهم شىء ممّا كانوا يُعانونه فى حياتهم ، ويجاهدون فى سبيله .

إنها الحقيقة المرة التى تضننى يا إيمان ، وأرى أثارها بلا هوادة على نفسى ، وعلى كل الأشياء من حولى . إننى يا إيمان مجرد جسد . فقط جسد يمارس الحياة ، وهو شبه مُنوم . ولا يجد رغبة فى معايشة هذه السخافات التى تغرق الناس فى تفاصيلها .

وكنت أردد عليه يكفينا يا طاهر شوية لحظات سعيدة تملأنا بالبهجة . كل الناس يعيشون على هذا الحال . فلماذا تشغل نفسك أنت هكذا بلا داع .

لكننى الآن أقول لك يا طاهر ، إننى لم أكن أفهمك . ولم يكن لدى ما يكفينى من الخبرة لكى أفهمك . آه يا طاهر نفسى أسمع صوتك ، وأكلمك . وأعرف ماذا تغيّر فيك . سبعة أعوام مرّت لم أنسك فيها ولو لحظة واحدة . يومياً أفكر فى رفع سماعة التليفون والاتصال بك . لكن يردّنى أننى متزوجة . قلت لى أمس : " الو " ، ولم تكمل لأتملى من نبرات صوتك . وأستطعم وقعها . ورغم كده فقد ظللت أستعيدها . وأكرّرها بينى وبين نفسى طوال الليل . ربّما على أمل أن أصل إلى شىء من اللى تغيّر جواك .

ترى هل مازلت تذكر سيرنا معاً وبمفردنا فى تلك المرّة الوحيدة ، عندما أصرّت والدتك على أن توصّلنى إلى بيتى هنا فى بورفؤاد . حقيقى كنت يومها طائيرة من الفرحة . كنت أمشى بجوارك وأنا أشعر أن أقدامى لا تدب على الأرض . بل تطير فوق سحب طريّة ناعمة . كنت لا أشعر بأى أثر لخشونة الأسفلت ، أو سطحه الصلّيب . كنت أسمع كلماتك ، وأحلق معها فى عوالم تتفتح لى وتتكشف بإضاءات مذهلة . وكلما ظننت أنها النهاية ، وأنه لا يمكن أن ينكشف لى أكثر من ذلك . تتفتح لى طاقات أخرى لم أكن أتخيّل أنها موجودة أصلاً فى هذا العالم . ولأوّل مرة أشعر أن شارع النهضة يمكن أن يكون بهذا القدر من الجمال والروعة . وأنه لا يقل فى جماله عن شوارع باريس الكبرى . والتى كنت أراها فى الأفلام وأتحسّر عليها . ولأوّل مرّة أعرف أن عندنا شيئاً ساحراً ، ليس موجوداً فى بقية

المحافظات إسمه المعدية . وأنه يطل على ممر مائى يمكن أن يمنح شعوراً بمتعة لا مثيل لها خاصة في الليل الذى يعكس الماء أضواءه بشكل مبهر . ورحلت أتساءل بينى وبين نفسى كيف لم أكتشف أو أستمتع بهذا الجمال من قبل .
إلا أنني عندما سرت فى نفس الشارع الأسبوع الذى تلاه ، وعبرت المعدية ، لم تكن انطباعاتى أبداً هى نفسها هذه الانطباعات ، وبدا أن كل ما شعرت به وقتها ، كان بتأثير وجودك على .

لحظات عابرة عشتها ومررت . ولم أكن أعرف أنها ستكون أجمل اللحظات فى حياتى . وأنى لن أذوق بعدها أى لحظة تماثلها . وأنها ستظل اللحظات السعيدة الوحيدة التى تملأنى حياة . وأن ترنيمة عبد الحليم : " وتقابلنا ، والحياة قدّام غينا طوة ، وتقابلنا ، والكلام فوق الشفاف غنوة " . ستصير دائماً هى الوجه الآخر لهذه اللحظات .

آه يا طاهر . كم تمنيت أن تدوم هذه التوصيلة مدى الحياة ، وأن أظل سائرة معك بلا نهاية .

يقولون أنك شرس وعنيف . إزاي بس ؟!! وأنا لم أرك إلا نسمة عابرة . وأرى قلبك قلب طفل صغير يجرحه أقل شيء . أنت يا طاهر بالفعل أرق رجل صادفته فى حياتى .

أشياء كثيرة قالوها عنك . غريبة وحاقدة . لم أصدقها ، ولن أصدقها . منهم الله الذى طلعوا عليك الإشاعات دى ، وبوظوا جوازتنا . منهم الله الذى كسروا قلبى . وقتلوا أجمل فرحة فى حياتى .

النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا يَجْهَلُونَ يَا طَاهِر . أَعْرِف . وَهُمْ لَا يَفْهَمُونَ .
بَلْ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ فَهْمَكَ . أَنَا بَسْ مِنَ الْقَلِيلِينَ الَّتِي فَهَمُونَكَ يَا طَاهِر .
لَكِنْ بَرْدَهُ بَعْدَ فِتْرَةٍ . سَامَحْنِي يَا طَاهِر . أَبِي صَدَّقَ كَلَامَهُمْ عَنْكَ فِي
الشَّغْلِ . وَعَمِيَ كَذَلِكَ . أُمًّا أُمِّي الَّتِي حَكَيْتَ لَهَا عَنْكَ . وَنَقَلْتَ
لَهَا كَلَامَكَ . فَقَدْ شَكَّتْ فِي كَلَامِهِمْ . لَكِنْهَا لَمْ تَتِمَّكَنْ مِنْ فَعْلِ
شَيْءٍ . رَجَوْتُكَ وَأَنَا أَبْكِي أَنْ نَنْزَوِّجَ غَضَبَ عَنْهُمْ . وَقُلْتَ لَكَ
: " هَمَّهُ بَعْدَ كَدِّهِ حَيَوَالْفَقْوَا ، وَحَقِيقَلُوا بِالْأَمْرِ الْوَاقِعِ " . لَكِنَّكَ
رَفَضْتَ .

ليه يا طاهر رفضت !!؟

.....

وطب ليه ما رفضتش نوسة !!؟

أَدَى عَمِّي مَات . وَهُوَ مَا يَعْرِفْشِي إِنْ بَنَتْهُ الَّتِي مِنْ صُلْبِهِ سَمَوْتَ فِيكَ
حَبًّا . وَأَنْهَا هَذِهِ الْمَرَّةَ سَتَصْمَمُ عَلَى الزَّوْاجِ مِنْكَ ، دُونَ اعْتِبَارِ
لَأَيِّ شَيْءٍ . لَكِنَّكَ لَمْ تَصْدَمْهَا ، مِثْلَمَا فَعَلْتَ مَعِي . وَلَمْ تَرْفُضْ
يَا طَاهِر . لِيَهْ فَهَمْنِي !!؟ .

صَحِيحَ أَنَّكَ لَمْ تَتَقَدَّمْ لَهَا حَتَّى الْآنَ . لَكِنْهَا أَلْبَغْتَنِي بِأَنْهَا
سَتَتَحَدَّى الْعَالَمَ مِنْ أَجْلِكَ . سَتَتَحَدَّى أُمَهَا ، وَكُلَّ الْعِيْلَةِ لَوْ رَفَضُوا
وَأَقْسَمْتَ لِي ، بِأَنَّكَ فَعَلًا وَاظَفْتَ عَلَى الزَّوْاجِ مِنْهَا ضِدَّ رَغْبَةٍ
أَهْلَهَا . لِيَهْ يَا طَاهِر فَهَمْنِي .

هل صحيح تحب نوسة كما تقول لي وتحكي !!؟

هل صحيح قلت لها أن حبك لي انتهى، وخرج من قلبك !!؟
أنا أقسمت لها أن حبي لك ، لم يكن حبا حقيقيا ، بل كان

حب مراهقة . أقسمت لها بكده وقلبي يكاد يسقط منى فقداً ،
وشغفاً . أقسمت ، وصدقت هي يا طاهر .
صدقت ربما عشان هي عاوزة تصدق .
مفيش قديمها إلا أنها تصدق .
آه يا طاهر .

حقيقي بتكلى اللوعة . وأنا أسمعها تقصّ علىّ حكاويك ،
وتخبرني بمقابلاتك العديدة خلف حديقة المنتزه . وعلى ممشي
بحر بورسعيد . وأتخيل أنني أنا الذى أسير بجانبك . وأن ما
تقوله لها تقوله لي .

وأنام وأنا أفكر ، ماذا سيكون ردّي عليك . وأضل أبكى
أننى لم أصمم على الزّواج منك . متحديّة ليس فقط قرار أبى ،
وعمّي ، بل متحديّة قرارك أنت نفسه . متحديّة هذه الفكرة
الخابية التى رفعتها فى وجهى : " طالما ما رضاش ده لخواتى
البنات ، ما رضهوش ليكى برده " . ملعون أبو هذه الفكرة
الخابية .

- : " إيه يا عمرو . فى إيه . بتهنّئى ليه ؟! " .
- : " عايز أروح الحمام " .
- : " طب نزل الغطا كده شويّة ، وقوم إليس الشّيشب
وروح " .
- : " تعالى معايا " .
- : " فى إيه . مالك اتّهاردة يا عمر ؟! " .
- : " أصلّى الطّريقة ضالمة " .

- : " ماتخافشى . أقف على الكرسي ، ونور الصّالة وأدخل " .

- : " ما تيجى معايا " .

- : " بس بقى يا عمرو " .

أكيد لو كانت خالتي مازالت عايشة ، كانت وقفت بجانبى ،
وقدرت تقنعك بإطاهر .

الله يرحمك يا خالتي .

قدرت أحس بس دلوقتى قد إيه إنتى كنتى حزينة ، لمّا حماتك
صمّمت على رأيها . ربما أكثر من حزنك بمرضك . بل ربما
أنك لم تشعري بأنك مريضة ، وبخطورة هذا المرض إلا بسبب
رفضها . وفعلاً من يومها بدأت انتكاساتك .

انتكاسات متكررة ومتتابة ، لم تكن بتحصلك بالشّكل ده قبل
كده .

خالتي . يا حزينة يا شاحبة .

قد إيه بفتركك كثير الأيام دى . ولا أدري لماذا ؟!

تجلسين فى العصرية على كنبتك المفضّلة أسفل الشّبّاك .
والشمس تضىء ساقيك القمحيّتين ، وتكسو شحوبهما بقدر من
حمرة التّوهّج . فلا تبين تلك الزّرقاة الخفيفة التى كنت لأحظّها
بشدة ، كلما أخذت فى الحماّم تتقيّئين .

تطلبين منى أن آتى بجانبك . وتبدئين فى رصّ كروت
الكوتشينة أمامك . وتسالّينى عدّة أسئلة ، وتفتحين بعض
الكروت . ثم تعاودين سؤالى ثانية . وكثيراً ما كنت لا أعرف
الرّد . فتصرين أن تعاودى الكرّة وتبدئين من جديد وفى تصميم

على تعليمى كيفية لعب بعض ألعابها . وتبتسمين فى وجهى
ابتسامة شديدة الحنو والجمال . وتأخذيننى فى حضنك . وتقبليننى
وكلما أشعرتنى بهذا اللّقاء إزداد حبّى لك . وتعلقى بك . بحيث
كنت لا أطيق المكوث ولو لحظة واحدة فى بيت نينتى ، إذا لم
تكنى غير موجودة . أو فى المستشفى . وأظل أبكى حتى
يضطروا لأخذى إليك . وهناك أستمّر جالسة بجانبك حتى
انتهاء ميعاد الزيارة ، فإذا لم تكنى ستخرجين معنا أرفض
العودة معهم .

غير أنه وسط اصرارهم ، وتخويف الممرضات لى بأنهن
سيعطيننى حقنة ، حتى أنام ولا أتحرك ، أغادر معهم ، وأنا
أبكى ، وهم يسحبوننى غير عابئين ببكائى ، ولا بتوسلاتى .
وتوَّ أن أدخل الفراش ، تظل تطاردنى صورتك ، وغطاء
الأكسجين على وجهك ، والمحاليل فى يديك ، فلا أستطيع
النوم ، وأجرب لأنام فى حضن أمى ، التى تأخذنى بين ذراعيها ،
وتطبطن علىّ فى محاولة لتهدأتى .

خالتى . كم كانوا يقولون لى أننى أشبهك . وكم كنت
أستغرب هذا ، وأظل أتأمل صورتى فى المرآة ، ثم أمسك
بإصبع الرّوج ، وأحاول أن أضعه على شفتى ، حتى تتطابق
صورتى مع صورتك . فهذا هو الشيء الوحيد الذى كنت أراك
تفعلينه وأنا لا أفعله . لكننى بعد أن انتهى لا أجد هذا الشبه
الذى يقولون لى عليه . فأذهب إلى أمى وأقول لها : " أنا شبه
مين يا ماما ؟ " . فتقول لى : " شبه خالتك فىفى " . فأصنّ قليلاً ،

ثم أضحك في فرح ، وأجرى لأقف ثانيةً أمام الميرآة ، وأظلم
أتأمل ملامح وجهي ، دون أن أصل لسر هذا الشبه .
وعندما سمعت خالي بدوى يقول أنه سيخطب واحدة شبهك؛
ظلمت أترقب مجيئها إلى البيت ، حتى أرى هذا الشبه . وحينما
جاءت ظلمت أنظر لها بشكل غريب ، ومتواصل . حتى
لاحظت هي ذلك . وسألت أمي لماذا أنا أنظر لها بهذا الشكل؟!
فحكّت لها أمي الحكاية ، فأخذت تضحك بشدة . وكلما رأتهى
بعد ذلك تقوم باحتضاني ، وتقبيلي . كانت فعلاً جميلة مثلك
يا خالتي . بل حقيقة أجمل منك - شكلاً بس- وأصغر .
التليفون بينه بيرن في الصالة .

أه . دا بيرن . مين اللي حيطلينا دلوقتى؟! .

مش قادرة أروح أردّ .

لو كان عبد الملك ، حيقفل ، و حيرن علىّ في المحمول .

مش حقوم ، وحسيبه يرن .

أعمل إيه ، مش قادرة .

حقيقى مش قادرة .

يمكن ماما؟

لا .

فعلاً هو عبد الملك ،

- : " أيوه يا عبده " .

- : " حبات الليلة في المستشفى " .

- : " إزّيه دلوقتى " .

-
- " لَسَّةٌ فِي الْعِغَايَةِ " .
 - " طَبِّ ابْقَى طَمْنَى " .
 - " مَاشَى . مَعَ السَّلَامَةِ " .
 - " مَعَ السَّلَامَةِ " .

.....

وكانت المفاجأة يوم وفاة جدّي . اكتشافي أنّ الأحياء ممكن أن يموتوا ، بمثل هذه السهولة ، وهذه السرعة ، وهم في أتمّ صحّة . كانت صدمة كبيرة بالنسبة لى . وقتها علمت أنه ليس صحيحاً ، أن من يموت هم المرضى فقط .

كان جدى يجلس على مقعده فى الصّالة . يشاهد مباراة الأهلى والإسماعيلى . وفجأة سمعت صرخ نينتى ؛ فهرعت من الحجرة مع الذين هرعوا . كانت نينتى تمسك بكفى جدّى وتهزّه وهى تصرخ: " يا حج فهمى! يا فهمى! رد علىّ يا فهمى!! " .

لكنه كان لا يستجيب . يتطوّح بين يديها ، ولا يردّ.

ربّما رجّح خالى الذى كان موجوداً وقتها أنه مات ؛ فحاول أخذها إلى الدّاخل . وما إن حاول فعل ذلك ، حتّى أُصيّبت نينتى بهوس من الصراخ ، أخذت تطلقه بفزع ؛ فاكتظّت الصّالة بسلطان العمارة الذين أخذوا يتوافدون . اقترب بعض الرّجال من جدّى ، وأمسكوا بيده ، بينما قام واحدٌ منهم بإشعال عود كبريت أمام عينيّه ، بعد أن رفع جفنيها . وفى الحال قام بحمله هو وخالى بالكرسى الذى كان يجلس عليه وطرحوه على

السَّريِّر . ثم فرد خالى الملاءة عليه ، وغطَّى وجهه وجسمه بالكامل ، وأزاحه بميل باتجاه القبلة ، حيث تعالى صراخ أمى ونينتى ، وكثيرٌ من النسوة الحاضرات . ووجدت نفسى أبكى بحرارة ، ربَّما من هذا الجو المخيف والغريب الذى لم أره من قبل . وربما أيضاً لبكاء كل من حولى ، وحالة الفزع التى أصابتهم جميعاً .

أمَّا ما حدث بعد ذلك ، وشكل النَّعش الذى كنت أراه لأوّل مرة . والجبَّانة التى أخذونى إليها مضطربّين ؛ لعدم وجود من يمكث معى فى البيت ، فقد أصابنى برعب ظللت أعانى من أثره لفترةٍ طويلةٍ لاحقة . ومازال تأثير هذه المشاهد فى أحلامى حتى الآن . لا ينسينى إيّاها إلا مشاهد وفاة عمِّى منذ عامين .

صحيح . إنها النهاية التى سنذهب أليها جميعاً يا طاهر .
نعم أنفهم حزنك الدائم .

بل ، وأصبح أكثر شيء أعيشه فى حياتى . حقيقى ماذا تعطينا الحياة أكثر ممّا تأخذه منا ؟

كم كنت متفائلة ساذجة يا طاهر قبل أن أقابلك . كنت أرى الحزن المستمرّ فى عينيك ، وأسألك عنه ، وأندهش فلا تجيبنى إلا بابتسامة أكثر حزناً .

طاهر ، تعالى إلىّ أنظر فى عينيك ، وأغسل حزنى بحزنك . أو حتى أزيده . ثم لا يهمّ أن أتجرّع المزيد من ألمه ولوعته . فقط أريد أن أنظر فى عينيك يا طاهر .

آآآه . أرِيد أن أنظر فى عَينيك يا طاهر . وليملأنى الحزن
بعد ذلك حتى النهاية .
سأتصل بك غداً . وسأكلمك . وسأعرفك بنفسى ، وليحدث
ما يحدث . لا يهم .

*

{10}

يدقق أكثر باتجاه الضَّجَّة ، فيراه وهو يعرج ناحية حديقة
المنتزه ، مختفياً خلف عمارة فرحات للخردوات ، ونفراً قليل لم
يستطع تمييزهم يهرولون خلفه ، لكنه يسبقهم بعدة أمتار .
يرن جرس الموبائل فى جيب جاكته الداخلى . وما إن يمد
يده لأخذه ، حتى يجده قد توقف . ينظر إلى شاشته ، فلا يجد
أى رقم قد سُجِّل . يدخل سجل المكالمات فى القائمة ، فلا
يجد شيئاً فى خانة المكالمات التى لم يُرد عليها . يعيده ثانية إلى
جيبه ، وهو مازال واقفاً ملتفتاً برأسه جهة اليمين .
يتنأهى إليه ، صوت مشادة مابين مؤمن وعزّ فى الحجرة
الأخيرة من الشقة ، فلا يبالى لاعتياده على مثل هذه المشادات
بينهما .

يبحث عن علبة سجائره فى جيب بنطلونه ، وعندما لا
يجدها ، يتذكر أنه تركها على الكوميدينو ، بجانب الريسيفر
حينما وصل ، فيدخل سريعاً ويلتقطها ، ثم يعود ثانية لوقفته .
حيث يسمع صوت إنزال، واصطكاك غلق باب بقالة الحمزاوى

أسفله ، ويرى الحاج عبد الشافي ودقق يتبعه على الرصيف .
لا يبدو أن شيئاً ما تحديداً يفكر فيه ، سوى ربّما موقفه
الصباحي مع وكيل النيابة ، الذي مؤكداً مازال يُعاود إقتحامه
بوجهه وكلامه من حين لآخر . ينظر يميناً وشمالاً داخل
الشرفة، فلا يجد الكرسي المعتاد أن يجلس عليه . فيصعد
بصره إلى أعلى ، جهة اليسار قليلاً ، مُتأملاً مأذنة الجامع
بأضوائها النيون الخضراء ، وطبقة السُحب التي بدأت ترق
تدريجياً ، وتظهر حوافها لامعة في ضوء الهلال البازغ .

فجأة يدخل ، ويغلق الشيش وراءه ، ثم يوارب ضلقتي
الزجاج ، بحيث تصير الفتحة بالجهة اليمنى عكس السرير ،
الذي يجلس عليه صامتاً . وعندما يشعر بوجع أسفل جانبيه
الأيسر ، يضغط عليه بيده ، ثم يخلع الحذاء وينطرح بظهره
على حاجزه ، تاركاً الشراب الأسود في قدميه ، ومنتهياً إلى
أن المشادة التي حدثت بين ابنيه قد انتهت .

لحظات ويدخل عليه مؤمن بالبيجاما الترنج ، دون أدنى
آثار لتلك المشادة ، قائلاً له أنّ الحاج حامد سأل عليه بالتليفون،
وأكد عليه أن يكلمه ضرورياً اليوم : " وسألني إن كان تليفونك
بإيظ ولا إيه ، لأنه فضل يرن عليك ، ويعطيه رسالة بأنه ربما يكون
مغلق أو مشغول " . ثم يخبره وهو يخرج مغادراً الحجرة ، معتاداً
على هذا الصمت الذي يواجهه به أبوه ، أن هناك على مائدة
السفرة ساندوتشين كباب ، جاء بهما عز ضمن ساندوتشات
عدّة ، وهو عائد اليوم من عمله بالمطعم .

هنا يومىء له أبوه برأسه . لكن أيضاً دون أن يتكلم .

أدهم : " ما أنا ما كنتش أعرف

من الأوّل ، ولا أعرف

همّه جايين ليه " .

راغب : " عاملوك وحش فى

القسم ؟ " .

أدهم : " لأ . هو بس ظابط

المباحث كان فى كلامه

كده شوية استهزاء

وتحدّى ليه ، ما عرفشى

ليه " .

راغب : " لكن ما حدّش مسك " .

أدهم : " لأ لأ " .

راغب : " والـ ١٩٠٠ كرتونة

كلهم ما عليهمش

ليبل ؟! " .

أدهم : " لأ طبعاً . همه ٨٠

كرتونة بس " .

راغب : " وبِغوا الصّحة ؟ " .

أدهم : " آه . قبل أمّايشدّونى جم

بتوع الصّحة والطّيب

البيطرى ، وأخذوا من
كل بلتة كرتونة
ليحللوها فى المعمل " .
راغب : " كانت إيه الكراتين
دى ؟ " .
أدهم : " مفيش . زى كل مرة .
أسماك ، ورنجة ،
ومعلبات " .
راغب : " وقعت أد إيه فى
النيابة ؟ " .
أدهم : " همّه عشر دقائق بس .
بعدها بيتونى فى الحجز ،
وجرجرونى انهاردة
الصبح ، ويقولوا
حيستدعونى بعد
يومين " .
راغب : " تعرف اسم وكيل
النيابة ؟ " .
أدهم : " لأ . بس أقدر أعرفهولك .
الغريب بقى إنى سمعته من
بعيد بيقول للكاتب
بتاعه الرّاجل

ده عقر ، بس أنا
حعرف إزاي
أوصله . كنت عاوز
أمسك عليه حاجة . بس
يا خسارة أوراقه كلها
مرتبتها صح " .
راغب : " ولا يهكم ، متخفشى .
ما فيهاش حاجة . خير
بإذن الله . بس إعرفلى
برده إسم وكيل
النيابة " .
أدهم : " بكرة سيكون عندك " .
راغب : " قولى أخبارك إيه مع
الست منى ؟ " .
أدهم : " زى ما هى عليه ، أمّا
أجيبك بكرة حقولك " .
راغب : " طب يا أدهم ، ما
تقلقشنى . مع السلامة " .
أدهم : " مع السّلامة " .
يغلق سماعة التليفون ، ويظل منطرحاً على سريره . لم
يفكر بعد فى خلع بدلتة أو شرايه .

﴿أوحان أين التَّمَلُّص من سياج مريح ننته ؟ أم هو عدول يستقرى دواعية﴾

عندما أدخل فرشتى لا يغمض لى جفن . كأنَّ أحداث اليوم
وصخبه تفيض علىَّ بغبارها ، وأدخنتها السَّوداء المسمومة ،
فتملاً أذنىَّ ، وعينيَّ ، وفمى . فلا أنا أرى شيئاً ممّا حولى ،
ولا أنا مستسلمة لإغفاءة طويلة هادئة . فى نفس الوقت الذى لا
أستطيع التكلّم فيه مع أحد .

عامان كاملان منذ وفاة أبى ، وأنا على هذا الحال . يظننَّ
الآن أننى نائمة ، ولا يدركن أننى لم أعد قادرة على النوم قط .
وأجاهد فقط من أجل اقتناص لحظة واحدة أغفو فيها . لحظة
واحدة ياربى توقف هذا السَّيل الهادر من الصَّحْب ، والضَّجيج
الذى ينفجر برأسى .

لو كن يعلمن ما يلدغنى من أَلَم ، وما يعتصرنى من
مرارة، لجئن إلىَّ يواسيننى ، ويخففن عنى .
أحتاجك يا أمى .
أحتاجكن يا أخواتى .

لماذا لا تشعرن بى هكذا .
بأىِّ شىءٍ مشغولات أنتن ، وأنا بينكن أسقط .
عمّاذا تتكلمن هناك ، وتتركننى وحدى .
وحدى مع كل هذه الإخفاقات فى حياتى . مع عمرى الذى
يجرى ، وهو جسى وشكوكى التى لا تنتهى .

وحدى معه. آه وحدى معه . مع هذا الشخص الغريب الذى
كنت أظن - يالا سذاجتى - أنه هو الوحيد الذى سيعوّضنى
عن كل تعب سنواتى الفائتة ، وفقدان أبى .
هذا الشخص الغريب أبعدنه عنى، وأوقفن لسانه هذا البشع.
إنه لا يعلم ما تحدثه كلماته فى من تشوّهات ، وجروح .
أوقفنه بأى طريقة. إنه لا يكف عن الكلام . كل يوم يفزعنى
بنفس كلامه . كل يوم . كل يوم .
أنا التى طاوعته ، وتماشيت معه . أنا التى أخطأت فى حق
نفسى ، وأعطيته الفرصة لكى يُمارس علىّ امتهانه المنظم .
أشعر بتهرؤى ، وابتزالى ، وابتزال كل شىء حولى .
مَنْ أنتم أيها الرّجال .
كلكم تخيفونى .
كلكم وجوهكم ممسوخة ، ومدهونة بأصباغ لزجة لا أعرف
لها لون .
حتي أبى يا أمى . سمعانى يا أمى . حتّى أبى هو أيضاً من
نفس النوع ، ونفس الخامة . سامحينى يا أمى . منى هى التى
حكّت لى وأقسمت لى . أسألها يا أمى .
لماذا يا منى صدمتيني ، وكشفت لى عن علاقة أبى
المشبوّهة ، والغير متصورة بشغالتنا مريم . ياليتك يامنّى ما
عرفتيني .
مين يصدّق . أبى الوقور المحترم الذى كان لا يكفّ عن
تدليعك يا أمى بكلماته العذبة المعسولة . هو نفسه الذى كان

يخونك . معقولة يا أمى . معقولة كل هذا كان تزيف وضحك عليك .

آه . لماذا يا أبى .

لماذا تشوّه صورتك عندى .

لماذا تجعلنى أفقد الثقة فيك وفى كل الرجالة .

يا ربى .

لماذا المسافة بينى وبين الأشياء ، صارت بعيدة وغائمة هكذا .

لماذا المسافة بينى وبين نفسى وأهلى وجيرانى وزملائى ، أصبحت لا أستطيع فهمها أو حسابها . لماذا كل هذه الأطنان من الغبار تغطى كل الوجوه حولى .

لم أعد قادرة على فهم أحد . لم أعد أعتقد فى صدق أحد . لا أدرى . كل الملامح فيها شىء ما غير حقيقى وغير طبيعى . التمثيل البغيض ينضح منها فى كل حركة وكل إشارة . لم تعد الوجوه حتى تتقن تمثيلها .

ما أبشع تمثيلك يا محسن ، وأنت تفزع إلى ركن الحجرة ، حين فاجأتنا أمى بدخولها . ثم اختلاقتك لحديث لا أعرف عنه شيئاً ، وورغيك به لتدارى عنها إلحاحك علىّ منذ ثوان لتقبلنى . تمثل الأدب الجمّ ، والذوق المصطنع ، وتتكلم بحساب ، وبصوت خافت مهذب ، كأنك فتاة بكر خجول ، صنيعة بابا وماما وتيتة .

حقيقى قولى كيف وافقت عليك ، وجعلتك تلبسنى الدبلة بيدك

المعروقة هذه الممصوصة كأيدى الموتى . وظللت أصبر عليك مدارية تفرّزى منك ، وقرفى من أنفاسك الكريهة التى كنت تلفح بها وجهى ، والتى كادت أن تجعلنى أنقياً .

وأنت يا رائف ؟ كيف تصوّرت بكل هذه البساطة أننى سأقبل عرضك هذا ؟! كيف استطعت أن تقولها بكل هذه السهولة ، وبطريقة مَنْ لا يشك لحظة فى قبولى ؟! من أين أتت كل هذه الثقة ، والجرأة على ؟! هل أنا التى نقلت لك هذه الصورة المشوّهة عنى ؟! أنا هكذا يا رائف ؟ أنا بنت الأستاذة ألفت والدكتور حسنى أتزوّج هكذا . أنا الثالثة على قسم اللغة العربية كلية أداب عين شمس ، أنجّر لهذه الطريقة البخسة فى الزّواج . ومن أجل أى شىء ؟!

من أجل حبّى ؟

طرزّ فى حبّى .

يا ربّى كيف استطاع أن يخدعنى طوال هذه الفترة ؟! حقيقى كيف ؟!

عام ونصف وأنا أقابله خفية ، وفى أماكن بعيدة ، أحرص أن لا يعرفنى فيها أحد . ورغم ذلك يتملّكنى الخوف فى كل مرّة ، وأظل أتلفت حولى . أتفرّس فى وجوه من المحهم . وكلما شككت أن وجهها من الوجوه ربّما كان يعرفنى ، أفأجئه بإنهاء المقابلة ، وأفزع إلى بيتى . ولا أنام ليلتى . ويظل الغمّ والنكد يعصف بى حتى صباح اليوم التالى ، والأيام التى تتبعه . أهذا كله كان من أجل لاشىء يا رائف ؟!

من أجل زواج عرفى يا رائف ؟ وأنا التى كنت أظنك ستطلقها يارائف ، وما هى إلا أيام قليلة معدودة ، وتجيئنى بالخبر .

لا تقل شيئاً . أنت الذى أوهمتني بذلك . أنت الذى أخذت تقول لى فى كل مقابلة ، أنك لا تستطيع العيش معها ، ولا تتصور أن تقضى بقية حياتك فى هذا النكد المتواصل . صح يارائف ؟ أنت الذى أكدت لى أنك ستطلقها . قلتها يارائف . آه قلتها يارائف .

لماذا تنكص بوعدك هكذا بكل سهولة ؟

لماذا تظننى مبتذلة لهذه الدرجة ؟!

آه . إنت افكرتتى مبتذلة يا رائف ، مثل من عرفتهم من بنات صايعة قبلى . ومهما قلت لى ، موقفك منى لا يدل إلا على هذا . نتزوج عرفى ؟! كيف ؟! وماذا يكون الفرق بينى وبين شغالتنا مريم ؟!

لكن مريم لم تتزوج عرفى يا هدى .

ياحبيبتى فرق كبير بينك وبين مريم .

أبى من أجل أن لا يجعلها ترحل يزوجها بعبد الله البواب . زواج شرعى يا رائف . ويأخذ لها إقامة .

ثم بعد ذلك .

لا يهم بعد ذلك .

لا . قولى . ثم ماذا بعد أن أخذ لها إقامة . قولى كيف رآته أختك معها ، وفى أى وضع .

نزوة . مجرّد نزوة مثل كلّ النّزوات . وربّما حتّى لا يكون
فعلها هذا غريباً على بيئتها .

وبيئة والدك ؟!

قلت نزوة .

أى نزوة هذه ، وهو الأب الكبير الوقور المحترم ؟! ومع
من؟ مع شغالة فى سن بنته ؟! غير مقبول طبعاً . أتخدعين
نفسك ، أم تخدعين من ؟! وأنت التى امتعت عن الخروج من
البيت لعدّة أيّام متوالية . مصدومة من هول المفاجأة ، وهول ما
حكته لك منى . ولولا قسمها لك ألف قسم ، وما كنت تحسّينه
بنفسك ، لما كان من الممكن أن تصدّقى ، أو تتصوّرى والدك
فى هذا الوضع .

آه يا منى . سمعاكى يا منى .

صوتك بعيد . بعيد جداً ، كأنه يأتينى من تحت الارض .

وأنت يا مىّ .

سمعكم جميعاً . لكنى لست قادرة على النهوض ، لست
قادرة على الرّد .

آه .

دعونى وشأنى .

لا .

بل تعالوا وارفعوا عنّى كل هذا الغبار والسّود والتراب من
عينى ، ومن رأسى ، ومن فراغات روحى .
تعالوا وحدّثونى عمّا يملأنى ببعض السّكن .

يا ربّي .
ماذا أفعل ؟
أصوات كثيرة تطنّ في رأسى .
أصوات وشظايا تحومّ وتطعن جسدى فى كل جزء .
يا ربّي . ماذا تفعل بنا الأيّام ، وماذا نفعل بأنفسنا ؟!
ماذا نفعل بأنفسنا ؟!

*

{11} بمنجزات هشة ، وبأفق يجد طلّته ، نحن نتعلّق بمناخات ذات صلة

هزّزاتنا لها وقع رتيب ، وديب القدم له صدّى يُرجف
سكوننا الموحش . وفيما عدا خفة الرّيح التى تترنّح حولنا لا يكاد
يتناهى إلينا غير ضجة شلة البلتاجى أحمد .
أمّا قطيرات المطر التى خلفتها غيمة هذا الصّباح ، فهى لم تنزل
تُطلق فينا كمّا لا يُستهان به من النّشوة . وغضرة ألفة تعكس
ماتشره السّرج على وريقاتنا من ضىّ . بحيث بات مألوفاً للذين
يمرقون بعرباتهم أن يتطلعوا من النّوافذ فاتحين صدورهم للهواء
الرّائق . ومستنشقين رائحة خضرتنا بأريحية واستجمام .
إنها عادة السّويعة الأخيرة من أماس تُلجئنا يومياً إلى التّواطؤ
مع صخبها . فإذا ما تكرّر على غير المعتاد ، فتح الشّرف من قبل

قاطنيها المتحفين بدفئهم ، فهذا ليس إلا تأكيداً مُبرراً للفضول الذي ينتاب البعض لمعرفة ما تمخّضت عنه حادثتا اليوم المشئومتين. ولا عجب من أن يكون عدول الكثيرين عن ارتداء ستراتهم الواقية، وتركها على أكتافهم وفوق أذرعهم ، ايذاناً بتحوّل الطقس إلى حالته العادية .

وهنت منهم الأسئلة ، وتحاجزت عنهم الرؤية التي رغبوها متطلعين . والحال أن نفراً غير قليل هم الذين يعبرون ، ربّما إلى بيتوتهم اليومية ، أو ربّما إلى مقاصد لهم في السّعى .
فهل من قبيل المزايدة أن نزع ، أن قطف شحاتة جرجس لإحدى وريقاتنا بالشّدة التي رأيتموها سابقاً ، ينمُّ عن حالة حنق يعيشها الآن ؟

كل شيء يجري كما لو أن الأمور تسير إلى نهايتها . وكفى هراء أن يقولوا أن القزاز مازال مُختبئاً هاهنا في منطقتنا . فلا جدال أنّه قد سلك مسلكاً آخر باتّجاه شارع الصّاعِ مصطفى الصّيّاد إبّان مغادرته للمخزن . أنزعم أو ندعى بأن ما أقدم عليه اليوم ، ما هو إلا بداية غير محمودّة لمضايق لها وطأة وثقل ، ستصيغها له الأيام بروية وعلى مهل ؟

نقول : كانت الحركة عادية . والشّوارع شبه خالية ، وخلافاً لما سلّمنا به من اكتساح الظلمة المعبّشة بأضواء بعض المصاييح المترامية على الجانبيين ، رحنا نستعير كثيراً من الأقنعة ، ونشارك أولئك الذين يعدّون خلف مَنْ أُطلقت له الصّرخة ، قليلاً من تحفز. غير غافلين بالطبع عن الانتباه فيما بيننا لصورة النّعش الذي

يقترّب محمولاً على الأكتاف . وبيّطه يقف عند الشّاهد الأبيض
وسط انتحاب النّسوة . إلّا أنّنا ما كنّا نصرّ على الانشغال
بالتحديق في ونيس والرجلين المسنّين اللّذين ينتصبان في خشوع ،
بينما يهبط النّعش بكسائه المزركش ، إلّا لأنّ هذا المشهد استدعى
منّا لحظات كان لنا فيها شجن .

نقول : إن نذير الشّؤم هنا ، هو كون اللحظة التي فيها مرقت
إحدى العربات ، ضاربة قطتنا التي كانت تسير وقتها بجانب
كافثيريا الطّيران . هي نفس اللحظة التي تعرقل فيها اللص حميدة ،
مما جعله لا يتمكّن من مواصلة القبض على طرفي الحاجز الحديدي
الذي انزلق مصطدماً بالأرض . ومصدراً صوتاً مزعجاً افتضح به
أمره . لتنفجر بعد ذلك الضّجّة التي جعلت من في الشّقق يطل .
ليس ذلك فحسب . بل ولأنّ العم عبده لم يكن متوقفاً شيئاً ممّا
حدث ، فقد جعلته حكمة الإصطدام به من قبل اللص حميدة ،
حينما جاءه من الخلف مندفعاً ، ينطرح على الأسفلت ، ويتبعثر
كيسه الكبير ، المملوء بالفول السّوداني ، فيما لم يكمل بعد
مناداته الجهيرة التي لا تتوافق أبداً مع قلة حجمه ، وبنيته التي
نحفت .

لكن وبما أنّ الجميع مشغول بملاحقة ذاك المندفع ، فلم يتمهّل أحد
للأخذ بيده ، أو حتّى يميز لنفسه المساعدة في لم ما تساقط منه في
كلّ اتجاه .

عفواً إنّها ممارسات مُخطّأة عندنا . ولن تصادف قطعاً متّسعاً
لتأويل . وربّما غداً هذا اليوم ستتهيّأ ذواتنا لمزيد من التّجلى ، أو

ربما للتمادى فى الاطباب . لكننا فى ذات الوقت ، لا نملك أن نعدكم بشيء مما قد تأملوه . فقط إن هى إلا بضع تخميناتٍ مكتناة تُعزى إلى ما نستنطقه من عصارة مكنوناتنا ، وما هو أهلاً لأخذ حيزاً فى الحضور .

فهل من قبيل التفكه ، أم من قبيل المجافاة أن نقول : كنّا فى هذه الأصبوحة وسادات خاملة ، كنّا لا نتلقى الفيوضات إلا باستشرافٍ مُشوَّش . *وكنّا بؤساء فى الهواء الحبيب الذى تسعده الشمس ، وقد حملنا فى باطننا دُخان الكسل** . فيما تساررنا بالنجوى . وبما تعلّقنا بمناحات ذات صلة ، مازلنا هائمين . تتلاحق علينا مرأى كان لنا فيها ونس . وكانت مكنته بالزهوة بما يكفى لأن نكون مفرطين فى تتبع زخمها : وجه إيدن يداعب كلباً له وجه بن جوريون ، وعتره لها وجه جى موليه .

رسومات اقتات عليها أناسنا وقت أن كانوا يتموقعون داخل دائرة أحلامهم . ويرسفون فى العجز الذى ما وهنوا فى أن يحيلونه إلى مبادأة . فمن ذا الذى يُعيد الطراد جان دارك إلى مساراته ثانية كى تغرقه زوارق طوربيد جلال دسوقى . أو من ذا الذى يحشد الحشود مُطلقاً الألعاب النارية ، والصّواريخ التى ترسم التّاج الملكى فى سمائنا مُكلّلاً بحفاوة الاستقبال .

VIVE LEROIAF يحيا الملك أحمد فؤاد جهينة ، يتمايل على وقعها يخت المحروسة فى امتنان . أعلينا أن نحث بعضنا على التّجاسر ، لاكتناه عوالم آخر ، نستعيز بها عن هذا الدّق

المتواصل للصور الفاتئة ، والتي استنفدناها سبراً . لا بد من الاعتراف أننا وغيرنا الكثيرين مصابون بالنوستالجيا . بل ونتشوق ولها إلى وقائع بعينها .

يفرّ حميدة جرياً مجتازاً رصيف فندق صوفيا ، فمحل فرحات للخردوات الذى ينحرف من أمامه - على ما نعتقد - باتجاه حديقة المنتزه . فيما من بعيد نرى أحمد المهنّ ومحمود زنبق يطاردانه بأقصى ما يمكنهما من سرعة . صيحاكما التى يطلقانها بدوىّ مُجلجل ، تُفزع بعض من فى الشُّقق . وتكون ايدانا للذين استكانوا لهدأة ليلهم أن يفتحوا شرفاتهم مُطلين . ثم ماعدا الرئيس زكريّا الذى يدفع ساقيه بصعوبة بادية ، وصبرى السحت الذى انطلق مُهرولاً بعد تردّد آخر من اندفاعه ، فلا أحد يتبعهما من خلف . أمّا كون طارق الذى مازال ينتظر السّبت الذى تدليه له وفاء ، لم يظهر اكتراثا سوى ببعض تطلعٍ ناحيتهم . فهذه هى عادته التى ألفناها منه .

قلت : تألّقت عيناها أكثر من النّجم ، وبدأت تخاطبنى فى رقة ولطف ، وفى لغتها صوت الملائكة * . عائشة حينما وقفت ها هنا تنتظر الميكروباس الذى يمرّ أسفلى . أهزجات ترتع ، وتفيض منها نحو الذى تجرّأ ، وبادرها بإطلاق حديثه . كانت تنسل خارجة لتوها من مدخل عمارة حرّك بُعيد أمسية قصيرة قضتها مع الصديقة انتصار . وفجأة وجدته فى وجهها . إمام الذى كان دفعته فى كلية تجارة بورسعيد . حقاً ما أعذبه من شريط تداعى أمام ناظريها ، بكل تفاصيله . ومؤكّد هو

الذى جعلها تترنم بتلك الترانيم ذات الشجن .
لم تنسه . وكلما ازداد الشوق بها اتخذت من زيارتها هذه
حجة ربما تكون فيها رؤيته ، فوراً بمجرد علمها أن حماته تركت
لها الشقة بدلاً من شقة الأمين ، وذهبت لتعيش مع والدتها المسنة
في شارع قايتباي . لم تقل له شيئاً . وجومها الذى أربكه جعله
يظن أنها لم تتعرف على ملاحه ، التى غيرها كرزمن . هكذا
وفى أقل من دقيقة كان السلام . ولا شيء غيره . صعد الدرج
وهو يتلفت وراءه مندهشاً من مقابلتها الجافة . هى التى وعلى
مدى عدة أعوام كانت تخلق الحوارات بينه وبينها فى فراش
وحدتها .

سارت . وقلبها يرتجف هلعاً . تسمع نبضاته تنضح بغزارة فى
أذنيها . إحساس ما بالطيران إلى حالق جعل كل المرائى تتقازم
أمامها فى صغر . ورغم الثقل الذى أخذ يناوبها . وجعلها تنهوى
فى إثر من اللوعة والشجن ، إلا أنها لم تستطع مغالبة شعورها ما
بالطفو والترنح على أمواج من مسرة .

دموع تكاد تطفز من عينيها . وصخب يحثها على الإسراع
إلى أقرب مكان ذى خلاء . لكن حينما رأت جملة البشر الذين
يسيرون على مقربة ، ازداد نكوصها عن فكرة التكويم على
الأرض والإجهاش بالبكاء . ثم ليس صحيحاً أنها تعمّدت أن لا
تلتفت خلفها ، أو لا تنظر إلى شرفة مسكنه . إذ أنها كانت شبه
منومة ، بما تفجر فى مخيلتها تو أن سرت الرعشة من يده إلى
يدها . أو لم تروا معى ، كيف استحال وقع خطاها ليأخذ شكلاً

مختلفاً تماماً عما كانت عليه حال مقدمها .

لم تقترب منه سوى في الشهر الأخير من عام التَّخرُّج . كُنَّا نراهما يخرجان من الكلية ويتجهان إلى حديقة المنتزه . ونادراً ما كانا يجلسان أمامنا على كافيتريا الطَّيران . كانت طريقة مشيتهما ، وهما قابضان على يدي بعضهما ، تجعل أيَّ أحدٍ يقطع بأنَّهما مخطوبان . أو تربط بينهما تلك العلاقة الجميلة . كم تمنَّت أن يتشجَّع ، ويحاول أن يكلمها . ترى نظرات عينيه مفعمة بالاهتمام ، فتصر أن تُقابله بابتسامة ، علَّه يُبادر بأخذ خطوة ما نحوها ، لكن بلا فائدة . كانت تعلم أن خجله يمنعه من الحديث معها ، إلى أن كان يوم ارتحالتها إلى الأسكندرية في رحلة نظمتهما الكلية ، وجلوسهما بجانب بعضهما ، حيث تولَّد الكلام ، وانطلقت المشاعر .

عندما اقتربت منه رأت أنَّه جميلٌ ، بل وأكثر جاذبية ممَّا كانت تعتقد . شديد الحياء فعلاً . لكن في نفس الوقت شديد الجرأة .

كان مكروباً قليلاً لكون أخته ستجرى لها عملية المراحة في الأيام التَّالية . وما سيتكلّفونه جرّاء ذلك من مصاريف فوق الطَّاقة . ولولا حرصه أن تكون هذه الرّحلة فرصته الذهبيّة للحديث معها - بُعيد علمه بمشاركتها- لما كان قد كلّف نفسه بالدُّخول فيها.

طلب منّي أن يأخذ لي صورة معه وسط ميدان المنشية ، فوافقت على الفور. ومن حينها كانت صورته ترافقني في كل فعل

فى حىاتى . عذوبة رسائله التى كان يسلمها لى بىده ، جعلتنى أكتشف جمالاً خاصا فىه ، ورومانسىة فىأضة كم كنت أشتاق أن أعائشها وبهذا القدر من البراءة والشَّفافية . بعدها ظللت ماكثة فى البيت نحو أسبوع لا أذهب إلى الكليَّة ، ولا أترحزح إلى أى مكان . أحسست أيامها أننى أفيض بالحياة . أفيض سعادة وشجن وحب . وبدرجة لم أكن أتصوّر أنّها موجودة على الأرض . وبمثل هذه المشاعر التى يمكن أن تولدها . ولأوّل مرة أعلم أن ما نسمعه ونراه منقولاً عن آخرين ، لا يمكن أن نعرفه حقّ المعرفة ، إلا إذا خبرناه وعائشناه نحن بأنفسنا . كم سمعت كثيراً وطويلاً عن الحب ، ورأيت الأفلام ، وقرأت الروايات التى تتحدّث عنه . إلا أننى توقّنت أننى لم أكن أعرفه . ولا أفقه مطلقاً شيئاً عنه . إلا عندما صادفته وجهاً لوجه . هل أقول كنت طوال هذا الاسبوع أخلق بالفعل ، وليس مجازاً فوق البشر والمدن والأرض . أخلق وأطير فى سماوات علىّ لم يكن لى بها قَبْل من قَبْل . أخلق ، وصورته لا تفارق عيني . بل أخلق وهو بنفسه معى ، ينبطلونه الأسود ، وجاكنه الرمادى الفاتح . وكلامه الذى أسمعُه كأنه وليد اللحظة . نفس رنة صوته وابتسامته الشَّفيفة وقت أن يستعذب نطقى للحروف ، وبعض الحياء الذى يتّضح فيها عندما ألثفت قلقة من أن يلاحظ أحدٌ شيئاً .

رائحة فمه التى كان يرطّبها بحبيبات النعناع ، وحديثه عن استعدادده للذهاب للعراق ، للعمل مع خاله الذى جاءه بعقد عمل هناك . وخوفى من ذلك . وحديثى ، عن النعوش التى تتوافد على

مطار القاهرة . وقوله أنّها مجرد سنة ، وسيأتى بعدها ليتقدّم لأبى .
شريط طويل لا أمل من استعادته المرّة تلو الأخرى بلا توقف
ودون كلل ، وأنا صاحبة وأنا نائمة وأنا أكل ، بلا إرادة وفى
نفس الوقت باستمتاع هائل . وعندما ظبطتنى أمى فى إحدى
المرّات أبْتسم على نكتة من نكاته التى فاجأني بها ، وأماتتنى
ضحكاً ، لم أستطع أوّل الأمر أن أقول لها شيئاً . لكننى تريّثت
وفكرت ، واستطعت أن أختلق لها سبباً آخر حاولت أن يكون
وجيهاً ، حتّى تصدّقه . إلّا أنّها لم تصدّقه وقالت لى : " هوأنا تايهة
عن بنتى عيشة " .

إمام كم أنت جميل ورائع . أفْتقدك بقوة ، وأفْتقد حنوّك ،
وكلماتك التى تقطر عذوبة . عشرة أعوام لم أكلّمك فيها ، ولم
أرك إلّا مرتين اثنتين . مرّة وأنت تتمشّى مع أصحابك على ممشى
بورسعيد الجديد . ومرّة وأنت تغادر المعديّة مع امرأتك .

قلنا : لا بأس ، فطالما هناك لم تزل حركة مائجة فنحن
جائشون بمدّ الجسور . إنّ الاتصال الضّادق والحقيقى ،
لا يتيسّر بيننا إلّا بالحضور الأخرس . بالقطيعة
الظّاهرية . بالتّحاور الغامض والضمّات الشّبيهة
بدعاء باطنى* . لذا فليس بوسعنا إلّا أن نكون عديمى
الجدوى ، خاصّة فى شأن الحيلولة دون الحدث ووقوعه . ومع
ذلك فما من أحد يمكنه أن يجبرنا ولو للحيلة على التّشدّر ممّا
يُجترح من مواقف . سعادات هشّة ، وأوقات تبدّد بمهارة . وإذا
غلّقوا الشّرفات بعد أن أطلّوا ، استسلموا لهجعاتهم التى يسعى

بعضهم لأن تكون هادئة ، أو على الأقل خالية من الكوابيس .
أمّا وفاء وبعد أن التقطت ما ناولها إيّاها طارق ، حتّى مكثت في
الشُّرفة لا تريد أن ترحلها . انطرحت بجسدها على المقعد . ثمّ
أخذت تنظر باتجاه المعدّيّة نظراتها السّاهمة . وهى غير واعية تماماً
لما تراه ، أو لما يجرى حولها . يُلاحقها وجه زوجها عادل وغضبه
حين فاجأته بمعرفة علاقته بحنان . آه ما أبشع تمثيله عليها وقتها ،
بل ما أبشع حنكته في تقمُّص دور الزُّوج الوفي الذى تشكّ فيه
زوراً زوجته . ولأنّها على ما يبدو لا تستطيع أن تفضفض مع
أختها المشغلة الآن بعمل واجب المدرسة مع ابنها عمرو ؛ فقد
أطالت من قعدتها . حتى صار المشهد إذا ما حاولنا وصفه قريب
من صورة امرأة تناطح كائنات لا مرئيّة .

وبتوسيع أفق الطّلة ، وعبر عدّة فراسخ يمكن أن تُقاس
مساحاتها ، يتسنّى لعين أىّ طائر أن تبصر هيئة الشّحّادة وهى
تشوّح بيدها ، وتمدها مستوقفة ممدوح العربان أحد أفراد شلة
البلتاجى أحمد الذى كان لتوّه ، وعلى مسمع من صديقيه
اللدودين يبالغ في صياغة آخر نكتة له عن أولئك المأخوذين
بترشيح أنفسهم لاقتراع مجلس الشّعب ، حيث يتمادى باطنابه
الحنك السّهّل ، في جعل البلتاجى والأقطش ينفجرون بالضحك ،
ويضربون كفّاً بكفّ .

وبالفعل إنّ الرّأى هنا ليتعجّب من كونه مازال قادراً على مثل
هذا التّفكّه ، واشاعة الضّحك بقلب موفور الصّحة ، ومحتضن
للعالَم ، رغم أن والدته وكما قال لهم الطّبيب منذ الأربعاء الفات

أصبح انزلاقها إلى يومها الأخير قدراً محتوماً . وأن التورّمات التي تغتصب الدماغ بشكل ملفت ، بلغت حدّاً يستعصى معه أن يستمرّ أيّ من أجهزة جسمها في عمله . وكيف أن هناك الكثير من علامات الاستفهام على كونها مازالت تُخرج النّفس حتى تاريخه .

لكن بماذا نفسّر ما أحطنا به علماً ، من أن مكوثه الليلي بجانب فراشها وهو ينفطر دمعاً ، بات فعلاً مُكرّراً بعدد الأيام التي كرّرت من وقت مقولة الطبيب المعالج ؟! في نفس الوقت الذي نسأل فيه عن ما هو ذاك السّبب الوجيه الذي يمنع شحاتة جرجس من التّقدّم لعابدة ، رغم نظراته التي تفضحه حال أن تعبر ؟! وكذا ملاحظتنا رفع بصره إلى شرفتها أثناء مروره كل عشية من أمام عمارتها . كما أنّه وعلى حدّ علمنا أن عدم زواجه قد صار مستهجنًا من معظم أفراد عائلته . وأن تعاضم مطالبهم له بالزّواج قد يدفعه للارتباط بأيّ أخرى ربّما لا يميل إليها . فهل ستكون فعلته الأولى التي حالت الظروف بينه وبين إتمامها ، مُبرّراً يُعزى له عدم قدرته على الإقدام ؟!

هذه دعاوٍ جائزة ، ولن يكون هناك أيّ شطط ، وما من شيء إلّا وينحو لو صم هذه المشاهدات ، بالوقائع الزّائلة . أو على أقلّ افتراض نسخ ما بقى منها بشواهد لاحقة . فإذا ما افترضنا مثلاً أن تكفّ أمل عن متابعة طاهر من خلف شيشها الموارب لمزيد من الأيام ، مثلما فعلت أمس ، فهذا من قبيل الاسترسال في تنبؤات لا تستند إلى خبرة سابقة ذات صلة، بحيث سيتأكد لنا فيما

تلا أنَّها كانت في زيارة اضطرارية وخاطفة لحضور سبوع ابنة عمته المتزوجة حديثا . وأن فعلتها التي اتخذتها البارحة لمحاولة لفت نظره ، بإلقاء سجادة العتبة الصغيرة أمامه بالضبط في دقة بارعة ، أثناء عبوره من أسفل عمارتها ، هو من الأشياء التي تنم عن مدى ما وصلت إليه رغبتها الملحاحة من هوس غير محسوب العواقب ، قد يزعج بها حتما إلى مواقف ربّما تكون فيها مهانة لها مؤكدة . الشيء الذي قد يعزّبها طويلا كلما تذكرته . وييدها أحيانا بتركها نخباً لمزيد من طرح الأسئلة عن لماذا طاهر وهيب بالذات . وليس أبداً شخصاً غيره . مثلاً طه رضوان ، أو أشرف البشوتى الذى تنهافت عليه الكثيرات من فتيات حينا . والذى هاهو يمرّ من على الرصيف المواجه لشرفتها ، دون أن يُحرّك فيها ساكناً ، أو أدنى إحساس ذى أثر .

إن الرّغبة التى ألجأتها أمس لأن تجهش بالبكاء بين حافتي الوسادة ، فى واحدة من نوباتها المُكرّرة ، لجديرة بأن تُلجئها اليوم للتمدّد علي الفراش عارية ، والذوبان فى مخاتلات حضوره المتوهّم . ومن ثمّ ينتفى الحاجز المصطنع بين ما كانت تقول له لصديقتها ماجدة ، من أنَّها لا تستحضره على الإطلاق جنسياً ، وبين ما عجّلت به آنفاً ، وأضحت تنضح به نظراتها ، وتستغرب هى حدوثه ، بعد أن قبضت عليه خلسة فى إحدى مرّات مرووره القرية . على الرّغم من أنَّها كانت تقسم ، وتندesh لذلك ، من أن حبّها له روحانى، روحانى فقط، لا يلوته قط أى حافز جنسى . نقول : أما وقد سكنت السّماء، وأضيئت الشّرفة المصاغبة لنا،

فعبّر ما يرسف بين إطلالتنا ودوران ظل طه رضوان ، يمكننا الجزم أنّه سيتوقف كثيراً أمام خبر إفصاح سامح عاشور عن استعداده لتنظيم مائدة إفطار رمضان المقبل على نفقة محامى بورسعيد . فى حين أنّه ربّما لن يُعنى بشكوى الأنبا متىّ المسكين لوزيرى الزراعة والثقافة ، من أن مزرعة البط تُدمّر الآثار القبطية بوادى النطرون . وعلى ذلك فإذا ما عمِد إلى الجلوس لفترة أطول فى هذا الجو البادى صقيعه ، دالفاً هاهو وكما نخمّن لإحضار كوب من الشّاي الثقيل المخلوط بأوراق النعناع ، ليكمل قراءته بشكل أفضل ، وعلى نحو يجعله ينهى معظمه ، تيقنًا من كونه لن يلمح السّت ناهد وهى تهرول بقميص نومها فى ذعر ، عابرة شارع الجمهورية، بأنّجاه بيت أبويها المواجه لمخيز بورفؤاد . وساعتها لن نستطيع الادّعاء مثلاً أنّه يفرط فى الاهتمام ، حين يشرب برأسه يتابع سيرها . أو يهبط إلى الشّارع ليعرف سرّ هرولتها فى هذا الوقت المتأخّر من الليل . وحسبنا مشهد كهذا أن يحدث حتّى يتسنّى لنا القول ، ونحن جازمون أن كل ما عايناه من حديثنا مع الممتد أسفلنا كان صحيحاً رغم رفضه المصرّ .

أبني نور يرد على فضيحة شراء حزب الخضر وجريدته :
نعم فكرنا فى الانضمام لـ " الخضر " ليكون ثانى أكبر حزب فى مصر . والقضاة يرفضون إشرافاً سورياً . ثم بقليل من المحدّرات ، وكثير من الشكليات جنود الاحتلال يبيعون أسلّاح للفلسطينيين . حيث ما تلا ذلك من اندهاش طه الحقيقى لقسم ماجد المصرى أحد القادة العسكريّين ، لسوزان جولدبرج مراسلة

الجارديان ، بأنه رأى مستوطناً يجتاز نقاط التفتيش الاسرائيلية ومعه ١٢ ألف رصاصة ، ودخوله مخيم بلاطة في نابلس ، وذلك دون أن يسأله أحد ما الذى يحمله ، والشئ الوحيد الذى طلبه هو بعض المخدرات والحصول على ١٣ ألف شيكل .

إنها غشاوة الخمول التى توغل فيها حركاته ، وتزداد عليه إلحاحاً ، وبالقدر الذى نظن معه أنها قد تُعجل بدخوله الفورى إلى الفراش . فما هو جائز ومتبع رضائياً من جهته ، هو عدم تخطيه للساعة الثانية صباحاً إلا نادراً . حين يمكث ليلاً حتى هذا التوقيت . وكل ما يُقال عن استمراره العادة السرية بأثر بعض أخيلة لازمته طوال ساعات يومه ، فيعود لزوم ذكرها إلى الألم الذى لم يبرحه منذ أسبوع ، وضغطة يده اليسرى أسفل وعاء خصيته التى صدقت على قول خدنتنا ، وأكسبتنا يقيناً بذلك .

حدث وأن سمعنا هذا أثناء فضفضته مع صديقه سيد . أمّا ما أشار إليه فى مقابلته أوّل أمس مع الشيخ نبهان ، والخاص بفعل السّت غريبة المظهر أسفل شقة الأستاذ وافي ، وردحها وتجريسها لزوجته ، فهذا شيئاً ليس مُفاجئاً لنا . ولا يقلل من محاولتنا الجهيدة حينئذ للتنبّص على كل كلمة تفوّهت بها . وخلا ما يمكن تفهمه من موقفها ، فالنظرات التى ألجمت نطقها لبعض الوقت ، كانت كفيلة بأن تُزيد من حسرتها ولوعتها على سقوطها فى هذه الوضعية التى لم تكن تظن أنها ستوجد يوماً فيها . وبذا يمكننا الافتراض أنّها ما كانت لتقدم على ذلك الفعل المتهوّر ، لولا خشيتها على بيتها وأولادها من تلك المرأة الملعب .

نحن نثق فيما بدا هكذا لمن خابر الموقف . بل ونزيد عليه تأكيداً بما عايشناه من أفانين ملاعباتها الخفيّة ، واستدراجاتها لبعض رجال المنطقة . وحادثتها المشهورة مع المتر وهيب ليست بعيدة . تلك الحادثة التي استطاعت فيها بقدرة مذهلة أن تنسب إليه ما كان يجب حتماً أن يُنسب لها . إذن حسنٌ أو تُعاني من نفس المشترك السيّئ الذي يدفع مدام عقيلة إلى تلك النظرات النّهمة لبعض شباب الحى ؟ وإذا كان كذلك ، فهل قيادة الأخيرة ها هي الآن لعربتها ، دون زوجها الجالس بجانبها ، إشارة إلى شيء ممّا نُخصّه ؟ أم هي نزوعات داخلية نعرف مُقدّماً تفاقم حدّتها في ذاك السيّن ؟

سنفوها جوازا هذه المرّة : تُخامرنا شكوكٌ مازلنا نُعاود استنطاقها ، كلما واثنا الفرصة ، أن مدام عقيلة لم تُطأ من قبل زوجها منذ فترة طويلة . وأن هناك غصّة ما في حلق الإثنين ، تجعل نظرة زوجها بهذا الارتباك الذي يُحاول أن يُخفيه . مع أنه يتضح جليّاً في مجمل حركاته التي لا تُخفى على الحصيفين أمثالنا . مثلما لا يُخفى علينا الآن سرُّ نظراته إلى صبرى السُّحت الذي أسقطها ، حينما وجده يلتفت وينظر له بمؤخّرة عينيه غاضباً ، من عند مطعم الفردوس الجاني .

اضطرّ لأن يتقدّم بالشّيك إلى النيابة ، بعد أن طالت مماطلاته ، وتأكّده من بيعه لكامل بضاعته . ثم ما وصل إليه من أنّه انضمّ حديثاً لإحدى شللي البارونات الجدد ، الذين يُديرون قعدات أنسهم الليلي ، بشقة مستورد كبير ، يعرف تاريخه جيداً ، بحى

البودرة . الأمر الذى أفقده الأمل فى إمكانية سداذه للشيك .
إلا أن معرفته منذ يومين فقط ، أن الذى وشى به عنده
لحزائيات كبيرة بينهما ، لم يصدق فيما قاله له ، جعله يشعر
بتعجُّله فى إبلاغ النيابة . ومن يومها وصورته وهو يكاد ييكنى ،
ويقول له : " حَضَيْعْنِي وَحَضَيْعْ وَلَدِي " تتناوشه ليل نهار ، ولا
تُريد أن تبرحه ، للدرجة التى جعلته ينشغل جدياً بالتنازل عن
بلاغه ، دون أن يلتفت بالطبع ، أو يضع فى ذهنه العشرة ملايين
قضية التى تُرفع أمام المحاكم سنوياً ، تبعاً لأحداث إحصائية لوزارة
العدل .

على كل ، خشية المعالنة من قبله حتَّى نحو أقرب الناس إليه ،
من اليسير اعتبارها شيئاً مفهوماً ، خاصة إذا ما توقف هذا حصراً
على شدة إصرار زوجته على هذا الإبلاغ ، وليلته الباردة التى باتها
مُلْقاً فى الصَّالة بعد عركتها معه ، لتهاونه وتردُّده من وجهة
نظرها ، عن فعل ما رآته مُستوجِباً عليه .

كان حسبه فقط أن يُخيفه ، فيسرع فى سعيه للدفع ، وليس
أبداً أن يأخذ حُكماً يُربك حياته ، ويدخله السَّجن .
إنَّ الأستاذ راغب لم يُعرف قطَّ فى فضاء منطقته ، إلاَّ
بالطَّيبة والقلب المفتوح الذى يسع الجميع حتَّى أعدائه ، وكثيراً ما
كان هذا سبباً فى اشتباك عقيلة معه فى وصلات من اللوم
والتَّأنيب ، وربما أحياناً الرَّدح ، واصفة إياه بأنَّه شديد الإفراط
والاستهانة بحقوقه . لكنها هذه المرَّة ليست حقوقه بمفرده ، بل
هى كذلك حقوقها وأولادها . ولا يجوز لأيّما سبب التَّفريط فيها ،

أو هي لن تُسامحه برغمها ، إذا ما فعل ذلك .
فالكل يعلم بالمشادة التي حدثت بينها وبين الحاج كامل ابن
الشيخة نوال في محل عمله ، ومطالبتها له أمام زملائه برّد
مصاريف المستشفى التي دفعها زوجها لأمّه في غيوبتها الأخيرة .
يألها من ذوات تسعى بكل قواها إلى ملمة ما تظنّه بقايا
لا تكاءات واجبة . فحتّى لو كان تصوّرهم مقروناً بمدى ما
يُشكل لهم مخزونا للرتاء ، فبحبور له نكهة نستملحها جيّداً ، إذا
ما نحن تماردنا في الافتراض ، سنكون أوّل الممتدحين لرسولة
عوزنا . ثم ومن خلال ولائم أوشكت على الإطنا ب فيما تدّعيه ،
يُمكننا نحن وكل من يشاركنا كخدن أن نبدي تحرّراً فيما تتناقله
الألسن . بحيث نوميء إلى أن التّثبت قد يكون صحيحاً وارداً ،
لكنّه أيضاً غير جازم .

فمثلاً وبكبير فضول ، هل نعزو شغف سلوى بصديق زوجها
عامر ، أو استلابها كاملاً من قبل جورج ، إلى مجرد داء عُضال
تكشّف لها في شوقي ؟

تحاشياً لظهورات عديدة قد تتورّط فيه أحداثاتنا متراحة نحو
الأغلوطة . فلندع صمتنا يتعجّل بالطريقة التي تجدر بأمنية تنتهي ،
سكوناً يُساعف فينا مخبوءاً يرزح . وعندما نلمح سندس تطل
من شرفها بتألق باد مثلما هي الآن . أو تتحاجز عنّا القدرة على
تقبّل كل هذا العشق الذي يلوح في عينيّ محسن بيه ، تجاه زوجته
الجديدة وقيّة ، فعليّنا أن لا نخيل ذلك إلى مُحاطلة في خرائط تلقينا
نحن بل إلى سطوة ما يركن باللحظة الحاضرة من تبدّيات لها ثقل .

فلا مرء أن الاستعاضة ولو قليلاً بدبيب تلك الأقدام التي تتوافد من شارع الصياد ، عن ذلك الذي شمل حالتنا هذه ، قد يجرُّنا إلى الاسترسال في تقولاتنا عن حفلات الديسكو التي تُقام أسبوعياً في بيت الدكتور رفيق ، لكننا لن نمل أو نستحي من تكرار - فيما بيننا على الأقل - نفس السؤال عن كيفية سماحه لأولاده بذلك ، وهو الرجل المتدين المصلّي ، والذي حجَّ أكثر من مرّة .

ثانية نقول: الطُّرق مقتولة بالحزن ، كفانا تمرُّغاً في الأسفلت مثل شعرٍ يتهدّل * .

*

{12}

" طالما عايشين كويّس ، إيه لزوم بس السّفر؟! " .

" ولا إنت عايز تهرب ، وخلص ؟ " .

" قولتلك أنا مش عايزه ولاد يا أخى . أنا عيزاك إنت ، أعملك إيه

أكثر من كده؟! " .

" ياربّي " .

*

هكذا تتمم الأستاذة آمال ، وهي ماضية عبر الطريقة الواسعة إلى المطبخ . تضع الصّنية البلاستيك على الرُّخامة الزيتية الفاخرة ، ثم تفتح الثّلاجة ، وتتناول أطباق الجبنة الرُّومى ، والبيضة القديمة، واللنشون بيف ، وبرطمان الزّيتون ، والمرّبة

والطُرشي ، واحداً واحداً ، وتدخله إلى الثَّلَاجَة . ثم على عجل تعمل لنفسها فنجان من القهوة . وقبل أن تغادر المطبخ تتأكد من غلق محبس أمبوبة البوتجاز جيداً . إلا أنها عندما تجيل بصرها هنا وهناك ، يهيلها حجم المواعين المتراكمة منذ أمس ، فتزمع على أن تنتهي منهم غداً ، حيث تفكر بجدية ، في أهمية أن تأتي قريباً بغسالة الصّحون الكهربائية .

تمضي إلى حجرة السّفرة فتغلق نورها ، ثم تتجه إلى حجرتها الخاصة التي تضع فيها مكتبها ، ومكتبتها الصّغيرة ذات الرّفوف القليلة ، وتضيء أباجرة المكتب ، ثم تفتح الكمبيوتر الموضوع فوقه . وقبل أن تستقر أمام شاشته ، تروح في التخفف من جليّتها الصيفية المزركشة ذات الأكمام الطويلة ، والتي بعثها لها راضي من السّعوديّة ، تاركة نفسها فقط بالكومبليزون الأسود الطويل ، دون أن تستشعر برداً .

تبدأ في غلق الأيقونات التي تفتتح تباعاً على سطح الشاشة . ثم تنتظر قليلاً كيلا يهتج الجهاز ، وتشرع في تنصيب برنامج المحادثة بالصّورة oovoo . فجأة تنتبه ، وتتنظر إلى شيش الغرفة ، فتجده موارباً ، بينما زجاجه مغلقاً . تهوّل إلى حجرة نومها ، وبسرعة تضع أحد الأرواب على جسدها ، ثم تعود ، فتفتح الزّجاج ، وقبل أن تغلق الشيش تطل من الشرفة طلة خاطفة .

يلفت نظرها نزول منيرفا جاررتها من عربة أختها ، ثم دخولها بمفردها من باب العمارة . يليه على الفور ، وقوف أحد

التكسيات أمام عمارة حركّ المقابلة . ثم مغادرة الحاج صالح والست فتحية له ، وسير الست فتحية باتجاه مدخل العمارة ووقوفها أمامه ، فى انتظار الحاج صالح الذى تركها وانحرف شمالاً ، ذاهباً فيما يبدو وعلى الأرجح ليشتري طعمية - مثلما رأته يفعل ذلك كثيراً - من مطعم الفردوس المجاور لبنك القاهرة ، حيث أنه هاهو قد واصل سيره ، مجتازاً تقاطعى مكة المكرمة ، وزمزم ، ولم يعرج .

يستهوئها الوقوف فى الشرفة ، والشوارع الخالية تقريباً من الناس والمغسولة بأمطار اليوم ، فتستمر فى إطلالتها . بعض لفئات هنا وهناك ، ثم ترى عربة الحاجة وديدة المرسيدس السوداء ، تقف أمام العمارة ، حيث ثوان وتنزل منها هاهى بهدوء يبدو وكأنه مصطنع وعن قصد ، وتتبختر فى أبهة فخيمة ، مستعرضة نفسها ، يتبعها من باب السيارة الآخر المطل على مجرى الشارع ، ابنها سامر ، المفتول العضلات ، والذى يبدأ فى محاذاتها ، ليمضى معها إلى مدخل العمارة ، ويغوصان بعيداً عن أنظار الأستاذة أمال ، تاركين وجدى الأخ التوأم لسامر ، والذى يشبهه تماماً فى وجهه وعضلاته ، مهمة غلق العربة والتتميم عليها .

تشعر ببرودة تتسحب إلى أعضائها أسفل الرؤب ، فتضمّه على جسدها بقوة ، وترفع يافته حتى تلامس شعرها الملفوف والمعقوص من الخلف ، ثم تهوّل داخلة إلى حجرتها ، وتغلق الشيش ، وتوارب الزجاج . تخلع الرؤب ، وتضعه على الكنبه

الجلدية الكبيرة الموضوعة على الجانب الآخر من الحجرة أسفل المكتبة ، ثم تهرع لتجلس خلف المكتب أمام الكمبيوتر .
تبدأ فى الاتصال بأحد الذين مضاءة أيقوناتهم فى برنامج 00v00 ، كدليل على تواجدهم ، فيأتيها ردّ منه على أيقونة الدردشة ..
(ص 04: 12): السكسى

ساعة وكلمك ، لو كنتى فاضية
تخلع فردتى الشبشب ، ثم تضع ساقها اليسرى أسفل مؤخرتها ، فتكشف ركبتها المستديرة ، وجزء من فخذاها الأسمر اللامع ، تنظر له ، وتملس عليه تمليسة خاطفة ، ثم فجأة تجد أيقونة الشاب عبيد تظهر على سطح الشاشة مكتوب عليها ..
(ص 07: 12): عبيد

إنتى فين يامدام؟! مشتاق قوى
تسارع بالكتابة على نفس الأيقونة .. (ص 07: 12): المدام
موجودة أهو . افتح الكاميرا
(ص 07: 12): عبيد

وانتى مش حتسمعينى صوتك بقى قولتى ماتقديش توربنى صورتك قلت ماشى
طب صوتك بقى
تسكت لحظات ، فيرسل لها علامات استفهام ، ثم فجأة تجده قد فتح الكاميرا ، وبانت صورته : شاب فى السادسة والعشرين من عمره تقريباً . وسيم الطلعة. يظهر جزؤه الأعلى عار تماماً تزينه سلسلة فضيئة تتدلى من رقبته ، منتهية بقطعة دائرية بحجم العشرة قروش مكتوب عليها إسم الجلالة . الصدر

مشعر ، والبطن مسحوب، بعيد عن الترهُّل ، مع بعض العروق العضلية المشدودة تنفر من ساعديه والأكتاف وتبديه كجسد له بالرياضة صولات .

يثيرها مرآه ، ويشدّها كما هو العادة شعر صدره الكثيف . فتكبر الصورة بحجم الشاشة ، وتتملّله بشبق يُفتح لها مسام أعضائها الحساسة، ويزيد جسدها اشتعالاً وغلمة. تتمنى لو أنّ زوجها معها الآن . وتفكر فيما أصبحت تنزلق إليه هكذا منذ أكثر من شهرين ، رغم أنها لم يكن يجيء على بالها يوماً ، أن تقترب مثل هذه الأشياء التي لم تعد تطيق الامتناع عنها . شيء ما أقرب إلى الإدمان أوقعها في أحابيله .

(ص 08 : 12) : عبيد

يكتب لها ..

مستعدة أوريهولك ولا بلاش

تدخل يدها ما بين فخذيه ، وتضغط على عضوها ، ثم

(ص 08 : 12) : المدام

تكتب ..

إنت وراحتك

(ص 08 : 12) : عبيد

طب سمعيني صوتك بقى وأنا أوريهولك

(ص 08 : 12) : المدام

لأمش مسمّعاك ، ومش عايزه أشوفه

ثم تغلق أيقونة الكاميرا وأيقونة الشات الخاصة به ، إمعاناً في ترفعها ، وإشعاره بعدم مبالاتها . وبالفعل تتأكد من قوة موقفها ، وتجد أيقونة الدردشة تنبثق فجأة مكتوباً عليها ..

(ص 09: 12):عبيد

حوريهولك حوريهولك استقبلي الكاميرا

تستقبل الكاميرا ، وتضغط على العلامة الخاصة بالاستقبال .
فيطالعها الجزء الأسفل من جسده ، وقد أنزل بنطلونه ، حتى
ركبتيه ، وأمسك بعضوه بكلتا يديه لا يريد أن يظهره .
تتظر إليه بشبق ، لكن لا تكتب له شيئاً . ثم تنهض واقفة ،
وتسحب عنها كلوتها الأسود القطنى ذى الرقعة الدنثيلا المتقوبة
من الأمام ، وتلقى به إلى الكنبه الجلدية المواجهة . وتعود
لجلستها على حافة المقعد هذه المرّة ، ويدها اليسرى تتحسّس
عانتها ، وعينيها لاتفارق صورته .

على حين هو بالرويد يبدأ فى تحريك قضيبه بقبضتيه فى
هزّة خفيفة لائبة ، ثم يرفع يده اليمنى . وحينما يبين قبله ذو
الرأس المسحوب ، والتقب الغائر، يشرع فى عركه بيده
اليسرى إلى الدّاخل والخارج ، ثم يبعد الكاميرا ، وهو يقوم
نصف قيام ، بحيث يتسع كادرها لوجهه فى نفس الوقت .
ويصوب نظره إليها ويضحك ، وهو يقبض عليه من منتصفه ،
ويرفعه ، ويكتب لها..

(ص 11: 12):عبيد

مش تقوليلى بقى رأيك فى عنتر ولا مرة قولتيلى رأيك

(ص 11: 12):المدام

حلو

(ص 11: 12):عبيد

بس كده

وهي مازالت تُحسّس بيدها على عانتها بحركة زادت حدّتها.

(ص12:12):المدام

شيل إيدك كده ، وقرب الكاميرا زى الأول ، مش شايفاه كويس

يحاول أن يضبط الكاميرا بحيث يظهر وجهه وعضوه في ذات الكادر . لكنه يفشل ، فيوجهها إلى جزئه السفلى ، ويستقرّ بها على هذا الوضع ، ثم يأخذ في عرك قضيبه بشدّة .

بهدوء تنزاح هي بمؤخرتها إلى الأمام ، وتباعد مابين فخذيهما ، وتدخل يدها اليسرى وتلبد في تجويفها . يبدو أنها راحت تدخل سبابتها في فرجها بقسوة ولذة ، يفجّرهما مرآه الجظّ الطويل ذى الرأس المدبّب .

آهات خافتة تحذر أن لا يسمعها أحد ، تتدّ عنها تباعاً .
يأتى على بالها فكرة الخيارة التي جربتها المرة السّابقة ،
فتنهض قافزة ، وتمضى إلى المطبخ مهرولة ، تفتح الثّلاجة ،
وتلتقط خيارة تحرص أن تكون كبيرة الحجم وملساء ، وتغسلها ،
ثمّ تأخذ زجاجة الزيت من دولاب المطبخ ، وتسرع عائدة إلى مكتبها . تضىء الشاشة التي أظلمت ، وتمرّ ببصرها على ما كتبه لها ..

(ص15:12):عبيد

إنتى فين

(ص15:12):عبيد

إنتى نمتى

(ص16:12):عبيد

؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

تكتب له ..

(ص17:12):المدام

فين صورتك ؟ ابعثها تالى

تنتظر لحظات فلاتجد صورته ، ولا تجد رداً .

تسند ركبتيها على حافة المكتب ، وترفع الكومبيليزون ،
وتباعد ما بين فخذيه . تأتى بالخياراة وتروح تنقط عليها
بالزُجاجة المنقوبة من أعلى عدة قطيرات ، ثم تدعها أمامها
على المكتب ، وتملس بأصابعها على الخياراة حتى ينسحب
الزيت على كاملها ، عدا موضع أصابع يدها التى تقبض عليها
منه . وبشبق بالغ تشرع فى إيلاجها داخل فرجها . ثم بحركة
خاطفة تعيد الكتابه له مكتفية بتسجيل عدة علامات استفهام .
فجأة تقفز أمامها أيقونة اتصاله بها بالصورة ، فتفتحها ،
وقد استولى عليها موار شهوة عارمة ، تنز برهج تسمع صداه
فى أذنيها .

فنجان القهوة المشبَّح بزركشات حمراء قاتمة ، على جسده
الأملس ، يستقر على جانب المكتب داخل وهدة طبقه الصَّغير .
علبة الـ LM الزرقاء مفتوح غطاؤها خلفه .

كل شىء يوحى بالسكَّنة والهدوء ، رغم ضجة الصَّمَّت التى
تعلن عن نفسها بوضوح . وخلافا لعمود الدُّخان الذى يبدو فى
ضوء الأباجورة ذات الذراع المثنى على الورق ، وكأنه انطلق
أخيراً بعد طول حصار ، لايرى سوى هيكل نصفى لامرأة
فى حالة استغراق تكتب .

إنها الأستاذة آمال التي يُسمع خشيش قلمها على الورق الأبيض ، ويمكن فقط للمدقق أن يستشعرٍ نحيجٍ داخلى فى حركة تنفسها المتتابع . مقدمة السطور تؤكد أنه خطاب لزوجها راضى . وعموماً لا يمكن التيقن سوى بأنه لم يكن فى برنامجها هذا الأسبوع أن تراسله بأى رسالة . وذلك لردوده المقتضية الفاترة التي لاحظت ورودها منه كل حين وعلى مضض . حتى أن الاتصالات التليفونية التي كانت تجيء منه كل ثلاثة أسابيع على الأكثر ، أصبح يمرّ الشهر والشهران دون أن تجيء .

البادى أن خطابها الذى كان لايتجاوز فى كل مرة الصّفحة الواحدة، قد جاوزها الآن بعدة أسطر ، ومازال اندفاعها فى الكتابة متواصلاً . هل يمكن الجزم بأنها تستشعر وطأة نفسية ما ، أو ثقل ؟ على كل ، هى مستمرة مازالت فى الكتابة .

بورسعيد فى ليلة الخميس ١٠/١٢ / ٢٠٠٠م

زوجى العزيز
راضى .
طال غيابك، وس
بالضبط هه يومأدون
جواب منك أو اتصال.
مشاقة حقيقى

لك يا راضى . لماذا لم تنفذ وعدك لى بشراء الكمبيوتر حتى أراك، وننحاور مع بعض فترة أطول .
طمئني عليك، وعلى أحوالك . أنا فى غاية القلق هنا .
وسبق أن اتصلت بك مرتين ، على الرقم الذى أعطيتني
لى فى عملك، ولم أجداك . لكنهم طمئنوني ورمغ ذلك

لن أطمئن حتى أسمع صوتك . إن وساوسى تكاد
تقتلنى . هل من الممكن أن تزوج على يا ماضى ؟ !
أحلم يوماً بامرأة أخرى معك ، جميلة وشعرها أسود
طويل . على فكرة أخى فصحى تزوج منذ شهر ، وراح
شقتى فى حى مبارك . عمل حفلة كبيرة فى النورس ،
ويومها ظلمت أبكى وخالتي راجية تسكت فى ،
وتقول لى مفروض تفرحى له ، ولا تبكى . لا تعرف
أنى أبكىك ، وأبكى بعدك عنى .

أنا الآن لست وحدى . أخى فادى ترك شقة العيلة من
يومها ، وجاء يسكن معى . هو الآن فى وريدينه فى
فندق هيلان . الساعة الآن عندي الثالثة صباحاً . ماضى
كل جزء فى مشناق لك . لا بد يسرعة تأتى بالكومبيوتر
لنربى بعض . وتشتري أيضاً تليفون محمول ، ليمكنك
الاتصال بى فى أى وقت . ولا مصاريف عليك مازالت
باهظة ؟ ! ماضى سأبدأ هذا العام التحضير لرسالة
الدكتوراة ، تحت إشراف الأستاذ يوسف الجابى ونى ،
وسنكون بالتأكيد فى اختصاصى المحاسبى . ومؤكد لن
يكون لك اعتراض على الأستاذ يوسف ، فأنت تعرفه
جيداً ، وتعرف مدى انضباطه ، ومعناه الأخلاقية .

أكتب لى ، وقل لى رأيك ، واشرح لى ظروفك
وأحوالك ، وآله لو تقاجمنى بشراء الكومبيوتر . عارف ليندا
زوجة فادى اللبنانية ، جاءت من أمريكا منذ عشرة

أيام، ومكنت معه لمدة أسبوع في شقة العيلة . عندما رأيتهما امرحت لها جداً . كانت أول مرة أراها فيها ياراضي . ولما رأيتهما ، ومرغم اعترضى على أنها تكبره بثلاثة أعوام ، إلا أنني شعرت حقيقى بطبيعتها ، وحينها الغريبة . حنية عمرى ما رأيتهما فى البنات المصريين ، والغريب ألها عاشت معظم سنوات عمرها فى أمريكا . أنا عارفة إنك ما زلت مراض هذه الزخبة . وما زلت مندهشاً من زواج ينهر عن طريق الانترنت . عارفة . أنا ما زلت أيضاً مثلك مندهشة . لكن ربما يكون هذا هو حال العصر الذى نعيش فيه . عصر العولمة ياراضي . " أبو الرضا اضحك شوية بقى " . أراك من هنا مقطب الجبين كعادتك وعابس الوجه . عارف وعدت هذه المرة ، ألها سترسل له الفيزا ، ومصاريف الطائرة على أوائل العام القادم ، لكى ينبعها ، ويقضيا بقية حياتهما هناك .

مراضي ملاحظ أنى أكتب لك بالفصحى ؟ منذ فترة وأنا أحاول أن تكون كتاباتى كلها بالفصحى ، حتى أعناد الحديث لها فى محاضراتى ، أكشفت فعلاً أن الحديث لها يعطى للمحاضر هيبة واحترام فى عيون طلبته ، أكشفت هذا من المؤتمرات التى حضرتها ، وفعلاً لاحظت تأثيرها الكبير على طلبتى .

مراضي أقصلى ، ومراسلتى ، كما كنت تفعل العام

الماضى . لماذا تغيرت هكذا ؟ ! الوسواس فى ذهني
تأكلني . وحققتى محتاجة لك جدا ، ومنذ شهرين وأنا
أصبحت أدخن بشراطة ، وليس السيجارة الوحيدة
التي كنت أشربها مرة فقط معك فى الأسبوع ، على سبيل
المزاح . أصبحت أدخن يامراضى نصف علبة فى اليوم
من شدة قوتى ، لكننى حرصه أن لا يرانى أحد حنى
أخواتى . لا تخف . فأكبر كلامك لى . ومرتنا يعلمكم أنظروا
من الآن شهر الصيف القادم ، للعوضى عن عدم
حضورك هذه الأجازة . والله أنا أتعذب فى كل
لحظة تم ، وأنت بعيد عني . مراضى لازم تتأكد أننى
ليس لى غيرك ، وليسعدى استعداد لأن أفارقك لى سبب
. فاهنى يامراضى ، لى سبب . مراضى لن أستطيع أن
أقول لك أكثر من هذا .
لك حبنى ، وغنياتي بالصحة والسلامة ، وعدم زوغان
عينيك هنا وهناك .

زوجتك المخلصة

آمال

بورفواد ١٢ أكتوبر

على الغلاف الخارجى للمظروف
من الامام : الاسناد مراضى أحمد شلبى

ص ب : ١٧٨٨١
العين - دولة الإمارات العربية المتحدة
من الخلف : الأستاذة آمال زهنى أبو الفدا
١٧ شارع الجمهورية شقة ٦
بورفؤاد - بورسعيد
جمهورية مصر العربية .

*

{13}

لم يحتمل جورج احتباس بوله أكثر من ذلك .
يزيح مقعده إلى الخلف ، وينتصب واقفاً . ويباطن أصابع
يده اليسرى يضغط على حافة بطنه من أسفل . فيشعر أن
مثانته قد امتلأت عن آخرها ، وأن مسامير تغزغزه .
يعبر حجرة السفرة المعتمدة ، فممر الصالة الذى تنعكس
عليه بعض الأضواء الخافتة من شبّاك المطبخ الزجاجى . ثم
يدخل الحمّام . يُضيء النور ، ويغلق الباب وراءه . ويسأل
نفسه عن قيمة ماخطه من كلمات . وعندما يندفع بوله مُحدثاً
خشيشاً مسموعاً ، يبدأ فى العدّ حتّى يصل إلى رقم ستين ، دون
أن يضعف بوله أو ينقطع ولو لثوان . ولكنه وبعد أن ينتهى
يشعر بحاجة للتبرّز ، فيُنزل بنطلون بيجامته الصّيفى ، ولباسه
الأبيض ، ويقوم بتعليقهما على مشجب الباب ويقعد على قاعدة
الحمّام .

دقائق تمرّ كان تأمله فيها للوجوه التي تخلفها تربيعات البلاط الكالحة ، ذات الحبيبات المتدرّجة بين الأصفر الفاتح والغامق ، معبراً له للخروج من وطأة تخيل مُنظّم استدرجه إلى أتونه ، لأكثر من سبع ساعات متصلة . ثمّ توّ أن ينتبه إلى أنّ الطبق الأحمر ذا الفوهة العريضة ، الذي ترك ماء حنفية الخلّاط ينزّ عليه بسرسوب رفيع له وقع ، قد امتلأ ، وفاضت مياهه بفقاعات الصّابون على الأرضية ، حتّى يمدّ يده بسرعة إليه ويغلقه . وباليد نفسها مايلبث أن يفتح الشطّافة ، ويتقبّل اندفاع خرطوش مائها البارد بين إلبتيه وصوب فتحة شرجه بأريحية هديّة . حيث يشرع في دحك موضع تبرّزه بالكامل ، متأكداً من نظافة شرجه ، وخلوّه من أى بقايا ، وذلك بإدخال سبابة يده اليسرى فيه بحركة متوالية ، مانحاً الماء فرصة للوصول إلى جزء ليس صغيراً منه .

ثمّ بعد أن ينتهى ، وعلى الرّغم من أنّه لا يرتدي إلاّ فأنّلة حمّالات فوق نصفه العلوى ، إلاّ أنّه يزعم على الاتجاه إلى الشّرفة ، وعندما يلتفت إلى أخيه النائم أمامه على السّرير ، ويجد ظهره قد انكشفت عنه الملاءة ، وأصبح عارياً ومن دون حتّى فأنّلة تقيه لفحات الهواء ، يُيمّم صوبه ، ويقوم سريعاً بتغطيته ، ثمّ يعبر حجرة السّفرة إلى حجرة نوم أمّه ، ويغلق الراديو الترانزستور المفتوح بجانبها ، ويغادرها بهدوء مُحاذراً إيقاظها ، ويمضى إلى الشّرفة ، يفتحها ويدخل .

رؤيته لشيش موارب الضلفتين ، مضاء النور ، فى العمارة

المواجهة ، تجعله يتراجع خطوة للوراء ، ويأخذ فوطته المعلقة على الأكرة الأكرية الرأس ، ويضعها أعلى كتفيه ويدخل ، وهو يقاوم إحساس بالبرودة لا يمكن إنكاره ، ولكنه اعتاد أن يفعل ذلك ، حتى - كما يظن - يعود جسده على التحمل .

يقول : كان الطنين في رأسي لا يهدأ ، يعاودني ولا يستطيع شيء إسكاته . ومع طرحي لكافة المؤثرات التي تستجلب معها استكناهااتي المشبوبة الممضّة ، وتركيز مخيلتي فقط في عيني والتجوال بهما في محلات الشارع وأبنيته ، خالجتني رعدة خفيفة أعقبتها قشعريرة ، فشددت الفوطة علىّ حتى أوصلتها لنهاية بطني ، وبدأت بعيني أطوّف في المساحة الشاسعة التي

تمتد فيها بيوت الكوبنّيّة الواطئة السّقوف ،
حتى جامع بورفؤاد الكبير ، والأشجار الكثّة
التي تتناثر في أشكال هندسيّة منتظمة بين
أضواء المصابيح الصّقراء .

طريقة

أجلّك

(Jelq)

(Method

تعتبر

هذه

الطريقة

من

أشهر

الطرق

المتبعة

غير أنني حينما هبطت بعينيّ من علوّها ،
وأجلتها بين شقق العمانر المواجهة ، فاجأنتني
ساق عارية بيضاء يضيء بضئها من خلف
ضلفة الشيش الموارب ، ويُخايل عيني بقوة ،
فيما يد صاحبها تتحسّس باطنها من أسفل
إلى أعلى ، ثمّ تزيد من رفع ركبتيها ، فيبين
قدر أكبر من فخذها الدُمّج ، بتثنيات جلده
المنسرح في تكتل لأتأكد من أنها لامرأة فوق

الأربعين ، وأرجَّح أنها يقيناً إحدى أقارب	لأكثر
العجوزين اللذين أعرف أنهما يسكنان هذه	من
الشَّقة ، ربَّما جاءت في زيارة خاطفة .	مائة
على أنني لُخِشيتي من أن يلمحني أحد	سنة
الجيران من الشَّقِّ العلويَّة أو المجاورة ،	و يمكن
وأنا أطلُّ على هذا المنظر ، جعلني أتحوِّل	بواسطة
إلى الجانب الآخر من الشرفة ، وأركز	هذه
بصرى على ابن دردير الذى يُدخل آخر	الطريقة
كرسي ، قبل أن يُنزل السَّاتر الحديدي مُغلِّقاً	الوصول
المحل .	إلى
كان جُماع ذهني مشغولاً تماماً بالذى	نتائج
أبصرته منذ قليل .	ممتازة
التفت برأسى جهة اليمين، فوجدتني	لتكبير
مستطيعاً من مكاني هذا رؤية الجزء العلوى	حجم
من الحجرة .	القضيب
انزحت خطوتين، وحاولت الهاء نفسى	و يجب
بمتابعة القطّ الذى يبرك أعلى أنشاه عند	أن
ناصية شارع زمزم . كانت ساقا الأنثى	تعلم
الأماميّتين مضمومتين ، ومفرودتين عن	أن
آخرهما . وكان مُواوِّها مكتوماً . تباعد بين	هذه
ساقها الخلفيّتين اللتين تخمشان الأسفلت في	الطريقة
تدافع ، ثم تهدأ مستسلمة في استكانة .	لا تعطي

فجأة وجَّهت إحدى العربات السَّائرة ،	نتائج
إليهما كشافيها بقوة ، ممَّا جعل القطَّ يقفز من	في
فوقها سريعاً ، فيما هي تثبَّت على نفس	يوم
الوضع .	و ليلة
حاولت معرفة لمن تكون هذه العربة الَّتِي	ولكن
ركنها صاحبها هناك ، أمام مدخل عمارة	إذا
جابر السيِّد على ، فلم أتمكن من معرفته .	طبقت
سمعت صوت شيش يُفتح أعلاى ، وأقدام	بصورة
تدبُّ، فابتعدت عن السُّور الواطئ ، وسرت	صحيحة
باتجاه مدخل الحجرة .	النتائج
كانت حجرة السُّفرة مازالت غارقة فى	تظهر
ظلامها الصَّامت .	بعد
فكرت للحظات أن أفتح التليفزيون ،	خمسة
وأجلس أمامه لفترة ، ولكنى عدلت عن رأيي	أسابيع
حتى لا أسبِّب لأخى ووالدتي إزعاجاً ، فقد	بصورة
تذكرت سفرهما باكراً لأختي فى السَّويس .	طفيفة ،
عبرت حجرة السُّفرة ، ودخلت حجرة	ولكن
النوم ، ثم ألقيت بالفوطة على مشجب الباب ،	بعد
واتجهت فوراً إلى فراشى .	سته
أقول : لكننى ما إن أغلقت عينيَّ ، وأملت	أشهر
برأسى على المخدَّة ، حتى رحت أتحدَّس	يكون
عضوى فى ضيق، وبقوة أضغط عليه غارقاً	التغير

ملحوظاً في تخيلاتى .

و تسمى

*

هذه

الطريقة بالاستحلاب أو عملية الحلب . التطبيق : ١- تذكّر دائماً تدفئة القضيب . ٢- استعمل زيت لترطيب القضيب مثل فازلين ذا عناية فائقة و لا تستعمل الصابون أو الشامبو . ٣- امسك القضيب بواسطة اليدّ - الإبهام و السبابة - و أبدا بالضغط على قاعدة القضيب ، ثم السحب على شكل الحلب ابتداءً من قاعدة القضيب إلى الأسفل باتجاه رأس القضيب ، ثم كرر التمرين باليد الأخرى بعد ٣ ثوانٍ سوف تصل إلى حالة شبه الانتصاب و هو المطلوب . ٤- امسك قاعدة القضيب مع الضغط بواسطة اليد اليسرى عن طريق الإبهام و السبابة على شكل حرف O . ٥ - ثم امسك القضيب باليد اليمنى وحركها بطريقة تشبه الحلب ، أي اضغط و اسحب من قاعدة القضيب إلى رأس القضيب . ٦- ثم قم بتغيير مواقع اليدين على التوالي أي تحلّ اليد اليمنى مكان اليد اليسرى و اليد اليسرى مكان اليمنى . كرر التمرين في الأسبوع الأول ٣٠٠-٣٠٠ مرة في اليوم الواحد بقوة متوسطة لمدة ١٠ دقائق .

كرر التمرين في الأسبوع الثاني ٣٠٠-٥٠٠ مرة في اليوم بقوة متوسطة لمدة ١٥ دقيقة . كرر التمرين ٥٠٠ مرة أو أكثر في اليوم ، في الأسبوع الثالث وبقوة أكثر بقدر المستطاع لمدة ٢٠ دقيقة .

إذا وجدت نفسك ، وصلت إلى حالة الانتصاب الكامل أثناء التمرين ، توقف عن التمرين لبضع دقائق ، إلى أن يرجع القضيب إلى حالة شبه الانتصاب ثم كرر التمرين . إذا أحسست برغبة في القذف ، توقف عن التمرين لبضع دقائق إلى أن تذهب هذه الرغبة في القذف . كرر هذا التمرين ٥ أيام في كل أسبوع . أثناء هذا التمرين تلاحظ أن رأس القضيب سوف يتوسع ، و ذلك بسبب دخول كمية أكبر من الدم إليه . و سوف تلاحظ في الأسبوعين الأولين انتفاخ مع حمرة أو زرقة، لكن هذا سوف يقل مع الوقت . طريقة الجلك يجب أن تشمل كل أجزاء القضيب ما عدا رأس القضيب .

الدكتور يوسف يعقوب
أخصائي الأمراض الجلدية
والتناسلية والعقم .
بالمستشفيات التعليمية بالمجترا وويلز سابقا .
عضو الجمعية العلمية البريطانية .

وبالفعل استجاب الأستاذ طه رضوان لتعليمات الدكتور الميجل، لكنه أبدأ لم يستطع فى أى مرة ، ممارستها إلى نهايتها ، وفى النهاية أدت به إلى إدمان العادة السرية .

*

{14}

﴿ أَنْ لِلْعَائِدِينَ الْآنَ مِنْ بَيْتَزَابِينُوا ، بَعْدَ مُجَادَلَتَهُمَا
الْمُصَّةَ ، حَوْلَ مَنْ بَدَأَ لَعِبْتَهُ تِلْكَ بِاتِّجَاهِ الْخَلِيجِ ، أَنْ
لَا يَسْتَحْيَ أَحَدُهُمَا مِنْ كَوْنِ الْآخِرِ لَا يَبْلُغُ كَامِلَ نَشْوَتِهِ إِلَّا بَعْدَ
اسْتِغْلَالِهِ لِأَعْضَاءِ سَلِيلِ الْحَاخَامَاتِ إِيْلَ جَالِ ﴾

*

قَالَتْ : فِرْعَةُ تَعْتَرِينِي ، وَأَحْسِبُنِي بِكَ
أَعَصَّدَ .

قَالَ : وَالْعَصْرُ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ
(٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا
بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ (٣)

تَتَقَلَّبُ عَلَى الْفَرَاشِ ، وَحِينَمَا تَمَدَّ ذِرَاعُهَا بِجَانِبِهَا نَحْوَ
الْمَوْضِعِ الَّذِي يَنَامُ فِيهِ زَوْجُهَا ، وَلَا تَجِدُهُ ، تَفْتَحُ عَيْنَيْهَا فِي
انْتِبَاهٍ ، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَهَا وَتَتَلَفَّتْ فِي سَكُونِ الْحَجَرَةِ الْمَظْلَمِ .
فِيظْهَرُ لَهَا نُورُ الْحَمَّامِ الْمَضِيءِ . تَسْتَكِنُ بِرَأْسِهَا ، مَفْتَحَةُ الْعَيْنَيْنِ ،
وَمُنْتَظَرَةٌ أَنْ يَغْلُقَ زَوْجُهَا النُّورَ ، وَيَجِيءَ .
تَظَلُّ تَنْتَظِرُ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَأْتِي .

فَجَاءَ تَسْمَعُ صَوْتَ تَقِيَّوْءٍ حَادٍ .
تَنْهَضُ بِجِزْعِهَا قَاعِدَةً فِي مَكَانِهَا . وَعِنْدَمَا يَتَكَرَّرُ النَّقِيُّوْءُ ؛
تَفْرُغُ قَافِزَةً مِنْ فَوْقِ السَّرِيرِ . تَدْخُلُ قَدَمَيْهَا فِي فِرْدَتِي الشَّبِشْبِ
أَسْفَلَ السَّرِيرِ ، وَتَهْرَعُ بِاتِّجَاهِ الْحَمَّامِ .

ثمَّ هناك أمامه ، تقف مسمرة على عتبة المدخل . تستند بيدها على الباب ، وترمقه بوجل . وكلما انفجر فمه بالأكل الذى لم يُهضم بعد ، ملأها الشعور بالرعب والخوف عليه ، ولا تدرى ماذا تفعل . وعلى مدى دقائق كان قد أفرغ كل مافى جوفه بالكامل ، وأخذ يتمضمض بالماء ، وهى من خلفه تنظر إلى تقيؤه جيداً ، وتتأكد من أن ليس فيه أى آثار دم . تقسح له حيزاً ينفلت منه بطيئاً ، وتعاود غسل الحوض على عجل . تدخلها الشكوك من سبب تقيؤه هذا المفاجئ ، فيما لم تعد تستبعد إن لم يكن ما اعتراه برداً ، أن يكون أزمة قلبية مثل تلك التى أصابت أباه منذ سنوات ، وتوفى على أثرها فى الحال .

تهرع إلى مكان جلوسه على فوتيه الأنتريه فى الصَّالة ، وتبادره وهى تتأمل منظره : " أعملك كويّاية شاي باللمون ؟ " . يأتيها ردّه واهناً مخنوقاً ، خلافاً لعادته : " لا " . تتفحص لون عينيه ووجهه ، فتلاحظ قليلاً من صفرة ، وشحوباً بادٍ . لكن ازدياد حبيبات العرق على جبينه ، وإغماضه لعينيه ، واستناده بظهره تماماً على خلفية الفوتيه ، ثم يديه اللتين تستمسكان بالمسندين ، كلّها علامات ترجّح أنّ حالته ليست برداً .

تقف أمامه مخنوقة لاتستطيع أن تتكلّم . ثم بصوت يخرج منها متحشراً تسأله : " حاسس بإيه يا ناجى ؟ " .

- : " " .

ولأنه لا يأتيها بردٌ ، تميل عليه مُطأطئة برأسها ، وتمسكه من يده اليمنى ، وتجسّ حرارته وتقول له : " أجيبك الإسعاف؟ " .
يفتح عينيه بهدوء ، ثم يعاود غلقها بسرعة ، كما لو أنّ المرأى تغيم أمامه ، وأيضاً لا ينبس بأى كلمة .
هنا تتأكد أن حالته أخطر من كونها مسألة برد ، وعدّة ترجيعاتٍ ، وينتهى الأمر . يُدخلها الفرع بشدّة . وتمسك جبينه بكامل كفها الأيمن . وحين تسرى البرودة إليها ، وتجد حركة تنفّسه البطيء ، وسكونه الواضح ؛ تقفز إلى باب الشقّة ، تفتحه ، وتضع يدها على جرس باب الشيخ ريحان المقابل ، وهى تخبّط عليه بشكل متواصل .
لا تسمع صوتاً داخل الشقّة .

تردّها فكرة أن يكون مسافراً مع أولاده ، إلى أهله ببنى سويف ، فترتجف لهذا الخاطر ، وتزيد فى الخبط .
هنيهة ، وتسمع أرجل تسير فى الصّالة ، مقبلة على عجل باتجاه الباب . تتوقف عن الخبط ، وتعدل من قميص نومها من أعلى لتخبّئ فرجةً فيه كانت مكشوفة ، وتتنظر واجفةً فى اضطراب . وجه الشيخ ريحان بذقنه التى ابيضّ شعرها إلا فيما ندر ، أوّل ما يواجهها حين الفتح . ورغم أنّ ملامحه ترتسم عليها علامات النوم ، وعينيه مرتخية الجفون ، ويغشاها كثيرٌ من حمرة ، إلاّ أنه ، وتوّ أنّ يتأكد منها - وهذا استغرق منه عدّة ثوان - يبادر بالاهتمام السّريع بها ، ويدعوها فوراً للدّخول مسألها فى انزعاج عن ماذا ألّم بها ، فيخرج صوتها

متهدِّج مضطرب : " ناجى ياحج ربحان مش عارفه ماله ؟! مغمى عليه ورايح مئى خالص " .

يلتفت خلفه ، وبصوت عالٍ ينادى على ابنته رقيّة . وماهى إلاّ ثوان معدودات ، ويجدها تقبل عليه ، مهرولة من حجرة نومها . يبدو أنها كانت قد استيقظت على صوت قرع الباب . يطلب منها أن ترتدى روبيها ، وتضع الطرحة على رأسها وتأتى خلفه . ثمّ يندفع صوب باب شقة ناجى . وأمام الفتية الذى يجلس عليه ناجى يقف ، مُصوّباً إليه نظره ، ومايلبث أن يضع يده على جبينه وهو يناديه : " ناجى ، ناجى " . وحين لايجد منه ردّاً يصغفه فوراً عدّة صفعات على وجهه ، طالباً من عزّة أن تناوله على الفور أى زجاجة كلونيا . فتهرول عزّة إلى حجرة نومها ، وفى الحال تأتى له بعلبة أسبريه ، فيزخ منها عدّة زخات داخل فتحتى أنفه ، ينتفض ناجى على أثرها ، فاتحاً عينيه فى انتباه ، ويروح يحيلها فيمن حوله .

مرّة أخرى تعود عيناه إلى الشرود ، دون أن يغلق جفنيه ، لكنه فى نفس الوقت يستند بيديه على مسندى الفتية ويحاول رفع ظهره لأعلى ، فتتجح محاولته إلى درجة ما .

من خلف باب الشقة يُسمع وقع أقدام أحد يضرب الجرس . يرفع الحاج ربحان جزعه ، ويخطو خطوتين إلى الباب وينظر ، فيجد ابنه بلال ، وبدر واقفين ببجامتهما الترنج ، يطلبان الدخول على استحياء . يشير لهما أن ينتظرا مكانهما ، ويطلب من عزّة أن تدخل حبرتها ، وتضع الطرحة على رأسها

وياحبذا لو لبست روباً ، فتستجيب له دون تردّد . وعندما تفعل
يسمح لهما بالدخول .

يمضيان نحو الأستاذ ناجى ، ويتأملانه وهو منطرح على
الفوتيه شبه مغمى عليه .

يبادر بلال وهو ينظر لأخته وأبيه : " لازم نجيب الاسعاف
ياحجّ " .

يمسك الحاجّ ريحان كف ناجى بيده ، فيجدها باردة ، فيقول
له : " أجيبك الاسعاف يانا جى يابنى ؟ " .

يشير له ناجى بيده ، كما لو أنه قد استعاد قدر من حيويّته ،
ويقول له : " لا ، لا " .

يُداخل عزّة كثيرٌ من طمأنينة ، حين تجده يتكلّم ، فتتحنّى
برأسها ، وتميل عليه ، وهى تأخذ بإحدى ذراعيه ، وتظل
تدعك فيها ، ثم تفعل ذلك مع الأخرى . غير أنها تنتبه ، فتطلب
من الحاجّ ريحان وأولاده أن يتفضّلوا بالجلوس على مقاعد
الأنترية .

يجلس بدر وأخته رقيّة ، بينما يظلّ الحاجّ ريحان ، وبلال
واقفان أمام ناجى يتفحصانه ، ويجسّان من حين لآخر جبينه
الذى بدى بارداً ، فى نفس الوقت الذى يتمتم فيه الحاجّ ببعض
الآيات القرآنية والأوراد . يهمس بلال لأبيه بصوتٍ خافت
: " ببنيّ ضغطة واطى ، بدّه حاجه ترفع الضّغط " .

ينتبه الحاجّ فجأة ، وكأنه قد تذكر شيئاً كان غائباً عنه ،
ويبادر عزّة قائلاً : " روحى بسرعة ياعزّة هاتيلي نقط الضّغط الى

بيخدها ناجى" . ثم متسائلاً " إنتي عطيتيله منها ؟ " .
تجيبه وهى تستدير واقفة ، متجهة إلى الحجرة : " لا " .
- : " طب هاتيه . هو كان قالى إنه متعود عليها ، يالا يابنتى .
إزأى كُنا نسيين حاجه زى دى ؟! " .
يطلع صوت ناجى خافتاً ، ومتهدجاً بطيئاً : " موجود فى
درج الشفيرة اللى فى النص ياعزّة " .
- : " إيه يا راجل . كده تخضنا عليك " .

هكذا يقول الحاج ريحان ، وهو يرسم ابتسامة على وجهه ،
ويضع يد ناجى اليمنى بين كفيه ، على حين يهّم بدر ورقية
بالوقوف ، والتحلق حول مقعده .
تجىء عزّة بدواء الضّغط، وتتاولة للحاج ريحان ، ثمّ تذهب
مهرولة باتجاه المطبخ ، وبسرعة تعود بكوب مملوء لثلثه
بالماء .

يأخذ الحاج منها الكوب ، ويشرع فى عدّ النقاط التى
يقطرها فيه ، وهو يقول لناجى : " عشر نقط ، صح يا ناجى ؟ " .
بصوت واهن : " آه " .

تكتمل العشرة نقاط ، فيدفع الحاج ريحان بالزّجاجة إلى
عزّة ، كى تغلقها بغطائها المخصّص ، فيما يقترب منه ، وفى
انحناء يميل عليه ، محاولاً بحرص إشرابه الكوب .
يستجيب له ناجى ، ويبدأ ببطء فى الارتشاف .

*

{15}

الموكب هاهو يمرّ أمام معبد مدينة هابو،
 فهي لحظات ضوء الفجر .
 ثم هاهو يمرّ أمام تمثالى ممنون .
 قرويان يتابعان الموكب . وداعى صامت .
 ونيس يسير على شاطئ مهجور مُبتعداً واطعاً
 يديه على وجهه باكياً .
 ينظر خلفه للحظة ،
 والدموع تنحدر من عينيه ،
 وينظر خلفه للحظة ، تجاه الصّوت .

*

{16}

﴿أَخْرَجَ الَّذِي يُسَبِّحُنِي ضِدَّ كُلِّ خُلُوٍّ، وَاسْتِثْنَاءًا أَخَصَّ
 مَنْ لَهُ سَبْقُ مَبَادَاةٍ﴾

قلت : هناك على مبعدة .
 المحترفون الذين يقع عليهم ناظري ، يجوبون بالية باتت لهم
 مقدرة ، وتسوق إلى مساع ، وربما تشدّ إلى عطب . ولا يصدمنكم
 القول أن حالي المزاملة ، لها من نصيب الاعتياد أن جعلت وراء
 لهم تمرّ دون أن تُرى . والأدهى من ذلك ، ويا حبذا لو ذكرت أن
 نواصي مفتوحة على حكاو حافلة من شجن وفاء ، إلى ما يقترفه

أشرف الخواجة في أجساد بعض الصّبايا بإدمان .
ومع نهاية كلّ أمسية مثل هذى أُسعى إلى توريث كائنتيّ زحماً
أنا أهلّ له . يليه انتصابي كمرتكز لعواير تتخذ مسيرتها من عندي
إلى كل مسرب ، ولا يشفع لي طول قرّى ، أو مكثى كشاهد
حياة . غير أنّه يصحّ أن أنسب تمظهرات بعينها صار البون بينها
شاسعاً ، حين تُلجئني المقارنة بمعهودى في الحقب التليدة التي كان
لي فيها سبق مُبادءة . مائة مليون جنيه أنفقها المرشّحون على
الدعاية الانتخابيّة ، ووزير الصّحة يؤكّد تبرّعه بعينه بعد الوفاة ،
ثم قراءة دعاء السّفر قبل ركوب الانترنت ، ذلك ما ألحه استثنائياً ،
ملتصقاً بعجلة أحد الباصات التي تتخذ من دوراني مخرجاً ، ودون
أن أعلم تحديداً لأى من الجرائد تُنسب .
فقط يمكنني الجزم ، وأنا على ثقة من ذلك بأن الصّبي توتو ،
وأحمد عنتر الذى طارت ساقه في إحدى حوادث القطارات ، قد
انتهيا إلى أنّهما الوحيدان اللذان يُقلّهما هذا الباص .
يدّعى بكلّ براءة أنّه توقّف نهائياً عن تعاطي الماريجوانا ، إلّا أنّه
لا يتقبّل فكرة أن تمرّ ليلة واحدة ، يكون فيها بعيداً عن أدخنتها .
فإذا ما ظبطته أمّه عائداً خلصة أوّل الفجر ، أطنب طويلاً عن
أحقّيته الشّديدة في السّهر ، إذ وبإسم مزاعم لها بعض المشروعيّة
في الصّحة ، يتمادى في لعن البلد التي لم تُوفّر له الفرصة الواجبة
للتّعيش ، ثم يزيد في السّباب الذى مافتىء يطلقه سخطه . أنا
أبصق على مركز تفكيرى . نحن زينا كلمات .
خربوا رمادية السّماء ! توغّلوا في السّماء ، فكروا

في المؤخرة . آه يا حلم ملون وحشى متحدر من
الأعماق* . أكلما هدر أحدهم فيكم هكذا بصوته الجهير أن
هذا ما هو إلا تخريب شيطان ، فزعتم إلى ماله نفس شاكلة
براحي الذي أتوسطن بامتداده ، ثم رحتم ، برعونة بادية ، ودون
أى تمحيص لأمر ، تطالبون برأس من جرؤ .

إنها الرغبة التي تتنازعني إلحاحاً على أن أستعيد مروقكم ذاك
الصباحي من جامعة الأزهر ، مطالبين بتقويض الوليمة . في نفس
الوقت الذي ألبى فيه أن أكتفى بسرد واقعة محمد القزاز هكذا
على مرأى ، ضد زكي البغدادي . رغم أنني بلا ريب أحد شهود
عيانها الموثوقين . أو حتى مجرد فقط أن أتناقل مع أى من مصاقبي
الذين يُشارفون على مقربة ، مأساة أم مسعد التي فقدت أمس
ابنها الثاني عبده ، بنفس المرض الذي أمات أخاه بضمور
العضلات منذ سنتين ، في العشرين أيضاً من عمره . ذلك أنني
الآن مأخوذ ، وفي وضعيّة غير مُبرّرة ، رغم الهدوء الذي بدا
يُبهظني ثقله . بل وحيال مايتناهى إليّ جائشاً من أولئك الذين
مازالوا يتخذون من مقهى الأوبرج محلاً ، لا أستطيع إلا أن أمنح
إسماء لوطاهم .

أخيولات فائضة ، تندغم بالذي يحسبونه هناك على تحقّق ،
ومجازات ، أبقى وحيداً من دون أن أوثق علاقاتي بكنهها الذي
يحطّ بين ساكنين ، أو مجزومين ببوارج راصدة .

وماين دوائر التي تنداح بما يعمدني هاهنا كمرکز ، أخصّ
الثناء على بعض التّقولات التي تنطلق ، وكذلك أهجو ، وبأسرع

مَّا يَلْزَمُنِي لِلْعُثُورِ عَلَى أَيِّمَا سَبَبٍ ، كُلَّ مَا تَبَقَّى .
جورج وعروسه الضَّالَّة لوسى دى براكونتال، وصياغته
المنمَّقة لتلك التي لم يكن اختفاؤها ، إلَّا حينما فكَّرت فقط ،
وللمرَّة الأخيرة على الإطلاق، إبَّان ليلة عرسها ، أن تُجارى
أخذانها بين أقبية وسرايب قصر مونسيجور في لعبة المخايء .
وكذلك منى والبوندتس ، والسَّين دكتورز الذين تقف أمامهم
كعلاماتٍ فارقة ، ولا تجد ضيراً أو غضاضة ، في أن تزمَّ بهم
شفتيها .

من هنا أُحيل ، وبعين من يرى أمامه لأبعد ممَّا هو جائز ، كلَّ
مُقتعدى فساحاتي الذين يشوقهم مقارعة الحجَّة بالحجَّة ، إلى
تلك الدَّعاوى التي فُعِّلَت ، والتي أيضاً لم تُفْعَل .
ومن ثمَّ وجب علىَّ أن أدَّخر بعض الحكاوى ، وبالرُّويد أبداً
في اجترارها على مهل ، كي لا يكون من العسير بي مُطلقاً ،
وبخاصة في اللحظات الأخيرة من الليل ، حين أفقر لزخم البشر
الذين يجوبون ، أن أنصبَّ أحشودة من الوقائع التي عركتها عن
قرب . ثمَّ أَسْتَدْعِي فريضاً مقولة طه رضوان أصبوحة هذا اليوم إلى
صديقه عاكف ، من أن ١٧ مليار جنيه هي قيمة الأموال القذرة
في مصر ، وما أتورَّع أن أطرحها على كل الوجوه .
وبذلك أضرب مثلاً ناجزاً ، عن كيف يكون تحرُّى الملامح ،
مدعاةً إلى إشاراتٍ عابرة ، تُكسِّبُ القدرة على استنتاج
اصطفائي أعدَّه مُفصَّحاً حيال الصَّمْت الذى يُطبق. فإذا ما نَبَّه
أخيراً التَّابعي الشَّهير بالببى تيس زمرة إلى حبة السَّعادة M.D.M.A

التي صار لها موطيء تمكين بين امتداد جيله الغربي ، أرجعت ذلك إلى السياق الذي استملح - منذ أمد - الترتُّح فيه ، بغير أن أعقد أواصر بينه وبين الدعاوى التي اعتاد أن يطلقها مشاؤون المسهد على مقهى الأوبرج . فقط منتبهاً إلى كمّ الألم الذي راح يعصر قلبه هذا اليوم ، جرّاء علمه بغرق نذاته التي كان لم يزل يكن لها شعوراً مُفعماً لم يجرؤ على الإفصاح عنه .

إنّهُ العوز الذي لامراء في كونه يُوجب الانشداد ، إلى ما يُظنّ فيه ملء شاغر . أو هكذا أخصّ كلٌّ مَنْ يبتحث عن موطيء منتظر . ثم لا يلبث أن يُعدّ جرمه ، لتلقى أيّ بادرة فيها إثبات لصحيح ما اتّخذ من مقاصد .

فعلى نحو وُصفَ بأنّه خروج على كلّ مألوف ، راح الفتى حسنى وبخطيط أخذ يحلم به ليلال طوال ، مثلما تحدّث بذلك للفتى دودو ، وبالدرجة من التّمهّل التي لاتشعر معها حالته وهى تقضى حاجتها بأى أثر ، راح يزيح ضلفة نافذة حَمَام شقتهم ، مستغلاً فرصة ذهاب أمّه وأخته نوسه ، خلف الحاجه اعتماد إلى مستشفاهها . ثم يُطلّ في هدوء متلصّصاً ، ومنبهراً من حجم فخذيهما اللذين كانا مُختبئين داخل ملابسها ، دون أن يتصوّر للحظة أنّهما على ذلك القدر من الضّخامة والملاسة التي يراهما . الغريب في الأمر أنّ الحالة لم تلاحظ فعلته تلك رغم تكراره لها مرتين هذا اليوم .

نعم هي الوقائع التي نقصّها ، وتكتنز بها ذوات تذرع فساحت ليلاً ونهاراً ، وبأكبر حيز إطلالة ، أشرف على ما يتجلى

منهم من فعل ، وردّه .
ثم خلافاً لأحاديث تأخذ منهم عُصارة حِيَّهم ، ويذلون فيها
ماتيسّر من إشراقات ، وهواجس تُخامر الوفرة التي تنقضى بها
ساعاتهم ، أُلتمس ما قد يكون عكس ما يفصحون عنه .
تحديداً حدث على مربّعى هذا الآلاف من الوقائع التي تُعصّد
ما أطلقه هكذا بجزم .

ولا ينقصني سوى استعادة بعضاً ممّا لم يعد بوسع أحد منحه
لى بالطريقة التي أثرتني وقتها ، حيث بتّ بحومة ما أنا محطّ لفرط
اختمارات منه ترين على نواصيي ، وواجهات قُب أسفلتي بعض
دفع ، على شغفٍ مُروّع بما يُستجدّ من تبدّلات لها شئون .
وجليّاً يمكن استعارة منها ضوعات حياة . أو ما يسوق إلى مغالبة
هدأة أنا ضدها .

ويا اكتنازى لما أصير مألّفاً لأنفاس صيف ، تُطلقها عائلاتٌ
ماتني تفتريش ساحتي ، وتجتزّ ماتعرّكه خلال أيّام شتائيّة ، ربّما لم
يُتيح لها الظرف فيها أن تتقابل .

أسرة الحاج غريب ، وأسرة الرئيس نبوى ، وأسرة الأسطى
عرفة ، وأسرة الحسينى كمالو ، وأسرة الحاج شومان ، وأسرة
محسن بيه ، وأسرة يوسف الأقطش ، وأسرة الحاج عبدالله
رسلان ، وأسرة اسحاق إسكندر ، وأسرة الحاج بيومى خفاجة ،
وأسرة العمّة نرجس ، وأسرة العم عصفور ، وأسرة عبد الناصر ،
وأسرة أم راشد ، وأسرة الحاج محمد ، وأسرة الحاج مهدي
الحياط ، وأسرة الحاج آدم ، وأسرة فهيم بكر ، وأسرة الشيخ

شافعى ، وأسرة الست ودداد ، وأسرة الحاج غانم ، وأسرة الست
دولت ، وأسرة الست زوزو ، وأسرة عويضة سلطان ، وأسرة
الحاج عثمان ، وأسرة محمود زنيق ، وأسرة محروس الطويل ،
وأسرة صبرى السُّحت ، وأسرة الحاج سلامة ، وأسرة الست
سوسن ، وأسرة عزت الإمام ، وأسرة محمد زغلول وأسرة العم
عدلى ، وأسرة الأستاذ غالى ، وغيرهم وغيرهم .
فإلى أى المرائء سَتُجَنِّحَ أَيَّامُكُمْ أَيُّهَا الْمَسَاقُونَ جَبْرًا ، بدوافع
لاتنقصها جبلة التَّكْوِينِ .

وإلى أى مدى وطنتم أنفسكم على التَّماهى مع قاطرة يكفيكم
التَّثَبُّتُ مِنْ أَنَّهَا مَاضِيَةٌ إِلَى جُرْفٍ ، ولو ادَّعَيْتُمْ بِيَعُضِ سُلُوى ، أو
برثاء نفس ، بجواز ماسيكون له بقاء .

إنه ليس أقسى على النَّفْسِ مِنْ بَغِيَاتِ قَهْوَى .

وعناء لا يجد فى نهايته إلا الطمس .

فهل تحرَّيْتُمْ فى سبيل أدواء تلزم ، كل ما يكون ذا أثرٍ ، أو لكم
فيه اتِّكَاءٌ .

من المستحسن أن تنشغلوا بما تعتقدون أن فيه براحات تُفْسَحُ
لأفعال ترتضونها .

ولا يهمنكم بعد ذلك ، إذا ما أطلت عليكم من موقعي
هاهنا ، لأقول كفى هراء ، إذ أنا فقط وبحكم وضعيتي مشدود
لرُحْمٍ . وأستعجل أشياء قد تنزُّغ .

*

{17}

عربة بوكس تأتي من امتداد شارع الجزائر ، ثم فى مواجهة محل ألبان السلام تقف .

دقائق ، وتخرج من شارع الجمهوريّة ، باتجاه بنك القاهرة وبدون أن تصدر صوتاً ، تعود وتأخذ محطّها أمام مقهى الحبال . بعد ربع ساعة تقريباً ، يهبط منها أحد الضبّاط ، وإثنان من أمناء الشرطة ، ثم يمضون على رصيف شارع زمزم أسفل البواكى ، بمحاذاة العمائر التى على اليسار .

ثمّة أجواء احتراز يعكسها وقع أقدامهم المنتظم .
مرّة أخرى يلتفتون برعوسهم يمنة ، ويسرة ، وتوّ بلوغهم مدخل عمارة دردير ، يلجون ، غير مباليين بالكلب الذى فى المواجهة ينبح .

*

من 12 - 10 - 2000

حتى 23 - 12 - 2007

بورشعيد



إلى
أبي، وأختي
في عليائهما .
وإلى
أُمِّي في حُرُوبِهَا
المقيم .

*** صدر للكاتب**

1 - حَدِيثُ النَّاطُورِ "وَكُوَيْنَاتٍ وَمَاجَوَّتْ" ----- "نصّ"

دار ميريت. القاهرة 2007 .

2 - آل الأفاويقية "وعماً يصفون ركزاً تَغْشَى" ----- "نصّ"

دار ميريت . القاهرة 2007 .